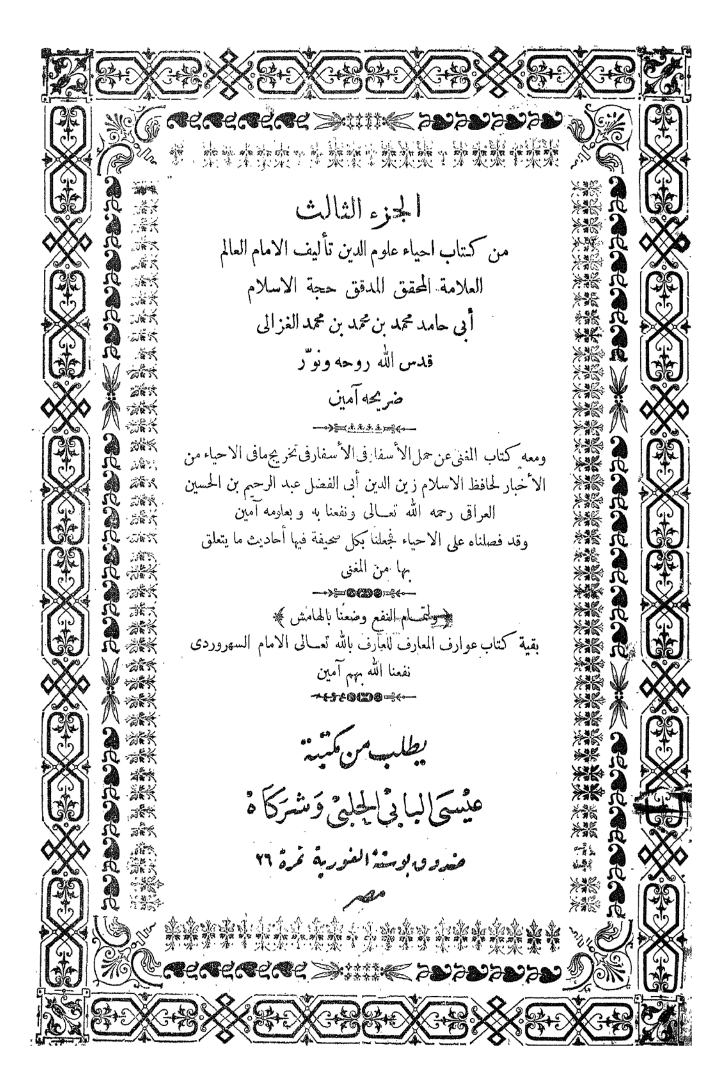




الجزء الثالث

من كتاب احياء علوم الدين تأليف الامام العالم
العلامة المحقق المدقق حجة الاسلام
أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي
قدس الله روحه ونوّر
ضريحه آمين

ومعه كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الاحياء من الأخبار للحافظ الاسلام زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي رحمه الله تعالى ونفعنا به و بعلومه آمين
وقد فصلناه على الاحياء فجعلنا بكل صحيفة فيها أحاديث ما يتعلق بها من المغني

﴿ولتمام النفع وضعنا بالهامش﴾
بقية كتاب عوارف المعارف للعارف بالله تعالى الامام السهروردي
نفعنا الله بهم آمين

يطلب من مكتبة
عيسى البابي الحلبي وشركاه
صندوق بوستة الغورية نمرة ٢٦
مصر



(كتاب شرح عجائب القلب وهو الاول من ربع المهلكات)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر * وتدهش فى مبادى أشراق أنواره الاحداق والنواظر * المطلع على خفيات السرائر * العالم بمكنونات الضمائر * المستغنى فى تدبير مملكته عن المشاور والموازر * مقلب القلوب وغفار الذنوب * وستار العيوب * ومفرج الكروب * والصلاة على سيد المرسلين * وجامع شمل الدين * وقاطع دابر الملحدين * وعلى آله الطيبين الطاهرين * وسلم كثيرا (أما بعد) فشرف الانسان وفضيلته التى فاق بها جملة من اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التى هى فى الدنيا جماله وكماله وفخره وفى الآخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو المتقرب الى الله وهو العامل لله وهو الساعى الى الله وهو المكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب و يستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعى للرعية والصانع للآلة فالقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو الذى يسعد بالقرب من الله فيفلح اذا زكاه وهو الذى يخيب و يشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وانما الذى ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره * وهو العاصى المتمرد على الله تعالى وانما السارى الى الاعضاء من الفواحش آثاره * و باظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء ينضح بما فيه وهو الذى اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذى اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل اذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم و بين أنفسهم فان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته و كيفية تقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن وانه كيف يهوى مرة الى أسفل السافلين و ينخفض الى أفق الشياطين و كيف يرتفع اخرى الى أعلى عليين و يرتقى الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه و يترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه نسوا الله فانساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب

(الباب الثلاثون فى تفاصيل أخلاق الصوفية) من أحسن أخلاق الصوفية التواضع ولا يلبس العبد لبسة أفضل من التواضع ومن ظفر بكنز التواضع والحكمة يقيم نفسه عند كل احد مقدارا يعلم انه يقيمه و يقيم كل أحد على ماعنده من نفسه ومن رزق هذا فقد استراح واراح ومايعقلها لا العالمون (اخبرنا) ابو زرعة عن ابيه الحافظ المقدسى قال أنا عثمان بن عبد الله قال انا عبد الرحمن بن ابراهيم قال ثنا عبد الرحمن بن حمدان قال ثنا أبو حاتم الرازى قال ثنا النضر بن عبد الجبار قال أنا ابن لهيعة عن يزيد ابن ابى حبيب عن سنان بن

وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين وإذ فرغنا من الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلابد أن نقدم عليه كتابين كتابا في شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام فإن التصريح بعجائبه وأسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الأفهام

* (بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الأسامي) *

اعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بهذه الأسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسامي واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معنى هذه الأسامي ما يتعلق بغرضنا * (اللفظ الأول) لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين * أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فإنه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين * والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته فإن تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين أحدهما أنه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب إلا علوم المعاملة * والثاني أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح وذلك مما (١) لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره أن يتكلم فيه والمقصود أنا إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتقر إلى ذكر حقيقتها * (اللفظ الثاني) * الروح وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين * أحدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستنير به والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ المتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان فأما غرض أطباء الدين المعالجين للقلب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا * المعنى الثاني هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان وهو الذي شرحناه في أحد معاني القلب وهو الذي أراده الله تعالى بقوله قل الروح من أمر ربي وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته * (اللفظ الثالث) النفس وهو أيضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان أحدهما أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان على ما سيأتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في الروح متفق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح وفيه فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم فعلمت أنه يوحى إليه الحديث وقد تقدم

سعد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا ولا يبغي بعضكم على بعض وقال عليه السلام في قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني قال على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس (وكان) من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين (وأخبرنا) أبو زرعة إجازة عن ابن خلف إجازة عن السلمي قال أنا أحمد بن علي المقري قال أنا محمد بن المنهال قال حدثني أبي عن

بالنس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله عليه السلام (١) أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك * المعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى في مثلها ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الاول لايتصور رجوعها الى الله تعالى فانها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه قال الله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض واذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز أن يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم و بالمعنى الثاني محمودة لانها نفس الانسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات * (اللفظ الرابع) العقل وهو أيضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان أحدهما انه قد يطلق و يراد به العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني انه قد يطلق و يراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق و يراد به صفة العالم وقد يطلق و يراد به محل الادراك أعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم (٢) اول ماخلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون أول مخلوق بل لابد وأن يكون المحل مخلوقا قبله أو معه ولانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه قال له تعالى أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فادبر الحديث فاذا قد انكشف لك أن معاني هذه الاسماء موجودة وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم فهذه أربعة معان يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والالفاظ أربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر و يقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسماء ولاجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان و يعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة و بين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن به انه يرى أنه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال بل أراد به انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه أيضا الامن بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا لايليق بغرضنا فلنجاوزه

* (بيان جنود القلب) *

قال الله تعالى ومايعلم جنود ربك الاهو فالله سبحانه في القلوب والارواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الاهو ونحن الآن نشير الى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان فهذا معنى الجند فاما

(١) حديث أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين (٢) حديث أول ماخلق الله العقل وفي الخبر أنه قال له اقبل فاقبل وقال أدبر فادبر الحديث تقدم في العلم

محمد بن جابر اليماني عن سليمان بن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من رأس التواضع ان تبدأ بالسلام على من لقيت وترد على من سلم عليك وان ترضى بالدون من المجلس وأن لاتحب المدحة والتزكية والبر (وورد) أيضا عنه عليه السلام طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة (سئل الجنيد) عن التواضع فقال خفض الجانب ولين الجناح (وسئل) الفضيل عن التواضع فقال تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وتسمع منه (وقال أيضا) من راى لنفسه

جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا أمر الرجل بالحركة تحركت واذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخير الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان فى شئ وهو ان الملائكة عليهم السلام عالمة بطاعاتها وامتثالها والاجفان تطيع القلب فى الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذى لاجله خلق وهو السفر الى الله سبحانه وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وزاده العلم وانما الاسباب التى توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد ان يصل الى الله سبحانه ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى فالدنيا مزرعة الآخرة وهى منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلتين فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم فالبدن مركبه الذى يصل به الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه ما ينافيه من اسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذاء فخلق فى القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت الاعضاء التى هى آلات الشهوات فافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب الذى به يدفع المهلكات و ينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذى بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بامور خارجة فالجوارح من البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء ما لم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء والفه فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير منها فى كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة اصناف صنف باعث ومستحث اما الى جلب النافع الموافق كالشهوة واما الى دفع الضار المنافى كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثانى هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد و يعبر عن هذا الثانى بالقدرة وهى جنود مبثوثة فى سائر الاعضاء لاسيما العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهى قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهى مبثوثة فى اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهى الاعضاء المركبة من الشحم واللحم والعصب والدم والعظم التى أعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش انما هى بالاصابع وقوة البصر انما هى بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم فى الجنود الظاهرة أعنى الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الآن فيما أيدت به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما قد اسكن المنازل الظاهرة وهى الحواس الخمس أعنى السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما أسكن منازل باطنة وهى تجاويف الدماغ وهى ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشئ يغمض عينه فيدرك صورته فى نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شئ يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى البعض ثم يتذكر ما قد نسيه و يعود اليه ثم يجمع جملة معانى المحسوسات فى خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففى الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان الدماغ يخلو عنه كما تخلو اليد والرجل عنه فتلك القوى أيضا جنود باطنة وأما كنها أيضا باطنة فهذه هى أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب الامثلة يطول

قيمة فليس له فى التواضع نصيب (وقال) وهب بن منبه مكتوب فى كتب الله انى أخرجت الذر من صلب آدم فلم اجد قلبا أشد تواضعا الى من قلب موسى عليه السلام فلذلك اصطفيته وكلمته (وقيل) من عرف كوامن نفسه لم يطمع فى العلو والشرف و يسلك سبيل التواضع فلا يخاصم من يذمه و يشكر الله لمن يحمده وقال ابو حفص من احب أن يتواضع قلبه فيصحب الصالحين وليلتزم بحرمتهم فمن شدة تواضعهم فى أنفسهم يقتدى بهم ولا يتكبر (وقال لقمان عليه السلام) لكل شئ مطية ومطية العمل التواضع) وقال

و مقصود مثل هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد فى تفهيم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من أفهامهم

﴿بيان مثلة القلب مع جنوده الباطنة﴾

اعلم أن جندى الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذى يسلكه وتحسن مرافقتهما فى السفر الذى هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغى وتمرد حتى يملكاه و يستعبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذى به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتى شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة أكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم فى استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغى أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب ذلك الى فهمك بثلاثة امثلة ﴿المثال الاول﴾ أن نقول مثل نفس الانسان فى بدنه اعنى بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل ملك فى مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح فى آرائه وتدبيراته حتى انه لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة كما ان الوالى فى مملكته اذا كان مستغنيا فى تدبيراته بوزيره ومستشيرا له ومعرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث مستدلا باشارته فى ان الصواب فى نقيض رأيه ادبه صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له مسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومأمورا مدبرا لا اميرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل بسببه فكذا النفس متى استعانت بالعقل وأدبت بحمية الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت باحدهما على الاخرى تارة بان تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت اخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث وقال عز وجل فيمن نهى النفس عن الهوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وسيأتى كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض فى كتاب رياضة النفس ان شاء الله تعالى (المثال الثانى) اعلم ان البدن كالمدينة والعقل اعنى المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التى هى الشهوة والغضب كعدو ينازعه فى مملكته و يسعى فى اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان هو جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال تعالى والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره فانتقم منه عند الله تعالى (١) فيقال له يوم القيامة ياراعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد فى الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم (٢) رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (المثال الثالث) مثل العقل مثال فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجاح ومتى كان هو فى نفسه أخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل

(١) حديث يقال يوم القيامة ياراعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة الخبر لم أجد له أصلا
(٢) حديث رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر البيهقى فى الزهد من حديث جابر وقال هذا اسناد فيه ضعف

النورى خمسة أنفس أعز الخلق فى الدنيا عالم زاهد وفقيه صوفى وغنى متواضع وفقير شاكر وشريف سنى (وقال الجلاء) لولا شرف التواضع كنا اذا مشينا نخطر وقال يوسف بن اسباط وقد سئل ما غاية التواضع قال ان تخرج من بيتك فلا تلقى احدا الا رأيته خيرا منك ورايت شيخنا ضياء الدين ابا النجيب وكنت معه فى سفره الى الشام وقد بعث بعض ابناء الدين له طعاما على رؤوس الاسارى من الافرنج وهم فى قيودهم فلما مدت السفرة والاسارى ينتظرون الاوانى حتى تفرغ قال للخادم احضر الاسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء فجاء بهم واقعدهم على السفرة صفا

باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا عن ان ينال ماطلب وانما خرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه نسأل الله حسن التوفيق بلطفه

﴿ بيان خاصية قلب الانسان ﴾

اعلم ان جملة ماذكرناه قد انعم الله به على سائر الحيوانات سوى الآدمي اذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضا حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك هو الادراك الباطن فلنذكر مايختص به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع الى علم وارادة اما العلم فهو العلم بالامور الدنيوية والاخروية والحقائق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان الشخص الواحد لا يتصور أن يكون فى مكانين فى حالة واحدة هذا حكم منه على كل شخص ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض الاشخاص فحكمه على جميع الاشخاص زائد على ما أدركه الحس واذا فهمت هذا فى العلم الظاهر الضرورى فهو فى سائر النظريات اظهر واما الارادة فانه اذا أدرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى جهة المصلحة والى تعاطى اسبابها والارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على ضدد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعقل يريدها ويطلبها ويبذل المال فيها والشهوة تميل الى لذائذ الاطعمة فى حين المرض والعاقل يجد فى نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف بعواقب الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعا على التحقيق فاذا قلب الانسان اختص بعلم وارادة ينفك عنها سائر الحيوان بل ينفك عنها الصبي فى اول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة فى حق الصبي ثم الصبي فى حصول هذه العلوم فيه له درجتان * احداهما ان يشتمل قلبه على سائر العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذى لا يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد * الثانية ان تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليها وحاله حال الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة بقدرته عليها وهذه هى غاية درجة الانسانية ولكن فى هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها اذ تحصل لبعض القلوب بالهام الهى على سبيل المبادأة والمكاشفة ولبعضهم بتعلم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطىء الحصول وفى هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والانبياء والاولياء فدرجات الترقى فيه غير محصورة اذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها واقصى الرتب رتبة النبي الذى تنكشف له كل الحقائق او اكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهى فى اسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقى هذه الدرجات هى منازل السائرين الى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك منزله الذى بلغه فى سلوكه فيعرفه ويعرف ماخلفه من المنازل فاما مابين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة والنبي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح الله على اوليائه وانبيائه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على احد ولكن انما تظهر فى القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال

واحد اوقام الشيخ من سجادته ومشى اليهم وقعد بينهم كالواحد منهم فاكل واكلوا وظهر لنا على وجهه ما نازل باطنه من التواضع لله والانكسار فى نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بايمانه وعلمه وعمله (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن أبي بكر ابن خلف اجازة عن السلمى قال سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت الجريرى يقول صح عند اهل المعرفة ان للدين رأس مال خمسة فى الظاهر وخمسة فى الباطن فاما اللواتى فى الظاهر فصدق فى اللسان وسخاوة فى الملك وتواضع فى الابدان وكف الاذي واحتماله بلا اباء واما اللواتى فى الباطن فحب وجود سيده وخوف الفراق من سيده ورجاء

صلى الله عليه وسلم [1] ان لربكم فى أيام دهركم لنفحات الافتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كماسيأتى بيانه والى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له و بقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه [2] عز وجل لقد طال شوق الابرار الى لقائى وأنا الى لقائهم أشد شوقا و بقوله تعالى [3] من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا كل ذلك اشارة الى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيراً ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاوانى فما دامت ممتلئة بالماء لايدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لاتدخلها المعرفة بجلال الله تعالى واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم [4] لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة واشرف انواع العلم هو العلم بالله وصفاته وافعاله فبه كمال الانسان وفى كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التى لاجله خلق وكما ان الفرس يشارك الحمار فى قوة الحمل و يختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار وكذلك الانسان ان يشارك الحمار والفرس فى امور و يفارقهما فى أمور هى خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من رب العالمين والانسان على رتبته بين البهائم والملائكة فان الانسان من حيث يتغذى و ينسل فنبات ومن حيث يحس و يتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط وانما خاصيته معرفة حقائق الاشياء فمن استعمل جميع أعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة فحقيق بان يلحق بهم وجدير بان يسمى ملكا و ربانيا كما اخبر الله تعالى عن صواحبات يوسف عليه السلام بقوله ماهذا بشرا ان هذا الاملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الانعام فقد انحط الى حضيض أفق البهائم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضريا ككلب او سنور او حقودا كجمل أو متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كله كشيطان مريد ومامن عضو من الاعضاء ولا حاسة من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كماسيأتى بيان طرف منه فى كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة فى ذلك ان يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضاء خدمه فيستقر هو أعنى المدرك من الانسان فى القلب الذى هو وسط مملكته كالملك و يجرى القوة الخيالية المودعة فى مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ تجتمع اخبار المحسوسات عنده و يجرى القوة الحافظة التى مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه و يجرى اللسان مجرى ترجمانه و يجرى الاعضاء المتحركة مجرى كتابه و يجرى الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها باخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم و يؤدونها الى القوة الخيالية التى هى كصاحب البريد و يسلمها صاحب البريد الى الخازن وهى الحافظة و يعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما يحتاج اليه فى تدبير مملكته واتمام سفره الذى هو بصدده وقمع عدوه الذى هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله واذا عطل هذه الجملة أو

الوصول الى سيده والندم على فعله والحياء من ربه وقال يحيى بن معاذ التواضع فى الخلق حسن ولكن فى الاغنياء احسن والتكبر سمج فى الخلق ولكن فى الفقراء اسمج (وقال ذو النون) ثلاثة من علامات التواضع تصغير النفس معرفة بالعيب وتعظيم الناس حرمة للتوحيد وقبول الحق والنصيحة من كل واحد (وقيل) لابى يزيد متى يكون الرجل متواضعا قال اذا لم ير لنفسه حقاما ولا حالا من علمه بشرها وازدرائها ولا يرى ان فى الخلق شرا منه (قال) بعض الحكماء وجدنا التواضع مع الجهل والبخل احمد من الكبر مع الادب والسخاء

---

(١) حديث ان لربكم فى ايام دهركم نفحات الحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة وابى سعيد وقد تقدم (٢) حديث يقول الله عز وجل لقد طال شوق الابرار الى لقائى الحديث لم اجد له اصلا الا ان صاحب الفردوس خرجه من حديث ابى الدرداء ولم يذكر له ولده فى مسند الفردوس اسنادا (٣) حديث يقول الله من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا متفق عليه من حديث ابى هريرة (٤) حديث لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم الحديث احمد من حديث ابى هريره بنحوه وقد تقدم فى الصيام

استعملها لكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة أو في عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان مخذولا شقيا كافرا بنعمة الله تعالى مضيعا لجنود الله تعالى ناصرا لاعداء الله مخذلا لحزب الله فيستحق المقت والا بعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك وان المثال الذي ضربناه أشار كعب الاحبار حيث قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت (١) الانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب منه ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب ان الله تعالى في أرضه آنية وهي القلوب فاحبها اليه تعالى أرقها وأصفاها وأصلبها ثم فسره فقال أصلبها في الدين وأصفاها في اليقين وأرقها على الاخوان وهي اشارة الى قوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال أبي بن كعب رضي الله عنه معناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى أو كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى في لوح محفوظ وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي فهذه أمثلة القلب

﴿ بيان مجامع أوصاف القلب وأمثلته ﴾

اعلم أن الانسان قد اصطحب في خلقته وتركيبه أربع شوائب فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه أمر رباني كما قال الله تعالى قل الروح من أمر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا ويستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين وكل انسان فيه شوب من هذه الاصول الاربعة أعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكأن المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همتهم

وقيل لبعض الحكماء هل تعرف نعمة لا يحسد عليها وبلاء لا يرحم صاحبه عليه قال نعم أما النعمة فالتواضع وأما البلاء فالكبر والكشف عن حقيقة التواضع أن التواضع رعاية الاعتدال بين الكبر والضعة فالكبر رفع الانسان نفسه فوق قدره والضعة وضع الانسان نفسه مكانا يزري به ويفضي الى تضييع حقه وقد انفهم من كثير من اشارات المشايخ في شرح التواضع أشياء الى حد أقاموا التواضع فيه مقام الضعة ويلوح فيه الهوى من أوج الافراط الى حضيض التفريط ويوهم انحرافا عن حد الاعتدال ويكون قصدهم في ذلك

(١) حديث عائشة الانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان الحديث أبو نعيم في الطب النبوي والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة نحوه وله ولاحمد من حديث أبي ذر اما الأذن فقمع واما العين فقرة لما يوعى القلب ولا يصح منها شيء

البطن والفرج ومنافسة الاعداء والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما فى النوم أوفى اليقظة لرأى نفسه ماثلا بين يدى خنزير ساجدا له مرة وراكعا أخرى ومنتظرا لاشارته وأمره فمهما هاج الخنزير لطلب شئ من شهواته انبعث على الفور فى خدمته واحضار شهوته أورأى نفسه ماثلا بين يدى كلب عقور عابدا له مطيعا سامعا لما يقتضيه و يلتمسه مدققا بالفكر فى حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع فى مسرة شيطانه فانه الذى يهيج الخنزير و يثير الكلب و يبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان أنصف نفسه الا ساعيا طول النهار فى عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ومميتا له أما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والحقد والشماتة وغيرها وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها الى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجراءة والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنا وأمثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر فى القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على ما هى عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدو والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها و يحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها فالقلب فى حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التواصل واصلة الى القلب اما الآثار المحمودة التى ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب جلاء واشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق و ينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب فى الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم [1] اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه و بقوله صلى الله عليه وسلم [2] من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذى يستقر فيه الذكر قال الله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وأما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى الى أن يسود و يظلم و يصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال عزوجل أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله و يعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين و يستهين بأمر الآخرة و يستعظم امر الدنيا و يصير مقصورا لهم عليها فاذا قرع سمعه امر الآخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من اذن ولم يستقر فى القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران اذا اذنب العبد ذنبا نكت فى قلبه نكتة سوداء

المبالغة فى قمع نفوس المريدين خوفا عليهم من العجب والكبر فقل ان ينفك مريد فى مبادى ظهور سلطان الحال من العجب حتى لقد نقل عن جمع من الكبار كلمات مؤذنة بالاعجاب وكل ما نقل من ذلك القبيل من المشايخ لبقايا السكر عندهم وانحصارهم فى مضيق سكر الحال وعدم الخروج الى فضاء الصحو فى ابتداء أمرهم وذلك اذا حقق صاحب البصيرة نظره يعلم انه من استراق النفس السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس اذا استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجه لا يخفو على الوقت وصلافة الحال

(١) حديث اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ام سلمة واسناده جيد (٢) حديث من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ لم أجد له أصلا

فاذا هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (١) قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب ومعاصيه مسودات له فمن أقبل على المعاصي اسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة ومحا أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تمسح و يتنفس ثم تمسح فانها لا تخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم (٢) القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فأخبر أن جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى

﴿ بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة ﴾

اعلم أن محل العلم هو القلب أعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح وهي المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة الى صور المتلونات فكما أن للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها وكما ان المرآة غير وصور الاشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور فكذلك ههنا ثلاثة أمور القلب وحقائق الاشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقائق الاشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما أن القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد و يسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن وصول الحقيقة الى القلب كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لعدم وقوع السيف في اليد نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثيله بالمرآة أولى لان عين الانسان لا تحصل في المرآة وانما يحصل مثال مطابق له وكذا حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علما وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصورة لخمسة أمور * أحدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل أن يدور و يشكل و يصقل * والثاني لخبثه وصدئه وكدورته وان كان تام الشكل * والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء المرآة * والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة * والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه أن يحاذي بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لان ينجلي فيها حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة أولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه * والثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم (٣) من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه أبدا أي حصل في قلبه كدورة لا يزال أثرها اذ غايته أن يتبعه بحسنة يمحوه بها فلو جاء بالحسنة ولم

(١) حديث قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر الحديث احمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد وهو بعض الحديث الذي يليه (٢) حديث القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر الحديث احمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد الخدري وقد تقدم (٣) حديث من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه أبدا لم أر له أصلا

فيكون من ذلك كلمات مؤذنة بالعجب كقول بعضهم من تحت خضراء السماء مثلي وقول بعضهم قدمي على رقبة جميع الاولياء وكقول بعضهم أسرجت وألجمت وطفت في أقطار الارض وقلت هل من مبارز فلم يخرج الي أحد اشارة منه في ذلك الى تفرده في وقته ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم انه من استراق النفس السمع فليزن ذلك بميزان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواضعهم واجتنابهم أمثال هذه الكلمات واستبعادهم ان يجوز للعبد التظاهر بشيء من ذلك ولكن يحمل لكلام الصادقين وجه في الصحة ويقال

تتقدم السيئة لازداد لامحالة اشراق القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا فهذا خسران مبين ونقصان لاحيلة له فليست المرآة التى تتدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتى تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق فالاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات وهو الذى يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال صلى الله عليه وسلم (١) من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم * الثالث أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس محاذيا بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره الى التأمل فى حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها او مصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان تقييدا لهم بالاعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف الهم الى الشهوات الدنيوية ولذاتها وعلائقها فكيف لايمنع عن الكشف الحقيقى * الرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد الفكر فى حقيقة من الحقائق قد لاينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف فى قلبه خلاف ماتلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضا حجاب عظيم به حجب أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل أكثر الصالحين المتفكرين فى ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت فى نفوسهم ورسخت فى قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق * الخامس الجهل بالجهة التى يقع منها العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التى تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها فى نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتنجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التى ليست فطرية لاتقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لايحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال مايحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى ثم كما أن من أراد أن يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبعير وانسان بل من أصل مخصوص من الخيل الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان وبينهما طريق فى ازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ماذكرناه من الجهل بالجهة التى الصورة فيها بل مثاله أن يريد الانسان أن يرى قفاه مثلا بالمرآة فانه اذا رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وان رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولاصورة القفا فيها فيحتاج الى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا وهذه فى مقابلتها بحيث يبصرها ويرعى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا فى المرآة المحاذية للقفا ثم تنطبع صورة هذه المرآة فى المرآة الاخرى التى فى مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك فى اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات أعجب مما ذكرناه فى المرآة يعز على بسيط الارض من يهتدى الى كيفية الحيلة فى تلك الازورارات فهذه هى الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الامور والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لانه امر ربانى شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان اشارة الى أن له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل أمانة الله تعالى وتلك الامانة هى المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمى مستعد لحمل الامانة ومطيق لها فى الاصل ولكن يثبطه عن النهوض باعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التى ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وقد تقدم فى العلم

ان ذلك طفح عليهم فى سكر الحال وكلام السكارى يحمل فالمشايخ ارباب التمكين لما علموا فى النفوس هذا الداء الدفين بالغوا فى شرح التواضع الى حد ألحقوه بالضعة تداويا للمريدين والاعتدال فى التواضع ان يرضى الانسان بمنزلة دون ما يستحقه ولو أمن الشخص جموح النفس لاوقفها على حد يستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجموح فى جبلة النفس لكونها مخلوقة عن صلصال كالفخار فيها نسبة النارية وطلب الاستعلاء بطبعها الى مركز النار احتاجت للتداوى بالتواضع وايقافها دون ما تستحقه لئلا يتطرق

وسلم (١) كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء اشارة الى بعض هذه الاسباب التى هى الحجاب بين القلب و بين الملكوت واليه الاشارة بما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قيل لرسول الله يارسول الله (٣) أين الله فى الارض أو فى السماء قال فى قلوب عباده المؤمنين وفى الخبر قال الله تعالى (٤) لم يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع وفى الخبر أنه (٥) قيل يارسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقى النقى الذى لاغش فيه ولا بغى ولا غدر ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضى الله عنه رأى قلبى ربى اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه و بين الله تجلى صورة الملك والملكوت فى قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض أما جملتها فأكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة وأما عالم الملكوت وهى الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلانهاية له نعم الذى يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه فى نفسه و بالاضافة الى علم الله لانهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس فى الوجود شئ سوى الله تعالى وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هى الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق و يكون سعة ملكه فى الجنة بحسب سعة معرفته و بمقدار ماتجلى له من الله وصفاته وأفعاله وانما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه وقد أفلح من زكاها ومراد تزكيته حصول انوار الايمان فيه أعنى اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام و بقوله أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلى وهذا الايمان له ثلاث مراتب (المرتبة الاولى) ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض (والثانية) ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة ايمان العوام (والثالثة) ايمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين ونبين لك هذه المراتب بمثال وهى ان تصديقك بكون زيد مثلا فى الدار له ثلاث درجات (الاولى) ان يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته فى القول فان قلبك يسكن اليه و يطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التميز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته و بعثة الرسل وصدقهم وما جاؤا به وكما سمعوا به قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ماقالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة فى الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف و بصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطأ ممكن فيما سمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقادات فقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم وأمهاتهم الا انهم اعتقدوا ما ما اعتقدوه خطأ لانهم القى اليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن ألقى اليهم كلمة الحق (الرتبة الثانية) أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به

---

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٢) حديث لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم الحديث تقدم (٣) حديث ابن عمر أين الله قال فى قلوب عباده المؤمنين لم اجده بهذا اللفظ وللطبرانى من حديث أبى عتبة الخولانى يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله آنية من أهل الارض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين الحديث فيه بقية ابن الوليد وهو مدلس لكنه صرح فيه بالتحديث (٤) حديث قال الله ماوسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع لم أر له اصلا وفى حديث ابى عتبة قبله عند الطبرانى بعد قوله وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها اليه الينها وارقها (٥) حديث قيل من خير الناس قال كل مؤمن مخموم القلب الحديث ه من حديث عبد الله بن عمرو باسناد صحيح

الهما الكبر فالكبر ظن الانسان انه أكبر من غيره والتكبر اظهاره ذلك وهذه صفة لا يستحقها الا الله تعالى ومن ادعاها من المخلوقين يكون كاذبا والكبر يتولد من الاعجاب والاعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن والجهل الانسلاخ من الانسانية حقيقة وقد عظم الله تعالى شان الكبر بقوله تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال تعالى أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين وقد ورد بقول الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما قصمته وفى رواية قذفته فى نار جهنم وقال عز وجل ردا للانسان فى طغيانه الى حده ولا تمش فى الارض مرحا

على كونه فى الدار فيكون ايمانك وتصديقك و يقينك بكونه فى الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك انه فى الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الاصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت فى حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بان هذا صوت ذلك الشخص وهذا ايمان ممزوج بدليل والخطأ أيضا ممكن أن يتعارق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا أن ذلك لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر فى هذا التلبيس والمحاكاة غرضا (الرتبة الثالثة) أن تدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده وهذه هى المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهى تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوى فى ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين و يتميزون بمزية بينة يستحيل معها امكان الخطأ نعم وهم أيضا يتفاوتون بمقادير العلوم و بدرجات الكشف أما درجات العلوم فمثاله أن يبصر زيدا فى الدار عن قرب وفى صحن الدار فى وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والآخر يدركه فى بيت أو من بعد أو فى وقت عشية فيتمثل له فى صورته ما يستيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل فى نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور فى تفاوت المشاهدة للامور الالهية واما مقادير العلوم فهو بان يرى فى الدار زيدا وعمرا و بكرا وغير ذلك وآخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذا حال القلب بالاضافة الى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب

(بيان حال القلب بالاضافة الى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية)

اعلم أن القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التى تحل فيه تنقسم الى عقلية والى شرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة الى دنيوية وأخروية أما العقلية فنعنى بها ما تقضى بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وهى تنقسم الى ضرورية لا يدرى من اين حصلت و كيف حصلت كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون فى مكانين والشئ الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدرى متى حصل له هذا العلم ولا من اين حصل له أعنى انه لا يدرى له سببا قريبا والا فليس يخفى عليه ان الله هو الذى خلقه وهداه والى علوم مكتسبة وهى المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال على رضى الله عنه

رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مسموع
اذا لم يك مطبوع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلى [١] ماخلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والثانى هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه [٢] اذا تقرب الناس الى الله تعالى بانواع البر فتقرب انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل على رضى الله عنه هو الذى يقدر على التقرب باستعمال العقل فى اقتناص العلوم التى بها ينال القرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر فى العين وقوة الابصار لطيفة تفقد فى العمى وتوجد فى البصر وان كان قد غمض عينيه أوجن عليه الليل والعلم الحاصل منه فى القلب جار مجرى قوة ادراك البصر فى العين ورؤيته لاعيان الاشياء وتأخر العلوم عن عين العقل فى مدة الصبا الى ان التمييز او البلوغ يضاهى تأخر الرؤية عن البصر الى أوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذى سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجرى مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم فى قلب الصبى قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم فى قلوب البشر قال الله تعالى الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلمه من قصب ولا خشب كما انه تعالى ليس من

(١) حديث ماخلق الله خلقا أكرم عليه من العقل ت الحكيم فى نوادر الاصول باسناد ضعيف وقد تقدم فى العلم
(٢) حديث اذا تقرب الناس الى الله بانواع البر فتقرب انت بعقلك ابو نعيم من حديث على باسناد ضعيف

خـدك للناس انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا وقال تعالى فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وابلغ من هذا قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره من اى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره وقد قال بعضهم لبعض المتكبرين اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك حامل العذرة وقد نظم الشاعر هذا المعنى كيف يزهو من رجيعه * ابد الدهر ضجيعه واذا ارتحل التواضع من القلب وسكن الكبر انتشر اثره فى بعض الجوارح وترشح الاناء بما فيه فتارة يظهر اثره فى العنق بالتمايل وتارة فى الخد بالتصعير قال الله تعالى ولا تصعر

جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الا أنه لا مناسبة بينهما فى الشرف فان البصيرة الباطنة هى عين النفس التى هى اللطيفة المدركة وهى كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الآخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما رأى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وما أراد به الرؤية الظاهرة فان ذاك غير مخصوص بابراهيم عليه السلام حتى يعرض فى معرض الامتنان ولذلك سمى ضد ادراكه عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلى ❊ أما العلوم الدينية فهى المأخوذة بطريق التقليد من الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما أن العقل غير كاف فى استدامة صحة أسباب البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهتدى اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السماع ولا غنى بالسماع عن العقل فالداعى الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور فاياك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهى وظائف العبادات والاعمال التى ركبها الانبياء صلوات الله عليهم لاصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه المريض بمعالجات العبادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى فى عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض فى الدين فيتحير به فينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وانما ذلك لان عجزه فى نفسه خيل اليه نقصا فى الدين وهيهات وانما مثاله مثال الاعمى الذى دخل دار قوم فتعثر فيها باوانى الدار فقال لهم ما بال هذه الاوانى تركت على الطريق لم لا ترد الى مواضعها فقالوا له تلك الاوانى فى مواضعها وانما أنت لست تهتدى للطريق لعماك فالعجب منك أنك لا تحيل عثرتك على عماك وانما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العلوم العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية وأخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم أحوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله كما فصلناه فى كتاب العلم وهما علمان متنافيان أعنى ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الاكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال هما ككفتى الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احداهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس فى امور الدنيا وفى علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالا فى أمور الآخرة والاكياس فى دقائق علوم الآخرة جهالا فى أكثر علوم الدنيا لان قوة العقل لا تفى بالامرين جميعا فى الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال فى الثانى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) ان اكثر اهل الجنة البله اى البله فى امور الدنيا وقال الحسن فى بعض مواعظه لقد ادركنا اقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو ادركوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا من امور الدين جحده اهل الكياسة فى سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من المحال ان يظفر

(١) حديث اكثر اهل الجنة البله البزار من حديث أنس وضعفه وصححه القرطبي فى التذكرة وليس كذلك فقد قال ابن عدى انه منكر

وتارة يظهر فى الرأس عند استعصاء النفس قال الله تعالى لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون وكما ان الكبر له انقسام على الجوارح والاعضاء تتشعب منه شعب فكذلك بعضها أكثف من البعض كالتيه والزهو والعزة وغير ذلك الا أن العزة تشتبه بالكبر من حيث الصورة وتختلف من حيث الحقيقة كاشتباه التواضع بالضعة والتواضع محمود والضعة مذمومة والكبر مذموم والعزة محمودة قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والعزة غير الكبر ولا يحل للمؤمن أن يذل نفسه فالعزة معرفة الانسان بحقيقة نفسه واكرامها ان لا يضعها لاغراض

سالك طريق المشرق بما يوجد فى المغرب فكذلك يجرى أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال عزوجل فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار فى مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه الله لتدبير عباده فى معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية التى تتسع لجميع الأمور ولا تضيق عنها فاما قلوب سائر الخلق فانها اذا استقلت بامر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها

(بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية فى استكشاف الحق وطريق النظار)

اعلم أن العلوم التى ليست ضرورية وانما تحصل فى القلب فى بعض الاحوال تختلف الحال فى حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدرى وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذى يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذى يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع فى القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى مالا يدري العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذى منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقى فى القلب والأول يسمى الهاما ونفثا فى الروع والثانى يسمى وحيا وتختص به الانبياء والأول يختص به الاولياء والاصفياء والذى قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لان تنجلى فيه حقيقة الحق فى الاشياء كلها وانما حيل بينه و بينها بالاسباب الخمسة التى سبق ذكرها فهى كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب و بين اللوح المحفوظ الذى هو منقوش بجميع ماقضى الله به الى يوم القيامة وتجلى حقائق العلوم من مرآة اللوح فى مرآة القلب يضاهى انطباع صورة من مرآة فى مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الالطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلى فيها بعض ماهو مسطور فى اللوح المحفوظ و يكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به مايكون فى المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فيه ينكشف الغطاء و ينكشف أيضا فى اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفى من الله تعالى فيلمع فى القلوب من وراء ستر الغيب شئ من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالى الى حد ما ودوامه فى غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب فى نفس العلم ولا فى محله ولا فى سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحى الالهام فى شئ من ذلك بل فى مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلم انما يحصل فى قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولى لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بانوار العلم واذا تولى الله امر القلب فاضت عليه الرحمة واشرق النور فى القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الامور الالهية فليس على العبد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة فالانبياء والاولياء انكشف لهم الامر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد فى الدنيا والتبرى من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق فى ذلك اولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ القلب منها وبقطع الهمة عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوى فيها وجود كل شئ وعدمه ثم يخلو بنفسه فى زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب و يجلس فارغ القلب

عاجلة دنيوية كما ان الكبر جهل الانسان بنفسه وانزالها فوق منزلتها (قال بعضهم) للحسن ما اعظمك فى نفسك قال لست بعظيم ولكنى عزيز ولما كانت العزة غير مذمومة وفيها مشاكلة بالكبر قال الله تعالى يستكبرون فى الأرض بغير الحق فيه اشارة خفية لاثبات العزة بالحق فالوقوف على حد التواضع من غير انحراف الى الضعة وقوف على صراط العزة المنصوب على متن نار الكبر ولا يؤيد فى ذلك ولا يثبت عليه الا اقدام العلماء الراسخين والسادة المقربين ورؤساء الابدال والصديقين (قال بعضهم) من تكبر فقد اخبر عن نذالة نفسه ومن تواضع فقد اظهر كرم طبعه (وقال الترمذى)

مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل فى تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شئ سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه فى الخلوة قائلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهى الى حالة يترك تحريك اللسان و يرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر عليه الى أن يمحى أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب عليه الى أن يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا فى قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى أن ينتهى الى هذا الحد واختيار فى استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار فى استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بما فعله صار متعرضا لنفحات رحمة الله فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الانبياء والاولياء بهذه الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق فى قلبه ويكون فى ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل أولياء الله تعالى فيه لا تحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط وأما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاءه الى هذا المقصد على الندور فانه أكثر أحوال الانبياء والاولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤا ثمرته واستبعدوا استجماع شروطه وزعموا أن محو العلائق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل فى حال فثباته أبعد منه اذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) قلب المؤمن أشد تقلبا من القدر فى غليانها وقال عليه أفضل الصلاة والسلام (٢) قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وفى أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة الى أن يزول وينقضى العمر قبل النجاح فيها فكم من صوفى سلك هذا الطريق ثم بقى فى خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال فى الحال فالاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب الى الغرض وزعموا أن ذلك يضاهى ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار فقيها بالوحى والالهام من غير تكرير وتعليق فأنا أيضا ربما انتهت بى الرياضة والمواظبة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا وقالوا لا بد أولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة

﴿ بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس ﴾

اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان القلب أيضا خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى الافهام الضعيفة بمثالين * أحدهما أنه لو فرضنا حوضا محفورا فى الارض احتمل أن يساق اليه الماء من فوقه بانهار تفتح فيه ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب الى أن يقرب من مستقر الماء الصافى فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء اصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الخمس مثل الانهار وقد يمكن أن تساق العلوم الى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن أن يسد هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تتفجر ينابيع العلم من داخله فان قلت فكيف يتفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم أن هذا من

(١) حديث قلب المؤمن أشد تقلبا من القدر فى غليانها أحمد و ك وصححه من حديث المقداد بن الاسود
(٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن م من حديث عبد الله بن عمر

التواضع على ضربين الاول أن يتواضع العبد لامر الله ونهيه فان النفس لطلب الراحة تتلهى عن أمره والشهوة التى فيها تهوى فى نهيه فاذا وضع نفسه لامره ونهيه فهو تواضع والثانى أن يضع نفسه لعظمة الله فان اشتهت نفسه شيأ مما أطلق له من كل نوع من الانواع منعها ذلك وجملة ذلك أن يترك مشيئته لمشيئة الله تعالى * واعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفى ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتطيع للحق والخلق لمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها وكان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا عليه السلام فى أوطان

عجائب أسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الاشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين فكما أن المهندس يصور أبنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من أوله الى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى الى الحس والخيال فان من ينظر الى السماء والارض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والارض في خياله حتى كانه ينظر اليها ولو انعدمت السماء والارض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والارض في نفسه كانه يشاهدهما و ينظر اليهما ثم يتأدى من خياله أثر الى القلب فيحصل فيه حقائق الاشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ فكان للعالم أربع درجات في الوجود وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي أعني وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي أعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية و بعضها جسمانية والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض وهذا اللطف من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموات والارض على اتساع أكنافها ثم يسري من وجودها في الحس وجود الى الخيال ثم منه وجود في القلب فانك أبدا لا تدرك الا ما هو واصل اليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجائب في القلوب والابصار ثم أعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بانفسها وبعجائبها ولنرجع الى الغرض المقصود فنقول القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الاشياء فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الارض ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء اذا اجتمع في الانهار منع ذلك من التفجر في الارض وكما أن من نظر الى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذا للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة وعالم الشهادة والملك أيضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فاما انفتاح القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك وأما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينيا بالتأمل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم (١) سبق المنفردون قيل ومن هم المنفردون يارسول الله قال المتنزهون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم اخبارا عن الله تعالى ثم أقبل بوجهي عليهم أترى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه ثم قال تعالى أول ما أعطيهم أن أقذف النور في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء

---

(١) حديث سبق المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله الحديث م من حديث أبي هريرة مقتصرا على اول الحديث وقال فيه وما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات ورواه ت بلفظ قال الذين يستهترون بذكر الله وقال صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه البيهقي في الشعب يضع الذكر عنهم أثقالهم ويأتون يوم القيامة خفافا ورواه هكذا الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي الدرداء دون الزيادة التي ذكرها المصنف في آخره وكلاهما ضعيف

القرب كما روى عن عائشة رضي الله عنها في الحديث الطويل قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فاخذني ما ياخذ النساء من الغيرة ظنا مني أنه عند بعض أزواجه فطلبته في حجر نسائه فلم أجده فوجدته في المسجد ساجدا كالثوب الخلق وهو يقول في سجوده سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي وقر بك لساني وها أنا ذا بين يديك يا عظيم يا غافر الذنب العظيم وقوله عليه السلام سجد لك سوادي وخيالي استقصاء في التواضع بمحو آثار الوجود حيث لم تتخلف ذرة منه عن السجود ظاهرا وباطنا ومتى لم يكن للصوفي حظ من التواضع

هذا

هذا وهو ان علومهم تأتى من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم الحكمة يأتى من أبواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمى الشهادة والغيب لايمكن ان يستقصى فى علم المعاملة فهذا مثال يعلمك الفرق بين مدخل العالمين * المثال الثانى يعرفك الفرق بين العملين أعنى عمل العلماء وعمل الاولياء فان العلماء يعملون فى اكتساب نفس العلوم واجتنابها الى القلب وأولياء الصوفية يعملون فى جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها وتصقيلها فقط فقد حكى أن اهل الصين واهل الروم تباهوا بين يدى بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر رأى الملك على أن يسلم اليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانبا وأهل الروم جانبا ويرخى بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك فجمع أهل الروم من الاصباغ الغريبة مالا ينحصر ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل الروم ادعى اهل الصين أنهم قد فرغوا أيضا فعجب الملك من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ماعليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا واذا بجانبهم يتلألأ منه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة اشراق وبريق اذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل فكذلك عناية الاولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل أهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها فى القلب كفعل أهل الروم فكيفما كان الامر فقلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر واليه أشار الحسن رحمة الله عليه بقوله التراب لا يأكل محل الايمان بل يكون وسيلة وقربة الى الله تعالى وأماما حصله من نفس العلم وماحصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلاغنى به عنه ولا سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كما انه لاغنى الا بالمال فصاحب الدرهم غنى وصاحب الخزائن المترعة غنى وتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته فالمعارف أنوار ولا يسعى المؤمنون الى لقاء الله تعالى الا بانوارهم قال الله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم قد روى فى الخبر (١) ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدميه فيضىء مرة وينطفىء أخرى فاذا اضاء قدم قدميه فمشى واذا طفىء قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كالفرس اذا اشتد فى ميدانه والذى اعطى نورا على ابهام قدمه يحبو حبوا على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس فى الايمان ولو وزن ايمان أبى بكر بايمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح فهذا أيضا يضاهى قول القائل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وايمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وايمان الانبياء كالشمس وكما ينكشف فى نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ولا ينكشف فى نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جاء فى الخبر (٢) انه يقال يوم القيامة اخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لاتمنع دخول النار وفى مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لايدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه أولا وان من فى قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود فى النار وان دخلها

(١) حديث ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل حتى يكون أصغرهم رجل يعطى نوره على ابهام قدمه الحديث الطبرانى وك من حديث ابن مسعود وقال ك صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث يقال يوم القيامة اخرجوا من النار من فى قلبه ربع مثقال من ايمان الحديث متفق عليه من حديث ابى سعيد وليس فيه قوله ربع مثقال

الخاص على بساط القرب لا يتوفر حظه من التواضع للخلق وهذه سعادات ان أقبلت جاءت بكليتها والتواضع من أشرف أخلاق الصوفية (ومن أخلاق الصوفية) المداراة واحتمال الاذى من الخلق وبلغ من مداراة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجد قتيلا من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة من قبله وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به * وكان من حسن مداراته أن لا يذم طعاما ولا ينهر خادما (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح الكرخى قال انا ابونصر الترياقى

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم (١) ليس شيء خيرا من الف مثله الا الانسان المؤمن اشارة الى تفضيل قلب العارف بالله تعالى الموقن فانه خير من الف قلب من العوام وقد قال تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين تفضيلا للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف دون المقلد وقال عز وجل يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم و يدل ذلك على ان اسم العلم المؤمن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى والذين أوتوا العلم درجات فقال يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقال صلى الله عليه وسلم (٢) أكثر اهل الجنة البله وعليون لذوى الالباب وقال صلى الله عليه وسلم (٣) فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل من أصحابى وفى رواية كفضل القمر فى ليلة البدر على سائر الكواكب فبهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغنى الذى يملك عشرة دراهم الى الغنى الذى يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غنى ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم الغبن على من يخس حظه من ذلك وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا

﴿ بيان شواهد الشرع على صحة طريق اهل التصوف فى اكتساب المعرفة لامن التعلم ولا من الطريق المعتاد ﴾

اعلم ان من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الالهام والوقوع فى القلب من حيث لا يدرى فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغى ان يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا و يشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات أما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل حكمة تظهر عن القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال صلى الله عليه وسلم (٤) من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبهة و يرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم و يفطنه من غير تجربة وقال تعالى ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل و يخرج به من الشبهات ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر فى دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام (٥) اللهم اعطنى نورا وزدنى نورا واجعل لى فى قلبى نورا وفى قبرى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا حتى قال فى شعرى وفى بشرى وفى لحمى ودمى وعظامى وسئل صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى (٦) أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ماهذا الشرح فقال هو التوسعة ان النور اذا قذف به فى القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال صلى الله عليه وسلم (٧) لابن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وقال

(١) حديث ليس شيء خيراً من الف مثله الا الانسان او المؤمن الطبرانى من حديث سلمان بلفظ الانسان ولاحمد من حديث ابن عمر لانعلم شيئا خيرا من مائة مثله الا الرجل المؤمن واسنادهما حسن (٢) حديث أكثر اهل الجنة البله وعليون لذوى الالباب تقدم دون هذه الزيادة ولم أجد لهذه الزيادة اصلا (٣) حديث فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل من اصحابى ت من حديث ابى امامة وصححه وقد تقدم فى العلم وكذلك الرواية الثانية (٤) حديث من عمل بما علم الحديث تقدم فى العلم دون قوله ووفقه فيما يعمل فلم ارها (٥) حديث اللهم اعطنى نورا وزدنى نورا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٦) حديث سئل عن قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام الحديث وفى المستدرك من حديث ابن مسعود وقد تقدم فى العلم (٧) حديث اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل فأخرجه بهذه الزيادة احمد وحب وك وصححه وقد تقدم فى العلم

قال انا الجراحي قال انا ابو العباس المحبوبى قال انا ابو عيسى الترمذى قال حدثنا قتيبة قال ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيأ كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمداراة مع كل احد من الاهل والاولاد والجيران والاصحاب والخلق كافة من اخلاق الصوفية و باحتمال الاذى يظهر جوهر النفس وقد قبل

على

علي رضي الله عنه (١) ماعندنا شيء أسره النبي صلى الله عليه وسلم الينا الا أن يؤتى الله تعالى عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يؤتى الحكمة من يشاء انه الفهم في كتاب الله تعالى وقال تعالى ففهمناها سليمان خص ما انكشف باسم الفهم وكان ابو الدرداء يقول المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة وقال صلى الله عليه وسلم (٢) اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى واليه يشير قوله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله تعالى قد بينا الآيات لقوم يوقنون وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (٣) العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ماهو فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال صلى الله عليه وسلم (٤) ان من أمتي محدثين ومعلمين ومكلمين وان عمر منهم وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم وقال الله تعالى وماخلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون خصصها بهم وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان أبو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسى ماحفظه صار جاهلا انما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العلم الرباني واليه الاشارة بقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضها بواسطة تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ماورد فيه من الآيات والاخبار والآثار لخرج عن الحصر * وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها عند موته انما هما أخواك وأختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته ياسارية الجبل الجبل اذ انكشف له ان العدو قد أشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال دخلت على عثمان رضي الله عنه وكنت قد لقيت امرأة في طريقي فنظرت اليها شزرا وتأملت محاسنها فقال عثمان رضي الله عنه لما دخلت يدخل على احدكم واثر الزنا ظاهر على عينيه اماعلمت ان زنا العينين النظر لتتوبن او لاعزرنك فقلت اوحي بعد النبي فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة * وعن ابي سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرايت فقيرا عليه خرقتان فقلت في نفسي هذا وأشباهه كل على الناس فناداني وقال والله يعلم مافي انفسكم فاحذروه فاستغفرت الله في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني ولم أره وقال زكريا بن داود دخل أبو العباس بن مسروق على ابي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب يعيش به قال فلما قمت قلت في نفسي من أين يا كل هذا الرجل قال فصاح بي ياأبا العباس رد هذه الهمة الدنية فان لله تعالى ألطافا خفية وقال أحمد النقيب دخلت على الشبلي فقال مفتونا يا أحمد فقلت ما الخبر قال كنت جالسا فجرى بخاطري انك بخيل فقلت ما انا بخيل فعاد مني خاطري وقال بل أنت بخيل فقلت مافتح اليوم على بشيء الا دفعته الى اول فقير يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل على صاحب لمؤنس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك قال وقمت فاخذتها وخرجت واذا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق رأسه فتقدمت

(١) حديث علي ماعندنا شيء سره الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يؤتى الله عبدا فهما في كتابه تقدم في آداب تلاوة القرآن (٢) حديث اتقوا فراسة المؤمن الحديث ت من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٣) حديث العلم علمان الحديث تقدم في العلم (٤) حديث ان من أمتي محدثين ومكلمين وان عمر منهم خ من حديث ابي هريرة لقد كان فيما قبلكم من الامم محدثون فان يك في امتي احد فانه عمر ورواه م من حديث عائشة

لكل شيء جوهر وجود الانسان العقل وجوهر العقل الصبر (أخبرنا) أبو زرعة طاهر عن أبيه الحافظ المقدسي قال انا أبو محمد الصريفيني قال أنا أبو القاسم عبيدالله بن حبابة قال أنا ابو القاسم عبدالله بن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا علي بن الجعد قال انا شعبة عن الاعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من هو قال ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن الذي يباشر الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على اذاهم (وفي الخبر) أيعجز أحدكم أن يكون كابي ضمضم قيل ماذا كان يصنع أبو ضمضم قال كان اذا اصبح قال

اليه وناولته الدنانير فقال اعطها المزين فقلت ان جملتها كذا وكذا قال اوليس قد قلنا لك انك بخيل قال فناولتها المزين فقال المزين قد عقدنا المجلس هذا الفقير بين ايدينا ان لا نأخذ عليه اجرا قال فرميت بها فى دجلة وقلت ما اعزك احد الا اذله الله عزوجل وقال حمزة بن عبد الله العلوى دخلت على ابى الخير التينانى واعتقدت فى نفسى ان اسلم عليه و لا آكل فى داره طعاما فلما خرجت من عنده اذا به قد لحقنى وقد حمل طبقا فيه طعام وقال يافتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان أبو الخير التينانى هذا مشهورا بالكرامات وقال ابراهيم الرقى قصدته مسلما عليه فحضرت صلاة المغرب فلم يكد يقرأ الفاتحة مستويا فقلت فى نفسى ضاعت سفرتى فلما سلم خرجت الى الطهارة فقصدنى سبع فعدت الى أبى الخير وقلت قصدنى سبع فخرج وصاح به وقال ألم اقل لك لا تتعرض لضيفانى فتنحى الاسد فتطهرت فلما رجعت قال لى اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الاسد * وما حكى من تفرس المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكى عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد مالم يشاهد ذلك من نفسه ومن أنكر الاصل أنكر التفصيل * والدليل القاطع الذى لا يقدر أحد على جحده أمران * احدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز ذلك فى النوم فلا يستحيل أيضا فى اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا فى ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات فكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه * الثانى اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب وأمور فى المستقبل كما اشتمل عليه القرآن واذا جاز ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم جاز لغيره اذ النبى عبارة عن شخص كوشف بحقائق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون فى الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن آمن بالانبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة أن يقر بأن القلب له بابان باب الى خارج وهو الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث فى الروع والوحى فاذا اقر بهما جميعا لم يمكنه أن يحصر العلوم فى التعلم ومباشرة الاسباب المألوفة بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت وأما السبب فى انكشاف الامر فى المنام بالمثال المحوج الى التعبير وكذلك تمثل الملائكة للانبياء والاولياء بصور مختلفة فذلك أيضا من اسرار عجائب القلب ولا يليق الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها فقد قال بعض المكاشفين ظهر لى الملك فسألنى ان املى عليه شيأ من ذكرى الخفى عن مشاهدتى من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل تقرب به الى الله عزوجل فقلت ألستما تكتبان الفرائض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك وهذه اشارة الى أن الكرام الكاتبين لا يطلعون على أسرار القلب وانما يطلعون على الاعمال الظاهرة وقال بعض العارفين سألت بعض الابدال عن مسألة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم أطرق الى صدره وقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته فسألته عن التفاته فقال لم يكن عندى فى المسألة جواب عتيد فسألت صاحب الشمال فقال لا أدرى فسألت صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادرى فنظرت الى قلبى وسألته فحدثنى بما أجبتك فاذا هو أعلم منهما وكأن هذا هو معنى قوله عليه السلام ان فى أمتى محدثين وان عمر منهم وفى الاثر ان الله تعالى يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال أبو سليمان الدرانى رحمة الله عليه القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها أبواب مغلقة فاى باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب الى جهة الملكوت والملأ الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضى الله عنه الى أمراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم ينجلى لهم امور صادقة وقال بعض العلماء يد الله على أفواه الحكماء لا ينطقون الا بما هيأ الله لهم من الحق وقال آخر لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره

اللهم انى تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى فمن ضربنى لا اضربه ومن شتمنى لا اشتمه ومن ظلمنى لا اظلمه (واخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب قال انا ابو الفتح الهروى قال حدثنا الترياقى قال انا الجراحى قال انا المحبوبى قال انا ابو عيسى الترمذى قال ثنا ابن ابى عمر قال ثنا سفيان عن محمد ابن المنكدر عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا عنده فقال بئس ابن العشيرة او اخو العشيرة ثم اذن له فألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت له ما قلت ثم النت له القول قال يا عائشة ان من شر الناس من يتركه الناس او يدعه الناس.

﴿ بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها ﴾

اعلم ان القلب كما ذكرناه مثال قبة مضروبة لها أبواب تنصب اليه الاحوال من كل باب ومثاله أيضا مثال هدف تنصب اليه السهام من الجوانب أو هو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها أصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها أو مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس وأما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة من مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل وبسبب قوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال آخر والمقصود ان القلب في التغير والتأثر دائما من هذه الاسباب واخص الآثار الحاصلة في القلب هو الخواطر واعني بالخواطر ما يحصل فيه من الافكار والاذكار واعني به ادراكاته علوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لانوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والامر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عندهم فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) قلب المؤمن بين أصبعين من اصابع الرحمن فالله يتعالى عن ان يكون له اصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد أصبعك لشخصه بل لفعله في التقليب والترديد كما انك تتعاطى الافعال باصابعك والله تعالى يفعل ما يفعل

(١) حديث في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير الحديث ت وحسنه ون في الكبرى من حديث ابن مسعود

(٢) حديث قلب المؤمن بين اصبعين الحديث تقدم

اتقاء فحشه (وروى) أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن فما شيء يستدل به على قوة عقل الشخص ووفور علمه وحلمه كحسن المداراة والنفس لا تزال تشمئز ممن يعكس مرادها ويستفزها الغيظ والغضب وبالمداراة قطع حمة النفس ورد طيشها ونفورها * وقد ورد من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء (وروى جابر) رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم على من تحرم النار

باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته فى تقليب القلوب كما أن أصابعك مسخرة لك فى تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ليس يترجح أحدهما على الآخر وانما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات أو الاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل الى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لاجرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) مامنكم من أحد الا وله شيطان قالوا وأنت يارسول الله قال وأنا الا ان الله أعانني عليه فاسلم فلا يأمر الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن أعانه الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يأمر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك وألهم والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين فى معركة القلب دائم الى أن ينفتح القلب لاحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها فامتلأت بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى لا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذى هو مطرح أثر الملائكة وقال جابر بن عبيدة العدوى شكوت الى العلاء بن زياد ما أجد فى صدرى من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذى يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والامضوا وتركوه يعني أن القلب الخالى عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان وقال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وهو اشارة الى ان من الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص (٧) للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله (٢) حال الشيطان بينى و بين صلاتى وقراءتى فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عنى وفى الخبر (٣) ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب الا ذكر ما سوى ما يوسوس به لانه اذا خطر فى القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضا ان يكون مجالا للشيطان وذكر الله هو الذى يؤمن جانبه و يعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبرى عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطوف عليهم فى أوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون وقال مجاهد فى معنى قول الله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على القلب فاذا ذكروا الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام و بين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى

(١) حديث مامنكم من احد الا وله شيطان الحديث م من حديث ابن مسعود (٢) حديث ابن ابى العاص ان الشيطان حال بينى و بين صلاتى الحديث م من حديث ابن ابى العاص (٣) حديث ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان الحديث ه ت من حديث ابى بن كعب وقال غريب وليس اسناده بالقوى عند اهل الحديث

(٧) قوله عمرو بن العاص كذا فى النسخ قال الشارح والصواب عثمان بن ابى العاص وفى العراقى ما يشير لذلك اهـ مصححه

على كل هين لين سهل قريب (وروى) أبو مسعود الانصارى رضى الله عنه قال أتى النبي عليه السلام برجل فكلمه فارعد فقال هون عليك فانى لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد (وعن بعضهم) فى معنى لين جانب الصوفية

هينون لينون ايسار بنو يسر * سواس مكرمة ابناء ايسار
لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا * ولا يمارون ان ماروا باكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

(وروى) ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اعطى حظه من الرفق فقد اعطي حظه من الخير ومن حرم حظه من

استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان هو ذكر الله تعالى خنس وان نسي الله تعالى التقم قلبه وقال ابن وضاح [2] في حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بابي وجه من لا يفلح وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [3] ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى اخبارا عن ابليس لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم وقال صلى الله عليه وسلم [4] ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه واسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر اتدع ارضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه آدمي وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال عليه السلام [5] مامن احد الا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان انه جسم لطيف اوليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ماهو جسم فهذا الآن غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج الى ازالتها ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فصادمة الخواطر الباعثة على الشر قد علمت ودل ذلك على انه عن سبب لامحالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو لامحالة فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال تعالى الم اعهد اليكم يابني آدم ان لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لابالسؤال عن اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي ان يسال عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعالمين فاما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته نعوذ بالله منه وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات فلا يحتاج في علم المعاملة الى معرفته نعم ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى مايعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى مايعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى مايتردد فيه فلا يدرى انه من لمة الملك اومن لمة الشيطان فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لايقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصور الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار امالك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب

(١) حديث انس ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم الحديث ابن ابي الدنيا في كتاب مكايد الشيطان وابو يعلى الموصلي وابن عدي في الكامل وضعفه (٢) حديث ابن وضاح اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بأبي وجه لا يفلح لم اجد له اصلا (٣) حديث ان الشيطان يجرى من ابن ادم مجرى الدم تقدم (٤) حديث ان الشيطان قعد لابن ادم بطرقه الحديث ن من حديث سبرة بن ابي فاكه باسناد صحيح (٥) حديث مامن احد الا له شيطان الحديث تقدم

الرفق فقد حرم حظه من الخير (حدثنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب املاء قال ثنا ابو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله المالينى قال أنا أبو الحسين عبد الرحمن بن أبي طلحة الداودى قال أنا أبو محمد عبد الله الحموي السرخسي قال أنا ابو عمران عيسى بن عمر السمرقندي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى قال انا محمد بن احمد بن أبي خلف قال ثنا عبد الرحمن بن محمد عن محمد بن اسحق قال حدثني عبد الله بن أبي بكر عن رجل من العرب قال زحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وفى رجلي نعل كثيفة فوطئت بها على رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفحني نفحة

بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة الخلق الى الصراط المستقيم ولا يزال يقرر ذلك فى نفسه و يستجره بلطيف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه بعد ذلك الى ان يتزين لهم و يتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير و يقول له ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو فى أثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الاتباع والعلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ان الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم (٢) وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روى أن ابليس لعنه الله تمثل لعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان له ايضا تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى و بها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض فى المعاصى المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان فى كتاب الغرور فى آخر هذا الربع ولعلنا ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه فى البلاد والعباد لا سيما فى المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعان لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق على العبد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه من لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا اى رجعوا الى نور العلم فاذاهم مبصرون اى ينكشف لهم الاشكال فامامن لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه و يتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر وفى مثلهم قال سبحانه وتعالى و بدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون قيل هى أعمال ظنوها حسنات فاذا هى سيئات وأغمض انواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز ولا ينجى من كثرة الوسواس الا سد ابواب الخواطر وأبوابها الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوة فى بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الاهل والمال يقلل مداخل الوسواس من الباطن و يبقى مع ذلك مداخل باطنه فى التخيلات الجارية فى القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم أنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه و يلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت اذ لا يتخلص أحد من الشيطان مادام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له و يدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن لا يستغنى قط عن الجهاد والمدافعة مادام الدم يجرى فى بدنه فانه مادام حيا فأبواب الشيطان مفتوحة الى قلبه لا تنغلق وهى الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتى شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدافع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذا لا خلاص للمؤمن منه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال صلى الله عليه وسلم (٣) ان المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره فى سفره وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لى شيطانى دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الآن مثل العصفور قلت ولم ذاك قال تذيبنى بذكر الله تعالى فاهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب الشيطان وحفظها بالحراسة اعنى الابواب الظاهرة والطرق الجلية التى تفضى الى المعاصى الظاهرة وانما يتعثرون فى طرقه

يسوط فى يده وقال بسم الله اوجعتنى قال فبت لنفسى لا أما اقول أوجعت رسول الله قال فبت بليلة كما يعلم الله فلما أصبحنا اذا رجل يقول اين فلان قلت هذا والله الذى كان منى بالامس قال فانطلقت وانا متخوف فقال لى انك وطئت بنعلك على رجلى بالأمس فأوجعتنى فنفحتك نفحة بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها بها * ومن اخلاق الصوفية الايثار والمواساة ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعا وقوة اليقين شرعا يؤثرون بالموجود ويصبرون على المفقود * قال ابو يزيد البسطامى ماغلبنى احد ماغلبنى شاب من اهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لى يا ابا يزيد ماحد الزهد

---

(١) حديث ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ن من حديث أنس باسناد جيد (٢) حديث ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث ابى هريرة وقد تقدم فى العلم (٣) حديث ان المؤمن ينضى شيطانه الحديث احمد من حديث ابى هريرة وفيه ابن لهيعة

الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها كما أشرنا اليه فى غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة و باب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذى يبقى فى بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك فى ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هى القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما يهدى الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضة * قال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه (١) خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا اليه ثم تلا وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لتلك الخطوط فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذى يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصى الظاهرة فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذى لا يخفى الا ان يضطر الآدمى الى سلوكه وذلك كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (٢) كان راهب فى بنى اسرائيل فعمد الشيطان الى جارية فخنقها وألقى فى قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب فاتوا بها اليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم وألقى فى قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فاخذوه ليقتلوه بها فاتاه الشيطان فقال انا الذى خنقتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها فاطعنى تنج واخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لى سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان انى برىء منك فهو الذى قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك فانظر الآن الى حيله واضطراره الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له فى قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة فيحسن ذلك فى قلبه بخفى الهوى فيقدم عليه كالراغب فى الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره و يجره البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم (٣) من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه

﴿ بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب ﴾

اعلم ان مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه و يستولى عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة ابوابه من لا يدرى أبوابه فحماية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتواصل الى الواجب الا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهى كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التى لا تضيق على كثرة جنود الشيطان * فمن ابوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب هو غول العقل واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبى بالكرة فقد روى أن موسى عليه السلام لقيه ابليس فقال له ياموسى انت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب

(١) حديث بن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله الحديث ن فى الكبرى وك وقال صحيح الاسناد (٢) حديث كان راهب فى بنى اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى فى قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب الحديث بطوله فى تاويل قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر. ابن ابى الدنيا فى مكايد الشيطان وابن مردويه فى تفسيره فى حديث عبيد بن ابى رفاعة مرسلا وللحاكم نحوه موقوفا على على بن ابى طالب وقال صحيح الاسناد ووصله بطين فى مسنده من حديث على (٣) حديث من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه متفق عليه من حديث النعمان بن بشير من يرتع حول الحمى يوشك ان يواقعه لفظ خ

عندكم قلت اذا وجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ فقلت له وما حد الزهد عندكم قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا (وقال ذوالنون) من علامة الزاهد المشروح صدره ثلاث تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار بالقوت (روى) عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم نقسم لكم شيئا من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة

فاشفع لى الى ربى أن يتوب على فقال موسى نعم فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأراد النزول قال له ربه أد الامانة فقال موسى يارب عبدك ابليس يريد أن تتوب عليه فاوحى الله تعالى الى موسى ياموسى قد قضيت حاجتك مره أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه فلقى موسى ابليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم أسجد له حيا أأسجد له ميتا ثم قال ياموسى ان لك على حقا بما شفعت لى الى ربك فاذكرنى عند ثلاث لا أهلكك فيهن اذكرنى حين تغضب فان روحى فى قلبك وعينى فى عينك وأجرى منك مجرى الدم اذكرنى اذا غضبت فانه اذا غضب الانسان نفخت فى أنفه فما يدرى ما يصنع واذكرنى حين تلقى الزحف فانى آتى ابن ادم حين يلقى الزحف فاذكره زوجته وولده وأهله حتى يولى واياك أن تجلس الى امرأة ليست بذات محرم فانى رسولها اليك ورسولك اليها فلا أزال حتى أفتنك بها وأفتنها بك فقد أشار بهذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد وهو أعظم مداخله وقد ذكر أن بعض الاولياء قال لابليس أرنى كيف تغلب ابن أدم فقال آخذه عند الغضب وعند الهوى فقد حكى أن ابليس ظهر لراهب فقال له أى أخلاق بنى آدم أعون لك قال الحدة فان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبنى ابن آدم واذا رضى جئت حتى أكون فى قلبه واذا غضب طرت حتى أكون فى رأسه ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على كل شىء أعماه حرصه وأصمه اذ قال صلى الله عليه وسلم (1) حبك للشىء يعمى ويصم ونور البصيرة هو الذى يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روى أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى فى السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لاصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك فقال له نوح أخرج منها ياعدو الله فانك لعين فقال له ابليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنين فاوحى الله تعالى الى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تكذبانى هما اللتان لا تخلفانى بهما اهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما وأما الحرص فانه أبيح لآدم الجنة كلها الا الشجرة فاصبت حاجتى منه بالحرص * ومن أبوابه العظيمة الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوى الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان فقد روى أن ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شىء فقال له يا ابليس ماهذه المعاليق قال هذه الشهوات التى اصبت بها ابن آدم فقال فهل لى فيها من شىء قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله على ان لا أملا بطنى من الطعام ابدا فقال له ابليس ولله على أن لا انصح مسلما ابدا ويقال فى كثرة الاكل ست خصال مذمومة اولها ان يذهب خوف الله من قلبه الثانى ان يذهب رحمة الخلق من قلبه لانه يظن انهم كلهم شباع والثالث انه يثقل عن الطاعة والرابع انه اذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة والخامس انه اذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع فى قلوب الناس والسادس ان يهيج فيه الامراض * ومن ابوابه حب التزين من الاثاث والثياب والدار فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها و يدعوه الى التزين بالثياب والدواب و يستسخره فيها طول عمره واذا اوقعه فى ذلك فقد استغنى ان يعود اليه ثانية فان بعض ذلك يجره الى البعض فلا يزال يؤديه من شىء الى شىء الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو فى سبيل الشيطان واتباع الهوى و يخشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه * ومن ابوابه العظيمة الطمع فى الناس لانه اذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب اليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر فى حيلة

(1) حديث حبك الشىء يعمى ويصم ابو داود من حديث ابى الدرداء باسناد ضعيف

ولا نشاركهم فيها فأنزل الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (وروى) ابو هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصابه جهد فقال يارسول الله انى جائع فاطعمنى فبعث النبى صلى الله عليه وسلم الى ازواجه هل عندكن شىء فكلهن قلن والذى بعثك بالحق نبيا ما عندنا الا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعندنا ما نطعمك هذه الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال انا يارسول الله فأتى به منزله فقال لاهله هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكرميه

التودد والتحبب اليه و يدخل كل مدخل للوصول الى ذلك وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد روى صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ عني شيأ أعلمك به فقال لا حاجة لي به قال انظر فان كان خيرا أخذت وان كان شرا ارددت يا ابن حنظلة لا تسأل احدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت فاني املكك اذا غضبت * ومن ابوابه العظيمة العجلة وترك التثبت في الامور وقال صلى الله عليه وسلم (١) العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى وقال عز وجل خلق الانسان من عجل وقال تعالى وكان الانسان عجولا وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغي أن تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج الى تامل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدري فقد روى انه لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام اتت الشياطين ابليس فقالوا اصبحت الاصنام قد نكست رؤوسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافقي الارض فلم يجد شيأ ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا الملائكة حافين به فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا حاضرها الا هذا فايسوا من أن تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة * ومن ابوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر أصناف الاموال من العروض والدواب والعقار فان كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها الى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج الى تسعمائة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن انه صار بها غنيا وقد صار محتاجا الى تسعمائة ليشتري دارا يعمرها وليشتري جارية وليشتري اثاث البيت و يشتري الثياب الفاخرة وكل شئ من ذلك يستدعي شيأ آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواه * قال ثابت البناني (٢) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى اعيوا ثم جاؤا وقالوا ما ندري قال أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين و يقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا وروى ان عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده فلا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ببال ولا تتحرك رغبته الى النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الميثرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى * ومن ابوابه العظيمة البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق و يدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم وهو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن العزيز قال خيثمة بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما غلبني ابن آدم غلبة فلن يغلبني على ثلاث ان آمره ان يأخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء * ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال والاسواق هي معشش الشياطين وقال ابو امامة ان رسول الله صلى الله عليه

---

(١) حديث العجلة من الشيطان والتأني من الله ت من حديث سهل بن سعد بلفظ الاناة وقال حسن

(٢) حديث ثابت لما بعث صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر الحديث ابن ابي الدنيا في مكايد الشيطان هكذا مرسلا

ولا تدخري عنه شيأ فقالت ما عندنا الا قوت الصبية فقال فقومي عليهم عن قوتهم حتى يناموا ولا يطعمون شيأ ثم اسرجي فاذا أخذ الضيف ليأكل قومي كانك تصلحين السراج فأطفئيه وتعالي نمضغ ألسنتنا لضيف رسول الله حتى يشبع ضيف رسول الله فقامت الى الصبية فعللتهم حتى ناموا عن قوتهم ولم يطعموا شيأ ثم قامت فاثردت وأسرجت فلما أخذ الضيف ليأكل قامت كأنها تصلح السراج فاطفأته فجعلا يمضغان ألسنتهما لضيف رسول الله وظن الضيف انهما يأكلان معه حتى شبع الضيف وباتا طاويين فلما أصبحوا

وسلم قال(١) ان ابليس لما نزل الى الارض قال يارب انزلتنى الى الارض وجعلتنى رجيما فاجعل لى بيتا قال الحمام قال اجعل لى مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال اجعل لى طعاما قال طعامك مالم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لى شرابا قال كل مسكر قال اجعل لى مؤذنا قال المزامير قال اجعل لى قرآنا قال الشعر قال اجعل لى كتابا قال الوشم قال اجعل لى حديثا قال الكذب قال اجعل مصايد قال النساء * ومن أبوابه العظيمة التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا فان الطعن فى الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة فى الطبع من الصفات السبعية فاذا خيل اليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعى فى الدين وهو ساع فى اتباع الشياطين فترى الواحد منهم يتعصب لابى بكر الصديق رضى الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لانواع الفساد ولو رآه ابو بكر لكان اول عدوله اذ موالى ابو بكر من اخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته رضى الله عنه أن يضع حصاة فى فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فانى لهذا الفضولى أن يدعى ولاءه وحبه ولا يسير بسيرته ونرى فضوليا آخر يتعصب لعلى رضى الله عنه وكان من زهد على وسيرته انه لبس فى خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين الى الرسغ ونرى الفاسق لابسا الثياب الحرير ومتجملا بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب على رضى الله عنه ويدعيه وهو اول خصمائه يوم القيامة وليت شعري من اخذ ولدا عزيزا لانسان هو قرة عينه وحياة قلبه فاخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعى حب ابيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم ان الدين والشرع كان أحب الى ابى بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى عنهم من الاهل والولد بل من انفسهم والمقتحمون لمعاصى الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به الى عدو الله ابليس وعدو اوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند اولياء الله تعالى لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ماتحبه الصحابة فى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا ان يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح أفعالهم ثم ان الشيطان يخيل اليهم أن من مات محبا لابى بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل الى الآخر انه اذا مات محبا لعلى لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول(٢) لفاطمة رضى الله عنها وهى بضعة منه(٣) اعملى فانى لا اغنى عنك من الله شيأ وهذا مثال اوردناه من جملة الاهواء وهذا حكم المتعصبين للشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة فكل من ادعى مذهب أمام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه يوم القيامة اذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما بالك خالفتنى فى العمل والسيرة التى هى مذهبي ومسلكى الذى سلكته وذهبت فيه الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد اهلك به اكثر العالم وقد سلمت المدارس لأقوام قل من الله خوفهم وضعفت فى الدين بصيرتهم وقويت فى الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك فى صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان فى تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا واهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم وقال الحسن بلغنا ان ابليس قال سولت لأمة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصى فقصموا ظهرى بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الاهواء وقد صدق اللعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التى تجر الى المعاصى فكيف يستغفرون

(١) حديث أبى امامة ان ابليس لما نزل الى الارض قال يارب انزلتنى الى الارض وجعلتنى رجيما فاجعل لى بيتا قال الحمام الحديث الطبرانى فى الكبير واسناده ضعيف جدا ورواه بنحوه من حديث ابن عباس باسناد ضعيف أيضا (٢) حديث فاطمة بضعة منى متفق عليه من حديث المسور بن مخرمة (٣) حديث انى لا أغنى عنك من الله شيأ قاله لفاطمة متفق عليه من حديث أبى هريرة

غدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليهما تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة وانزل الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولوكان بهم خصاصة (وقال) أنس رضى الله عنه اهدى لبعض أصحابه رأس شاة مشوى وكان مجهودا فوجه به الى جارله فتداوله سبعة أنفس ثم عاد الى الاول فانزلت الآية لذلك وروى ان ابا الحسن الانطاكى اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية بقرى الرى وله ارغفة معدودة لم تشبع خمسة منهم فكسروا الرغفان واطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفعوا الطعام فاذا هو بحاله لم

منها * ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس فى المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود جلس قوم يذكرون الله تعالى فاتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم و يفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم * ومن أبوابه حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر فى ذات الله تعالى وصفاته وفى أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم فى أصل الدين أو يخيل اليهم فى الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها يصير بها كافرا أو مبتدعا وهو به فرح مسرور ومبتهج بما وقع فى صدره يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فاشد الناس حماقة أقواهم اعتقادا فى عقل نفسه وأثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لنفسه واكثرهم سؤالا من العلماء قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ان الشيطان يأتى احدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد احدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بالبحث فى علاج هذا الوسواس فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وانما حق العوام ان يؤمنوا و يسلموا و يشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم و يتركوا العلم للعلماء فالعامى لو يزنى و يسرق كان خيرا له من ان يتكلم فى العلم فانه من تكلم فى الله وفى دينه من غير اتقان العلم وقع فى الكفر من حيث لا يدرى كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا تحصر وانما اردنا بما اوردناه المثال * ومن ابوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر فى القيام بحقوقه او يتوانى فى اكرامه و ينظر اليه بعين الاحتقار و يرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه وسلم (٢) اتقوا مواضع التهم حتى احترز هو صلى الله عليه وسلم من ذلك روى عن على بن حسين (٣) ان صفية بنت حيي بن اخطب اخبرته ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فى المسجد قالت فاتيته فتحدثت عنده فلما امسيت انصرفت فقام يمشى معى فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم انصرفا فناداهما وقال انها صفية بنت حيي فقالا يا رسول الله ما نظن بك الا خيرا فقال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وانى خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف اشفق صلى الله عليه وسلم على دينهما فحرسهما وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين فى احواله فيقول مثلى لا يظن به الا الخير اعجابا بنفسه فان اورع الناس واتقاهم واعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم و بعين السخط بعضهم ولذلك قال الشاعر

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رايت انسانا يسيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث فى الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما راى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر فى حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلوب ولو اردت استقصاء جميعها لم اقدر عليه وفى هذا القدر ما ينبه على غيره فليس فى الآدمى صفة مذمومة الا وهى سلاح الشيطان ومدخل من مداخله * فان قلت فما العلاج فى دفع الشيطان وهل يكفى فى ذلك

(١) حديث عائشة ان الشيطان يأتى احدكم فيقول من خلقك فيقول الله الحديث احمد والبزار وابو يعلى فى مسانيدهم ورجاله ثقات وهو متفق عليه من حديث ابى هريرة (٢) حديث اتقوا مواضع التهم لم اجد له اصلا (٣) حديث صفية بنت حيي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فاتيته فتحدثت عنده الحديث وفيه ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم متفق عليه

يأكل أحد منهم ايثارا منه على نفسه (وحكى) عن حذيفة العدوى قال انطلقت يوم اليرموك لطلب ابن عم لى ومعى شيء من ماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته ومسحت وجهه فاذا أنا به فقلت أسقيك فاشار الى نعم فاذا رجل يقول آه فقال ابن عمى انطلق به اليه فجئت اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع هشام آخر يقول آه فقال انطلق به اليه فجئته اليه فاذا هو قد مات ثم رجعت الى هشام فاذا هو أيضا قد مات ثم رجعت الى ابن عمى فاذا هو أيضا قد مات (وسئل) أبو الحسين البوشنجى عن الفتوة فقال الفتوة عندى ما وصف الله تعالى به الانصار فى قوله

ذكر الله تعالى وقول الانسان لاحول ولاقوة الا بالله فاعلم أن علاج القلب فى ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب
من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا فى هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات
وتحتاج كل صفة الى كتاب منفرد على ماسيأتى شرحه نعم اذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان للشيطان
بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا تتمكن
من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان
له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
فاذا هم مبصرون خصص بذلك المتقى فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك خبز أو لحم
فانه ينزجر بأن تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه فان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولا يندفع
بمجرد الكلام فالقلب الخالى عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت
حقيقة الذكر الى حواشى القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان فى سويداء القلب وأما قلوب المتقين
الخالية من الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى
الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وسائر الاخبار والآيات الواردة
فى الذكر قال أبو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر دهين سمين كاس وشيطان
المؤمن مهزول أشعث أغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول قال أنا مع رجل اذا أكل سمى
الله فأظل جائعا واذا شرب سمى الله فأظل عطشانا واذا لبس سمى الله فأظل عريانا واذا أدهن سمى الله فأظل
شعثا فقال لكنى مع رجل لا يفعل شيأ من ذلك فأنا أشاركه فى طعامه وشرابه ولباسه * وكان محمد بن واسع
يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم
فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك انك
على كل شئ قدير قال فتمثل له ابليس يوما فى طريق المسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفنى قال ومن أنت قال أنا
ابليس فقال وما تريد قال أريد أن لا تعلم أحدا هذه الاستعاذة ولا أتعرض لك قال والله لا امنعها ممن ارادها فاصنع
ماشئت * وعن عبد الرحمن بن ابى ليلى قال (١) كان شيطان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم
بين يديه وهو يصلى فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبرائيل عليه السلام فقال له قل اعوذ بكلمات الله التامات التى
لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل
والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه وقال
الحسن (٢) نبئت ان جبرائيل عليه السلام اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا
اويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى وقال صلى الله عليه وسلم (٣) لقد اتانى الشيطان فنازعنى ثم نازعنى
فاخذت بحلقه فوالذى بعثنى بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد ماء لسانه على يدى ولولا دعوة اخى سليمان عليه السلام

---

(١) حديث عبد الرحمن بن ابى ليلى كان الشيطان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار الحديث ابن
ابى الدنيا فى مكايد الشيطان هكذا مرسلا ولمالك فى الموطا نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلا ووصله ابن عبد البر فى
التمهيد من رواية يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش الشامى عن ابن مسعود ورواه احمد
والبزار من حديث عبد الرحمن بن حبيش وقيل له كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين
فذكر نحوه (٢) حديث الحسن نبئت ان جبريل اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان عفريتا من الجن يكيدك
الحديث ابن ابى الدنيا فى مكايد الشيطان هكذا مرسلا (٣) حديث اتانى شيطان فنازعنى ثم نازعنى فاخذت
بحلقه الحديث ابن ابى الدنيا من رواية الشعبى مرسلا هكذا وللبخارى من حديث ابى هريرة ان عفريتا من
الجن تفلت على البارحة أو كلمة نحوها ليقطع على صلاتى فأمكننى الله منه الحديث . و ن فى الكبرى من حديث

والذين تبوؤا الدار والايمان قال ابن عطاء يؤثرون على انفسهم جودا وكرما ولو كان بهم خصاصة يعنى جوعا وفقرا (قال) ابو حفص الأيثار هو ان يقدم حظوظ الاخوان على حظوظه فى امر الدنيا والآخرة (وقال) بعضهم الايثار لا يكون عن اختيار انما الأيثار ان تقدم حقوق الخلق اجمع على حقك ولا تميز فى ذلك بين اخ وصاحب وذى معرفة (وقال يوسف) ابن الحسين من راى لنفسه ملكا لا يصح منه الايثار لانه يرى نفسه احق بالشئ برؤية ملكه انما الايثار ممن يرى الاشياء كلها للحق فمن وصل اليه فهو احق به فاذا وصل شئ من ذلك اليه يرى نفسه ويده فيه يد امانة يوصلها

لاصبح طريحا فى المسجد وقال صلى الله عليه وسلم (١) ماسلك عمر فجا الاسلك الشيطان فجا غير الذى سلكه عمر وهذا لان القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهى الشهوات فمهما طمعت فى ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضى الله عنه كان محالا وكنت كمن يطمع ان يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الاطعمة و يطمع ان ينفعه كما نفع الذى شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة والذكر الدواء والتقوى احتماء وهى تخلى القلب عن الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء فى المعدة الخالية عن الاطعمة قال الله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله و يهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان (٢) ولم تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالعيان وتأمل ان منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراقب قلبك اذا كنت فى صلاتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك فى اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لاتذكر ماقد نسيته من فضول الدنيا الا فى صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت فالصلاة محك القلوب فبها يظهر محاسنها ومساويها فالصلاة لاتقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلاجرم لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فان اردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان فى العلانية وانت صديقه فى السر اى انت مطيع له وقال بعضهم ياعجبا لمن يعصى المحسن بعد معرفته باحسانه و يطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعونى استجب لكم وانت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء قيل لابراهيم بن أدهم مابالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى ادعونى استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذى اماتها قال ثمان خصال عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فواطأتموه على المعاصى وقلتم نخاف النار وأرهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فراشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم فان قلت فالداعى الى المعاصى المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون فاعلم انه لاحاجة لك الى معرفة ذلك فى المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن المقبلة ولكن الذى يتضح بنور الاستبصار فى شواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصى شيطانا يخصه و يدعو اليه فاما طريق الاستبصار فذكره يطول و يكفيك القدر الذى ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه فى نور النار وسواد الدخان وأما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شىء من امره ثبر والاعور ومبسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب المصائب الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فانه صاحب الزنا يأمر به ويزينه واما مبسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فانه يدخل مع الرجل الى اهله و يرميهم بالعيب عنده و يغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق فبسببه لايزالون متظالمين (٣) وشيطان الصلاة يسمى خنزب (٤) وشيطان الوضوء يسمى الولهان وقد ورد

عائشة كان يصلى فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال حتى وجدت برد لسانه على يدى الحديث واسناده جيد

(١) حديث ماسلك عمر فجا الاسلك الشيطان فجا غير فجه متفق عليه من حديث سعد بن ابى وقاص بلفظ يا ابن الخطاب مالقيك الشيطان سالكا فجا (٢) الحديث الوارد بان الذكر ياعمر يطرد الشيطان تقدم (٣) حديث ان شيطان الصلاة يسمى خنزب م من حديث عثمان بن ابى العاص وقد تقدم اول الحديث (٤) حديث ان شيطان الوضوء يسمى الولهان تقدم وهو عند ت من حديث ابى

الى صاحبها او يؤديها اليه وقال بعضهم حقيقة الايثار ان تؤثر بحظ آخرتك على اخوانك فان الدنيا أقل خطرا من أن يكون لايثارها محل او ذكر ومن هذا المعنى مانقل ان بعضهم رأى أخاله فلم يظهر البشر الكثير فى وجهه فانكر أخوه ذلك منه فقال ياأخى سمعت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة تسعون لأكثرهما بشرا وعشرة لاقلهما بشرا فاردت ان أكون أقل بشرا منك ليكون لك الاكثر (أخبرنا) الشيخ ضياء الدين أبو النجم اجازة قال أنا أبو حفص عمر ابن الصفار النيسابورى قال أنا ابو بكر أحمد ابن خلف

فى ذلك أخبار كثيرة وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك فى الملائكة كثرة وقد ذكرنا فى كتاب الشكر السر فى كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به وقد قال أبو امامة الباهلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه مالم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الذباب عن قطعة العسل فى اليوم الصائف ومالو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغرفاه ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال أيوب بن يونس بن يزيد بلغنا أنه يولد مع ابناء الانس من أبناء الجن ثم ينشؤن معه وروى جابر بن عبد الله ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض قال يارب هذا الذى جعلت بينى و بينه عداوة ان لم تعنى عليه لا أقوى عليه قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال يارب زدنى قال أجزى بالسيئة سيئة و بالحسنة عشرا الى ما أريد قال رب زدنى قال باب التوبة مفتوح مادام فى الجسد الروح قال ابليس يارب هذا العبد الذى كرمته على أن لا تعنى عليه لا أقوى عليه قال لا يولد له ولد الا ولد لك ولد قال يارب زدنى قال تجرى منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدنى قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك الى قوله غرورا وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح فى الهواء وصنف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الانس ثلاثة أصناف صنف كالبهائم كما قال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل وصنف أجسامهم أجسام بنى آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف فى ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال أريد أن أنصحك قال لا حاجة لى فى نصحك ولكن أخبرنى عن بنى آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف أما صنف منهم ـ وهم أشد الاصناف علينا نقبل على احدهم حتى نفتنه ونتمكن منه فيفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شىء أدركنا منه ثم نعود عليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه فى عناء وأما الصنف الآخر فهم فى ايدينا بمنزلة الكرة فى ايدى صبيانكم نقلبهم كيف شئنا قد كفونا انفسهم وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شىء فان قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا رأى صورة فهل هى صورته الحقيقية او هو مثال يمثل له به فان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى فى وقت واحد فى مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان لهما صورتان هى حقيقة صورتهما ولا تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا بانوار النبوة (٣) فما رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبرائيل عليه افضل الصلاة والسلام فى صورته الا مرتين وذلك انه ساله ان يريه نفسه على صورته فواعده بالبقيع وظهر له بحراء فسد الافق من المشرق الى المغرب ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه فى صورة الآدمى غالبا (٤) فكان يراه فى صورة دحية الكلبى (٥) وكان رجلا حسن الوجه

---

(١) حديث ابى امامة وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه الحديث ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان وطب فى المعجم الكبير باسناد ضعيف (٢) حديث ابى الدرداء خلق الله الجن ثلاثة اصناف صنف حيات وعقارب الحديث ابن ابى الدنيا فى مكايد الشيطان وحب فى الضعفاء فى ترجمة يزيد بن سنان وضعفه و ك نحوه مختصرا فى الجن فقط ثلاثة اصناف من حديث ابى ثعلبة الخشنى وقال صحيح الاسناد (٣) حديث انه صلى الله عليه وسلم مارأى جبريل فى صورته الا مرتين الشيخان من حديث عائشة وسئلت هل رأى محمد ربه وفيه ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين (٤) حديث انه كان يرى جبريل فى صورة الآدمى غالبا الشيخان من حديث عائشة وسئلت فاين قوله فدنا فتدلى قالت ذاك جبريل كان يأتيه فى صورة الرجل الحديث (٥) حديث انه كان يرى جبريل فى صورة دحية الكلبى الشيخان من حديث اسامة بن زيد ان جبريل اتى النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة فجعل يحدث ثم قام قال النبى صلى الله عليه وسلم لأم سلمة من هذا قالت دحية الحديث

الشيرازى قال انا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت ابا القاسم الرازى يقول سمعت ابا بكر بن ابى سعدان يقول من صحب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمن نظر الى شىء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده (وقال سهل بن عبد الله) الصوفى من يرى دمه هدرا وملكه مباحا وقال رويم التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك التعرض والاختيار (قيل) لما سعى بالصوفية وتميز الجنيد بالفقه وقبض على الشحام والرقام والنورى وبسط النطع لضرب رقابهم تقدم النورى فقيل له

والا كثر أنه يكاشف أهل المكاشفة من أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له فى اليقظة فيراه بعينه و يسمع كلامه باذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف فى المنام لا كثر الصالحين وانما المكاشف فى اليقظة هو الذى انتهى الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التى تكون فى المنام فيرى فى اليقظة مايراه غيره فى المنام كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى فى النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان فى صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه وأذنه له خرطوم دقيق قد أدخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه فى اليقظة فقد رآه بعض المكاشفين فى صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا وهذا يجرى مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لابد وان تظهر فيه حقيقة من الوجه الذى يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذى يقابل عالم الملك والشهادة لان أحدهما متصل بالآخر وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحى ووجه الى عالم الشهادة فالذى يظهر منه فى الوجه الذى يلى جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة كله متخيلات الا أن الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما الصورة التى تحصل فى الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون الا محاكية للصفة وموافقة لها لان الصورة فى عالم الملكوت تابعة للصفة وموافقة لها فلا جرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة فيرى الشيطان فى صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها و يرى الملك فى صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعانى ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير فى النوم على انسان خبيث وتدل الشاة على انسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار عجيبة وهى من أسرار عجائب القلوب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود ان تصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك فى النوم وتارة بطريق الحقيقة والا كثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى الا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم

﴿بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به﴾

اعلم ان هذا امر غامض وقد وردت فيه آيات واخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا على سماسرة العلماء بالشرع فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال (١) عفى عن امتى ماحدثت به نفوسها مالم تتكلم به او تعمل به وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ان الله تعالى يقول للحفظة اذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فاكتبوها سيئة واذا هم بحسنة لم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد خرجه البخارى ومسلم فى الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفى لفظ آخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت وفى لفظ آخر واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا أغفرها له مالم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فأما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه ان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء وقوله تعالى ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقوله تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقوله تعالى

(١) حديث عفى لامتى عما حدثت به نفوسها متفق عليه من حديث ابى هريرة ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به انفسها الحديث (٢) حديث ابى هريرة يقول الله اذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه الحديث قال المصنف اخرجه م خ فى الصحيحين قلت هو كما قال واللفظ لمسلم فلهذا والله اعلم قدمه فى الذكر

الى ماذا تبادر فقال أوثر اخوانى بفضل حياة ساعة وقيل دخل الروذبارى دار بعض أصحابه فوجده غائبا وباب بيته مغلق فقال صوفى وله باب مغلق اكسروا الباب فكسروه وأمر بجميع ماوجدوا فى البيت أن يباع فانفذوه الى السوق واتخذوا رفقا من الثمن وقعدوا فى الدار فدخل صاحب المنزل ولم يقل شيأ ودخلت امرأته وعليها كساء فدخلت بيتا فرمت بالكساء وقالت هذا أيضا من بقية المتاع فبيعوه فقال الزوج لها لم تكلفت هذا باختيارك قالت اسكت مثل الشيخ يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شئ ندخره عنه

لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق عندنا فى هذه المسألة لا يوقف عليه مالم تقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها الى أن يظهر العمل على الجوارح فنقول أول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة وأنها وراء ظهره فى الطريق لو التفت اليها لرآها والثانى هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التى فى الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغى أن يفعل أى ينبغى ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية مالم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه همًّا بالفعل ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن اذا أصغى القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد الهم وصار ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فههنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول أما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان أيضا تحت الاختيار وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم عفى عن أمتى ماحدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التى تهجس فى النفس ولا يتبعها عزم على الفعل فاما الهم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم [1] يارسول الله نفسى تحدثنى أن أطلق خولة قال مهلا ان من سنتى النكاح قال نفسى تحدثنى أن أجب نفسى قال مهلا خصاء امتى دؤب الصيام قال نفسى تحدثنى ان أترهب قال مهلا رهبانية امتى الجهاد والحج قال نفسى تحدثنى أن اترك اللحم قال مهلا فانى احبه ولو اصبته لا كلته ولو سألت الله لاطعمنيه فهذه الخواطر التى ليس معها عزم على الفعل هى حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل واما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغى ان يفعل فهذا تردد بين ان يكون اضطرارا اواختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختيارى منه يؤاخذ به والاضطرارى لا يؤاخذ به واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه مؤاخذ به الا انه ان لم يفعل نظر فان كان قد تركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه

(١) حديث ان عثمان بن مظعون قال يارسول الله نفسى تحدثنى ان اطلق خولة قال مهلا ان من سنتى النكاح الحديث ت الحكيم فى نوادر الأصول من رواية على بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسلا نحوه وفيه القاسم بن عبيد الله العمري كذبه احمد بن حنبل ويحيى بن معين وللدارمى من حديث سعد بن ابى وقاص لما كان من امر عثمان بن مظعون الذى كان من ترك النساء بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياعثمان انى لم اومر بالرهبانية الحديث وفيه من رغب عن سنتى فليس منى وهو عند م بلفظ رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو اذن له لاختصينا وللبغوى وللطبرانى فى معجمى الصحابة باسناد حسن من حديث عثمان بن مظعون انه قال يارسول الله انى رجل تشق على هذه العزوبة فى المغازى فتاذن لى يارسول الله فى الخصاء فاختصى قال لا ولكن عليك يا ابن مظعون بالصيام فانه مجفرة ولاحمد والطبرانى باسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو خصاء امتى الصيام والقيام وله من حديث سعيد بن العاص باسناد فيه ضعف ان عثمان بن مظعون قال يارسول الله ائذن لى فى الاختصاء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد ابدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة والتكبير على كل شرف الحديث و ه بسند ضعيف من حديث عائشة النكاح من سنتى ولاحمد وابى يعلى من حديث انس لكل نبي وقال ابو يعلى لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد فى سبيل الله وفيه زيد العمى وهو ضعيف ولابى داود من حديث ابى أمامة ان سياحة امتى الجهاد فى سبيل الله واسناده جيد

(وقيل) مرض قيس بن سعد فاستبطأ اخوانه فى عيادته فسأل عنهم فقالوا انهم يستحيون بما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان عن الزيارة ثم امر مناديا ينادى من كان لقيس عليه مال فهو منه فى حل فكسرت عتبة داره بالعشى لكثرة عواده (وقيل) اتى رجل صديقا له ودق عليه الباب فلما خرج قال لماذا جئتنى قال لا ربعمائة درهم دين على فدخل الدار ووزن اربعمائة درهم واخرجها اليه ودخل الدار باكيا فقالت امرأته هلا تعللت حين شق عليك الاجابة فقال انما ابكى لانى لم اتفقد حاله حتى احتاج ان يفاتحنى به

ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده فى مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشد من جده فى موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له حسنة لانه رجح جهده فى الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل بعائق اوتركه بعذر لاخوفا من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختيارى والدليل على هذا التفصيل ماروى فى الصحيح مفصلا فى لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (1) قالت الملائكة عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان هو عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جرائى وحيث قال فان لم يعملها اراد به تركها لله فاما اذا عزم على فاحشة فتعذرت عليه بسبب اوغفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم (2) انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ليقتل مسلما أو يزنى بامرأة فمات تلك الليلة مات مصرا و يحشر على نيته وقدهم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (3) اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار فقيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص فى انه صار بمجرد الارادة من أهل النار مع انه قتل مظلوما فكيف يظن ان الله لا يؤاخذ بالنية والهم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به الا ان يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت له حسنة فامافوت المراد بعائق فليس بحسنة وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا (4) كلفنا ما لا نطيق ان أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت فى قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بعد سنة بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به ان كل مالا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذى لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن ان كل مايجرى على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلاثة فلابد وان يغلط وكيف لا يؤاخذ باعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا اى ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذى محرم لم يؤاخذ به فان اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذا به لانه مختار فكذا خواطر القلب تجرى هذا المجرى بل القلب اولى بمؤاخذته لانه الاصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (5) التقوى ههنا واشار الى القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال صلى الله عليه وسلم (6) الاثم حواز القلوب وقال (7) البر ما اطمأن اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انانقول اذا حكم القلب المفتى

---

(1) حديث قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر الحديث قال المصنف انه فى الصحيح وهو كما قال فى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة (2) حديث انما يحشر الناس على نياتهم ه من حديث جابر دون قوله انما وله من حديث ابى هريرة انما يبعث الناس على نياتهم واسنادهما حسن وم من حديث عائشة يبعثهم الله على نياتهم وله من حديث ام سلمة يبعثون على نياتهم (3) حديث اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار الحديث متفق عليه من حديث ابى بكرة (4) حديث لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا مالا نطيق الحديث م من حديث ابى هريرة وابن عباس نحوه (5) حديث التقوى ههنا واشار الى القلب م من حديث ابى هريرة وقال الى صدره (6) حديث الاثم حواز القلوب تقدم فى العلم (7) حديث البر ما اطمأن اليه القلب وأن أفتوك وافتوك الطبرانى من حديث ابى ثعلبة ولاحمد نحوه من حديث وابصة وفيه وان افتاك

(واخبرنا) الشيخ ابوزرعة عن ابيه الحافظ المقدسى قال انا محمد بن محمد أمام جامع اصفهان قال ثنا أبو عبد الله الجرجانى قال أنا أبو طاهر محمد ابن الحسن المحمد اباذى قال ثنا أبو البحترى قال ثنا أبو اسامة قال ثنا بريد بن ابى بردة عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاشعريين اذا أرملوا فى الغزو وقل طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموا فى اناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم (وحدث) جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذ أراد أن يغزو قال يامعشر المهاجرين والانصار ان من اخوانكم قوما ليس لهم مال ولا عدة فليضم احدكم

بايجاب شئ وكان مخطئا فيه صار مثابا عليه بل من قد ظن أنه تطهر فعليه أن يصلي فان صلى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله فان تذكر ثم تركه كان معاقبا عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن انها زوجته لم يعص بوطئها وان كانت أجنبية فان ظن انها أجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وان كانت زوجته وكل ذلك نظر الى القلب دون الجوارح

﴿ بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا ﴾

اعلم أن العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق * فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لأنه عليه السلام قال (١) فاذا ذكر الله خنس والخنس هو السكوت فكأنه يسكت * وقالت فرقة لا ينعدم أصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر كان محجوبا عن التأثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه * وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضا ولكن تسقط غلبتها للقلب فكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة و ينعدم الذكر في لحظة و يتعاقبان في أزمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة فانك اذا أدرتها بسرعة رأيت النقط دوائر بسرعة تواصلها بالحركة واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة الوسوسه والذكر يتساوقان في الدوام على القلب تساوقا لا ينقطع وكما أن الانسان قد يرى بعينيه شيئين في حالة واحدة فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين فقد قال صلى الله عليه وسلم (٢) مامن عبد الا وله أربعة أعين عينان في رأسه يبصر بهما أمر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما أمر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوسواس وانما نظر كل واحد منهم الى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه * والوسواس أصناف (الاول) أن يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدهما فاذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده وجدد ايمانه و يقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على المعاصي ولا يمكنه أن يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب بعمله فيقول أي عبد يعرف الله كما تعرفه و يعبده كما تعبده فما أعظم مكانك عند الله تعالى فيتذكر العبد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضاءه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الايمان والمعرفة (الصنف الثاني) أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا أنه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة (الصنف الثالث) أن تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتفكر في غير الصلاة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة و يعود و يندفع و يعود فيتعاقب الذكر والوسوسة و يتصور ان يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة و على تلك الخواطر كأنهما

الناس وافتوك وقد تقدما (١) حديث واذا ذكر الله خنس ابن ابي الدنيا وابن عدى من حديث انس في اثناء حديث ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم الحديث وقد تقدم قريبا (٢) حديث مامن عبد الا وله أربعة اعين عينان في رأسه يبصر بهما أمر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بلفظ الآخرة مكان دينه وفيه الحسين بن احمد بن محمد الهروي الساحي الحافظ كذبه

اليه الرجل والرجلين والثلاثة فما لاحدكم من ظهر جمله الا عقبة كعقبة احدهم قال فضممت الى اثنين او ثلاثة مالى الا عقبة كعقبة احدهم من جمله (وروى) انس قال لما قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة آخى النبي عليه السلام بينه و بين سعد بن الربيع فقال له اقاسمك مالى نصفين ولي امرأتان فأطلق احداهما فاذا انقضت عدتها تتزوجها فقال له عبد الرحمن بارك الله لك في اهلك ومالك فما حمل الصوفي على الايثار الا طهارة نفسه وشرف غريزته وما جعله الله تعالى صوفيا الا بعد ان سوى غريزته لذلك وكل من كانت غريزته السخاء والسخي يوشك ان يصير صوفيا لان

فى موضعين من القلب و بعيد جدا ان يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لايخطر ولكنه ليس محالا اذ قال عليه السلام[1] من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشىء من امر الدنيا غفرله ماتقدم من ذنبه فلولا انه متصور لماذكره الا انه لايتصور ذلك الا فى قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا قد نرى المستوعب القلب بعدو تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات فى مجادلة عدوه بحيث لايخطر بباله غير حديث عدوه وكذلك المستغرق فى الحب قد يتفكر فى محادثة محبوبه بقلبه و يغوص فى فكره بحيث لايخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه احد لكان كأنه لايراه واذا تصورهذا فى خوف من عدو وعند الحرص على مال وجاه فكيف لايتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله تعالى واليوم الآخر واذا تأملت جملة هذه الاقسام واصناف الوسواس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن فى محل مخصوص و بالجملة فالخلاص من الشيطان فى لحظة اوساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بعيد جدا ومحال فى الوجود ولوتخلص احد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى[2] انه نظر الى علم ثوبه فى الصلاة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال شغلنى عن الصلاة وقال اذهبوا به الى أبى جهم وائتونى بانبجانيته[3] وكان فى يده خاتم من ذهب فنظر اليه وهو على المنبر ثم رمى به وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وعلم الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رمى به فلا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها الا بالرمى والمفارقة فمادام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا لايدعه الشيطان فى صلاته من الوسوسة فى الفكر فى ديناره وانه كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لايعلم به احد او كيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس فمن أنشب مخالبه فى الدنيا وطمع فى ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس فى العسل وظن ان الذباب لايقع عليه فهو محال فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل ابواب كثيرة قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتى ابن آدم من قبل المعاصى فان امتنع اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه فى بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم ماليس بحرام فان ابى شككه فى وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فتميل قلوبهم اليه فيعجب بنفسه و به يهلكه وعند ذلك تشتد الحاجة فانها آخر درجة ويعلم انه لو جاوزها افلت منه الى الجنة

﴿ بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب فى التغير والثبات ﴾

اعلم ان القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التى ذكرناها وتنصب اليه الآثار والاحوال من الابواب التى وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شىء يتأثر به اصابه من جانب آخر مايضاده فتتغير صفته فان نزل به الشيطان فدعاه الى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجيب صنع الله تعالى فى عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول[4] لا ومقلب القلوب وكان كثيرا مايقول[5] يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا او تخاف يارسول الله قال ومايؤمننى

ك والآفة منه (١) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشىء من الدنيا تقدم فى الصلاة (٢) حديث انه صلى الله عليه وسلم نظر الى علم فى ثوبه فى الصلاة الحديث تقدم فيه (٣) حديث كان فى يده خاتم من ذهب فنظر اليه على المنبر فرماه فقال نظرة اليه ونظرة اليكم ن من حديث ابن عباس وتقدم فى الصلاة (٤) حديث لا ومقلب القلوب خ من حديث ابن عمر (٥) حديث يامثبت القلوب ثبت قلبي على دينك الحديث ت من حديث انس وحسنه وك من حديث جابر وقال ابن ابى الدنيا صحيح على شرط م ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك و ن فى الكبرى ك وصححه على شرط خ م من حديث النواس بن

السخاء صفة الغريزة وفى مقابلته الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون حكم بالفلاح لمن يوقى الشح وحكم بالفلاح لمن أنفق و بذل فقال ومما رزقناهم ينفقون أولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون والفلاح اجمع اسم لسعادة الدارين والنبي عليه السلام نبه بقوله ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فجعل احدى المهلكات شحا مطاعا ولم يقل مجرد الشح يكون مهلكا بل يكون مهلكا اذا كان مطاعا فاما كونه موجودا فى النفس غير مطاع فانه لاينكر ذلك لانه من لوازم النفس مستمدا من اصل جبلتها

والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وفى لفظ آخر ان شاء أن يقيمه أقامه وان شاء ان يزيغه أزاغه وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثلة فقال (١) مثل القلب مثل العصفور يتقلب فى كل ساعة وقال عليه السلام (٢) مثل القلب فى تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال (٣) مثل القلب كمثل ريشة فى ارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجائب صنع الله تعالى فى تقليبها من حيث لا تهتدى اليه المعرفة لا يعرفها الا المراقبون والمراعون لاحوالهم مع الله تعالى * والقلوب فى الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة * قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه و يطلع على اسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لا بد من فعله فيستحثه عليه و يدعوه الى العمل به و ينظر الملك الى القلب فيجده طيبا فى جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بأنوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون له مستقرا ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى و يهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب بالخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفى مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفى الذى هو اخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شىء من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان و يوحى زخرف القول غرورا فلا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التى سنذكرها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذى اقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب و بقوله عز وجل يا ايتها النفس المطمئنة (القلب الثانى) القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالاخلاق المذمومة والخبائث المفتوح فيه ابواب الشياطين المسدود عنه ابواب الملائكة ومبدا الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى و يهجس فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتى منه و يستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولى النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزين والغرور والامانى و يوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين لخوف الآخرة اذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم الى القلب يملا جوانبه حتى تنطفئ انواره فيصير العقل كالعين التى ملا الدخان اجفانها فلا يقدر على ان ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ماهو الحق فيه عمى عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية الى عالم الشهادة من عالم الغيب بقضاء من الله تعالى وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى ارأيت من اتخذ الهه

سمعان مامن قلب الا بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه وان شاء ازاغه و ن فى الكبرى باسناد جيد نحوه من حديث عائشة (١) حديث مثل القلب مثل العصفور يتقلب فى كل ساعة ك فى المستدرك وقال صحيح على شرط م والبيهقى فى الشعب من حديث ابى عبيدة بن الجراح قلت رواه البغوى فى معجمه من حديث ابى عبيد غير منسوب وقال لا ادرى له صحبة ام لا (٢) حديث مثل القلب فى تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا احمد و ك وقال صحيح على شرط خ من حديث المقداد بن الاسود (٣) حديث مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة الحديث الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من حديث ابى موسى الاشعرى باسناد حسن وللبزار نحوه من حديث انس باسناد ضعيف

الترابى وفى التراب قبض وامساك وليس ذلك بالعجب من الآدمى وهو جبلى فيه وانما العجب وجود السخاء فى الغريزة وهو لنفوس الصوفية الداعى لهم الى البذل والايثار والسخاء اتم واكمل من الجود فى مقابلة الجود البخل وفى مقابلة السخاء الشح والجود والبخل يتطرق اليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء اذا كان من ضرورة الغريزة وكل سخى جواد وليس كل جواد سخيا والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالسخاء لان السخاء من نتيجة الغرائز والله تعالى منزه عن الغريزة والجود يتطرق اليه الرياء ويأتى به الانسان متطلعا الى عوض من

هواه فانت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا و بقوله عز وجل لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون و بقوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذى يتورع عن بعض الاشياء ولكنه اذا رأى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه أو كالذى لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور أسبابه أو كالذى لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه او كالذى لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ درهم اودينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروءة والتقوى فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وتنطفىء منه انواره فينطفىء نور الحياء والمروءة والايمان و يسعى فى تحصيل مراد الشيطان (القلب الثالث) قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير و يدفع فى وجه الشهوة و يقبح فعلها و ينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع فى تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل فيقوى داعى الهوى و يقول ماهذا التحرج البادر ولم تمتنع عن هواك فتؤذى نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه افتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك اهل الزمان افتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا امثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا أما ترى العالم الفلانى ليس يحترز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع منه فتميل النفس الى الشيطان و ينقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان و يقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسى العاقبة افتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الآباد ام تستثقل الم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل الم النار أتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان مع ان عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك أرأيت لو كنت فى يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم فى الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تمتثل النفس الى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب ماهو أولى به فان كانت الصفات التى فى القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التى ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى وأوليائه ومساعدا لحزب الشيطان وأعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ماهو سبب بعده عن الله تعالى وان كان الاغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه أمر الآخرة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ماسبق من القضاء على جوارحه فقلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن أى بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب أعنى التقلب والانتقال من حزب الى حزب أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة أو مع حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصى تظهر من خزائن الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهى أيضا اذا ظهرت كانت علامات تعرف ارباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعاصى وسلط عليه أقران السوء وألقى فى قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحكم يغر الحمق بقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم التوبة ويمنيهم المغفرة فيهلكهم باذن الله تعالى بهذه الحيل وما جرى مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدر فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده فهو الهادى

الخلق أو الحق بمقابل مامن الثناء وغيره من الخلق والثواب من الله تعالى والسخاء لا يتطرق اليه الرياء لانه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاعواض دنيا وآخرة لان طلب العوض مشعر بالبخل لكونه معلولا بطلب العوض فما تمحض سخاء فالسخاء لاهل الصفاء والايثار لاهل الانوار ويجوز ان يكون قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انه نفى فى الآية الاطعام لطلب الاعواض حيث قال لا نريد بعد قوله لوجه الله فما كان لله لا يشعر بطلب العوض بل الغريزة لطهارتها تنجذب الى مراد الحق لا للعوض وذلك أكمل السخاء من أطهر الغرائز روت

والمضل يفعل مايشاء ويحكم مايريد لاراد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة أهل الجنة واهل النار فقال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال تعالى فيما روى عن نبيه صلى الله عليه وسلم (١) هؤلاء في الجنة ولا ابالى وهؤلاء في النار ولا ابالى فتعالى الله الملك الحق لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة أغوار علوم المعاملة واسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزى بالقشر عن اللباب بل يتشوق الى معرفة دقائق حقائق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع ان شاء الله تعالى والله ولى التوفيق * تم كتاب عجائب القلب ولله الحمد والمنة و يتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى

(كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة أمراض القلب وهو الكتاب الثانى من ربع المهلكات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذى كان يلوح انوار النبوة من بين اساريره ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى آله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره (أما بعد) فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئه هى السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازى الفاضحه والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين وهى الابواب المفتوحة الى نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هى الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن والاخلاق الخبيثة أمراض القلوب واسقام النفوس الا انه مرض يفوت حياة الابد * واين منه المرض الذى لا يفوت الا حياة الجسد * ومهما اشتدت عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج للابدان وليس في مرضها الا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفى مرضها فوت حياة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذى لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تأنق في معرفة عللها واسبابها ثم الى تشمير في علاجها واصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد افلح من زكاها واهمالها هو المراد بقوله وقد خاب من دساها ونحن نشير في هذا الكتاب الى جمل من امراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الامراض فان ذلك يأتى في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر الكلى في تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق ثم بيان الطرق التى بها يعرف تفصيل الطرق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التى بها يعرف مرض القلب ثم بيان الطرق التى بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك

(١) حديث قال الله عزوجل هؤلاء الى الجنة ولا ابالى وهؤلاء الى النار ولا ابالى احمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمى وقال ابن عبد البر في الاستيعاب انه مضطرب الاسناد

(كتاب رياضة النفس)

اسماء بنت ابى بكر قال قلت يارسول الله ليس لى من شىء الا ما ادخل على الزبير فأعطى قال نعم لاتوكى فيوكى عليك * ومن اخلاق الصوفية التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة (قال) سفيان الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة كنقد السوق خذ شيأ وهات شيأ وقال الحسن الاحسان ان تعم ولا تخص كالشمس والريح والغيث (وروى) انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت قصورا مشرفة على الجنة فقلت يا جبرائيل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس (روى) ابوهريرة رضى الله عنه ان ابابكر رضى الله عنه كان

الشهوات لا لغيره ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول النشوء ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهى أحد عشر فصلا يجمع مقاصدها هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

﴿ بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق ﴾

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) خلقه القرآن وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم (٢) هو أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم (٣) انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم (٤) أثقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق (٥) وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يارسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأتاه من قبل يمينه فقال يارسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقال يارسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال أما تفقه هو أن لا تغضب وقيل يارسول الله (٦) ما الشؤم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) أوصنى فقال اتق الله حيث كنت قال زدنى قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدنى قال خالق الناس بخلق حسن وسئل عليه السلام أى الأعمال أفضل قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم (٨) ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل (٧) قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هى من أهل النار وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (٩) أول ما يوضع فى الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قونى فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قونى فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم (١٠) ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما وقال عليه السلام (١١) حسن الخلق خلق الله الأعظم (١٢) وقيل يارسول الله أى المؤمنين أفضل ايمانا قال أحسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم (١٣) انكم لن تسعوا الناس

(١) حديث عائشة كان خلقه القرآن تقدم وهو عند م (٢) حديث تأويل قوله تعالى خذ العفو الآية هو أن تصل من قطعك الحديث ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عبادة وأنس باسانيد حسان (٣) حديث بعثت لأتمم مكارم الأخلاق أحمد وك والبيهقى من حديث أبى هريرة وتقدم فى آداب الصحبة (٤) حديث أثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن دت وصححه من حديث أبى الدرداء (٥) حديث جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال ما الدين قال حسن الخلق الحديث محمد بن نصر المروزى فى كتاب تعظيم قدر الصلاة من رواية أبى العلاء بن الشخير مرسلا (٦) حديث ما الشؤم قال سوء الخلق احمد من حديث عائشة الشؤم سوء الخلق ولأبى داود من حديث رافع بن مكيث سوء الخلق شؤم وكلاهما لا يصح (٧) حديث قال رجل أوصنى قال اتق الله حيثما كنت الحديث ت من حديث أبى ذر وقال حسن صحيح (٨) حديث ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فتطعمه النار تقدم فى اداب الصحبة (٩) حديث أبى الدرداء أول ما يوضع فى الميزان حسن الخلق الحديث لم أقف له على أصل هكذا ولأبى داود وت من حديث أبى الدرداء ما من شئ فى الميزان أثقل من حسن الخلق وقال غريب وقال فى بعض طرقه حسن صحيح (١٠) حديث ان الله استخلص هذا الدين لنفسه الحديث الدارقطنى فى كتاب المستجاد والخرايطى فى مكارم الاخلاق من حديث أبى سعيد الخدرى باسناد فيه لين (١١) حديث حسن الخلق خلق الله الاعظم الطبرانى فى الاوسط من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف (١٢) حديث قيل يارسول الله أى المؤمنين أفضلهم ايمانا قال أحسنهم خلقا دت نك من حديث أبى هريرة وتقدم فى النكاح بلفظ أكمل المؤمنين وللطبرانى من حديث أبى أمامة أفضلكم ايمانا أحسنكم خلقا (١٣) حديث انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم يبسط الوجه وحسن الخلق البزار وأبو يعلى والطبرانى فى مكارم

(٧) قوله وقال الفضيل الخ لم يخرجه العراقى ولم ينبه عليه وقد تقدم فى باب الصحبة اه مصححه

مع النبي صلى الله عليه وسلم فى مجلس فجاء رجل فوقع فى أبى بكر وهو ساكت والنبي عليه السلام يتبسم ثم رد أبو بكر عليه بعض الذى قال فغضب النبي وقام فلحقه أبو بكر فقال يارسول الله شتمنى وأنت تتبسم ثم رددت عليه بعض ما قال فغضبت وقمت فقال انك حيث كنت ساكتا كان معك ملك يرد عليه فلما تكلمت وقع الشيطان فلم أكن لأقعد فى مقعد فيه الشيطان ياأبا بكر ثلاث كلهن حق ليس عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها الا أعز الله نصره وليس عبد يفتح باب مسئلة يريد بها كثرة الا زاده الله قلة وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة يبتغى بها وجه الله الا زاده الله بها كثرة (أخبرنا)

بامو السكم فسعوهم يبسط الوجه وحسن الخلق وقال أيضا صلى الله عليه وسلم (١) سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) انك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال (٣) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وعن أبى مسعود البدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه (٣) اللهم حسنت خلقى فحسن خلقى وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما (٤) قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول اللهم انى اسألك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (٥) قال كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله وعن أسامة بن شريك قال (٧) شهدت الأعاريب يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ماخير ماأعطى العبد قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم (٨) ان أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وعن ابن عباس رضى الله عنهما (٩) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدوا بشئ من عمله تقوى تحجزه عن معاصى الله اوحلم يكف به السفيه اوخلق يعيش به بين الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم فى افتتاح الصلاة (١٠) اللهم اهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها الا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها الا أنت وقال أنس (١١) بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال عليه السلام (١٢) من سعادة المرء حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم (١٣) اليمن حسن الخلق

الاخلاق من حديث ابى هريرة وبعض طرق البزار رجاله ثقات (١) حديث سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ابن حبان فى الضعفاء من حديث ابى هريرة والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس وابى هريرة ايضا وضعفهما ابن جرير (٢) حديث انك امرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك الخرايطى فى مكارم الاخلاق وابو العباس الدغولى فى كتاب الآداب وفيه ضعف (٣) حديث البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا الخرايطى فى مكارم الاخلاق بسند حسن (٤) حديث ابى مسعود البدرى اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى الخرايطى فى مكارم الاخلاق هكذا من رواية عبد الله بن ابى الهذيل عن ابى مسعود البدرى وانما هو ابن مسعود اى عبد الله هكذا رواه ابن حبان فى صحيحه ورواه احمد من حديث عائشة (٥) حديث عبد الله بن عمرو اللهم انى أسالك الصحة والعافية وحسن الخلق الخرايطى فى مكارم الاخلاق باسناد فيه لين (٦) حديث ابى هريرة كرم المرء دينه ومروءته عقله وحسن خلقه حب و ك وصححه على شرط م والبيهقى قلت فيه مسلم بن خالد الزنجى وقد تكلم فيه قال البيهقى وروى من وجهين آخرين ضعيفين ثم رواه موقوفا على عمرو قال اسناد صحيح (٧) حديث اسامة بن شريك شهدت الاعاريب يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ماخير ما أعطى العبد قال خلق حسن ه وتقدم فى آداب الصحبة (٨) حديث ان أحبكم الى الله وأقربكم منى مجلسا يوم القيمة أحاسنكم اخلاقا طص طس من حديث ابى هريرة ان أحبكم الى الله أحاسنكم اخلاقا وللطبرانى فى مكارم الاخلاق من حديث جابر ان اقربكم مني مجلسا احاسنكم اخلاقا وقد تقدم الحديثان فى آداب الصحبة (٩) حديث ابن عباس ثلاث لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتد بشىء من عمله الحديث الخرايطى فى مكارم الاخلاق باسناد ضعيف ورواه الطبرانى فى الكبير وفى مكارم الاخلاق من حديث أم سلمة (١٠) حديث اللهم اهدنى لاحسن الاخلاق الحديث م من حديث على (١١) حديث أنس ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما يذيب الشمس الجليد الخرايطى فى مكارم الاخلاق بسند ضعيف ورواه طب وطس والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس وضعفه وكذا رواه من حديث ابى هريرة وضعفه أيضا (١٢) حديث من سعادة المرء حسن الخلق الخرايطى فى مكارم الاخلاق والبيهقى فى الشعب من حديث جابر بسند ضعيف (١٣) حديث اليمن حسن الخلق الخرايطى فى مكارم الاخلاق من حديث على باسناد ضعيف

ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال انا الكروخى قال انا الترياق قال انا الجراحى قال انا المحبوبى قال انا ابوعيسى الترمذى قال ثنا ابو هشام الرفاعى قال ثنا محمد بن فضيل عن الوليد بن عبد الله ابن جميع عن ابى الطفيل عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتكونوا امعة تقولون ان احسن الناس أحسنا وان ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا انفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا وان اساؤا فلا تظلموا (وقال) بعض الصحابة يارسول الله الرجل امر به فلا يقريني ولا يضيفني فيمر بى افأجزيه قال لا اقره وقال الفضيل الفتوة الصفح عن عثرات الاخوان وقال

وقال عليه السلام لابى ذر ياأباذر (١) لاعقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن انس (١) قال قالت ام حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارأيت المرأة يكون لها زوجان فى الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لايهماهى تكون قال لاحسنهما خلقا كان عندها فى الدنيا ياام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم (٣) ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرتبته وفى رواية درجة الظمآن فى الهواجر وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال (٤) انى رايت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله تعالى وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم (٥) ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف فى العبادة وروى ان عمر رضى الله عنه (٦) استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر رضى الله عنه تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر رضى الله عنه مم تضحك بابى انت وأمي يارسول الله فقال عجبت لهؤلاء اللاتى كن عندى لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر أنت كنت احق أن يهبنك يارسول الله ثم أقبل عليهن عمر فقال ياعدوات أنفسهن أتهبننى ولاتهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن نعم انت أغلظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ايها ياابن الخطاب والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وقال صلى الله عليه وسلم (٧) سوء الخلق ذنب لايغفر وسوء الظن خطيئة تفوح وقال عليه السلام (٨) ان العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم (الآثار) قال ابن لقمان الحكيم لابيه ياأبت أى الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياء قال فاذا كانت أربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فاذا كانت ستا قال يابنى اذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقى تقى ولله ولى ومن الشيطان برى وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال أنس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة فى الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك فى جهنم وهو عابد وقال يحيى بن معاذ فى سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لاترقع ولاتعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب الى من أن يصحبنى عابد سيء الخلق * وصحب ابن المبارك رجل سيء الخلق فى سفر فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له فى ذلك فقال بكيته رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد أربع ترفع العبد الى أعلى الدرجات وان قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان

(١) حديث ياأباذر لاعقل كالتدبير ولاحسب كحسن الخلق ه حب من حديث أبى ذر (٢) حديث أنس قالت أم حبيبة يارسول الله أرأيت المرأة يكون لها زوجان البزار والطبرانى فى الكبير والخرايطى فى مكارم الاخلاق باسناد ضعيف (٣) حديث ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه الحديث احمد من حديث عبد الله بن عمرو بالرواية الاولى ومن حديث أبى هريرة بالرواية الثانية وفيهما ابن لهيعة (٤) حديث عبد الرحمن بن سمرة انى رأيت البارحة عجبا الحديث الخرايطى فى مكارم الاخلاق بسند ضعيف (٥) حديث ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة الحديث طب والخرايطى فى مكارم الاخلاق وأبو الشيخ فى كتاب مكارم الاخلاق وأبو الشيخ فى كتاب طبقات الاصبهانيين من حديث أنس باسناد جيد (٦) حديث ان عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه الحديث متفق عليه (٧) حديث سوء الخلق ذنب لايغفر الحديث طص من حديث عائشة مامن شيء الاله توبة الا صاحب سوء الخلق فانه لايتوب من ذنب الاعاد فى شر منه واسناده ضعيف (٨) حديث ان العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك من جهنم الطبرانى والخرايطى فى مكارم الاخلاق وأبو الشيخ فى طبقات الاصبهانيين من حديث

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الواصل المكافئ ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكارم الاخلاق ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك * ومن اخلاق الصوفية البشر وطلاقة الوجه الصوفى بكاؤه فى خلوته وبشره وطلاقة وجهه مع الناس فالبشر على وجهه من آثار انوار قلبه وقد تنازل باطن الصوفى منازلات الهيبة ومواهب قدسية يرتوى منها القلب ويمتلئ فرحا وسرورا قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا والسرور اذا تمكن من القلب فاض على الوجه آثاره قال الله

وقال الكتانى التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى التصوف وقال عمر رضى الله عنه خالط الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم فقال هو ما بين الله فى كتابه العزيز ان اكرمكم عند الله أتقاكم قيل فما الحسب قال أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا وقال لكل بنيان اساس وأساس الاسلام حسن الخلق وقال عطاء ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله الا المصطفى صلى الله عليه وسلم فاقرب الخلق الى الله عزوجل السالكون آثاره بحسن الخلق

﴿ بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق ﴾

اعلم ان الناس قد تكلموا فى حقيقة حسن الخلق وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضرا فى ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه و بذل الندى وكف الاذى وقال الواسطى هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقال شاه الكرمانى هو كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم هو ان يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطى مرة هو ارضاء الخلق فى السراء والضراء وقال ابو عثمان هو الرضا عن الله تعالى وسئل سهل التسترى عن حسن الخلق فقال ادناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة أن لا يتهم الحق فى الرزق و يثق به و يسكن الى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه فى جميع الامور فيما بينه و بينه وفيما بينه و بين الناس وقال على رضى الله عنه حسن الخلق فى ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال وقال الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق وقال ابو سعيد الخراز هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا وامثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس هو محيطا بجميع الثمرات أيضا وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة و يراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله امره باضافته اليه اذ قال تعالى انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فنبه على ان الجسد منسوب الى الطين والروح الى رب العالمين والمراد بالروح والنفس فى هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة عنها تصدر الافعال بسهولة و يسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر عنها الافعال القبيحة سميت الهيئة التى هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك فى نفسه ثبوت رسوخ وانما اشترطنا ان تصدر منه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا أربعة امور أحدها فعل الجميل والقبيح والثانى القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة للنفس بها تميل الى أحد الجانبين و يتيسر عليها احد الامرين اما الحسن واما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال أو لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل اما لباعث أو لرياء وليس هو عبارة عن القوة لان نسبة القوة الى الامساك والاعطاء بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطرة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى

تعالى وجوه يومئذ مسفرة اى مضيئة مشرقة مستبشرة اى فرحة قيل اشرقت من طول ما اغبرت فى سبيل الله ومثال فيض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والمشكاة فالوجه مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح فاذا تنعم القلب بلذيذ المسامرة ظهر البشر على الوجه قال الله تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم اى نضارته و بريقه يقال انضر النبات اذا أزهر ونور وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فلما نظرت نضرت فارباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصائرهم بنور المشاهدة وانصقلت مرآة قلوبهم وانعكس فيها نور

الرابع وهو الهيئة التى بها تستعد النفس لأن يصدر منها الامساك أو البذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لابد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك فى الباطن أربعة أركان لابد من الحسن فى جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الأركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث أما قوة العلم فحسنها وصلاحها فى ان تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب فى الاقوال وبين الحق والباطل فى الاعتقادات وبين الجميل والقبيح فى الافعال فاذا أصلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الاخلاق الحسنة وهى التى قال الله فيها ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وأما قوة الغضب فحسنها فى أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها فى أن تكون تحت اشارة الحكمة أعنى اشارة العقل والشرع واما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت اشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح المشير وقوة العدل هى القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضى لاشارة العقل والغضب هو الذى تنفذ فيه الاشارة ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذى يركب فى طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذى يحسن بعض اجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة تسمى تهورا وان مالت الى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة تسمى شرها وان مالت الى النقصان تسمى جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور وأما الحكمة فيسمى افراطها عند الاستعمال فى الاغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذى يختص باسم الحكمة فاذا امهات الاخلاق وأصولها أربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعنى بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ فى جميع الافعال الاختيارية ونعنى بالعدل حالة للنفس وقوة بها توسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما فى الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعنى بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل فى اقدامها واحجامها ونعنى بالعفة تادب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأى واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون وأعنى بالغمارة قلة التجربة فى الامور مع سلامة التخيل فقد يكون الانسان غمرا فى شئ دون شئ والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة فى سلوك الطريق الموصل الى الغرض واما المجنون فانه يختار مالا ينبغى ان يختار فيكون اصل اختياره وايثاره فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وامثالها وهى اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب واما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط او التفريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقصير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء

الجمال الازلى واذا شرقت الشمس على المرآة المصقولة استنارت الجدران قال الله تعالى سيماهم فى وجوههم من أثر السجود واذا تأثر الوجه بسجود الظلال وهى القوالب فى قول الله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال كيف لا يتأثر بشهود الجمال (أخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا الكروخى قال أنا الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا المحبوبى قال أنا أبوعيسى الترمذى قال ثنا قتيبة قال ثنا المنكدر بن محمد ابن المنكدر عن ابيه عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وان من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق وان تفرغ من دلوك فى اناء أخيك

وغير ذلك فامهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الاربعة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال ومن انفك عن هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي أن يبعد كما أن الاول قريب من الملك المقرب فينبغي أن يقتدى به ويتقرب اليه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) لم يبعث الا ليتمم مكارم الاخلاق كما قال وقد أشار القرآن الى هذه الاخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون فالايمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال فقد وصف الله تعالى الصحابة فقال أشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى أن للشدة موضعا وللرحمة موضعا فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه

﴿ بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة ﴾

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق فلم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق لا يتصور تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين أحدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق هو صورة الظاهر فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالقصير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلا ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيرا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى والثاني أنهم قالوا حسن الخلق بقمع الشهوة والغضب وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع فانه قد لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) حسنوا أخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل البازي من الاستيحاش الى الانس والكلب من شره الاكل الى التأدب والامساك والتخلية والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل للآدمي واختياره في أصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل أعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر أجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلة اذا انضاف التربية اليها ولا تصير تفاحا أصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلا ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان أحدهما قوة الغريزة في أصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان ولكن أصعبها أمرا وأعصاها

(وقال) سعد بن عبد الرحمن الزبيدي يعجبني من القراء كل سهل طلق مضحاك فاما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس كأنه يمن عليك فلا أكثر الله في القراء مثله (ومن أخلاق الصوفية) السهولة ولين الجانب والنزول مع الناس الى أخلاقهم وطباعهم وترك التعسف والتكلف وقد روي في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار وأخلاق الصوفية تحاكي أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول عليه الصلاة والسلام أما اني أمزح ولا أقول الا حقا وروي ان رجلا يقال له زاهر بن حرام وكان بدويا وكان لا يأتي الى رسول الله الا جاء بطرفة يهديها الى رسول الله فجاء يوما من الايام فوجده

أنس باسناد جيد وهو بعض الحديث الذي قبله بحديثين (١) حديث بعثت لأتمم مكارم الاخلاق تقدم في آداب الصحبة (٢) حديث حسنوا أخلاقكم أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق من حديث معاذ يامعاذ

على التغيير قوة الشهوة فانها أقدم وجودا اذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب و بعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني أن الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له و باعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على أربع مراتب * الأولى وهو الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستتم شهوته أيضا باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم ومرشد والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان * والثانية أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الاول اذ قد تضاعفت الوظيفة عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه أولا من كثرة الاعتياد للفساد والآخر أن يغرس في نفسه صفة الاعتياد للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للروضة ان انتهض لها بجد وتشمير وحزم * والثالثة أن يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل وتربى عليها فهذا يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف أسباب الضلال * والرابعة أن يكون مع نشئه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به ويظن ان ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب المراتب وفي مثله قيل ومن العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والاول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير وأما الخيال الآخر الذي استدلوا به وهو قولهم ان الآدمي مادام حيا فلا ينقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الأخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة أن يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال الله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والانبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك اذ قال صلى الله عليه وسلم (١) انما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر (٢) وكان اذا تكلم بين يديه يكره بما يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان عليه السلام لا يخرجه غضبه عن الحق وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما تستولي الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة تعود الى حد الاعتدال فدل أن ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على أن المطلوب هو الوسط في الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد أثنى الله تعالى عليه فقال والذين اذا أنفقوا لم

حسن خلقك للناس منقطع ورجاله ثقات (١) حديث انما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر م من حديث انس وله من حديث أبي هريرة انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر (٢) حديث انه كان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق الشيخان من حديث عبد الله بن الزبير في قصة شراج الحرة فقال لأن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهما من حديث أبي سعيد الخدري وكان اذا كره شيأ عرفناه في وجهه ولهما من حديث عائشة وما انتقم رسول الله صلى

رسول الله في سوق المدينة يبيع سلعة له ولم يكن أتاه ذلك اليوم فاحتضنه النبي عليه السلام من ورائه بكفيه فالتفت فابصر النبي عليه السلام فقبل كفيه فقال النبي عليه السلام من يشتري العبد فقال اذا تجدني كاسدا يارسول الله فقال ولكن عند الله ربيح ثم قال عليه السلام لكل أهل حضر بادية وبادية آل محمد زاهر بن حرام (وأخبرنا) أبو زرعة طاهر بن الحافظ المقدسي عن أبيه قال أنا المطهر بن محمد الفقيه قال أنا أبو الحسن قال أنا أبو عمرو بن حكيم قال أنا أبو أمية قال ثنا عبيد بن اسحق العطار قال ثنا سنان بن هرون عن حميد عن أنس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه

يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب فى شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين وقال فى الغضب أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال صلى الله عليه وسلم (١) خير الامور أوسطها وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أيضا من عوارض الدنيا وشرط القلب ان يكون سليما منهما أى لا يكون ملتفتا الى المال ولا يكون حريصا على انفاقه ولا على امساكه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص على الامساك مصروف القلب الى الامساك فكان كمال القلب أن يصفو عن الوصفين جميعا واذا لم يكن ذلك فى الدنيا طلبنا ما هو الأشبه لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما فكانه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقدير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفى الامور ذميم هذا هو المطلوب وهو ممكن نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد أن يقبح عنده الغضب رأسا ويذم امساك المال رأسا ولا يرخص له فى شىء منه لانه لو رخص له فى أدنى شىء اتخذ ذلك عذرا فى استبقاء بخله وغضبه وظن انه القدر المرخص فيه فاذا قصد قطع الاصل وبالغ فيه ولم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له أن لا يقصد قلع الاصل حتى يتيسر القدر المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه أن غضبه بحق وان امساكه بحق

﴿ بيان السبب الذى به ينال حسن الخلق على الجملة ﴾

قد عرفت أن حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع ايضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين * احدهما بجود الهى وكمال فطرى بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون فى الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبى خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثانى اكتساب هذه الاخلاق بالمجاهدة والرياضة وأعنى به حمل النفس على الاعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب فمن أراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطى فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من اراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه ان يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى أن يصير ذلك خلقا له وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخى هو الذى يستلذ بذل المال الذى يبذله دون الذى يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذى يستلذ التواضع ولن ترسخ الاخلاق الدينية فى النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الافعال السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم بها كما قال صلى الله عليه وسلم (٢) وجعلت قرة عينى فى الصلاة ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركها لا بالاضافة الى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى وأنها لكبيرة الا على الخاشعين

الله عليه وسلم لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله ولمسلم ما نيل منه شىء قط فينتقم من صاحبه الحديث (١) حديث خير الأمور أوساطها البيهقى فى شعب الايمان من رواية مطرف بن عبد الله معضلا (٢) حديث وجعلت قرة عينى فى الصلاة ن من حديث أنس وقد تقدم

وسلم فقال يارسول الله احملنى على جمل فقال أحملك على ابن الناقة قال أقول لك احملنى على جمل وتقول احملك على ابن الناقة فقال عليه السلام فالجمل ابن الناقة (وروى صهيب) فقال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر يأكل فقال أصب من هذا الطعام فجعلت آكل من التمر فقال أتأكل وأنت رمد فقلت اذا أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم (وروى) أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم ياذا الاذنين (وسئلت) عائشة رضى الله عنها كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا فى البيت قالت كان

وقال صلى الله عليه وسلم (١) اعبد الله فى الرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ماتكره خير كثير ثم لا يكفى فى نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية فى زمان دون زمان بل ينبغى ان يكون ذلك على الدوام وفى جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ وأكمل ولذلك لما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال (٢) طول العمر فى طاعة الله تعالى ولذلك كره الانبياء والأولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ وانما مقصود العبادات تأثيرها فى القلب وانما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان ينقطع عن النفس حب الدنيا و يرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شىء احب اليه من لقاء الله تعالى عز وجل فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذى يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملهما الا على الوجه الذى يوصله الى الله تعالى وذلك بان يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحا به مستلذا له ولا ينبغى ان يستبعد مصير الصلاة الى حد تصير هى قرة العين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضى فى النفس عجائب أغرب من ذلك فانا قد نرى الملوك والمنعمين فى احزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وماهو فيه ومايستثقل معه فرح الناس بغير قمار مع ان القمار ربما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلسا ومع ذلك فهو يحبه و يلتذ به وذلك لطول الفه له وصرف نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار فى حر الشمس قائما رجليه وهو لا يحس بالمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها فى جو السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى ان يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه و بقوته فى الصبر على ذلك حتى يرى ذلك فخرا لنفسه و يقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطاه غيره فيصر على الانكار ولا يبالى بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله مع مافيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس واقبح من حال المخنث فى تشبهه بالاناث فى نتف الشعر وشم الوجه ومخالطة النساء فترى المخنث فى فرح بحاله وافتخار بكماله فى تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجرى بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجرى بين الملوك والعلماء فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك فى المخالطين والمعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل اليه والى القبائح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة والتزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهى الميل الى اكل الطين فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة واما ميله الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فانه مقتضى طبع القلب فانه أمر ربانى وميله الى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهى الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال الى حب شىء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا كان احب ذلك الشىء لكونه معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذا قد عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهى تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعنى النفس والبدن فان كل صفة تظهر فى القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها لا محالة وكل فعل يجرى على الجوارح فانه قد يرتفع منه اثر الى القلب والامر فيه دور و يعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق فى الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا ان يتعاطى

---

(١) حديث اعبد الله فى الرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ماتكره خير كثير طب (٢) حديث سئل عن السعادة فقال طول العمر فى عبادة الله رواه القضاعى فى مسند الشهاب وابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث بن عمر باسناد ضعيف وللترمذى من حديث ابى بكرة وصححه اى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله

ألين الناس بساما ضحاكا (وروت) أيضا أن رسول اصلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته ثم سابقها بعد ذلك فسبقها فقال هذه بتلك (وأخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال انا أبو نصر الترياقي قال أنا أبو محمد الجراحي قال انا أبو العباس المحبوبي قال انا ابو عيسى الحافظ الترمذي قال ثنا عبد الله ابن الوضاح الكوفي قال ثنا عبد الله بن ادريس عن شعبة عن أبي التياح عن أنس رضى الله عنه قال ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخاطبنا حتى انه كان يقول لأخ لى

بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق و يواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا ولكن الاول بتكلف الا انه ارتفع منه أثر الى القلب ثم انخفض من القلب الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من أراد أن يصير سخيا عفيف النفس حليما متواضعا فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفا حتى يصير ذلك طبعا له فلا علاج له الا ذلك وكما ان طالب فقه النفس لا ييأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء المؤبد ولكن العطلة في يوم واحد تدعوا الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تانس النفس بالكسل وتهجر التحصيل رأسا فيفوتها فضيلة الفقه وكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الايمان عند الخاتمة وكما أن تكرار ليلة لا يحس تأثيره في فقه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا فشيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد منها تأثير فما من طاعة الا ولها أثر وان خفي فله ثواب لا محالة فان الثواب بازاء الاثر وكذلك المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوما فيوما الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين صغائر المعاصي و يسوف نفسه بالتوبة على التوالي الى ان يختطفه الموت بغتة أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعوا الى الكثير فيصير القلب مقيدا بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية ولذلك قال علي رضي الله عنه ان الايمان ليبدوا في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان إزداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا عرفت ان الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير والصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل و بين الرتبتين من اختلفت فيه هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

(بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق)

قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والاخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والاخلاق الجميلة اليها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها اليه وكما ان الغالب على أصل المزاج الاعتدال وانما تعتري المعدة المضرة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه اى بالاعتياد والتعليم تكتسب الرذائل وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل و يقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتربية وتهذيب الاخلاق

صغير يا أبا عمير مافعل النغير والنغير عصفور صغير (وروى) ان عمر سابق الزبير رضي الله عنهما فسبقه الزبير فقال سبقتك ورب الكعبة ثم سابقه مرة أخرى فسبقه عمر فقال عمر سبقتك ورب الكعبة وروى عبد الله ابن عباس قال قال لي عمر تعال أنافسك في الماء أينا أطول نفسا ونحن محرمون (وروى) بكر ابن عبد الله قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمازحون حتى يتبادحون بالبطيخ فاذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال يقال بدح يبدح اذا رمى أى يترامون بالبطيخ (وأخبرنا) أبو زرعة عن ابيه

والتغذية بالعلم وكما أن البدن ان كان صحيحا فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشأنه جلب الصحة اليه فكذلك النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك اليها وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها فان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما أنه لا بد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبد الآباد وكما ان كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فانه ان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائض التي تعالج بها الأخلاق لا بد لها من معيار وكما ان معيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج مالم يعرف ان العلة من حرارة او برودة فان كانت من حرارة فيعرف درجتها أهي ضعيفة ام قوية فاذا عرف ذلك التفت الى احوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر احواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص مالم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني على ذلك رياضته فان كان المريد مبتدئا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال حرام او مقارفا لمعصية فيامره اولا بتركها فاذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه منه وصرفه الى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه وان رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره ان يخرج الى الأسواق للكدية والسؤال فان عزة النفس والرياسة لا تنكسر الا بالذل ولا ذل أعظم من ذلك السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فان الكبر من الامراض المهلكة وكذلك الرعونة وان رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلا الى ذلك فرحا به ملتفتا اليه استخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينوها ويطلبون المرقعات النظيفة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين ان يعبد الانسان نفسه او يعبد صنما فمهما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيا سوى كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت اليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة اذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأسا او بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة فينبغي ان ينقله من الخلق المذموم الى خلق مذموم آخر اخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم كما يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما اشبهه ثم ينقل من اللعب الى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياسة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالترغيب في الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل الى جاه اخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك اذا رأى شره الطعام غالبا عليه الزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه ان يهيئ الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك اذا رآه شابا متشوقا الى النكاح وهو

قال أنا الحسن بن أحمد الكرخي قال ثنا أبو طالب محمد بن محمد بن ابراهيم قال ثنا أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الله قال حدثني اسحق الحربي قال ثنا أبو سلمة قال ثنا حماد بن خالد قال أنا محمد بن عمرو ابن علقمة قال ثنا ابو الحسن ابن محيصن الليثي عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ابن أبي بلتعة قال ان عائشة رضي الله عنها قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بحريرة طبختها له وقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبنها كلي فأبت فقلت لها كلي فأبت فقلت لتأكلن أو لالطخن بها وجهك فأبت فوضعت يدي في الحريرة فلطخت بها وجهها

عاجز عن الطول فيأمره بالصوم ور بما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والادم رأسا حتى تذل نفسه وتكسر شهوته فلا علاج فى مبدا الارادة أنفع من الجوع وان رأى الغضب غالبا عليه الزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء الخلق و يلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه كما حكى عن بعضهم أنه كان يعود نفسه الحلم و يزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه على ملا من الناس و يكلف نفسه الصبر و يكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل وبعضهم كان يستشعر فى نفسه الجبن وضعف القلب فاراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر فى الشتاء عند اضطراب الأمواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة وبعض الشيوخ فى ابتداء ارادته كان يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورمى به فى البحر اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والرياء بالبذل فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان ذلك سيأتى فى بقية الكتب وانما غرضنا الآن التنبيه على ان الطريق الكلى فيه سلوك مسلك المضادة لكل ماتهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله ذلك كله فى كتابه العزيز فى كلة واحدة فقال تعالى وأما من خاف مقام ر به ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى والاصل المهم فى المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها و يكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا فينبغى ان يصبر و يستمر فانه ان عود نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت واذا اتفق منه نقض عزم فينبغى أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه فى معاقبة النفس فى كتاب المحاسبة والمراقبة واذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية

﴿ بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها الى الصحة ﴾

اعلم ان كل عضو من اعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذى خلق له حتى لا يصدر منه أصلا او يصدر منه مع نوع من الاضطراب فمرض اليد ان يتعذر عليها البطش ومرض العين ان يتعذر عليها الابصار وكذلك مرض القلب ان يتعذر عليه فعله الخاص به الذى خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وايثاره ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففى كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التى للآدمى ما يتميز بها عن البهائم فانه لم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع والابصار اوغيرها بل بمعرفة الاشياء على ماهى عليه واصل الاشياء وموجدها ومخترعها هو الله عز وجل الذى جعلها اشياء فلو عرف كل شئ ولم يعرف الله عز وجل فكانه لم يعرف شيأ وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى احبه وعلامة المحبة ان لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتر بصوا حتى يأتى الله بامره فمن عنده شئ احب اليه من الله فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والماء اوسقطت شهوتها عن الخبز والماء فهى مريضة فهذه علامات المرض و بهذا يعرف ان القلوب كلها مريضة الا ماشاء الله الا ان من الامراض مالا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح فان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراآة فهذه علامات اصول الامراض واما علامات عودها الى الصحة

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه وقال لسودة الطخى وجهها فلطخت بها وجهى فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فمر عمر رضى الله عنه على الباب فنادى ياعبد الله ياعبد الله فظن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيدخل فقال قوما فاغسلا وجهكما فقالت عائشة رضى الله عنها فما زلت اهاب عمر لهيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه ووصف بعضهم ابن طاوس فقال كان مع الصبي صبيا ومع الكهل كهلا وكان فيه مزاحة اذا خلا (وروى) معاوية بن عبد الكريم قال كنا نتذاكر الشعر عند محمد بن سيرين وكان يقول ونمزح

بعد المعالجة فهو أن ينظر فى العلة التى يعالجها فان كان يعالج داء البخل فهو المهلك المبعد عن الله عز وجل وانما علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير به مبذرا فيكون التبذير أيضا داء فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك المطلوب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفى غاية البعد عن الطرفين فان أردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذى يوجبه الخلق المحذور فان كان أسهل عليك وألذ من الذى يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه ألذ عندك وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فزد فى المواظبة على البذل فان صار البذل على غير المستحق ألذ عندك واخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الافعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه الا امساكه لحاجة محتاج او بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله سليما عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشىء مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق منها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة فى زمرة عباد الله المقربين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا * ولما كان الوسط الحقيقى بين الطرفين فى غاية الغموض بل هو ادق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم فى الدنيا جاز على مثل هذا الصراط فى الآخرة وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعنى الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذى مال اليه ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا اى الذين كان قربهم الى الصراط المستقيم اكثر من بعدهم عنه ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله تعالى فى كل يوم سبع عشرة مرة فى قوله اهدنا الصراط المستقيم اذ وجب قراءة الفاتحة فى كل ركعة فقد روى ان بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتنى هود فلم قلت ذلك فقال عليه السلام لقوله تعالى فاستقم كما امرت فالاستقامة على سواء السبيل فى غاية الغموض ولكن ينبغى ان يجتهد الانسان فى القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقتها فكل من اراد النجاة فلا نجاة له الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد فيها على الترتيب فنسأل الله الكريم ان يجعلنا من المتقين

﴿ بيان الطريق الذى يعرف به الانسان عيوب نفسه ﴾

اعلم ان الله عز وجل اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرى احدهم القذى فى عين اخيه ولا يرى الجذع فى عين نفسه فمن اراد ان يعرف عيوب نفسه فله اربعة طرق ﴿ الاول ﴾ ان يجلس بين يدى شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه فى نفسه ويتبع اشارته فى مجاهدته وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز فى هذا الزمان وجوده ﴿ الثانى ﴾ أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وافعاله فما كره من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من ائمة الدين كان عمر رضى الله عنه يقول رحم الله امرأ اهدى الى عيوبى وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذى بلغك عنى مما تكرهه فاستعفى فألح عليه فقال بلغنى انك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له

عنده ويمازحنا وكنا نخرج من عنده ونحن نضحك وكنا اذا دخلنا على الحسن نخرج من عنده ونحن نكاد نبكى فهذه الاخبار والآثار دالة على حسن لين الجانب وصحة حال الصوفية وحسن أخلاقهم فيما يعتمدونه من المداعبة فى الربط وينزلون مع الناس على حسب طباعهم لنظرهم الى سعة رحمة الله فاذا خلوا وقفوا موقف الرجال واكتسبوا ملابس الاعمال والاحوال ولا يقف فى هذا المعنى على حد الاعتدال الا صوفى قاهر للنفس عالم باخلاقها وطباعها سائس لها بوفور العلم حتى يقف فى ذلك على صراط الاعتدال بين الافراط والتفريط ولا

أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضي الله عنه فكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان أقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا أن هذا أيضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في اصدقائك عن حسود او صاحب غرض يرى ماليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال وماذا اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فكانت شهوة ذوي الدين ان يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر في امثالنا الى ان أبغض الخلق الينا من ينصحنا و يعرفنا عيوبنا و يكاد هذا ان يكون مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة فلو نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بازالة العقرب وابعادها وقتلها وانما نكايتها على البدن و يدوم ألمها يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الرديئة على صميم القلب اخشى ان تدوم بعد الموت ابدا أو آلافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له وانت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه و يشبه ان يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك ضعف الايمان فنسأل الله عز وجل ان يلهمنا رشدنا و يبصرنا بعيوبنا و يشغلنا بمداواتها و يوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله (الطريق الثالث) ان يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة اعدائه فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه و يمدحه و يخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل مايقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لابد وان تنتشر على ألسنتهم (الطريق الرابع) ان يخالط الناس فكل مارآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به و ينسبها اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه و يعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه فليتفقد نفسه و يطهرها من كل مايذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب * قيل لعيسى عليه السلام من ادبك قال ما ادبني احد رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيراً بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه و ينجيه من الهلاك الذي هو بصدده .

﴿ بيان شواهد النقل من ارباب البصائر وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب ترك الشهوات وان مادة امراضها هي اتباع الشهوات ﴾

اعلم ان ماذكرناه ان تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما ان للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هي الطريق الى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ماذكرناه من اعوان الشهوات فهو من الذين اوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القرآن والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصر قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم (1) المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر

(1) حديث المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه الحديث ابو بكر بن لال في مكارم الاخلاق

يصلح الاكثار من ذلك للمريدين المبتدئين لقلة علمهم ومعرفتهم بالنفس وتعديهم حد الاعتدال فللنفس في هذه المواطن نهضات ووثبات تجر الى الفساد وتجنح الى العناد فالنزول الى طباع الناس يحسن بمن صعد عنهم وترقى لعلو حاله ومقامه فينزل اليهم والى طباعهم حين ينزل بالعلم فاما من لم يصعد بصفاء حاله عنهم وفيه بقية مزج من طباعهم ونفوسهم الجامحة الامارة بالسوء اذا دخلت في هذه المداخل اخذت النفس حظها واغتنمت مآربها واستروحت الى الرخصة والنزول الى الرخصة يحسن لمن يركب العزيمة غالب أوقاته وليس ذلك شأن المبتدئ فللصوفية العلماء فيما ذكرناه

يقاتله

يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب عليه مجاهدتها ويروى أن الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام ياداود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد (١) مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الأكبر قيل يارسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم (٢) المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم (٣) كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها فى معصية الله تعالى اذا تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله ويستر وقال سفيان الثورى ماعالجت شيأ أشد على من نفسى مرة لى ومرة على وكان أبو العباس الموصلى يقول لنفسه يانفس لا فى الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولا فى طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأنى بك بين الجنة والنار تحبسين يانفس الا تستحيين وقال الحسن ماالدابة الجموح باحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازى جاهد نفسك باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شىء اشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى واذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدى الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتامن من بوائقها من بين سائر الانام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول فى ميدان الخيرات وتسير فى مسالك الطاعات كالفرس الفاره فى الميدان وكالملك المتنزه فى البستان وقال ايضا اعدء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هواها مقهورا مغلولا زمامه فى يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد وقال جعفر بن حميد اجمعت العلماء والحكماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد مازاد على الخبز فهو شهوة وقال ايضا من احب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل ويروى ان امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد ان ملك خزائن الارض وقعدت له على رابية الطريق فى يوم موكبه وكان يركب فى زهاء اثنى عشر الفا من عظماء مملكته سبحان من جعل الملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وذلك جزاء المفسدين وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف كما اخبر الله تعالى عنه انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال الجنيد ارقت ليلة فقمت الى وردى فلم اجد الحلاوة التى كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فجلست فلم اطق الجلوس فخرجت فاذا رجل ملتف فى عباءة مطروح على الطريق فلما احس بى قال يا ابا القاسم الى الساعة فقلت ياسيدى من غير موعد فقال بلى سألت الله عز وجل ان يحرك لى قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فمتى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها فاقبل على نفسه فقال اسمعى فقد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت ان تسمعيه الا من الجنيد ها قد سمعتيه ثم انصرف وماعرفته وقال يزيد الرقاشى اليكم عنى الماء البارد فى الدنيا لعلى لا احرمه فى الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال متى اصمت قال

من حديث انس بسند ضعيف (١) حديث مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر البيهقى فى الزهد وقد تقدم فى شرح عجائب القلب (٢) حديث المجاهد من جاهد نفسه ت فى اثناء حديث وصححه وه من حديث فضالة بن عبيد (٣) حديث كف اذاك عن نفسك ولا تتابع هواها فى معصية الله الحديث لم اجده

ترويح يعلمون حاجة القلب الى ذلك والشىء اذا وضع للحاجة يتقدر بقدر الحاجة ومعيار مقدار الحاجة فى ذلك علم غامض لا يسلم لكل أحد (قال) سعيد بن العاص لابنه اقتصد فى مزاحك فالافراط فيه يذهب بالبهاء ويجرىء عليك السفهاء وتركه يغيظ المؤانسين ويوحش المخالطين قال بعضهم المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للاخاء وكما يصعب معرفة الاعتدال فى ذلك يصعب معرفة الاعتدال فى الضحك والضحك من خصائص الانسان ويميزه عن جنس الحيوان ولا يكون الضحك الا عن سابقة تعجب والتعجب يستدعى الفكر والفكر شرف الانسان وخاصيته ومعرفة

اذا اشتهيت الكلام وقال على رضى الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات فى الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف فى السوق فاذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه اصبرى فوالله ما امنعك الا من كرامتك على فاذا قد اتفق العلماء والحكماء على ان لا طريق الى سعادة الآخرة الا بنهى النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان بهذا واجب واما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يدرك الا بما قدمناه وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد فى القبر الا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من الأكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشيء منه انس به وألفه فاذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لا حظ له فى الآخرة بحال ولا خلاص منه الا بأن يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه والانقطاع اليه ولا قوة على ذلك الا بالله ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه أربعة رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا يلتفت الى الدنيا الا فى ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهى الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة الثانى رجل استغرقت الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر فى قلبه الا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار الا أنه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه فى النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله تعالى فى قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وان كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه اللهم انا نعوذ بك من خزيك فانك أنت المعاذ وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا راس كل خطيئة وسبب احباط كل حسنة والمباح الخارج عن قدر الحاجة ايضا من الدنيا وهو سبب البعد وسيأتى ذلك فى كتاب ذم الدنيا وقد قال ابراهيم الخواص كنت مرة فى جبل اللكام فرأيت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركتها فرأيت رجلا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتنى فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء فقلت ارى لك حالا مع الله عز وجل فلو سالته أن يحميك من هذه الزنابير فقال وارى لك حالا مع الله تعالى فلو سالته ان يحميك من شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان المه فى الآخرة ولدغ الزنابير يجد المه فى الدنيا فتركته ومضيت وقال السرى انا منذ اربعين سنة تطالبنى نفسى ان اغمس جزرة فى دبس فما اطعمتها فاذا لا يمكن اصلاح القلب لسلوك طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت فى المحظورات فمن اراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه ان يلزمه السكوت الا عن ذكر الله والا عن المهمات فى الدين حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمى البصر الى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لان الذى يشتهى به الحلال هو بعينه الذى يشتهى به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فان لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته فهذه احدى آفات المباحات ووراءها آفات عظيمة أعظم من هذه وهو ان النفس تفرح بالتنعم فى الدنيا وتركن اليها وتطمئن اليها اشرا وبطرا حتى تصير ثملة كالسكران الذى لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسرى فى العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر اهل الموت واهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها وقال وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع وقال تعالى اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد الآية وكل ذلك ذم لها فنسال الله السلامة فأولو الحزم من ارباب القلوب جربوا قلوبهم فى حال الفرح بمؤاتاة الدنيا فوجدوها قاسية نفرة بعيدة التأثر عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها

الاعتدال فيه ايضا شان من ترسخ قدمه فى العلم ولهذا قيل اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب وقيل وكثرة الضحك من الرعونة (وروى) عن عيسى عليه السلام انه قال ان الله تعالى يبغض الضحاك من غير عجب المشاء فى غير ارب وذكر فرق بين المداعبة والمزاح فقيل المداعبة ما لا يغضب جده والمزاح ما يغضب جده وقد جعل ابو حنيفة رحمه الله القهقهة فى الصلاة من الذنب وحكم ببطلان الوضوء بها وقال يقوم الاثم مقام خروج الخارج فالاعتدال فى المزاح والضحك لا يتأتى الا اذا خلص وخرج من مضيق الخوف والقبض والهيبة فانه يتقوم بكل

فى حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الذكر فعلموا أن النجاة فى الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب فى عرصات القيامة فقد عذب فخلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك الدائم فى الدنيا والآخرة بالخلاص من أثر الشهوات ورقها والانس بذكر الله عزوجل والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازى اذا قصد تأديبه ونقله من التوثب والاستيحاش الى الانقياد والتاديب فانه يحبس أولا فى بيت مظلم وتخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران فى جو الهواء وينسى ماقد كان ألفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يانس بصاحبه ويالفه الفا اذا دعاه أجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لاتالف ربها ولاتانس بذكره الا اذا فطمت عن عاداتها بالخلوة والعزلة أولا ليحفظ السمع والبصر عن المالوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا فى الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله عزوجل عوضا عن الانس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل على المريد فى البداية ثم يتنعم به فى النهاية كالصبى يفطم عن الثدى وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذى يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن رأسا يوما فيوما وعظم تعبه فى الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير له طبعا فلو رد بعد ذلك الى الثدى لم يرجع اليه فيهجر الثدى ويعاف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة فى الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن السراج الذى ألفته بالسلاسل والقيود أولا ثم تأنس به بحيث تترك فى موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتأديبها بأن تمنع من النظر والانس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل مايزايلها بالموت اذ قيل له أحبب ما أحببت فانك مفارقه فاذا علم انه من أحب شيأ يلزمه فراقه ويشقى لامحالة لفراقه شغل قلبه بحب مالا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه فى القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أولا أياما قلائل فان العمر قليل بالاضافة الى مدة حياة الآخرة ومامن عاقل الا وهو راض باحتمال المشقة فى سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرا ليتنعم به سنة أو دهرا وكل العمر بالاضافة الى الابد أقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلابد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وتذهب عنهم عمايات الكرى كما قاله على رضى الله عنه وطريق المجاهدة والرياضة لكل انسان تختلف بحسب اختلاف أحواله والاصل فيه أن يترك كل واحد مابه فرحه من أسباب الدنيا فالذى يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول فى الوعظ أو بالعز فى القضاء والولاية أو بكثرة الاتباع فى التدريس والافادة فينبغى أن يترك أولا مابه فرحه فانه ان منع عن شئ من ذلك وقيل له ثوابك فى الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتالم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك فى حقه ثم اذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى يشتغل الابذكر الله تعالى والفكر فيه وليترصد لما يبدو فى نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولاتزول الا بقطع ذلك السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر الا الموت

﴿ بيان علامات حسن الخلق ﴾

اعلم أن كل انسان جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصى ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلابد من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين فى كتابه وهى بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق * قال الله تعالى * قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون الى قوله أولئك هم الوارثون وقال عز وجل التائبون العابدون الحامدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله أولئك

مضيق من هذه المضايق بعض التقويم فيعدل الحال فيه ويستقيم فالبسط والرجاء ينشئان المزاج والضحك والخوف والقبض يحكمان فيه بالعدل * ومن أخلاق الصوفية ترك التكلف وذلك ان التكلف تصنع وتعمل وتمايل على النفس لاجل الناس وذلك يباين حال الصوفية وفى بعضه خفى منازعة للاقدار وعدم الرضا بما قسم الجبار ويقال التصوف ترك التكلف ويقال التكلف تخلف وهو تخلف عن شأو الصادقين (روى) أنس ابن مالك قال شهدت وليمة لرسول الله مافيها خبز ولا لحم (وروى) عن جابر أنه أتاه ناس من أصحابه فأتاهم

هم المؤمنون حقا وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى آخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل مافقده وحفظ ماوجده وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال (١) المؤمن يحب لاخيه مايحب لنفسه وقال عليه السلام (٢) من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال صلى الله عليه وسلم (٣) من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال (٤) من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وذكر ان صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم (٥) أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم أخلاقا وقال صلى الله عليه وسلم (٦) اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال (٧) من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال (٨) لا يحل لمؤمن أن يشير الى أخيه بنظرة تؤذيه وقال عليه السلام (٩) لا يحل لمسلم أن يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم (١٠) انما يتجالس المتجالسان بامانة الله عز وجل فلا يحل لاحدهما أن يفشي على اخيه مايكرهه وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال هو أن يكون كثير الحياء قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا شكورا رضيا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا بشاشا هشاشا يحب فى الله و يبغض فى الله و يرضى فى الله و يغضب فى الله فهذا هو حسن الخلق (١١) وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته فى الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته فى الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل أحد الا من الله والمنافق راج كل أحد الا الله والمؤمن آمن من كل أحد الا من الله والمنافق خائف من كل أحد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن و يبكي والمنافق يسيء و يضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلطة والملأ والمؤمن يزرع و يخشى الفساد والمنافق يقلع و يرجو الحصاد والمؤمن يأمر و ينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر و ينهى للرياسة فيفسد وأولى مايمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفاء ومن شكا من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فان حسن الخلق احتمال الاذى فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٢) كان يوما يمشي ومعه انس فادركه أعرابي

بهذا السياق (١) حديث المؤمن يحب لاخيه مايحب لنفسه الشيخان من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه (٢) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي ومن حديث أبي هريرة (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديثيهما وهو بعض الحديث الذى قبله (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت متفق عليه ايضا من حديثهما وهو بعض الذى قبله (٥) حديث أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا تقدم غير مرة (٦) حديث اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقى الحكمة ه من حديث أبي خلاد بلفظ اذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا فى الدنيا وقلة منطق فاقربوا منه فانه يلقى الحكمة (٧) حديث من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن أحمد والطبراني وك وصححه على شرطهما من حديث ابى موسى ورواه طب ك وصححه على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة (٨) حديث لا يحل لمسلم ان يشير الى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك فى الزهد والرقائق وفى البر والصلة مرسلا وقد تقدم (٩) حديث لا يحل لمسلم أن يروع مسلما طب طس من حديث النعمان بن بشير والبزار من حديث ابن عمر واسناده ضعيف (١٠) حديث انما يتجالس المتجالسان بامانة الله الحديث تقدم فى آداب الصحبة (١١) حديث سئل عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همه فى الصلاة والصيام الحديث لم اجد له اصلا (١٢) حديث كان يمشي فادركه اعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد

بخبز وخل وقال كلوا فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم الادام الخل وعن سفيان ابن سلمة قال دخلت على سلمان الفارسى فاخرج الى خبزا وملحا وقال كل لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن يتكلف أحد لاحد لتكلفت لكم والتكلف مذموم فى جميع الاشياء كالتكلف بالملبوس للناس من غير نية فيه والتكلف فى الكلام و زيادة التملق الذي صار دأب أهل الزمان فمايكاد يسلم من ذلك الا آحاد وافراد و كم من متملق لا يعرف أنه تملق ولا يفطن له فقد يتملق الشخص الى حد يخرجه الى صريح النفاق وهو مباين لحال الصوفى (أخبرنا) الشيخ العالم

فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال انس رضي الله عنه حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه فقال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك ثم امر باعطائه ولما اكثرت قريش ايذاءه وضربه قال(١) اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قيل ان هذا يوم أحد فلذلك انزل الله تعالى فيه وانك لعلى خلق عظيم ويحكى ان ابراهيم بن ادهم خرج يوما الى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال انت عبد قال نعم فقال له اين العمران فاشار الى المقبرة فقال الجندي انما اردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه ورده الى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر فاخبرهم الجندي ما قال له فقالوا هذا ابراهيم بن ادهم فنزل الجندي عن فرسه وقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل بعد ذلك له لم قلت انا عبد فقال انه لم يسألني عبد من انت بل قال انت عبد فقلت نعم لاني عبد الله فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك فقال علمت انني أوجر على ما نالني منه فلم ارد ان يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر ودعي ابو عثمان الحيري الى دعوة وكان الداعي قد اراد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع ابو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيا فقال له يا استاذ ارجع فرجع ابو عثمان فقال له مثل مقالته الاولى فرجع ثم دعاه الثالثة وقال ارجع على ما يوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع ابو عثمان ثم جاءه الرابعة فرده حتى عامله بذلك مرات وابو عثمان لا يتغير من ذلك فاكب على رجليه وقال يا استاذ انما اردت ان اختبرك فما احسن خلقك فقال ان الذي رأيت مني هو خلق الكلب ان الكلب اذا دعي اجاب واذا زجر انزجر وروى عنه ايضا انه اجتاز يوما في سكة فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته فسجد سجدة الشكر ثم جعل ينفض الرماد عن ثيابه ولم يقل شيا فقيل الا زبرتهم فقال ان من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له ان يغضب وروى ان علي بن موسى الرضا رحمة الله عليه كان لونه يميل الى السواد اذ كانت امه سوداء وكان بنيسابور حمام على باب داره وكان اذا اراد دخول الحمام فرغه له الحمامي فدخل ذات يوم فاغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه فتقدم رجل رستاقي الى باب الحمام ففتحه ودخل فنزع ثيابه ودخل فرأى علي بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدام الحمام فقال له قم واحمل الى الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يأمره به فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى الرضا فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج علي بن موسى سأل عن الحمامي فقيل له انه خاف مما جرى فهرب قال لا ينبغي له ان يهرب انما الذنب لمن وضع ماءه عند امة سوداء وروى ان اباعبد الله الخياط كان يجلس على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة فكان اذا خاط له شيأ حمل اليه دراهم زائفة فكان ابوعبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق يوما ان اباعبد الله قام لبعض حاجته فاتى المجوسي فلم يجده فدفع الى تلميذه الاجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهما زائفا فلما نظر اليه التلميذ عرف انه زائف فرده عليه فلما عاد ابوعبد الله اخبره بذلك فقال بئس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ سنة وانا اصبر عليه وآخذ الدراهم منه وألقيها في البئر لئلا يغر بها مسلما وقال يوسف بن اسباط علامة حسن الخلق عشر خصال قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والتماس المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه * وسئل سهل عن حسن الخلق فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ أتته جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات فدهشت الجارية فقال لها لا روع عليك انت حرة لوجه الله تعالى وقيل ان

نجراني غليظ الحاشية الحديث متفق عليه من حديث انس (١) حديث اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حب والبيهقي في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود انه حكاه صلى الله عليه وسلم

ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقي قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي ثنا أحمد بن منيع قال ثنا يزيد بن هرون عن محمد ابن مطرف عن حسان بن عطية عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحياء والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق البذاء الفحش واراد بالبيان ههنا كثرة الكلام والتكلف للناس بزيادة تملق وثناء عليهم واظهار التفصح وذلك ليس من شأن اهل الصدق

(وحكى) عن أبي وائل قال مضيت مع صاحب

أو يسا القرنى كان اذا رآه الصبيان برمونه بالحجارة فكان يقول لهم يا اخوتاه ان كان ولا بد فارمونى بالصغار حتى لا تدموا ساقى فتمنعونى عن الصلاة وشتم رجل الاحنف بن قيس وهو لا يجيبه وكان يتبعه فلما قارب من الحى وقف وقال ان كان قد بقى فى نفسك شىء فقله كى لا يسمعك بعض سفهاء الحى فيؤذوك وروى أن عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك اجابتى قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فانت حر لوجه الله تعالى وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله يا مرائى فقال يا هذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة وكان ليحيى بن زياد الحارثى غلام سوء فقيل له لم تمسكه فقال لا تعلم الحلم عليه فهذه نفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت أخلاقها ونقيت من الغش والغل والحقد بواطنها فاثمرت الرضا بكل ماقدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغى أن يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغى أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى أن يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون

﴿ بيان الطريق فى رياضة الصبيان فى أول نشوهم ووجه تاديبهم وتحسين أخلاقهم ﴾

اعلم ان الطريق فى رياضة الصبيان من أهم الامور وأوكدها والصبى أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل مانقش ومائل الى كل مايمال به اليه فان عود الخير وعلمه نشا عليه وسعد فى الدنيا والآخرة وشاركه فى ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر فى رقبة القيم عليه والوالى له وقد قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه عن نار الدنيا فبان يصونه عن نار الآخرة أولى وصيانته بان يؤدبه و يهذبه و يعلمه محاسن الاخلاق و يحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية فيضيع عمره فى طلبها اذا كبر فيهلك هلاك الابد بل ينبغى ان يراقبه من اول أمره فلا يستعمل فى حضانته وارضاعه الا امرأة صالحة متدينة تاكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبى انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى مايناسب الخبائث ومهما رأى فيه مخايل التميز فينبغى ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور أوائل الحياء فانه اذا كان يحتشم و يستحى و يترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الاشياء قبيحا ومخالفا للبعض فصار يستحى من شىء دون شىء وهذه هدية من الله تعالى اليه و بشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبى المستحى لا ينبغى أن يهمل بل يستعان على تاديبه بحيائه وتميزه واول مايغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغى ان يؤدب فيه مثل ان لا ياخذ الطعام الا بيمينه وان يقول عليه بسم الله عند أخذه وان ياكل مما يليه وان لا يبادر الى الطعام قبل غيره وان لا يحدق النظر اليه ولا الى من ياكل وان لا يسرع فى الاكل وان يجيد المضغ وان لا يوالى بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه وان يعود الخبز القفار فى بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما و يقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه كل من يكثر الاكل بالبهائم و بان يذم بين يديه الصبى الذى يكثر الاكل و يمدح عنده الصبى المتادب القليل الاكل وان يحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن اى طعام كان وان يحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم و يقرر عنده ان ذلك شان النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه و يكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبى ثوبا من ابريسم او ملون فينبغى ان يستنكره و يذمه و يحفظ الصبى عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه مايرغبه فيه فان الصبى مهما أهمل فى ابتداء نشوه خرج فى الاغلب ردىء الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لحوحا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التاديب ثم يشغل فى المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الاخبار وحكايات

لى نزور سلمان فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبى لو كان فى هذا الملح سعتر كان أطيب فخرج سلمان ورهن مطهرته وأخذ سعترا فلما أكلنا قال صاحبى الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقك لم تكن مطهرتى مرهونة وفى هذا من سلمان ترك التكلف قولا وفعلا وفى حديث يونس النبى عليه السلام انه زاره اخوانه فقدم اليهم كسرا من خبز شعير وجزلهم بقلا كان نزرعه ثم قال لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم قال بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر واذا استزرت فلا تبق ولا تذر (وروى) الزبير

الابرار وأحوالهم لينغرس فى نفسه حب الصالحين و يحفظ من الاشعار التى فيها ذكر العشق وأهله و يحفظ من مخالطة الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف و رقة الطبع فان ذلك يغرس فى قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه و يجازى عليه بما يفرح به و يمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك فى بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له انه يتصور ان يتجاسر احد على مثله ولا سيما اذا ستره الصبي واجتهد فى اخفائه فان اظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة فعند ذلك ان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب سرا و يعظم الامر فيه و يقال له اياك ان تعود بعد ذلك لمثل هذا وان يطلع عليك فى مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب فى كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح و يسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه الا احيانا والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح و ينبغي ان يمنع عن النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب اعضاؤه ولا يسمن بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة فى المفرش والملبس والمطعم و ينبغي ان يمنع من كل ما يفعله فى خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح و يعود فى بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل و يعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره و يمنع من ان يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه والده أو بشيء من مطاعمه وملابسه اولوحه ودواته بل يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف فى الكلام معهم و يمنع من ان يأخذ من الصبيان شيأ بداله حشمة ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة فى الاعطاء لا فى الاخذ وان الاخذ لؤم وخسة ودناءة وان كان من اولاد الفقراء فيعلم ان الطمع والاخذ مهانة وذلة وان ذلك من دأب الكلب فانه يبصبص فى انتظار لقمة والطمع فيها و بالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما و يحذر منهما اكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما اضر من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر ايضا و ينبغي أن يعود ان لا يبصق فى مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل و يعلم كيفية الجلوس و يمنع كثرة الكلام و يبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وانه فعل ابناء اللئام و يمنع اليمين رأسا صادقا كان او كاذبا حتى لا يعتاد ذلك فى الصغر و يمنع ان يبتدىء بالكلام و يعود ان لا يتكلم الا جوابا و بقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو اكبر منه سنا وان يقوم لمن فوقه و يوسع له المكان و يجلس بين يديه و يمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجرى على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسرى لا محالة من القرناء السوء واصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء و ينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر و يذكر له ان ذلك دأب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان و ينبغي ان يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب فى اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما يميت قلبه و يبطل ذكاءه و ينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأسا و ينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر منه سنا من قريب واجنبي وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز فينبغي ان لا يسامح فى ترك الطهارة والصلاة و يؤمر بالصوم فى بعض ايام رمضان و يجنب لبس الديباج والحرير والذهب و يعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع و يخوف من السرقة واكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك فى الصبا فمهما قارب البلوغ امكن ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة ادوية وانما المقصود منها ان يقوى الانسان بها على طاعة الله عز وجل وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها

ابن العوام قال نادى مناد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اللهم اغفر للذين يدعون لاموات امتي ولا يتكلفون ألا انى بريء من التكلف وصالحو امتي * وروى ان عمر رضي الله عنه قرأ قوله تعالى فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا ثم قال هذا كله قد عرفناه فما الاب قل وبيد عمر عصاه فضرب بها الارض ثم قال هذا لعمر الله هو التكلف فخذوا ايها الناس ما بين لكم منه فما عرفتم اعملوا به ومن لم تعرفوا فكلوا علمه الى الله * ومن اخلاق الصوفية الانفاق من غير اقتار وترك الادخار وذلك ان الصوفي يرى خزائن فضل الحق فهو بمثابة من

وان الموت يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وأن الآخرة دار مقر لا دار ممر وان الموت منتظر فى كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع نعيمه فى الجنان فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت فى قلبه كما يثبت النقش فى الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فأوائل الامور هى التى ينبغى أن تراعى فان الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وانما أبواه يميلان به الى أحد الجانبين قال صلى الله عليه وسلم (١) كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه قال سهل بن عبد الله التسترى كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فانظر الى صلاة خالى محمد بن سوار فقال لى يوما ألا تذكر الله خلقك فقلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند تقلبك فى ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معى الله ناظر الى الله شاهدى فقلت ذلك ليالى ثم أعلمته فقال قل فى كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة احدى عشر مرة فقلته فوقع فى قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لى خالى احفظ ما علمتك ودم عليه الى أن تدخل القبر فانه ينفعك فى الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة فى سرى ثم قال لى خالى يوما يا سهل من كان الله معه وناظرا اليه وشاهده أيعصيه اياك والمعصية فكنت أخلو بنفسي فبعثوا بى الى المكتب فقلت انى لأخشى أن يتفرق على همى ولكن شارطوا المعلم انى أذهب اليه ساعة فأتعلم ثم أرجع فمضيت الى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتى من خبز الشعير اثنتى عشرة سنة فوقعت لى مسئلة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلى أن يبعثونى الى أهل البصرة لأسأل عنها فأتيت البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد عنى شيأ فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بابى حبيب حمزة بن أبى عبد الله العبادانى فسألته عنها فاجابنى فاقمت عنده مدة أنتفع بكلامه وأتادب بآدابه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتى اقتصادا على أن يشترى لى بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبزلى فافطر عند السحر على اوقية كل ليلة بحتا بغير ملح ولا أدم فكان يكفينى ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسيح فى الأرض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت أقوم الليل كله ماشاء الله تعالى قال أحمد فما رأيته أكل الملح حتى لقى الله تعالى

﴿ بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد فى سلوك سبيل الرياضة ﴾

واعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كانت عنده خرزة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة فى الخرزة وقويت ارادته فى بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حرث الآخرة ولا طالبا للقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر ولست اعنى بالايمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتى الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهى قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدرى من الجوهرة الا لفظها واما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا ألف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذا المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله تعالى الهادين الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الاخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا فى شهواتهم وغاصوا فى رقدتهم وليس فى علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله تعالى من السالكين فيه ومهما كان

---

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث ابى

هو مقيم على شاطئ بحر والمقيم على شاطئ البحر لا يدخر الماء فى قربته وراويته (روى) ابو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مامن يوم الا له ملكان يناديان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا وروى انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيأ لغد وروى انه اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر فاطعم خادمه طيرا فلما كان الغد اتاه به فقال رسول الله الم انهك ان تخبأ شيأ لغد فان الله تعالى ياتى برزق كل غد وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على بلال وعنده صبرة من

عن نبي من الانبياء ضربه قومه

المطلوب

المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان تنبه متنبه من نفسه أومن تنبيه غيره وانبعث له ارادة فى حرث الآخرة وتجارتها فينبغى أن يعلم أن له شروطا لابد من تقديمها فى بداية الارادة وله معتصم لابد من التمسك به وله حصن لابد من التحصن به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لابد من ملازمتها فى وقت سلوك الطريق * أما الشروط التى لابد من تقديمها فى الارادة فهى رفع السد والحجاب الذى بينه و بين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون والسد بين المريد و بين الحق أربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له الاقدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وايثار الخمول والهرب من أسباب الذكر وتعاطى أعمال تنفر قلوب الخلق عنه وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وأن يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان و يحرص فى تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر فى معنى اعتقاده الذى تقلفه تقليدا فينبغى أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق فى نفسه متسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين أصلا وأما المعصية فهى حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصى الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عربية القرآن لابد من تقديمها أولا ثم الترقى منها الى أسرار معانيه فكذلك لابد من تصحيح ظاهر الشريعة أولا وآخرا ثم الترقى الى أغوارها وأسرارها فاذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج الى امام يقتدى به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ وأستاذ يقتدى به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه لا محالة فمن سلك سبل البوادى المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها و يكون المستقل بنفسه كالشجرة التى تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة وأورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره اليه بالكلية ولا يخالفه فى ورده ولا صدره ولا يبقى فى متابعته شيأ ولا يذر وليعلم ان نفعه فى خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه فى صواب نفسه لو أصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه أن يحميه و يعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور * الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه و يصلح لقربه اما الجوع فانه ينقص دم القلب و يبيضه وفى بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفى ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات وقال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبد الله التسترى ماصار الابدال ابدالا الا باربع خصال باخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع فى تنوير القلب امر ظاهر يشهد له التجربة وسيأتى بيان وجه التدريج فيه فى كتاب كسر الشهوتين وأما السهر فانه يجلو القلب و يصفيه و ينوره فيضاف ذلك الى الصفاء الذى حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدرى والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات فى الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها فتتم بذلك رغبته عن الدنيا واقباله على الآخرة والسهر أيضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسى القلب و يميته الا اذا كان بقدر الضرورة

تمر فقال ما هذا يابلال فقال أدخر يارسول الله قال أما تخشى أنفق بلالا ولا تخش من ذى العرش اقلالا وروى ان عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم كان يأكل الشجر و يلبس الشعر و يبيت حيث أمسى ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يخبأ شيأ لغد فالصوفى كل خباياه فى خزائن الله لصدق توكله وثقته بربه فالدنيا للصوفى كدار الغربة ليس له فيها ادخار ولا له منها استكثار قال عليه السلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبى عبد الله الماليني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودى

قال أنا أبو محمد عبدالله السرخسي قال انا أبو عمران السمرقندي قال انا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال انا محمد بن يوسف عن سفيان عن ابن المنكدر عن جابر قال ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا قال ابن عيينة اذا لم يكن عنده وعد وبالاسناد عن الدارمي قال انا يعقوب بن حميد قال انا عبد العزيز بن محمد عن ابن اخي الزهري قال ان جبريل عليه السلام قال ما في الارض أهل عشيرة من ابيات الا قلبتهم فما وجدت احدا أشد انفاقا لهذا المال من رسول الله صلى الله عليه وسلم * ومن اخلاق الصوفية القناعة باليسير من الدنيا (قال ذوالنون المصري)

فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابراهيم الخواص رحمه الله أجمع رأى سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء * واما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير أمره فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلوب الى الكلام عظيم فانه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح اليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى * وأما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب اليه مياه كريهة كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر اصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر وكيف يصح له أن ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص فلابد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك الا بالخلوة في بيت مظلم وان لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية أما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة (1) فقيل له ياايها المزمل ياايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن بها تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله تعالى الا صفات القلب التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهي تلك الصفات اعني اسرار العلائق التي قطعها في اول الارادة وآثارها اعني المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصي فلابد أن يخلي الباطن عن آثارها كما أخلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص قد كفي أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفي ذلك أو ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها أعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره ولا يشغله به مادام قلبه ملتفتا الى علائقه قال الشبلي للحصري ان كان يخطر بقلبك من الجمعة التي تأتيني فيها الى الجمعة الاخرى شيء غير الله تعالى فحرام عليك ان تاتيني وهذا التجرد لا يحصل الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له الا هم واحد فاذا كان كذلك ألزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله أو سبحان الله سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الاثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ عن كل ماسواه لان القلب اذا اشتغل بشيء خلا عن غيره اي شيء كان فاذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه ان يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من أحواله واحوال غيره

(1) حديث بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مدثر فقيل له يا أيها المزمل يا ايها المدثر متفق عليه من حديث جابر جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني الحديث وفيه فاتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا على الماء باردا فدثروني وصبوا على ماء باردا قال فنزلت يا أيها المدثر وفي رواية فقلت زملوني زملوني ولهما من حديث عائشة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع

هريرة

فانه

فانه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان ايضا نقصانا فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وانها ما هي وما معنى قولنا الله ولاي معنى كان الهاً وكان معبودا و يعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر و بدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم تضره ذلك وهي منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه و يجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالي به و يفزع الى ذكر الله تعالى و يبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك فيه فينبغي ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الاحوال من فترة او نشاط او التفات الى علقة او صدق في ارادة فينبغي ان يظهر ذلك لشيخه وان يستره عن غيره فلا يطلع عليه احد ثم ان شيخه ينظر في حاله و يتامل في ذكائه وكياسته فلو علم أنه لو تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق فينبغي ان يحيله على الفكر و يامره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد القاطع بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه و ينبغي ان يتانق الشيخ و يتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواضع اخطارها فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان أخطأ كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) عليكم بدين العجائز وهو تلقي اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير ولذلك قيل يجب على الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله بركتهم فان العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي ان يسقي القوم و يتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الاحوال وما يبدو من اوائل الكرامات ومهما التفت الى شيء من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك فتورا في طريقه ووقوفا بل ينبغي ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو افيضت عليه و يدوم على ذلك ورأس ماله الانقطاع عن الخلق الى الحق والخلوة قال بعض السياحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق فقال ان تكون في الدنيا كأنك عابر طريق وقال مرة قلت له دلني على عمل اجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لي لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قال قلت هذا لعله قال يا هذا اتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام هذا ما لا يكون ابدا فاذا منتهى الرياضة ان يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك الا بان يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من

---

(١) حديث عليكم بدين العجائز قال ابن طاهر في كتاب التذكرة هذا اللفظ تداوله العامة ولم اقف له على اصل يرجع اليه من رواية صحيحة ولا سقيمة حتى رايت حديثا لمحمد بن عبد الرحمن بن السلماني عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان في آخر الزمان واختلف الاهواء فعليكم بدين اهل البادية والنساء وابن السلماني له عن ابيه عن ابن عمر نسخة كان يتهم بوضعها انتهى وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه حب في الضعفاء في ترجمة ابن السلماني والله اعلم

من قنع استراح من اهل زمانه واستطال على أقرانه وقال بشر ابن الحرث لو لم يكن في القناعة الا التمتع بالعز لكفى صاحبه وقال بنان الحمال الحر عبد ما طمع والعبد حر ما قنع وقال بعضهم انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص وقال أبو بكر المراغي العاقل من دبر امر الدنيا بالقناعة والتسويف ودبر امر الآخرة بالحرص والتعجيل وقال يحيى بن معاذ من قنع بالرزق فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه (وقال) امير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه القناعة سيف لا ينبو (اخبرنا) ابو زرعة عن ابيه ابى الفضل قال انا ابو القاسم عبد الله بن الحسن

لطائف الله تعالى مالا يجوز ان يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا واذا انكشف للمريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا و يتصدى للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة الى ان يتفكر فى كيفية ايراد تلك المعانى وتحسين الالفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والاخبار وتحسين صنعة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع فربما يخيل اليه الشيطان ان هذا احياء منك لقلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى وانما انت واسطة بين الله تعالى و بين الخلق تدعو عباده اليه ومالك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة و يتضح كيد الشيطان بان يظهر فى اقرانه من يكون احسن كلاما منه وأجزل لفظا وأقدر على استجلاب قلوب العوام فانه يتحرك فى باطنه عقرب الحسد لا محالة ان كان محركه كيد القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله تعالى الى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه و يقول الحمد لله الذى عضدنى وأيدنى بمن وازرنى على اصلاح عباده كالذى وجب عليه مثلا ان يحمل ميتا ليدفنه اذ وجد ضائعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من أعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد من يعينه والغافلون موتى القلوب والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ففى كثرتهم استرواح وتناصر فينبغى أن يعظم الفرح بذلك وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي أن يكون المريد على حذر فانه اعظم حبائل الشيطان فى قطع الطريق على من انفتحت له أوائل الطريق فان ايثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا ثم بين ان الشر قديم فى الطباع وان ذلك مذكور فى الكتب السالفة فقال ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته فى التدريج الى لقاء الله تعالى فاما تفصيل الرياضة فى كل صفة فسيأتى فان اغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه أعنى به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذى هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما أحب الانسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما احب الدنيا ولم يتمكن منها الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين أن نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب ان شاء الله تعالى كتاب فى كسر شهوة البطن والفرج وكتاب فى آفات اللسان وكتاب فى كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب فى ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب فى كسر حب المال وذم البخل وكتاب فى ذم الرياء وحب الجاه وكتاب فى ذم الكبر والعجب وكتاب فى مواقع الغرور وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى فان ماذكرناه فى الكتاب هو شرح لصفات القلب الذى هو معدن المهلكات والمنجيات وماذكرناه فى الكتاب الثانى هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فانه يأتى فى هذه الكتب ان شاء الله تعالى تم كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء وماتوفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

كتاب كسر الشهوتين وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالجلال فى كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به و يسديه المتكفل بحفظ عبده فى جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفى بامانيه فهو الذى يرشده و يهديه وهو الذى يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذى يوفقه للطاعة ويرتضيه وهو الذى يطعمه

الخلال ببغداد قال أنا أبو حفص عمر بن ابراهيم قال حدثنا ابو القاسم البغوى قال حدثنا محمد بن عباد قال حدثنا ابو سعيد عن صدقة بن الربيع عن عمارة بن غزية عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الاعواد يقول ماقل وكفى خير مما كثر وألهى (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافا ثم صبر عليه (وروى أبو هريرة) رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا وقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا (وروى جابر) رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه

و يسقيه و يحفظه من الهلاك و يحميه و يحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه و يرديه و يمكنه من القناعة
بقليل القوت و يقربه حتى تضيق به مجارى الشيطان الذى يناويه و يكسر به شهوة النفس التى تعاديه
فيدفع شرها ثم يعبد ربه و يتقيه هذا بعد ان يوسع عليه مايلتذ به و يشتهيه و يكثر عليه مايهيج بواعثه و يؤكد
دواعيه كل ذلك يمتحنه به و يبتليه فينظر كيف يؤثره على مايهواه و ينتحيه وكيف يحفظ اوامره و ينتهى عن
نواهيه و يواظب على طاعته و ينزجر عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلاة تزلفه
وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته واقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه ﴿ امابعد ﴾ فاعظم
المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها اخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ
نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات
ومنبت الادواء والافات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح
شدة الرغبة فى الجاه والمال اللذين هما وسيلة الى التوسع فى المنكوحات والمطعومات ثم يتبع استكثار المال
والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد بينهما افة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر
والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضى ذلك بصاحبه الى اقتحام البغى
والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة ومايتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع
وضيق به مجارى الشيطان لأذعنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى
الانهماك فى الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن
الى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها
ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى فى فصول يجمعها بيان
فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتاخير ثم بيان اختلاف
حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس ثم بيان الرياضة فى ترك الشهوة ثم القول فى شهوة الفرج ثم بيان ماعلى
المريد فى ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة البطن والفرج والعين

﴿ بيان فضيلة الجوع وذم الشبع ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الاجر فى ذلك كاجر المجاهد فى سبيل الله
وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم (٢) لا يدخل ملكوت
السماء من ملأ بطنه وقيل يارسول الله (٣) اى الناس افضل قال من قل مطعمه وضحكه ورضى بما يستر به عورته وقال
النبي صلى الله عليه وسلم (٤) سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدرى قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم (٥) البسوا وكلوا واشربوا فى انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن قال النبي صلى
الله عليه وسلم (٦) الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هى العبادة وقال الحسن ايضا (٧) قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم افضلكم عند الله منزلة يوم القيامة اطولكم جوعا وتفكرا فى الله سبحانه وابغضكم عند الله عز وجل يوم
القيامة كل نؤم اكول شروب وفى الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم (٨) كان يجوع من غير عوز اى مختاراً لذلك

---

(١) حديث جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش لم اجد له اصلا (٢) حديث ابن عباس لا يدخل ملكوت السموات
من ملأ بطنه لم اجده ايضا (٣) حديث اى الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضى بما يستر عورته ياتى الكلام عليه
وعلى ما بعده من الاحاديث (٤) حديث سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف (٥) حديث ابى سعيد الخدرى
البسوا واشربوا وكلوا فى انصاف البطون (٦) الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هى العبادة (٧) حديث الحسن
افضلكم عند الله اطولكم جوعا وتفكراً الحديث لم اجد لهذه الاحاديث المتقدمة اصلا (٨) حديث كان يجوع من
غير عوز اى مختاراً لذلك البيهقى فى شعب الايمان من حديث عائشة قالت لوشئنا ان نشبع لشبعنا ولكن محمداً صلى

قال القناعة مال لا ينفد (وروى) عن عمر رضى الله عنه أنه قال كونوا أوعية الكتاب و ينابيع الحكمة وعدوا أنفسكم فى الموتى واسألوا الله تعالى الرزق يوما بيوم ولا يضركم أن لا يكثر لكم ﴿وأخبرنا﴾ أبو زرعة طاهر عن أبى الفضل والده قال أنا ابو القاسم اسمعيل بن عبد الله الشاوى قال انا احمد بن على الحافظ قال انا ابو عمرو بن حمدان قال حدثنا الحسن ابن سفيان قال حدثنا عمرو بن مالك البصرى قال حدثنا مروان ابن معاوية قال حدثنا عبد الرحمن ابن ابى سلمة الانصارى قال اخبرنى سلمة بن عبد الله بن محصن عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح آمنا فى

وقال صلى الله عليه وسلم [١] ان الله تعالى يباهي الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه في الدنيا يقول الله تعالى انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركهما اشهدوا ياملائكتي مامن أكلة يدعها الا أبدلته بها درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم [٢] لاتميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال صلى الله عليه وسلم [٣] ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة [٤] الطويل ذكر فضيلة الجوع اذ قال فيه ان أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاحفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل افترش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوها هم تبكى الارض اذا فقدتهم ويسخط الجبار على كل بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وماذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا أسامة اذا رأيتهم في بلدة فاعلم أنهم أمان لاهل تلك البلدة ولا يعذب الله قوما هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى أن تنجو بهم وان استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلى عليك الجبار * روى الحسن عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال [٥] البسوا الصوف وشمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء وقال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروى ذلك أيضا عن نبينا صلى الله عليه وسلم رواه طاوس [٦] وقيل مكتوب في التوراة ان الله ليبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه ان الله تعالى يبغض القارىء السمين وفي خبر مرسل [٧] ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر [٨] ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه وسلم [٩] المؤمن يأكل في معى واحد والمنافق يأكل في سبعة أمعاء أي يأكل سبعة اضعاف مايأكل المؤمن أو تكون شهوته سبعة اضعاف شهوته وذكر المعى كناية عن الشهوة لان

سره به معافى في بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا (وقيل) في تفسير قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة هي القناعة فالصوفي قوام على نفسه بالقسط عالم بطبائع النفس وجدوى القناعة والتوصل الى استخراج ذلك من النفس لعلمه بدائها ودوائها (وقال ابو سليمان) الداراني القناعة من الرضا كما ان الورع من الزهد * ومن اخلاق الصوفية ترك المراء والمجادلة والغضب الا بحق واعتماد الرفق والحلم وذلك ان النفوس تثب وتظهر في المارين والصوفي كلما رأى نفس صاحبه ظاهرة قابلها بالقلب واذا قوبلت النفس بالقلب ذهبت الوحشة وانطفأت الفتنة قال الله

الله عليه وسلم كان يؤثر على نفسه واسناده معضل (١) حديث ان الله يباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا الحديث ابن عدى في الكامل وقد تقدم في الصيام (٢) حديث لاتميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب الحديث لم اقف له على اصل (٤) حديث ماملا ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث ت من حديث المقدام وقد تقدم (٣) حديث اسامة بن زيد وابي هريرة اقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه الحديث بطوله الخطيب في الزهد من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبل على اسامة بن زيد فذكره مع تقديم وتأخير ومن طريقه رواه ابن الجوزى في الموضوعات وفيه حباب بن عبد الله بن جبلة احد الكذابين وفيه من لا يعرف وهو منقطع ايضا ورواه الحارث بن ابى اسامة من هذا الوجه (٥) حديث الحسن عن ابى هريرة البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء ابومنصور الديلمى في مسند الفردوس بسند ضعيف (٦) حديث طاوس مرسلا اجيعوا اكبادكم الحديث لم اجده ايضا (٧) حديث ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم الحديث تقدم في الصيام دون الزيادة التي في آخره وذكر المصنف هنا انه مرسل والمرسل رواه ابن ابى الدنيا في مكايد الشيطان من حديث على بن الحسين دون الزيادة ايضا (٨) حديث ان الاكل على الشبع يورث البرص لم اجد له اصلا (٩) حديث المؤمن يأكل في معى واحد

الشهوة

الشهوة هى التى تقبل الطعام وتاخذه كما ياخذه المعى وليس المعنى زيادة عدد معى المنافق على معى المؤمن وروى الحسن عن عائشة رضى الله عنها انها قالت (١) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ادیموا قرع باب الجنة يفتح لكم فقلت كيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما وروى (٢) ان اباجحيفة تجشأ فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اقصر من جشائك فان اطول الناس جوعا يوم القيامة اكثرهم شبعا فى الدنيا وكانت عائشة رضى الله عنها تقول (٣) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما ارى به من الجوع فامسح بطنه بيدى واقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع فيقول يا عائشة اخوانى من اولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدنى استحى ان ترفهت فى معيشتى ان يقصر بى غدا دونهم فالصبر اياما يسيرة احب الى من ان ينقص حظى غدا فى الآخرة وما من شئ احب الى من اللحوق باصحابى واخوانى قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله اليه وعن انس قال (٤) جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسى حتى اتيتك منه بهذه الكسرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة ايام وقال ابو هريرة (٥) ما اشبع النبى صلى الله عليه وسلم اهله ثلاثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم (٦) ان اهل الجوع فى الدنيا هم اهل الشبع فى الآخرة وان ابغض الناس الى الله المتخمون الملأى وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت له درجة فى الجنة (اما الآثار) فقد قال عمر رضى الله عنه اياكم والبطنة فانها ثقل فى الحياة نتن فى الممات وقال شقيق البلخى العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلتها المجاعة وقال لقمان لابنه يا بنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه اى شئ تخافين اتخافين ان تجوعى لا تخافى ذلك انت اهون على الله من ذلك انما يجوع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكان كهمس يقول الهى اجعتنى واعريتنى وفى ظلم الليالى بلا مصباح أجلستنى فبأى وسيلة بلغتنى ما بلغتنى وكان فتح الموصلى اذا اشتد مرضه وجوعه يقول الهى أبليتنى بالمرض والجوع وكذلك تفعل باوليائك فبأى عمل أؤدى شكر ما أنعمت به على وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غلية تقوته وتغنيه عن الناس فقال لى يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح جائعا وهو عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول الهى أجعتنى وأجعت عيالى وتركتنى فى ظلم الليالى بلا مصباح وانما تفعل ذلك باوليائك فباى منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفى التوراة اتق الله واذا شبعت فاذكر الجياع وقال ابو سليمان لان اترك لقمة من عشائى احب الى من قيام ليلة الى

والكافر يأكل فى سبعة امعاء متفق عليه من حديث عمر وحديث ابى هريرة (١) حديث الحسن عن عائشة اديموا قرع باب الجنة الحديث لم اجده ايضا (٢) حديث ان اباجحيفة تجشأ فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقصر من جشائك فان اطول الناس جوعا يوم القيامة اكثرهم شبعا فى الدنيا البيهقى فى الشعب من حديث ابى جحيفة واصله عند ت وحسنه وه من حديث ابن عمر تجشأ رجل الحديث لم يذكر اباجحيفة (٣) حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ شبعا قط وربما بكيت رحمة له مما ارى به من الجوع الحديث لم اجده ايضا (٧) (٤) حديث انس جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث الحارث بن ابى اسامة فى مسنده بسند ضعيف (٥) حديث ابى هريرة ما شبع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا اخرجه م وقد تقدم (٦) حديث ان اهل الجوع فى الدنيا هم اهل الشبع فى الآخرة طب وابو نعيم فى الحلية

---

(٧) وجد بهامش العراقى ما يأتى قلت: بل له اصل اخرجه ابو موسى المدينى مطولا فى كتاب استحلاء الموت واورد منه عياض فى الشفاء اه

تعالى تعليما لعباده ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم ولا ينتزع المراء الا من نفوس زكية انتزع منها الغل ووجود الغل فى النفوس مراء الباطن واذا انتزع المراء من الباطن ذهب من الظاهر ايضا وقد يكون الغل فى النفس مع من يشاكله ويماثله لوجود المنافسة ومن استقصى فى تذويب النفس بنار الزهادة فى الدنيا ينمحى الغل من باطنه ولا تبقى عنده منافسة دنيوية فى حظوظ عاجلة من جاه ومال قال الله تعالى فى وصف اهل الجنة المتقين ونزعنا ما فى صدورهم من غل قال ابو حفص كيف يبقى الغل فى قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبته

الصبح وقال أيضا الجوع عندالله فى خزائنه لا يعطيه الا من أحبه وكان سهل بن عبد الله التسترى يطوى نيفا وعشرين يوما لا يأكل وكان يكفيه لطعامه فى السنة درهم وكان يعظم الجوع و يبالغ فيه حتى قال لا يوافى القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فى أكله وقال لم ير الا كياس شيأ أنفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا أعلم شيأ أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال وضعت الحكمة والعلم فى الجوع ووضعت المعصية والجهل فى الشبع وقال ماعبدالله بشىء أفضل من مخالفة الهوى فى ترك الحلال وقد جاء فى الحديث (١) ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما يأكل من حسناته وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب اليه من الأكل و يكون اذا جاع ليلة سال الله أن يجعلها ليلتين فاذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ماصار الابدال ابدالا الا باخماص البطون والسهر والصمت والخلوة وقال رأس كل بر نزل من السماء الى الأرض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله عز وجل على العبد بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد وقال مامر على وجه الارض أحد شرب من هذا الماء حتى روى فسلم من المعصية وان شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام وسئل حكيم باى قيد أقيد نفسى قال قيدها بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة واكسرها بترك زى القراء عن ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سوء الظن بها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى أن الله تعالى ماصافى أحدا الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا به ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ولا تولاهم الله تعالى الا بالجوع وقال أبو طالب المكى مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه أجوف غير ممتلىء وكذلك الجوف اذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للمنام وقال ابو بكر بن عبدالله المزنى ثلاثة يحبهم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الاكل قليل الراحة وروى أن عيسى عليه السلام مكث يناجى ربه ستين صباحا لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكى على فقد المناجاة واذا شيخ قد أظله فقال له عيسى بارك الله فيك ياولى الله ادع الله تعالى لى فانى كنت فى حالة فخطر ببالى الخبز فانقطعت عنى فقال الشيخ اللهم ان كنت تعلم أن الخبز خطر ببالى منذ عرفتك فلا تغفر لى بل كان اذا حضر لى شىء أكلته من غير فكر وخاطر وروى أن موسى عليه السلام لما قربه الله عز وجل نجيا كان قد ترك الاكل أربعين يوما ثلاثين ثم عشرا على ماورد به القرآن لانه أمسك بغير تبييت يوما فزيد عشرة لاجل ذلك

﴿ بيان فوائد الجوع وآفات الشبع ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الاجر فى ذلك ولعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وماسببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغى أن يعظم الاجر فى كل مايتاذى به الانسان من ضربه لنفسه وقطعه للحمه وتناوله الاشياء المكروهة ومايجرى مجراه فاعلم أن هذا يضاهى قول من شرب دواء فانتفع به وظن ان منفعته لكراهة الدواء ومرارته فاخذ يتناول كل ما يكرهه من المذاق وهو غلط بل نفعه فى خاصية فى الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء فى الشرع من مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف علة المنفعة كما أن من شرب الدواء انتفع به وان لم يعلم وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان أردت أن ترتقى من درجة الايمان الى درجة العلم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فنقول فى الجوع عشر فوائد (الفائدة الاولى) صفاء القلب وايقاد القريحة وانفاذ البصيرة فان الشبع يورث

من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (١) حديث ثلث للطعام تقدم

(٧) حديث جاهدوا أنفسكم لم يخرجه العراقى

واجتمعت على مودته وأنست بذكره فان تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع بل كحلت بنور التوفيق فصارت اخوانا فهكذا قلوب أهل التصوف والمجتمعين على الكلمة الواحدة ومن التزم بشروط الطريق والانكباب على الظفر بالتحقيق * والناس رجلان رجل طالب ماعند الله تعالى و يدعو الى ماعند الله نفسه وغيره فما للمحقق الصوفى مع هذا منافسة ومراء وغل فان هذا معه فى طريق واحد ووجهة واحدة وأخوه ومعينه والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا ورجل مفتتن بشىء من محبة الجاه والمال والرياسة ونظر الخلق فما للصوفى مع هذا منافسة

البلادة و يعمى القلب و يكثر البخار فى الدماغ شبه السكر حتى يحتوي على المعادن والفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان فى الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا أكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والادراك وقال ابو سليمان الدارانى عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوى وقال صلى الله عليه وسلم (١) أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق و يقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالمطر وقال النبي صلى الله عليه وسلم (٢) من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم (٣) من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شىء زكاة وزكاة البدن الجوع وقال الشبلى ماجعت لله يوما الا رأيت فى قلبي بابا مفتوحا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فبالحرى ان تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يابنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال ابو يزيد البسطامى الجوع سحاب فاذا جاع العبد امطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم (٤) نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عزوجل الشبع والقربة الى الله عز وجل حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فتطفؤا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات فى خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح (الفائدة الثانية) رقة القلب وصفائه الذى به يتهيأ لادراك لذة المثابرة والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كان بينه و بينه حجابا من قسوة القلب وقد يرق فى بعض الاحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه وقال ابو سليمان الدارانى احلى ماتكون الى العبادة اذا التصق ظهرى ببطنى وقال الجنيد يجعل احدهم بينه و بين صدره مخلاة من الطعام و يريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمان اذا جاع القلب وعطش صفا ورق واذا شبع عمى وغلظ فاذا تاثر القلب بلذة المناجاة امر وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهى فائدة ثانية (الفائدة الثالثة) الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذى هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تذل بشىء كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذا ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقيمة طعام فاتتها وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تاخرت عنها ومالم يشاهد الانسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا قهره وانما سعادته فى أن يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولاجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي صلى الله عليه وسلم (٥) قال لا بل اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب النار واصله الشبع والذل والانكسار باب من ابواب الجنة واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان كالشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الآخر (الفائدة الرابعه) ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائع و ينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء من غيره الا و يتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق فى عرصات القيامة ومن جوعه جوع اهل

(١) حديث احيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق لم اجد له اصلا (٢) حديث من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه كذلك لم اجد له اصلا (٣) حديث من شبع ونام قسا قلبه ثم قال ان لكل شىء زكاة وان زكاة الجسد الجوع من حديث ابى هريرة لكل شىء زكاة وزكاة الجسد الصوم واسناده ضعيف (٤) حديث نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع الحديث ذكره ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى هريرة وكتب عليه انه مسند وهى علامة ما رواه باسناده (٥) حديث اجوع يوما واشبع يوما الحديث تقدم وهو عند ات

لأنه زهد فيما فيه رغب فمن شأن الصوفى ان ينظر الى مثل هذا نظر رحمة وشفقة حيث يراه محجوبا مفتتنا فلا ينطوى له على غل ولا يماريه فى الظاهر على شىء لعلمه بظهور نفسه الامارة بالسوء فى المراء والمجادلة (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال انا ابو نصر الترياقى قال انا ابو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال انا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا زياد ابن ايوب قال حدثنا المحاربى عن ليث عن عبد الملك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمار اخاك ولا تعده موعدا فتخلفه وفى الخبر من ترك المراء

النار حتى انهم ليجوعون فيطعمون الضريع والزقوم و يسقون الغساق والمهل فلاينبغي أن يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فانه هوالذى يهيج الخوف فمن لم يكن فى ذلة ولا علة ولا بلاء نسى عذاب الآخرة ولم يتمثل فى نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي أن يكون العبد فى مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء وأولى مايقاسيه من البلاء الجوع فان فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الاسباب الذى اقتضى اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفى يدك خزائن الارض فقال أخاف ان أشبع فأنسى الجائع فذكر الجائعين والمحتاجين احدى فوائد الجوع فان ذلك يدعو الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشبعان فى غفلة من ألم الجائع (الفائدة الخامسة) وهى من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصى كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء فان منشأ المعاصى كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها فى ان يملك الرجل نفسه والشقاوة فى أن تملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس كما قيل لبعضهم مابالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح بى فيورطنى فلأن أحمله على الشدائد احب الى من ان يحملنى على الفواحش وقال ذوالنون ماشبعت قط الا عصيت أو هممت بمعصية وقالت عائشة رضى الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هى خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأقل مايندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم * واماشهوة الفرج فلا تخفى غائلتها والجوع يكفى شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعته التقوى فلايملك عينه فالعين تزنى كما ان الفرج يزنى فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الرديئة وحديث النفس باسباب الشهوة ومايتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك فى أثناء الصلاة وانما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصى الاعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط به شيئا من الشهوات ويأكل فى نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء (الفائدة السادسة) دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولاجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وأجمع رأى سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفى كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد و بلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفى النوم فواتها ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم و يمنعه ذلك أيضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد أخره الى التهجد ثم يحتاج الى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة فى دخول الحمام فان فيه أخطارا ذكرناها فى كتاب الطهارة وكل ذلك اثر الشبع وقد قال أبو سليمان الدارانى الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل فى كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له (الفائدة السابعة) تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما يحتاج الى زمان فى شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردداه الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذا لوصرفها الى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه

وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له فى وسطها ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها (وأخبرنا) شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال انا أبو عبد الرحمن السهروردى محمد ابن ابى عبد الله المالينى قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودى قال أنا أبو محمد عبد الله ابن احمد الجوى قال انا ابو عمران عيسى السمرقندى قال انا ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى قال حدثنا يحيى بن بسطام عن يحيى بن حمزة قال حدثنى النعمان ابن مكحول عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يريد ان يقبل بوجوه الناس اليه أدخله

قال

قال السرى رأيت مع على الجرجانى سو يقا يستف منه فقلت ماحملك على هذا قال انى حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فامضغت الخبز منذار بعين سنة فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضيعه فى المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لاقيمة لها فينبغى أن يستوفى منه خزانة باقية فى الآخرة لا آخرلها وذلك بصرفه الى ذكر الله وطاعته ومن جملة مايتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لكثرة شرب الماء واراقته ومن جملته الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغله بالاكل وأسبابه الى العبادة أرباح كثيرة وانما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقد اشار ابوسليمان الدرانى الى ست آفات من الشبع فقال من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة المناجاة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل (الفائدة الثامنة) يستفيد من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الاخلاط فى المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات و يشوش القلب و يمنع من الذكر والفكر و ينغص العيش و يحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن ونفقات لايخلوالانسان منها بعدالتعب عن أنواع من المعاصى واقتحام الشهوات وفى الجوع مايمنع ذلك كله حكى ان الرشيد جمع أربعة أطباء هندى وروى وعراقى وسوادى وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذى لاداء فيه فقال الهندى الدواء الذى لاداء فيه عندى هو الاهليج الاسود وقال العراقى هو حب الرشاد الابيض وقال الروى هو عندى الماء الحار وقال السوادى وكان اعلمهم الاهليج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخى المعدة وهذا داء قالوا فما عندك فقال الدواء الذى لاداء معه عندى أن لاتأكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم[1] ثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ماسمعت كلاما فى قلة الطعام أحكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم[2] البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم مااعتاد وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لامن ذاك وقال ابن سالم من أكل خبز الحنطة بحتا بأدب لم يعتل الاعلة الموت قيل وما الادب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع وقال بعض افاضل الاطباء فى ذم الاستكثار أن أنفع ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأضر ما أدخل معدته المالح ولان يقلل من المالح خير له من أن يستكثر من الرمان وفى الحديث[3] صوموا تصحوا ففى الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما (الفائدة التاسعة) خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذى تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له آخذا بمخنقه فى كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصى أومن الحلال فيذل وربما يحتاج الى ان يمد أعين الطمع الى الناس وهو غاية الذل والقماءة والمؤمن خفيف المؤنة وقال بعض الحكماء انى لاقضى عامة حوائجى بالترك فيكون ذلك أروح لقلبي وقال آخر اذا أردت ان استقرض من غيرى لشهوة أوزيادة استقرضت من نفسى فتركت الشهوة فهى غير غريم لى وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله يسال اصحابه عن سعر الماكولات فيقال انها غالية فيقول أرخصوها بالترك وقال سهل رحمه الله الاكول مذموم فى ثلاثة احوال ان كان من اهل العبادة فيكسل وان كان

(١) حديث ثلث للطعام تقدم أيضا (٢) حديث البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل بدن بما اعتاد لم اجده اصلا (٣) حديث صوموا تصحوا الطبرانى فى الاوسط وأبو نعيم فى الطب النبوى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

الله تعالى جهنم انظر كيف جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم المراء مع السفهاء سببا لدخول النار وذلك بظهور نفوسهم فى طلب القهر والغلبة والقهر والغلبة من صفات الشيطنة فى الادمى (وقال بعضهم) المجادل المارى يضع فى نفسه عند الخوض فى الجدال ان لا يقنع بشئ ومن لا يقنع الا ان لايقنع فما الى قناعته سبيل فنفس الصوفى تبدلت صفاتها وذهب عنه صفة الشيطنة والسبعية وتبدل باللين والرفق والسهولة والطمأنينة (روى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال والذى نفسى بيده لايسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يامن جاره

مكتسبافلايسلم من الآفان وان كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه و بالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفى تقليل الا كل مايحسم هذه الاحوال كلها وهى أبواب النار وفى حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم أديموا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف فى كل يوم قنع فى سائر الشهوات أيضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله عزوجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وانما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة وأما المحتاج فتلهيه لا محالة (الفائدة العاشرة) أن يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة فى ظل صدقته (١) كما ورد به الخبر فما يأكله كان خزانته الكنيف وما يتصدق به كان خزانته فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو لبس فأبلى فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمة والشبع وكان الحسن رحمة الله عليه اذا تلا قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق التى زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها قال ان أحسنت جوزيت وان أسأت عوقبت فقالت لا ثم عرضها كذلك على الارض فأبت ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه فقد رأيناهم والله اشتروا الامانة بأموالهم فأصابوا آلافا فماذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم وأسمنوا براذينهم وأهزلوا دينهم واتعبوا أنفسهم بالغدو والرواح الى باب السلطان يتعرضون للبلاء وهم من الله فى عافية يقول أحدهم تبيعنى أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا يتكىء على شماله ويأكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى اذا أخذته الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ائتنى بشىء أهضم به طعامى يالكع اطعامك تهضم انما دينك تهضم أين الفقير أين الارملة أين المسكين أين اليتيم الذى أمرك الله تعالى بهم فهذه اشارة الى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام الى الفقير ليدخر به الاجر فذلك خير له من ان يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه (٢) ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فأومأ الى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك أى لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد أدركت أقواما كان الرجل منهم يمسى وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لأكله فيقول والله لا أجعل هذا كله لبطنى حتى أجعل بعضه لله فهذه عشرة فوائد للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائدها فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة ولاجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح فى الاخبار التى رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معانى تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة فاذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة المقلدين فى الايمان والله أعلم بالصواب

❁ بيان طريق الرياضة فى كسر شهوة البطن ❁

اعلم أن على المريد فى بطنه ومأكوله أربع وظائف ❁ الأولى ان لا يأكل الا حلالا فان العبادة مع أكل الحرام كالبناء على امواج البحار وقد ذكرنا ما تجب مراعاته من درجات الورع فى كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام فى القلة والكثرة وتقدير وقته فى الابطاء والسرعة وتعيين الجنس المأكول فى تناول المشتهيات وتركها (أما الوظيفة الاولى) فى تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج فمن

(١) حديث كل امرىء فى ظل صدقته ك من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم (٢) حديث نظر الى رجل سمين البطن فأومأ الى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك أحمد وك فى المستدرك والبيهقى فى الشعب من حديث جعدة الجشمى واسناده جيد

بوائقه انظر كيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم من شرط الاسلام سلامة القلب و اللسان وروى عنه عليه السلام انه مر بقوم وهم يحدون حجرا قال ماهذا قالوا هذا حجر الاشداء قال ألا اخبركم باشد من هذا رجل كان بينه وبين أخيه غضب فاتاه فغلب شيطانه وشيطان اخيه فكلمه وروي انه جاء غلام لابى ذر وقد كسر رجل شاة فقال ابو ذر من كسر رجل هذه الشاة فقال انا قال ولم فعلت ذلك قال عمدا فعلت قال ولم قال أغيظك فتضربنى فتأثم فقال ابو ذر لاغيظن من حضك على غيظى فاعتقه (وروى) الاصمعى عن اعرابى قال اذا اشكل عليك

اعتاد الاكل الكثير وانتقل دفعة واحدة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان يأكل رغيفين مثلا واراد ان يرد نفسه الى رغيف واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص جزأ من ثمانية وعشرين جزأ او جزأ من ثلاثين جزأ فيرجع الى رغيف في شهر ولا يستضر به ولا يظهر اثره فان شاء فعل في ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة و ينقصه عما اكله بالامس ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري رحمة الله عليه اذ قال ان الله استعبد الخلق بثلاث بالحياة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهي الحياة والعقل اكل وافطر ان كان صائما وتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغي ان لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا ورأى ان صلاته قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلاته قائما مع كثرة الاكل وسئل سهل عن بدايته وما كان يقتات به فقال كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبسا وبدرهم دقيق الارز و بدرهم سمنا واخلط الجميع واسوى منه ثلثمائة وستين اكرة آخذ في كل ليلة اكرة افطر عليها فقيل له فالساعة كيف تأكل قال بغير حد ولا توقيت و يحكى عن الرهابين انهم قد يردون انفسهم الى مقدار درهم من الطعام * الدرجة الثانية ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الاربعة منه منا و يشبه ان يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الاكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وقد كان ذلك عادة عمر رضى الله عنه اذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم * الدرجة الثالثة أن يردها الى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس * الدرجة الرابعة ان يزيد على المد الى المن و يشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا أعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان يأكل اذا صدق جوعه و يقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الاغلب ان من لم يقدر لنفسه رغيفا اورغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق و يشتبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احداها أن لا تطلب النفس الادم بل تأكل الخبز وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلبت نفسه خبزا بعينه اوطلبت أدما فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته ان يبصق فلا يقع الذباب عليه اي لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد أن يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا أكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة اربعة امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرناه انه قدر ثلث البطن واحتيج في التمر الى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان ابوذر رضى الله عنه يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه شيأ حتى ألقاه فاني سمعته يقول[1] اقربكم مني مجلسا يوم القيامة واحبكم الى من مات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادامين واختلف عليكم بالوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] وقد كان قوت اهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث و يسقط منه النوى وكان

(١) حديث ابي ذر أقربكم مني مجلسا يوم القيامة واحبكم الى من مات على ماهو عليه اليوم احمد في كتاب الزهد ومن طريقه أبو نعيم في الحلية دون قوله واحبكم الي وهو منقطع (٢) حديث كان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين

أمران لا تدرى ايهما ارشد فخالف أقربهما الى هواك فان أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى (أخبرنا) ابو زرعة عن ابيه ابي الفضل قال انا ابو بكر محمد بن احمد ابن علي قال انا خورشيد قال ثنا ابراهيم بن عبد الله قال ثنا احمد بن محمد بن سليم قال ثنا الزبير ابن بكار قال ثنا سعيد بن سعد عن اخيه عن جده عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث منجيات وثلاث مهلكات . فاما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب والرضا والاقتصاد عند الفقر والغنى واما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالحكم

الحسن رحمة الله عليه يقول المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضارى بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوى بطنه لجاره ولا يؤثر اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لان اكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط (الوظيفة الثانية) فى وقت الاكل ومقدار تأخيره وفيه ايضا اربع درجات * الدرجة العليا ان يطوى ثلاثة ايام فما فوقها وفى المريدين من رد الرياضة الى الطى لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين يوما واربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو العرنى وعبد الرحمن بن ابراهيم ورحيم وابراهيم التيمى وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصى والمسلم بن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله التسترى وابراهيم بن أحمد الخواص وقد كان ابو بكر الصديق رضى الله عنه يطوى ستة أيام وكان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة ايام وكان ابو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا وروى ان الثورى وابراهيم بن ادهم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة قال بعض العلماء من طوى لله اربعين يوما ظهرت له قدرة من الملكوت اى كوشف ببعض الاسرار الالهية وقد حكى ان بعض اهل هذه الطائفة مر براهب فذاكره بحاله وطمع فى اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه فى ذلك كلاما كثيرا الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوى اربعين يوما وان ذلك معجزة لا تكون الا لنبي او صديق فقال له الصوفى فان طويت خمسين يوما تترك ما أنت عليه وتدخل فى دين الاسلام وتعلم انه حق وانك على باطل قال نعم فجلس لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال واز يدك ايضا فطوى الى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن ان احدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب اسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه فى لذته وانساه جوعته وحاجته * الدرجة الثانية ان يطوى يومين الى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة * الدرجة الثالثة وهى ادناها ان يقتصر فى اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة(1) فقد روى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف يأكلون فى كل يوم اكلة(2) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة اياك والسرف فان اكلتين فى يوم من السرف واكلة واحدة فى كل يومين اقتار واكلة فى كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود فى كتاب الله عز وجل ومن اقتصر فى اليوم على اكلة واحدة فيستحب له ان يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون اكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته(3) وفى حديث عاصم بن كايب عن ابيه عن ابى هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى تورم قدماه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد اخر الفطر الى السحر وفى حديث عائشة رضى الله عنها قالت(4) كان النبي صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب الى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب فى التهجد فالاولى ان يقسم طعامه نصفين فان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا عند

اثنين فى كل يوم ك وصحح اسناده من حديث طلحة البصرى (1) حديث ابى سعيد الخدرى كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد لم اجد له اصلا (2) حديث قال لعائشة اياك والاسراف فان اكلتين فى يوم من السرف البيهقى فى الشعب من حديث عائشة وقال فى اسناده ضعف (3) حديث عاصم بن كايب عن ابيه عن ابى هريرة ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى تزلع قدماه رواه ن مختصرا كان يصلى حتى تزلع قدماه واسناده جيد (4) حديث عائشة كان يواصل الى السحر لم اجده من فعله وانما هو من قوله فايكم اراد ان يواصل فليواصل حتى السحر رواه خ من حديث ابى سعيد واما هو فكان يواصل وهو من خصائصه

بالحق عند الغضب والرضا لا يصح الا من عالم ربانى امير على نفسه يصرفها بعقل حاضر وقلب يقظان ونظر الى الله بحسن الاحتساب (نقل) انهم كانوا يتوضؤن عن ايذاء المسلم يقول بعضهم لأن اتوضأ من كلمة خبيثة احب الى من ان اتوضأ من طعام طيب (وقال) عبد الله بن عباس رضى الله عنهما الحدث حدثان حدث من فرجك وحدث من فيك فلا يحل حبوة الوقار والحلم الا الغضب ويخرج عن حد العدل الى العدوان بتجاوز الحد فبالغضب يثور دم القلب فان كان الغضب على من فوقه مما يعجز عن انفاذ الغضب فيه ذهب الدم من ظاهر الجلد واجتمع فى القلب ويصير منه الهم والحزن والانكماد ولا

الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويخف بدنه عند التهجد ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل التسحر فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثانى على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس ان يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق فى مواقيت الاكل وتباعده وتقاربه (الوظيفة الثالثة) فى نوع الطعام وترك الادام وأعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير منخول وأدناه شعير لم ينخل وأعلى الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل وأوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكى طريق الآخرة الامتناع من الادام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان وأكله اقتضى ذلك بطرا فى نفسه وقسوة فى قلبه وأنساله بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة فى حقه ويكون الموت سجنا له واذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا له فاشتهت نفسه الافلات منها فيكون الموت اطلاقها واليه الاشارة بقول يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوعوا أنفسكم لوليمة الفردوس فان شهوات الطعام على قدر تجويع النفس فكل ما ذكرناه من افات الشبع فانه يجري فى كل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب فى ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر فى تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم [1] شرار أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى ان من أكله مرة أو مرتين لم يعص ومن داوم عليه أيضا فلا يعصى بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم فتأنس بالدنيا وتالف اللذات وتسعى فى طلبها فيجرها ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام أمور تلك الامور معاص وقال صلى الله عليه وسلم [2] شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم نبتت عليه اجسامهم وانما همتهم ألوان الطعام وانواع اللباس ويتشدقون فى الكلام وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذكر انك ساكن القبر فان ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الاطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا ان ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى ان وهب بن منبه قال التقى ملكان فى السماء الرابعة فقال احدهما للآخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودى لعنه الله وقال الآخر أمرت باهراق زيت أشتهاه فلان العابد فهذا تنبيه على ان تيسير اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عنى حسابها فلا عبادة لله تعالى اعظم من مخالفة النفس فى الشهوات وترك اللذات كما اوردناه فى كتاب رياضة النفس [3] وقد روى نافع ان ابن عمر رضى الله عنهما كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها وادفعها اليه فقال له الغلام اصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها فقال لفها وادفعها اليه ثم قال الغلام للسائل هل لك ان تاخذ درهما وتتركها قال نعم فاعطاه درهما واخذها وأتى بها فوضعها بين يديه وقال قد اعطيته درهما واخذتها منه فقال لفها وادفعها اليه ولا تاخذ منه الدرهم فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها

---

(١) حديث شرار أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة لم اجد له اصلا (٢) حديث شرار امتي الذين غذوا بالنعيم الحديث ابن عدى فى الكامل ومن طريقه البيهقى فى شعب الايمان من حديث فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلا قال الدارقطني فى العلل انه اشبه بالصواب ورواه ابو نعيم فى الحلية من حديث عائشة باسناد لا بأس به (٣) حديث نافع ان ابن عمر كان مريضا فاشتهى سمكة الحديث وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له ابو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب باسناد ضعيف جدا وزواه ابن الجوزى فى الموضوعات

ينطوى الصوفى على مثل هذا لانه يرى الحوادث والاعراض من الله تعالى فلا ينكمد ولا يغتم والصوفى صاحب الرضا صاحب الروح والراحة والنبي عليه السلام أخبر ان الهم والحزن فى الشك والسخط (سئل) عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما عن الغم والغضب قال مخرجهما واحد واللفظ يختلف فمن نازع من يقوى عليه أظهره غضبا ومن نازع من لا يقوى عليه كتمه حزنا والحرد غضب أيضا ولكن يستعمل اذا قصد المغضوب عليه وان كان الغضب على من يشاكله ويماثله ممن يتردد فى الانتقام منه يتردد القلب بين الانقباض والانبساط فيتولد منه الغل والحقد ولا يأوى مثل

على نفسه غفر الله له وقال صلى الله عليه وسلم (١) اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار اشار الى ان المقصود رد الم الجوع والعطش ودفع ضررهما دون التنعم بلذات الدنيا و بلغ عمر رضى الله عنه ان يزيد بن ابى سفيان يأكل انواع الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه قد حضر عشاؤه فاعلمنى فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه فاتوه بثريد لحم فاكل معه عمر ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف عمر يده وقال الله الله يا يزيد بن ابى سفيان اطعام بعد طعام والذى نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن يسار بن عمير قال ما نخلت لعمر دقيقا قط الا وانا له عاص وروى ان عتبة الغلام كان يعجن دقيقه و يجففه فى الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ فى الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فيغرف به من حب كان فى الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو اعطيتنى دقيقك لخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا ام فلان قد شردت عنى كلب الجوع قال شقيق بن ابراهيم لقيت ابراهيم بن ادهم بمكة فى سوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم يبكى وهو جالس بناحية من الطريق فعدلت اليه وقعدت عنده وقلت ايش هذا البكاء يا ابا اسحق فقال خير فعاودته مرة واثنتين وثلاثا فقال يا شقيق استر على فقلت يا اخى قل ما شئت فقال لى اشتهت نفسى منذ ثلاثين سنة سكباجا فمنعتها جهدى حتى اذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبنى النعاس اذ انا بفتى شاب بيده قدح اخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمتى عنه فقربه وقال يا ابراهيم كل فقلت ما آكل قد تركته لله عز وجل فقال لى قد اطعمك الله كل فما كان لى جواب الا انى بكيت فقال لى كل رحمك الله فقلت قد امرنا ان لا نطرح فى وعائنا الا من حيث نعلم فقال كل عافاك الله فانما اعطيته فقيل لى يا خضر اذهب بهذا واطعمه نفس ابراهيم بن ادهم فقد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من منعها اعلم يا ابراهيم انى سمعت الملائكة يقولون من اعطى فلم يأخذ طلب فلم يعط فقلت ان كان كذلك فها انا بين يديك لاجل العقد مع الله تعالى ثم التفت فاذا انا بفتى آخر ناوله شيا وقال يا خضر لقمه انت فلم يزل يلقمنى حتى نعست فانتبهت وحلاوته فى فمى قال شقيق فقلت ارنى كفك فاخذت بكفه فقبلتها وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات اذا صححوا المنع يا من يقدح فى الضمير اليقين يا من يشفى قلوبهم من محبته اترى لشقيق عبدك حالا ثم رفعت يدا ابراهيم الى السماء وقلت بقدر هذا الكف عندك وبقدر صاحبه وبالجود الذى وجد منك جد على عبدك الفقير الى فضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق ذلك قال فقام ابراهيم ومشى حتى ادركنا البيت وروى عن مالك بن دينار انه بقى اربعين سنة يشتهى لبنا فلم يأكله واهدى اليه يوما رطب فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ اربعين سنة وقال احمد بن ابى الحوارى اشتهى ابو سليمان الدارانى رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرحه واقبل يبكى وقال عجلت الى شهوتى بعد اطالة جهدى واشقوتى قد عزمت على التوبة فاقلنى قال احمد فما رأيته اكل الملح حتى لقى الله تعالى وقال مالك بن ضيغم مررت بالبصرة فى السوق فنظرت الى البقل فقالت لى نفسى لو اطعمتنى الليلة من هذا فاقسمت ان لا اطعمها اياه اربعين ليلة ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما اكل رطبة لاهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا اهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما اكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص منى ولا نقص منى ما زاد فيكم وقال طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسى لبنا منذ اربعين سنة فوالله لا اطعمها حتى الحق بالله تعالى وقال حماد ابن ابى حنيفة اتيت داود الطائى والباب مغلق عليه فسمعته يقول نفسى اشتهيت جزرا فاطعمتك جزرا ثم اشتهيت تمرا فآليت ان لا تأكليه ابدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومر ابو حازم يوما فى السوق فرأى الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التى لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها واتى بها اليه قال لنفسه قد خدعتينى حتى نظرت واشتهيت وغلبتينى حتى اشتريت والله

(١) حديث اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابى هريرة باسناد ضعيف

هذا الى قلب الصوفى قال الله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل وسلامة قلب الصوفى وحاله يقذف زبد الغل والحقد كما يقذف البحر الزبد لما فيه من تلاطم أمواج الانس والهيبة وان كان الغضب على من دونه ممن يقدر على الانتقام منه ثار دم القلب والقلب اذا ثار دمه يحمر ويقسو ويتصلب وتذهب عنه الرقة والبياض ومنه تحمر الوجنتان لان الدم فى القلب ثار وطلب الاستعلاء وانتفخت منه العروق فظهر عكسه وأثره على الخد فيتعدى الحدود حينئذ بالضرب والشتم ولا يكون هذا فى الصوفى الا عند هتك الحرمات والغضب لله تعالى فاما فى غير ذلك فينظر الصوفى عند الغضب الى الله

لاذقتيه فبعث بها الى يتامى من الفقراء * وعن موسى الاشج انه قال نفسي تشتهي ماحاجر يشامنذعشر ين سنة وعن احمد بن خليفة قال نفسي تشتهي منذ عشر ين سنة ماطلبت مني الا الماء حتى تروى فما أر و يتها وروى ان عتبة الغلام اشتهي لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من نفسي ان ادفعها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها وتركتها على رغيف فلقيت صبيا فقلت ألست انت ابن فلان وقد مات ابوك قال بلى فناولته اياها قالوا واقبل يبكي و يقرأ و يطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما واسيرا ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث يشتهي تمراسنين فلما كان ذات يوم اشترى تمرا بقيراط ورفعه الى الليل ليفطر عليه قال فهبت ريح شديدة حتى اظلمت الدنيا ففزع الناس فاقبل عتبة على نفسه يقول هذا لجراءتي عليك وشرائي التمر بالقيراط ثم قال لنفسه ماظن اخذ الناس الا بذنبك على ان لاتذوقيه واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلا و بفلس خلا واقبل ليلته كلها يقول لنفسه و يلك ياداود ما اطول حسابك يوم القيامة ثم لم يأكل بعده الا قفارا وقال عتبة الغلام يوما لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من نفسه منزلة ما اعرفها من نفسي فقال لانك تاكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا قال فان انا تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له بعض اصحابه لا ابكى الله عينك أعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو اذا ترك شيئا لم يعاوده وقال جعفر بن نصر امرني الجنيد ان اشترى له التين الوزيري فلما اشتريته اخذ واحدة عند الفطور فوضعها في فيه ثم القاها وجعل يبكي ثم قال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف بي هاتف اما تستحي تركته من اجلي ثم تعود اليه وقال صالح المرى قلت لعطاء السلمي اني متكلف لك شيئا فلا ترد على كرامتي فقال افعل ماتريد قال فبعثت اليه مع ابني شربة من سويق قد لتته بسمن وعسل فقلت لا تبرح حتى يشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته ولمته على ذلك وقلت سبحان الله رددت على كرامتي فلما رأى وجدي لذلك قال لا يسوءك هذا اني قد شربتها اول مرة وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم اقدر على ذلك كلما اردت ذلك ذكرت قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه الآية قال صالح فبكيت وقلت في نفسي انا في واد وانت في واد آخر وقال السرى السقطي نفسي منذ ثلاثين سنة تطالبني ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر الجلاء اعرف رجلا تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام وأطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوى عشرة ايام ولكن اتركي هذه الشهوة وروى ان عابدا دعا بعض اخوانه فقرب اليه رغفانا فجعل اخوه يقلب الارغفة ليختار اجودها فقال له العابد مه اى شيء تصنع اما علمت ان في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانع حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والرياح والارض والبهائم و بني آدم حتى صار اليك ثم أنت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به وفي الخبر(1) لا يستدير الرغيف و يوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا اولهم ميكائيل عليه السلام الذي يكيل من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي تزجي السحاب والشمس والقمر والافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض وآخرهم الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال بعضهم أتيت قاسما الجرعي فسألته عن الزهد اى شيء هو فقال أى شيء سمعت فيه فعددت أقوالا فسكت فقلت واى شيء تقول انت فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر مايملك من بطنه يملك من الزهد و بقدر مايملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر بن الحرث قد اعتل مرة فاتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شيء يوافقه من المأكولات فقال تسألني فاذا وصفت لك لم تقبل مني قال صف لي حتى اسمع قال اشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل بعد ذلك اسفيذباجا فقال له بشر هل تعلم شيئا اقل من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف قال ماهو قال الهندبا بالخل ثم قال اتعرف شيئا اقل من السفرجل

(1) حديث لا يستدير الرغيف و يوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا اولهم ميكائيل الحديث لم اجد له اصلا

تعالى ثم تقواه تحمله على ان يزن حركته وقوله بميزان الشرع والعدل ويتهم النفس بعدم الرضا بالقضاء (قيل) لبعضهم من اقهر الناس لنفسه قال ارضاهم بالمقدور وقال بعضهم اصبحت ومالي سرور الا مواقع القضاء واذا اتهم الصوفي النفس عند الغضب تداركه العلم واذ لاح علم العلم قوى القلب وسكنت النفس وعاد دم القلب الى موضعه ومقره واعتدل الحال وغاضت حمرة الحد و بانت فضيلة العلم قال عليه السلام السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من اربعة وعشرين جزء من النبوة * وروى حارثة بن قدامة قال قلت يارسول الله اوصني واقلل لعلي اعيه قال لا تغضب فاعاد عليه

كل ذلك يقول لا تغضب قال عليه السلام ان الغضب جمرة من النار ألم تنظروا حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه من وجد ذلك منكم فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليضطجع (اخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال انا أبو الفتح الهروى قال انا ابو نصر الترياقى قال انا الجراحى قال انا المحبوبى قال انا ابو عيسى الترمذى قال حدثنا محمد ابن عبد الله قال حدثنا بشر بن المفضل عن قرة ابن خالد عن ابى حمزة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاشج عبد القيس ان فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والاناة * ومن اخلاق الصوفية التودد والتألف

يقوم مقامه قال لا قال أنا اعرف قال ماهو قال الخرنوب الشامى قال فتعرف شيأ اقل من الاسفيذباج يقوم مقامه قال لا قال انا اعرف ماء الحمص بسمن البقر فى معناه فقال له عبد الرحمن انت اعلم منى بالطب فلم تسالنى فقد عرفت بهذا ان هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوائد التى ذكرناها وفى بعض الاوقات لانهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرخصوا الانفسهم الا فى قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وماوراء الخبز شهوة وهذا هو النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغى أن لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك فى الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان يأكل كل مايشتهيه و يفعل كل مايهواه فينبغى ان لا يواظب على أكل اللحم قال على كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل ان للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغى ان يأكل و يجامع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الأكل لينشط فى الجماع و يستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور و يقسو قلبه لذلك ولكن ليصل أو ليجلس فيذكر الله تعالى فانه اقرب الى الشكر وفى الحديث[1] أذيبوا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم وأقل ذلك ان يصلى اربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزأ من القرآن عقيب أكله فقد كان سفيان الثورى اذا شبع ليلة أحياها واذا شبع فى يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يقول أشبع الزنجى وكده ومرة يقول اشبع الحمار وكده ومهما اشتهى شيأ من الطعام وطيبات الفواكه فينبغى ان يترك الخبز و يأكلها بدلا منه لتكون قوتا ولا تكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة * نظر سهل الى ابن سالم وفى يده خبز وتمر فقال له ابدأ بالتمر فان قامت كفايتك به والا اخذت من الخبز بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا يشتهى الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضا للطافته وكان بعضهم يقول لاصحابه لا تأكلوا الشهوات فان أكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض انواع الخبز شهوة قال عبد الله بن عمر رحمة الله عليهما ماتاتينا من العراق فاكهة احب الينا من الخبز فرأى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة لاسبيل الى اهمال النفس فى الشهوات المباحات واتباعها بكل حال فبقدر ما يستوفى العبد من شهوته يخشى ان يقال له يوم القيامة أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها و بقدر ما يجاهد نفسه و يترك شهوته يتمتع فى الدار الآخرة بشهواته قال بعض أهل البصرة نازعتنى نفسى خبز أرز وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتى لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيته فى المنام فقلت ماذا فعل الله بك قال لا أحسن ان اصف ماتلقانى به ربى من النعم والكرامات وكان اول شئ استقبلنى به خبز أرز وسمكا وقال كل اليوم شهوتك هنيا بغير حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيا بما أسلفتم فى الايام الخالية وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات ولذلك قال ابو سليمان ترك شهوة من الشهوات انفع للقلب من صيام سنة وقيامها وفقنا الله لما يرضيه

(بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف احوال الناس فيه)

اعلم ان المطلوب الاقصى فى جميع الامور والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفى قصد الامور ذميم وما أوردناه من فضائل الجوع ربما يومئ الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة فى المنع منه على وجه يومئ عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغى ان يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان و يحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهى الى الغاية فانه ان اسرف مسرف فى

(١) حديث اذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم طس وابن السنى فى اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف

مضادة الطبع كان فى الشرع أيضا مايدل على اساءته كما ان الشرع بالغ فى الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه (١) فاذا عرفت هذا فاعلم أن الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان يأكل بحيث لايحس بثقل المعدة ولايحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع اصلا فان مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل المعدة يمنع من العبادة وألم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان يأكل اكلا لايبقى للمأكول فيه أثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طالب الآدمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة ألقيت فى وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهى محيطة بها لاتقدر على الخروج منها فلاتزال تهرب حتى تستقر على المركز الذى هو الوسط فلو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط هو أبعد المواضع عن الحرارة التى فى الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطمع للانسان فى الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملائكة فى الخلاص فاشبه أحواله بهم البعد وأبعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا فى جميع هذه الاحوال المتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم (٢) خير الامور أوسطها واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولاتسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف فى نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما فى بداية الامر اذا كانت النفس جموحا متشوفة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لاينفعها بل لابد من المبالغة فى ايلامها بالجوع كما يبالغ فى ايلام الدابة التى ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت ورجعت الى الاعتدال ترك تعذيبها وايلامها ولاجل هذا السر يؤمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو فى نفسه فيأمره بالجوع وهو لايجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لايمتنع هو منها لانه قد فرغ من تاديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجماح والامتناع عن العبادة كان الاصلح لها الجوع الذى تحس بالمه فى أكثر الاحوال لتنكسر نفسه والمقصود ان تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك فى الغذاء ايضا الى الاعتدال وانما يمتنع من ملازمة الجوع من سالكى طريق الآخرة اما صديق واما مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور فلظنه بنفسه انه هو الصديق المستغنى عن تاديب نفسه الظان بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو الاغلب فان النفس قلما تتادب تادبا كاملا وكثيرا ما تغتر فتنظر الى الصديق ومسامحته نفسه فى ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من قد صح من مرضه فيتناول مايتناوله ويظن بنفسه الصحة فيهلك والذى يدل على ان تقدير الطعام بمقدار يسير فى وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا فى نفسه وانما هو مجاهدة نفس متنائية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضى الله عنها (٣) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لايفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم (٤) وكان يدخل على اهله فيقول هل عندكم من شىء فان قالوا نعم أكل وان قالوا لا قال انى اذا صائم (٥) وكان يقدم اليه الشىء فيقول اما انى قد كنت اردت

---

(١) حديث النهى عن صوم الدهر كله وقيام الليل كله تقدم (٢) حديث خير الامور اوسطها البيهقى فى الشعب مرسلا وقد تقدم (٣) حديث عائشة كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم متفق عليه (٤) حديث كان يدخل على اهله فيقول هل عندكم من شىء فان قالوا نعم أكل وان قالوا لا قال انى صائم د ت وحسنه ن من حديث عائشة وهو عند م بنحوه كما سيأتى (٥) حديث كان يقدم اليه الشىء فيقول اما انى كنت اريد الصوم البيهقى من حديث عائشة بلفظ وان كنت قد فرضت الصوم وقال اسناده صحيح وعند

والموافقة مع الاخوان وترك المخالفة قال الله تعالى فى وصف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال الله تعالى لو أنفقت مافى الارض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم والتودد والتالف من ائتلاف الارواح على ماورد فى الخبر الذى أوردناه فما تعارف منها ائتلف قال الله تعالى فأصبحتم بنعمته اخوانا وقال سبحانه وتعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا وقال عليه السلام المؤمن آلف مألوف لاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف وقال عليه السلام مثل المؤمنين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وماالتقى مؤمنان الا استفاد احدهما

الصوم ثم يأكل (١) وخرج صلى الله عليه وسلم يوما وقال انى صائم فقالت له عائشة رضى الله عنها قد اهدى الينا حيس فقال
كنت أردت الصوم ولكن قربيه ولذلك حكى عن سهل انه قيل له كيف كنت فى بدايتك فاخبر بضروب من
الرياضات منها انه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه أكل دقاق التين مدة ثلاث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلاثة
دراهم فى ثلاث سنين فقيل له فكيف أنت فى وقتك هذا فقال آكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد ولا
توقيت انى آكل كثيرا بل انى لا اقدر بمقدار واحد ما آكله وقد كان معروف الكرخى يهدى اليه طيبات الطعام
فيأكل فقيل له ان اخاك بشرا لا يأكل مثل هذا فقال ان أخى بشرا قبضه الورع وانا بسطتنى المعرفة ثم قال انما أنا
ضيف فى دار مولاى فاذا أطعمنى أكلت واذا اجوعنى صبرت مالى والاعتراض والتمييز ودفع ابراهيم بن أدهم الى
بعض اخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه الدراهم زبدا وعسلا وخبزا حواريا فقيل يا أبا اسحق بهذا كله قال ويحك اذا
وجدنا أكلنا أكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا اليه نفرا يسيرا فيهم
الاوزاعى والثورى فقال له الثورى يا أبا اسحق أما تخاف أن يكون هذا اسرافا فقال ليس فى الطعام اسراف انما
الاسراف فى اللباس والاثاث فالذى أخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من ابراهيم بن أدهم ويسمع
عن مالك بن دينار انه قال ما دخل بيتى الملح منذ عشرين سنة وعن سرى السقطى أنه منذ أربعين سنة يشتهى أن
يغمس جزرة فى دبس فما فعل فيراه متناقضا فيتحير أو يقطع بان أحدهما مخطئ والبصير باسرار القول يعلم أن كل
ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط أو غبي مغرور فيقول
المحتاط ما أنا من جملة العارفين حتى أسامح نفسى فليس نفسى أطوع من نفس سرى السقطى ومالك بن دينار
وهؤلاء من المتمنعين عن الشهوات فيقتدى بهم والمغرور يقول ما نفسى باعصى على من نفس معروف
الكرخى وابراهيم بن أدهم فاقتدى بهم وارفع التقدير فى ما كولى فانا أيضا ضيف فى دار مولاى فمالى والاعتراض
ثم انه لو قصر أحد فى حقه وتوقيره أو فى ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا
مجال رحب للشيطان مع الحمق بل رفع التقدير فى الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر من مشكاة
الولاية والنبوة فيكون بينه و بين الله علامة فى استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة
الهوى والعادة بالكلية حتى يكون أكله اذا أكل على نية كما يكون امساكه بنية فيكون عاملا لله فى أكله
وافطاره فينبغى ان يتعلم الحزم من عمر رضى الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) يحب العسل
ويأكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه شربة باردة ممزوجة بعسل جعل يدير الاناء فى يده ويقول اشربها
وتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عنى حسابها وتركها وهذه الاسرار لا يجوز لشيخ ان يكاشف بها مريده بل
يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال فانه يقصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغى ان يدعوه الى غاية
الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغنى عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من
قلبه فيلقى اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذى فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابراهيم الخواص أن
يخوض مع المريد فى كل رياضة كان يأمره بها كيلا يخطر بباله أن الشيخ لم يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من
رياضته والقوى اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا فى سياقتهم الى
السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء واذا كان حد الاعتدال خفيا فى حق كل شخص فالحزم والاحتياط
ينبغى ان لا يترك فى كل حال ولذلك أدب عمر رضى الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مأدوما

م قد كنت أصبحت صائما (١) حديث خرج وقال انى صائم فقالت عائشة يا رسول الله قد أهدى الينا حيس فقال
كنت أردت الصوم ولكن قربيه م بلفظ قد كنت أصبحت صائما وفى رواية له أدنيه فلقد أصبحت صائما فأكل
وفى لفظ للبيهقى انى كنت اريد الصوم ولكن قربيه (٢) حديث كان يحب العسل ويأكله متفق عليه من حديث
عائشة كان يحب الحلواء والعسل الحديث وفيه قصة شربه العسل عند بعض نسائه

من صاحبه خيرا وقال) ابو ادرس الخولانى لمعاذ انى احبك فى الله فقال ابشر ثم ابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قيل من هؤلاء يارسول الله قال المتحابون فى الله (وقيل) لو تحاب الناس وتعاطوا اسباب المحبة لاستغنوا بها عن العدالة وقيل العدالة خليفة المحبة تستعمل حيث لا توجد المحبة وقيل طاعة المحبة افضل من طاعة الرهبة فان طاعة المحبة من داخل وطاعة

بسمن فملاه بالدرة وقال لا آملك كل يوماخبزا ولحما يوماخبزاولبنا و يوماخبزاوسمنا و يوماخبزاوزيتا و يوماخبزا وملحا و يوماخبزا قفارا وهذا هوالاعتدال فأما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط واسراف ومهاجرة اللحم بالكلية اقتار وهذا قوام بين ذلك والله تعالى اعلم

﴿ بيان آفة الرياء المتطرق الى من ترك اكل الشهوات وقلل الطعام ﴾

اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات * احداهما أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد أن يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة مالا يأكل مع الجماعة وهذا هوالشرك الخفي سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له هل تعلم به باساً قال يأكل في الخلوة مالا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلى بالشهوات وحبها أن يظهرها فان هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدات بالاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال هو نقصانان متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد امر المنافقين فقال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى الى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله تعالى و يظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته من قلوب الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات و يعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وانما يقصد به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشون عليه حاله فنهاية الزهد الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين وهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كاس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميه فلاجرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطي جهرا فيأخذ و يرد سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا و بالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي ان يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي ان يغره قول الشيطان انك اذا اظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك فانه لو قصد اصلاح غيره لكان صلاح نفسه اهم عليه من غيره فهذا انما يقصد الرياء المجرد و يروجه الشيطان عليه في معرض اصلاح غيره فلذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم ان من اطلع عليه ليس يقتدى به في الفعل اولا ينزجر باعتقاده انه تارك للشهوات * الآفة الثانية ان يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح ان يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة آكد من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى له قال ابو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك مناها فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت عليها اذلم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق اذا قدمت الى شهوة نظرت الى نفسي فان هي اظهرت شهوتها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها وان اخفت شهوتها واظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيأ وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية و بالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة الرياء اضر كثيرا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق

﴿ القول في شهوة الفرج ﴾

اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين * احداهما ان يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الاجساد كما ان النار وآلامها اعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس الى سعادتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان مالا يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق * الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط

الرهبة من خارج ولهذا المعنى كانت صحبة الصوفية مؤثرة من البعض في البعض لانهم لما تحابوا في الله تواصوا بمحاسن الاخلاق ووقع القبول بينهم لوجود المحبة فانتفع لذلك المريد بالشيخ والاخ بالاخ ولهذا المعنى امر الله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمس مرات في المساجد اهل كل درب وكل محلة وفي الجامع في الاسبوع مرة أهل كل بلد وانضمام اهل السواد الى البلدان في الاعياد في جميع السنة مرتين واهل الاقطار من البلدان المتفرقة في العمر مرة للحج كل ذلك لحكم بالغة منها تأكيد الالفة والمودة بين المؤمنين وقال

ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل فى تأويل قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه شدة الغلمة وعن ابن عباس (١) فى قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال هو قيام الذكر وقد أسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه قال فى تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله (٢) وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه أعوذ بك من شر سمعي و بصري وقلبي وهني ومني وقال عليه السلام (٣) النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كانت للنساء سلطنة على الرجال روى ان موسى عليه السلام كان جالسا فى بعض مجالسه اذ أقبل اليه ابليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك ياموسى فقال له موسى من انت فقال انا ابليس فقال لا حياك الله ما جاء بك قال جئت لاسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانتك منه قال فما الذي رأيت عليك قال برنس اختطف به قلوب بني آدم قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلاثا لا تخل بامرأة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى افتنه بها وافتنها به ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى احول بينه و بين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول ياويلتاه علم موسى مايحذر به بني آدم * وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شيء اخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت ادخله الا بيتي و بيت ابنتي أغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان يقول للمرأة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطئ وانت موضع سري وانت رسولي فى حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب واعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة ايضا لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط مايقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى الاستمتاع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي افراطها بطائفة الى امرين شنيعين * احدهما ان يتناولوا مايقوى شهواتهم على الاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس ادوية تقوى المعدة لتعظم شهوة الطعام وما مثال ذلك الا كمن ابتلي بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه فى بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل باصلاحها وعلاجها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص فان قلت فقد روى فى غريب الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) قال شكوت الى جبرائيل ضعف الوقاع فامرني با كل الهريسة فاعلم انه صلى الله عليه وسلم كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتمتع * والامر الثاني انه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة فى البهيمية لحد البهائم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع وهي اقبح الشهوات واجدرها ان يستحى منه حتى اعتقد ان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق فتكتفي به وهذا لا يكتفى الا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لاجلها وما العشق الا سعة افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا هم له وانما يجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه فكذلك عشق المال والجاه والعقار والاولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد تستولى على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر سورة العشق فى اول انبعاثه

(١) حديث ابن عباس موقوفا ومسندا فى قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال هو قيام الذكر وقال الذي اسنده الذكر اذا دخل هذا حديث لا اصل له (٢) حديث اللهم انى اعوذ بك من شر سمعي و بصري وقلبي ودينى تقدم فى الدعوات (٣) حديث النساء حبائل الشيطان الاصفهاني فى الترغيب والترهيب من حديث خالد ابن زيد الجهني باسناد فيه جهالة (٤) حديث شكوت الى جبريل ضعف الوقاع فأمرني با كل الهريسة

عليه السلام المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا (اخبرنا) ابوزرعة قال انا والدى ابو الفضل قال انا ابونصر محمد بن سلمان العدل قال انا ابو طاهر محمد بن محمد ابن محمش الزيادى قال انا ابو العباس عبد الله بن يعقوب الكرماني قال حدثنا يحي الكرماني قال حدثنا حماد بن زيد عن مجالد بن سعد عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا ان مثل المؤمنين فى توادهم وتحابهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالسهر والحمى والتالف والتودد يؤكد اسباب الصحبة والصحبة مع الاخيار مؤثرة

مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب لتدخله وما أهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها الى ورائها وما اعظم التفاوت بين الامرين فى اليسر والعسر فليكن الاحتياط فى بدايات الامور فاما فى أواخرها فلا تقبل العلاج الا بجهد جهيد يكاد يؤدى الى نزع الروح فاذا افراط الشهوة أن يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة أو بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو أيضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع فى انقباضها وانبساطها ومهما افرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال صلى الله عليه وسلم (١) معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فالصوم له وجاء

﴿ بيان ما على المريد فى ترك التزويج وفعله ﴾

اعلم ان المريد فى ابتداء امره ينبغى ان لا يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك و يستجره الى الانس بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما فى الدنيا عن الله تعالى فلا تقاس الملائكة بالحدادين ولذلك قال ابو سليمان الدارانى من تزوج فقد ركن الى الدنيا وقال ما رأيت مريدا تزوج فثبت على حاله الاول وقيل له مرة ما أحوجك الى امرأة تأنس بها فقال لا آنسنى الله بها اى ان الانس بها يمنع الانس بالله تعالى وقال ايضا كل ما شغلك عن الله تعالى من اهل ومال وولد فهو عليك مشئوم فكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه الى حد كان يخشى منه فى بعض الاحوال ان يسرى ذلك الى قالبه فيهدمه فلذلك (٣) كان يضرب بيده على فخذ عائشة احيانا و يقول كلمينى ياعائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه فقد كان طبعه الانس بالله عز وجل وكان أنسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم انه كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال (٤) أرحنا بها يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه (٥) فالضعيف اذا لاحظ أحواله فى مثل هذه الامور فهو مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله صلى الله عليه وسلم فشرط المريد العزبة فى الابتداء الى أن يقوى فى المعرفة هذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى لتسكين الشهوة والا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ عليه فكره و يتفرق عليه همه وربما وقع فى بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغائر وهو يؤدى على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهى زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه قال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير انما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه السلام يابنى امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى عليه السلام ما بدء الزنا قال النظر والتمنى وقال الفضيل يقول ابليس هو قوسى القديمة وسهمى الذى لا اخطىء به يعنى النظر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى اعطاه الله تعالى ايمانا يجد حلاوته فى قلبه وقال صلى الله عليه وسلم (٧) ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء وقال صلى الله عليه وسلم (٨) اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بنى اسرائيل كانت من قبل النساء وقال تعالى

---

(١) حديث معاشر الشباب من استطاع منكم النكاح فليتزوج الحديث تقدم فى النكاح (٢) حديث كان لا يشغل قلبه عن الله تعالى جميع ما فى الدنيا تقدم (٣) حديث كان يضرب بيده على فخذ عائشة أحيانا و يقول كلمينى ياعائشة لم اجد له اصلا (٤) حديث أرحنا بها يا بلال تقدم فى الصلاة (٥) حديث ان الصلاة كانت قرة عينه تقدم ايضا (٦) حديث النظرة سهم مسموم من سهام ابليس الحديث تقدم ايضا (٧) حديث ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء متفق عليه من حديث أسامة بن زيد (٨) حديث اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء العقيلى فى الضعفاء طس من حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع

جدا (وقد قيل) لقاء الاخوان لقاح ولا شك ان البواطن تتلقح و يتقوى البعض بالبعض بل بمجرد النظر الى اهل الصلاح يؤثر صلاحا والنظر فى الصور يؤثر أخلاقا مناسبة لخلق المنظور اليه كدوام النظر الى المحزون يحزن ودوام النظر الى المسرور يسر (وقد قيل) من لا ينفك لحظه لا ينفك لفظه والجمل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الجمل الذلول فالمقارنة لها تأثير فى الحيوان والنبات والجماد والماء والهواء يفسدان بمقارنة الجيف والزروع تنقى عن أنواع العروق فى الارض والنبات لموضع الافساد بالمقارنة واذا كانت المقارنة مؤثرة فى هذه الاشياء ففى النفوس الشريفة

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم الآية وقال عليه السلام (١) لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبلة والقلب يهم أو يتمنى و يصدق ذلك الفرج أو يكذبه * (٢) وقالت أم سلمة استاذن ابن أم مكتوم الاعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احتجبا فقلنا اوليس باعمى لا يبصرنا فقال وأنتما لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في المآتم والولائم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء و يحرم على المرأة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه لغير حاجة وانما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح أولى به فان الشر في الصبيان أكثر فانه لو مال قلبه الى امرأة أمكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه و بين الملتحى لم يحل له النظر اليه فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة فأقول لست أعني تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء واخرى يابسة و بين ماء صاف وماء كدر و بين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقط أوراقها فانه يميل الى احداهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولاجل ذلك لا يشتهي ملامسة الازهار والأنوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها و بين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها و يعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل و بين النبات الحسن والاثواب المنقشة والسقوف المذهبة فنظره نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس و يجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون قال بعض التابعين ما انا باخوف من السبع الضاري على الشاب الناسك من غلام أمرد يجالس اليه * قال سفيان لو أن رجلا عبث بغلام بين أصبعين من أصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطا وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الامة ثلاثة أصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذا آفة النظر الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع (وقال بعضهم) غلبت على شهوتي في بدء ارادتي بما لم أطق فاكثرت الضجيج الى الله تعالى فرأيت شخصا في المنام فقال مالك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت اليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فاتاني شخص في المنام فقال لي أتحب أن يذهب ما تجده وأضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور فضرب به عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك أو أشد منه فرأيت كان شخصا فيما بين جنبي وصدري يخاطبني و يقول و يحك كم تسال الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولدلي ومهما احتاج المريد الى النكاح فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح ودوامه أما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك في كتاب آداب النكاح فلا نطول باعادته وعلامة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية (قال بعضهم) من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة واذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا على ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقال بعضهم ينبغي ان تكون المرأة دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون

م من حديث ابي سعيد الخدري (١) حديث لكل ابن ادم حظه من الزنا فالعينان تزنيان الحديث مهق واللفظ له من حديث ابي هريرة واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس نحوه (٢) حديث ام سلمة استاذن ابن ام مكتوم الاعمى وانا وميمونة جالستان فقال احتجبا الحديث دون ت وقال حسن صحيح

البشرية اكثر تاثيرا وسمى الانسان انسانا لانه يأنس بما يراه من خير وشر والتألف والتودد مستجلب للمزيد وانما العزلة والوحدة تحمد بالنسبة الى اراذل الناس وأهل الشر فاما اهل العلم والصفاء والوفاء والاخلاق الحميدة فيغتنم مقارنتهم والاستئناس بهم استئناس بالله تعالى كما كان محبتهم محبة الله والجامع مغهم رابطة الحق ومع غيرهم رابطة الطبع فالصوفي مع غير الجنس كائن بائن ومع الجنس كائن مغابن والمؤمن مرآة المؤمن اذا نظر الى اخيه يستشف من وراء اقواله واعماله واحواله تجليات الهيبة وتعريفات وتلويحات من الله الكريم خفية غابت عن الاغيار

فوقه باربع بالجمال والادب والورع والخلق وعلامة صدق الارادة فى دوام النكاح الخلق * تزوج بعض المريدين بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت ذلك الى ابيها وقالت قد تحيرت فى هذا الرجل انا فى منزله منذ سنين ماذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء قبلى اليه وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها اصابها الجدرى فاشتد حزن اهلها لذلك خوفا من ان يستقبحها فاراهم الرجل انه قد اصابه رمد ثم اراهم ان بصره قد ذهب حتى زفت اليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه حين ذلك فقيل له فى ذلك فقال تعمدته لاجل اهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اخوانك بهذا الخلق * وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها فان تزوج المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر على الترك فهو اولى له اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روى ان محمد بن سليمان الهاشمى كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم فى كل يوم فكتب الى اهل البصرة وعلمائها فى امرأة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله تعالى فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله تعالى قد ملكنى من غلة الدنيا ثمانين الف درهم فى كل يوم وليس تمضى الايام والليالى حتى اتمها مائة الف وانا اصير لك مثلها ومثلها فاجيبينى فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الزهد فى الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا اتاك كتابى هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصى نفسك ولا تجعل الرجال اوصياءك فيقتسموا تراثك فصم الدهر وليكن فطرك الموت واما انا فلو ان الله تعالى خولنى امثال الذى خولك واضعافه ماسرنى ان اشتغل عن الله طرفة عين وهذه اشارة الى ان كل مايشغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده فى العزوبة فهو الاقرب وان عجز عن ذلك فالنكاح اولى به ودواء هذه العلة ثلاثة امور الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولى على القلب فان لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذى يستاصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما ايس ابليس من احد الا واتاه من قبل النساء وقال سعيد ايضا وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ماشىء اخوف عندى من النساء وعن عبدالله بن ابى وداعة قال كنت أجالس سعيد بن المسيب فتفقدنى أياما فلما أتيته قال أين كنت قلت توفيت أهلى فاشتغلت بها فقال هلا اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت امرأة فقلت يرحمك الله تعالى ومن يزوجنى وما املك الا درهمين او ثلاثة فقال انا فقلت وتفعل قال نعم فحمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجنى على درهمين او قال ثلاثة قال فقمت وما ادرى ما اصنع من الفرح فصرت الى منزلى وجعلت افكر ممن آخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلى فأسرجت وكنت صائما فقدمت عشائى لافطر وكان خبزا وزيتا واذا بالباب يقرع فقلت من هذا قال سعيد قال فافكرت فى كل انسان اسمه سعيد الا سعيد ابن المسيب وذلك انه لم ير أربعين سنة الا بين داره والمسجد قال فخرجت اليه فاذا به سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد لو ارسلت الى لاتيتك فقال لانت احق ان تؤتى قلت فما تامر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت ان ابيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك واذا هى قائمة خلفه فى طوله ثم اخذ بيدها فدفعها فى الباب ورده فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التى فيها الخبز والزيت فوضعتها فى ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجاؤنى وقالوا ماشأنك قلت ويحكم زوجنى سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا وسعيد زوجك قلت نعم قالوا وهى فى الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ ذلك امى فجاءت وقالت وجهى من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلاثة ايام قال فاقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هى من اجمل النساء واحفظ الناس لكتاب الله تعالى واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا ياتينى سعيد ولا آتيه فلما كان بعد الشهر اتيته

وادركها اهل الانوار * ومن اخلاق الصوفية شكر المحسن على الاحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطعهم النظر الى الاغيار ورؤيتهم النعم من المنعم الجبار ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ماورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال مامن الناس احد امن علينا فى صحبته وذات يده من ابن أبى قحافة ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا وقال مانفعنى مال كمال ابى بكر فالخلق حجبوا عن الله بالخلق فى المنع والعطاء فالصوفى فى الابتداء يفنى عن الخلق و يرى الاشياء من الله

وهو فى خلقته فسلمت عليه فرد على السلام ولم يكلمنى حتى تفرق الناس من المجلس فقال ماحال ذلك الانسان فقلت بخير ياابا محمد على مايحب الصديق ويكره العدو قال ان رابك منه امر فدونك والعصا فانصرفت الى منزلى فوجه الى بعشرين الف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه قد خطبها منه عبد الملك ابن مرو ان لابنه الوليد حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط فى يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة صوف فاستعجال سعيد فى الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة فى الدين الى تطفئة نارها بالنكاح رضى الله تعالى عنه ورحمه

﴿ بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين ﴾

اعلم ان هذه الشهوة هى أغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيا منه ويخشى من اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز أو لخوف أو لحياء أو لمحافظة على جسمه وليس فى شئ من ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة أن لا يقدر فى هذه العوائق فائدة وهى دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه بأى سبب كان تركه وانما الفضل والثواب الجزيل فى تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد وقال عليه السلام (٢) سبعة يظلهم الله يوم القيامة فى ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امرأة ذات جمال وحسب الى نفسها فقال انى اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك فى كتابه العزيز وهو امام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان فى هذه الشهوة العظيمة وروى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجها فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا من منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت تلك الليلة فى المنام يوسف عليه السلام وكانى اقول له أنت يوسف قال نعم انا يوسف الذى هممت وأنت سليمان الذى لم تهم اشار به الى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وعنه أيضا ماهو أعجب من هذا وذلك انه خرج من المدينة حاجا ومعه رفيق له حتى نزلا بالابواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق الى السوق ليبتاع شيأ وجلس سليمان فى الخيمة وكان من أجمل الناس وجها واورعهم فبصرت به اعرابية من قلة الجبل وانحدرت اليه حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والقفازان فاسفرت عن وجه لها كانه فلقة قمر وقالت أهنئنى فظن انها تريد طعاما فقام الى فضلة السفرة ليعطيها فقالت لست اريد هذا انما اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك الى ابليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه واخذ فى النحيب فلم يزل يبكى فلما رات منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت اهلها وجاء رفيقه فرآها وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال مايبكيك قال خير ذكرت صبيتى قال لا والله الا ان لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى اخبره خبر الاعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكى بكاء شديدا فقال له سليمان وانت مايبكيك قال انا احق بالبكاء منك لانى اخشى ان لو كنت مكانك لما صبرت عليها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة فسعى وطاف ثم اتى الحجر فاحتبى بثوبه فأخذته عينه فنام واذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان رحمك الله من انت قال انا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان فى شانك وشأن امرأة العزيز لعجبا فقال له يوسف شأنك وشأن صاحبة الابواء أعجب وروى عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم

---

(١) حديث من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد ك فى التاريخ من حديث بن عباس وقال انكر على سويد ابن سعيد ثم قال يقال ان يحيى لماذ كرله هذا الحديث قال لو كان لى فرس ورمح غزوت سويدا ورواه الخرائطى من غير طريق فيه سويد بسند فيه نظر (٢) حديث سبعة يظلهم الله فى ظله الحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة وقد تقدم

حيث طالع ناصيته التوحيد وخرق الحجاب الذى منع الخلق عن صرف التوحيد فلا يثبت للخلق منعا ولا عطاء ويحجبه الحق عن الخلق فاذا ارتقى الى ذروة التوحيد يشكر الخلق بعد شكر الحق ويثبت لهم وجودا فى المنع والعطاء بعد ان يرى المسبب اولا وذلك لسعة علمه وقوة معرفته يثبت الوسائط فلا يحجبه الخلق عن الحق كعامة المسلمين ولا يحجبه الحق عن الخلق كارباب الارادة والمبتدئين فيكون شكره للحق لانه المنعم والمعطى والمسبب ويشكر الخلق لانهم واسطة وسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول مايدعى الى الجنة الحمادون

وسلم (١) يقول انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت الى غار فدخلوا فانحدرت صخرة من الجبل فسد
عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم اللهم انك
تعلم انه كان لى ابوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما اهلا ولا مالا فنأى بى طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما
حتى ناما فحلبت غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن اغبق قبلهما اهلا ومالا فلبثت والقدح فى يدى انتظر
استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون حول قومى فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك
ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه من الصخرة فانفرجت شيأ لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر اللهم
انك تعلم انه كان لى ابنة عم من احب الناس لى فراودتها عن نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين
فجاءتنى فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على ان تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت اتق الله
ولا تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى من احب الناس الى وتركت الذهب
الذى أعطيتها اللهم ان كنت فعلته ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه فانفرجت الصخرة عنهم غير انهم
لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم انى استاجرت اجراء واعطيتهم اجورهم غير رجل واحد فانه ترك
الاجر الذى له وذهب فنميت له أجره حتى كثرت منه الاموال فجاءنى بعد حين فقال ياعبدالله اعطنى اجرى فقلت
كل ماترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال ياعبدالله اتهزأ بى فقلت لا استهزئ بك فخذه فاستاقه
واخذه كله ولم يترك منه شيئا اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه فانفرجت الصخرة
فخرجوا يمشون فهذا افضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين
فان العين مبدأ الزنا فحفظها مهم وهو عسر من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه
تنشأ والنظرة الاولى اذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وسلم (٢) لك الاولى وعليك الثانية
اى النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فان النظر يزرع فى القلب شهوة وقلما يخلو الانسان
فى تردداته عن وقوع البصر على النساء والصبيان فمهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغى ان
يقرر فى نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل فانه ان حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل
له الا التحسر وان استقبح لم يلتذ وتألم لانه قصد الالتذاذ فقد فعل ما آلمه فلا يخلو فى كلتا حالتيه عن معصية وعن
تألم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فان اخطات عينه وحفظ
الفرج مع التمكن فذلك يستدعى غاية القوة ونهاية التوفيق فقد روى عن ابى بكر بن عبدالله المزنى ان قصابا
أولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها فى حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل
لانا اشد حبا لك منك لى ولكنى اخاف الله قال فانت تخافينه ولا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد
يهلك فاذا هو برسول لبعض انبياء بنى اسرائيل فساله فقال مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله بان تظلنا
سحابة حتى ندخل القرية قال مالى من عمل صالح فادعو فادع انت قال انا ادعو وامن انت على دعائى فدعا الرسول
وأمن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه فمالت السحابة معه فقال له الرسول زعمت
ان ليس لك عمل صالح وانا الذى دعوت وانت الذى امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرنى بامرك فاخبره فقال
الرسول ان التائب عند الله تعالى بمكان ليس احد من الناس بمكانه وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان
عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم المسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت
فنظرت اليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقفت له على الطريق وهو
يريد المسجد فقالت له يافتى اسمع منى كلمات اكلمك بها ثم اعمل ماشئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك

---

(١) حديث ابن عمر انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت الى غار فذكر الحديث بطوله رواه خ
(٢) حديث لك الاولى وليست لك الثانية اى النظرة د ت من حديث بريدة قاله لعلى قال ت حديث غريب

الذين يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء وقال عليه السلام من عطس اوتجشا فقال الحمد لله على كل حال دفع الله تعالى بها عنه سبعين داء اهونها الجذام (وروى) جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن عبد ينعم عليه بنعمة فحمد الله الا كان الحمد افضل منها فقوله عليه السلام كان الحمد افضل منها يحتمل ان يرضى الحق بها شكرا ويحتمل ان الحمد افضل منها نعمة فتكون نعمة الحمد افضل من النعمة التى حمد عليها فاذا شكروا المنعم الاول يشكرون الواسطة المنعم من الناس ويدعون له (روى) انس رضى الله عنه قال

على طريقه وهو يدمنزله فقالت له يافتى اسمع منى كلمات اكلمك بها فاطرق مليا وقال هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت له والله ماوقفت موقفى هذا جهالة منى بامرك ولكن معاذ الله ان يتشوف العباد الى مثل هذا منى والذى حملنى على ان لقيتك فى مثل هذا الامر بنفسى لمعرفتى ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد على مثال القوارير ادنى شئ يعيبها وجملة ماأقول لك ان جوارحى كلها مشغولة بك فالله الله فى أمرى وأمرك قال فمضى الشاب الى منزله وأراد أن يصلى فلم يعقل كيف يصلى فأخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله واذا بالمرأة واقفة فى موضعها فألقى الكتاب اليها ورجع الى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلمى أيتها المرأة ان الله عزوجل اذا عصاه العبد حلم فاذا عاد الى المعصية مرة أخرى ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ماذكرت باطلا فانى أذكرك يوما تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم وانى والله قدضعفت عن اصلاح نفسى فكيف باصلاح غيرى وان كان ماذكرت حقا فانى أدلك على طبيب هدى يدوى الكلوم المرضة والاوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه بصدق المسالة فانى مشغول عنك بقوله تعالى وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ماللظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور فاين المهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد الرجوع لمنزله كيلا يراها فقالت يافتى لاترجع فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم أبدا الا غدا بين يدى الله تعالى ثم بكت بكاء شديدا وقالت أسال الله الذى بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ماقد عسر من امرك ثم انها تبعته وقالت امنن على بموعظة احملها عنك وأوصنى بوصية أعمل عليها فقال لها أوصيك بحفظ نفسك من نفسك وأذكرك قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت بكاء شديدا أشد من بكائها الاول ثم انها أقامت ولزمت بيتها وأخذت فى العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكى فيقال له مم بكاؤك وانت قد أيأستها من نفسك فيقول انى قد ذبحت طمعها فى اول امرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لى عند الله تعالى فانا استحيى منه ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى * تم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان والحمد لله اولا واخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من اهل الارض والسماء وسلم تسليما كثيرا

﴿ كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى أحسن خلق الانسان وعدله وألهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكمله ثم أرسل عليه سترا من رحمته وأسبله ثم أمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه ستره الذى أرسله وأطلق بالحق مقوله وأفصح بالشكر عما أولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله وأشهد أن لااله الا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله الذى أكرمه وبجله نبيه الذى أرسله بكتاب أنزله وأسمى فضله وبين سبله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وهلله (أما بعد) فان اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لايستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم انه مامن موجود أومعدوم خالق أومخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات أونفى فان كل مايتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق أو باطل ولاشئ الا والعلم متناول له وهذه خاصية لاتوجد

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أفطر عند قوم قال أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار ونزلت عليكم السكينة (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه قال أنا أحمد ابن محمد بن أحمد البزار قال انا أبو حفص عمر بن ابراهيم قال ثنا عبد الله بن محمد البغوى قال أنا عمرو بن زرارة قال ثنا عيينة بن يونس عن موسى ابن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لاخيه جزاك الله خيرا فقد أبلغ فى الثناء * ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للاخوان والمسلمين كافة فاذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بعيوب النفس وآفاتها وشهواتها

في سائر الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والآذان لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذلك سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان سلك الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم لا ينجو من شر اللسان الا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة و يكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله وعلم ما يحمد فيه اطلاق اللسان أو يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير وأعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في اطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصايده وحبائله وانه أعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تدبيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها وأسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ماورد من الاخبار والآثار في ذمها فنذكر أولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعني ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة المراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن اما لحيوان أو جماد او انسان ثم آفة الغناء بالشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع مايحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم بيان التعاريض في الكذب ثم آفة الغيبة ثم آفة النميمة ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعادين فيكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطا في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته و يرتبط باصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عزوجل وعن كلامه وعن الحروف اهي قديمة أو محدثة وهي آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة ونسال الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

(بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت)

اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم (١) من صمت نجا وقال عليه السلام (٢) الصمت حكم وقليل فاعله أي حكمة وحزم (٣) وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال قلت يارسول الله أخبرني عن الاسلام بامر لا أسال عنه احدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فما أتقي فاومأ بيده الى لسانه (٤) وقال عقبة بن عامر قلت يارسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك (٥) وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم (٦) من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي الشر كله القبقب هو البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق

---

(١) حديث من صمت نجا من حديث عبد الله بن عمرو بسند فيه ضعف وقال غريب وهو عند الطبراني بسند جيد (٢) حديث الصمت حكمة وقليل فاعله ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف والبيهقي في الشعب من حديث أنس بلفظ حكم بدل حكمة وقال غلط فيه عثمان بن سعد والصحيح رواية ثابت قال والصحيح عن أنس ان لقمان قال ورواه كذلك هو وابن حبان في كتاب روضة العقلاء بسند صحيح الى أنس (٣) حديث سفيان الثقفي اخبرني عن الاسلام بامر لا اسال عنه احدا بعدك الحديث وصححه ت ن ه وهو عند م دون آخر الحديث الذي فيه ذكر اللسان (٤) حديث عقبة بن عامر قلت يارسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك الحديث ت وقال حسن (٥) حديث سهل بن سعد من يتوكل لي بما بين لحييه ورجليه أتوكل له بالجنة رواه خ (٦) حديث من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه الحديث ابو منصور الديلمي.

فليتوصل الى قضاء حوائج المسلمين ببذل الجاه والمعاونة في اصلاح ذات البين وفي هذا المعنى يحتاج الى مزيد علم لانها امور تتعلق بالخلق ومخالطتهم ومعاشرتهم ولا يصلح ذلك الا لصوفي تام الحال عالم رباني (روي) عن زيد بن أسلم أنه قال كان نبي من الانبياء ياخذ بركاب الملك يتالفه بذلك لقضاء حوائج الناس (وقال عطاء) لان يراني الرجل سنين فيكتسب جاها يعيش فيه مؤمن أتم له من ان يخلص العمل لنجاة نفسه وهذا باب غامض لا يؤمن ان يفتتن به خلق من الجهال المدعين ولا يصلح هذا الا لعبد اطلع الله على باطنه فعلم منه ان لا رغبة له في شيء من الجاه والمال ولو أن

ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج [1] وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكبر مايدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكبر مايدخل النار فقال الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم آفات اللسان لانه محله و يحتمل ان يكون المراد به البطن لانه منفذه فقد قال [2] معاذ بن جبل قلت يارسول الله انؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك امك ياابن جبل وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم [3] وقال عبد الله الثقفى قلت يارسول الله حدثنى بامر اعتصم به فقال قل ربى الله ثم استقم قلت يارسول ما اخوف ماتخاف على فاخذ بلسانه وقال هذا [4] وروى ان معاذا قال يارسول اى الاعمال افضل فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه اصبعيه [5] وقال انس ابن مالك قال صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولايدخل الجنة رجل لايأمن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم [6] من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال [7] اذا اصبح ابن آدم اصبحت الاعضاء كلها تذكر اللسان اى تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا [8] وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه راى ابا بكر الصديق رضى الله عنه وهو يمد لسانه بيده فقال له ماتصنع ياخليفة رسول الله قال هذا اوردنى الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء من الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته [9] وعن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي و يقول يالسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل ان تندم فقيل له ياابا عبد الرحمن اهذا شيء تقوله اوشيء سمعته فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اكثر خطايا ابن آدم فى لسانه [10] وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره [11] وروى ان معاذ

من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ فقد وجبت له الجنة (١) حديث سئل عن أكثر مايدخل الجنة الحديث ت وصححه وه من حديث أبى هريرة (٢) حديث معاذ قلت يارسول الله أنؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم ت وصححه وه وك وقال صحيح على شرط الشيخين (٣) حديث عبد الله الثقفى قلت يارسول الله حدثنى بامر أعتصم به الحديث رواه ن قال ابن عساكر وهو خطأ والصواب سفيان بن عبد الله الثقفى كما رواه ت وصححه ه وقد تقدم قبل هذا بخمسة أحاديث (٤) حديث ان معاذا قال يارسول الله اى الاعمال افضل فاخرج لسانه ثم وضع يده عليه الطبرانى وابن ابى الدنيا فى الصمت وقال اصبعه مكان يده (٥) حديث انس لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه الحديث ابن ابى الدنيا فى الصمت والخرائطى فى مكارم الاخلاق بسند فيه ضعف (٦) حديث من سره ان يسلم فليلزم الصمت ابن ابى الدنيا فى الصمت وابو الشيخ فى فضائل الاعمال والبيهقى فى الشعب من حديث انس باسناد ضعيف (٧) حديث اذا اصبح ابن آدم اصبحت الاعضاء كلها تذكر اللسان الحديث ت من حديث ابى سعيد الخدرى رفعه ووقع فى الاحياء عن سعيد بن جبير مرفوعا وانما هو عن سعيد بن جبير عن ابى سعيد رفعه ورواه ت موقوفا على حماد بن زيد وقال هذا اصح (٨) حديث ان عمر اطلع على ابى بكر وهو يمد لسانه فقال ماتصنع ياخليفة رسول الله قال ان هذا اوردنى الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء من الجسد الا يشكو الى الله عز وجل اللسان على حدته ابن ابى الدنيا فى الصمت وابو يعلى فى مسنده والدارقطنى فى العلل والبيهقى فى الشعب من رواية أسلم مولى عمر وقال الدارقطنى ان المرفوع وهم على الدراوردى قال وروى هذا الحديث عن قيس بن ابى حازم عن ابى بكر ولا علة له (٩) حديث ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي و يقول يالسان قل خيرا تغنم وفيه مرفوعا ان اكثر خطايا بنى آدم فى لسانه الطبرانى وابن ابى الدنيا فى الصمت والبيهقى فى الشعب بسند حسن (١٠) حديث ابن عمر من كف لسانه ستر الله عورته الحديث ابن ابى الدنيا فى الصمت بسند حسن (١١) حديث ان معاذا قال

ابن

ملوك الارض وقفوا فى خدمته ماطغى ولا استطال ولو دخل الى اتون يوقد ما ظهرت نفسه بصريح الانكار لهذا الحال وهذا لا يصلح الا لآحاد من الخلق وافراد من الصادقين ينسلخون عن ارادتهم واختيارهم و يكاشفهم الله تعالى بمراده منهم فيدخلون فى الاشياء بمراد الله تعالى فاذا علموا ان الحق يريد منهم المخالطة وبذل الجاه يدخلون فى ذلك بغيبة صفات النفس وهذا لاقوام ماتوا ثم حشروا واحكموا مقام الفناء ثم رقوا الى مقام البقاء فيكون لهم فى كل مدخل ومخرج برهان و بيان واذن من الله تعالى فهم على بصيرة من ربهم وهذا ليس فيهم ارتياب لصاحب

ابن جبل قال يارسول الله أوصني قال اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى وان شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه (١) وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق (٢) وقال أبوهريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أوليسكت (٣) وقال الحسن ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم اوسكت فسلم وقيل لعيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لاتنطقوا أبدا قالوا لانستطيع ذلك فقال فلا تنطقوا الابخير وقال سليمان بن داود عليهما السلام ان كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب (٤) وعن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال أطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الامن خير وقال صلى الله عليه وسلم (٥) اخزن لسانك الامن خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم مايقول وقال عليه السلام (٦) اذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة (٧) وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب فالغانم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاحب الذي يخوض في الباطل وقال عليه السلام (٨) ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه وان لسان المنافق أمام قلبه فاذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال نبينا صلى الله عليه وسلم (٩) من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به (الآثار) كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشير الى لسانه و يقول هذا الذي اوردني الموارد وقال عبد الله بن مسعود والله الذي لا اله الا هو ماشيء أحوج الى طول سجن من لسان وقال طاوس لساني سبع ان ارسلته اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ماعقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الأوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله أما بعد فان من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا

أوصني قال اعبد الله كأنك تراه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وطب ورجاله ثقات وفيه انقطاع (١) حديث صفوان ابن سليم مرفوعا ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق ابن أبي الدنيا هكذا مرسلا ورجاله ثقات ورواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين من حديث أبي ذر وأبي الدرداء أيضا مرفوعا (٢) حديث أبي هريرة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أوليسكت متفق عليه (٣) حديث الحسن ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم أوسكت فسلم ابن ابي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فانه من رواية اسماعيل ابن عياش عن الحجازيين (٤) حديث البراء جاء اعرابي فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجائع الحديث ابن ابي الدنيا باسناد جيد (٥) حديث اخزن لسانك الا من خير الحديث طص من حديث ابي سعيد وله في المعجم الكبير ولابن حبان في صحيحه نحوه من حديث ابي ذر (٦) حديث اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقى الحكمة ه من حديث ابي خلاد بلفظ اذا رايتم الرجل قد اعطى زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فانه يلقن الحكمة وقد تقدم (٧) حديث ابن مسعود الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب الحديث الطبراني وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ المجالس وضعفه ابن عدي ولم أجده ثلاثة من حديث ابن مسعود (٨) حديث ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشيء تدبره بقلبه الحديث لم أجده مرفوعا وانما رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من رواية الحسن البصري قال كانو يقولون (٩) حديث من كثر كلامه كثر سقطه الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد رواه أبو حاتم بن حبان في روضة العقلاء والبيهقي في الشعب موقوفا على عمر بن الخطاب

قلب مكاشف بصريح المراد في خفي الخطاب فيأخذ وقته أبدا من الاشياء ولم تاخذ الاشياء من وقته ولا يكون في قطر من الاقطار الا واحد متحقق بهذا الحال (قال) ابو عثمان الحيري لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في أربعة أشياء المنع والعطاء والعز والذل ولمثل هذا الرجل يصلح بذل الجاه والدخول فيما ذكرناه (قال) سهل بن عبد الله لا يستحق الانسان الرياسة حتى تجتمع فيه ثلاث خصال يصرف جهله عن الناس ويحتمل جهل الناس ويترك مافي ايديهم ويبذل مافي يده لهم وهذه الرياسة ليست عين

باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة فى دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس أحد يكون منه لسانه على بال الا رأيت صلاح ذلك فى سائر عمله وقال الحسن تكلم قوم عند معاوية رحمه الله والاحنف بن قيس ساكت فقال له مالك يا أبا بحر لا تتكلم فقال له أخشى الله ان كذبت وأخشاك ان صدقت وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال أحدهم أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقل وقال الآخر اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها واذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت وقيل أقام المنصور بن المعتز لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا أصبح وضع دواة وقرطاسا وقلما فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطا والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض فى الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهى سياقة الى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة فى القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويمسكه ويكفه عما لا يحب فان ذلك من غوامض العلم كما سياتى تفصيله ففى الخوض خطر وفى الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول فى الدنيا ومن حسابه فى الآخرة فقد قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة * اما الذى هو ضرر محض فلابد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة ارباع الكلام وبقى ربع وهذا الربع فيه خطر اذ يمتزج بما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا ان ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال (١) من صمت نجا (٢) فلقد اوتى والله جواهر الحكم قطعا وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعانى الا خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدئ باخفها ونترقى الى الاغلظ قليلا ونؤخر الكلام فى الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها اطول وهى عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بعون الله تعالى

﴿ الآفة الاولى الكلام فيما لا يعنيك ﴾

اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك من جميع الآفات التى ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب والمراء والجدال وغيرها وتتكلم فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذى هو ادنى بالذى هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه ولو هللت

(١) حديث من صمت نجا تقدم (٢) حديث انه صلى الله عليه وسلم اوتى جوامع الكلم م من حديث ابى هريرة وقد تقدم

﴿ الآفة الاولى الكلام فيما لا يعنيك ﴾

الرياسة التى زهد فيها وتعين الزهد فيها لضرورة صدقه وسلوكه وانما هذه رياسة اقامها الحق لصلاح خلقه فهو فيها بالله يقوم بواجب حقها وشكر نعمتها لله تعالى

﴿ الباب الحادى والثلاثون فى ذكر الادب ومكانه من التصوف ﴾

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ادبنى ربى فاحسن تاديبي فالادب تهذيب الظاهر والباطن فاذا تهذب ظاهر العبد وباطنه صار صوفيا اديبا وانما سميت المأدبة مأدبة لاجتماعها على اشياء ولا يتكامل الادب فى العبد الا بتكامل مكارم الاخلاق ومكارم الاخلاق مجموعها من تحسين الخلق فالخلق صورة الانسان والخلق معناه فقال بعضهم

الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبني بها قصر في الجنة ومن قدر على ان يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى (١) فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم بل رأس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (٢) من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو أشد من هذا قال انس (٣) استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطا من الجوع فمسحت امه عن وجهه التراب وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر (٤) أن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال أبشر يا كعب فقالت امه هنيأ لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله قال هي أمي يا رسول الله قال وما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا يغنيه ومعناه انه انما تتهيأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا تتهيأ الجنة له مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب (٥) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك وقالوا اخبرنا باوثق عمل في نفسك ترجو به فقال اني لضعيف وان اوثق ما ارجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني وقال ابوذر (٦) قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن احب الي من الدهم الموقوفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذكر اخاك اذا غاب عنك بما تحب ان يذكرك به وأعفه مما تحب ان يعفيك منه وعامل أخاك بما تحب ان يعاملك به واعمل عمل رجل يعلم انه مجازى بالاحسان مأخوذ بالاجترام وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك قال لا أسأل عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي أمر أنا في طلبه منذ عشر ين سنة لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال السكوت عما لا يعنيني وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الأمين ولا أمين الا من خشي الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله

---

(١) حديث المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا لم أجد له اصلا وروى محمد بن زكريا العلائي احد الضعفاء عن ابن عائشة عن ابيه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله أمرني ان يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة (٢) حديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ت وقال غريب و ه من حديث ابي هريرة (٣) حديث استشهد منا غلام يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع الحديث وفيه لعله كان يتكلم بما لا يعنيه و يمنع ما لا يضره ت من حديث انس مختصرا وقال غريب ورواه ابن ابي الدنيا في الصمت بلفظ المصنف بسند ضعيف (٤) حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض الحديث وفيه لعل كعبا قال ما لا يعنيه اومنع ما لا يغنيه ابن ابي الدنيا من حديث كعب بن عجرة باسناد جيد الا ان الظاهر انقطاعه بين الصحابي و بين الراوي عنه (٥) حديث محمد بن كعب ان أول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام الحديث وفيه ان اوثق ما ارجوه سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني ابن ابي الدنيا هكذا مرسلا وفيه ابو نجيح اختلف فيه (٦) حديث ابي ذر الا اعلمك بعمل خفيف على البدن الحديث وفيه هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك ابن ابي الدنيا بسند منقطع

الخلق لا سبيل الى تغييره كالخلق وقد ورد فرغ ربكم من الخلق والخلق والرزق والاجل وقد قال تعالى لا تبديل لخلق الله والاصح ان تبديل الاخلاق ممكن مقدور عليه بخلاف الخلق وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حسنوا اخلاقكم وذلك ان الله تعالى خلق الانسان وهيأه لقبول الصلاح والفساد وجعله أهلا للادب ومكارم الاخلاق ووجود الاهلية فيه كوجود النار في الزناد ووجود النخل في النوى ثم ان الله تعالى بقدرته ألهم الانسان ومكنه من اصلاحه بالتربية الى ان يصير النوى نخلا والزناد بالعلاج حتى تخرج منه نار وكما جعل في

تعالى وحد الكلام فيما لا يعنيك أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مال مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم اسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكت عنها لم تاثم ولم تستضر واذا بلغت في الجهاد حتى لم يمتزج بحكاياتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى فانت مع ذلك كله مضيع زمانك وانى تسلم من الافات التي ذكرناها ومن جملتها ان تسال غيرك عما لا يعنيك فانت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحبك أيضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة وأكثر الاسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن عبادته مثلا فتقول له هل انت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا لك وتأذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال اما للرياء او للكذب او للاستحقار أو للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه و يستحي منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول له ماذا تقول وفيم انت وكذلك ترى انسانا في الطريق فتقول من أين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تأذى به واستحيا وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسالة لا حاجة بك اليها والمسؤل ربما لم تسمح نفسه يقول لا أدري فيجيب عن غير بصيرة ولست أعني بالتكلم فيما لا يعني هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم اوضرر وانما مثال ما لا يعني ما روى ان لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم فجعل يتعجب مما رأى فأراد ان يساله عن ذلك فمنعته حكمته فامسك نفسه ولم يساله فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله أي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل انه كان يتردد اليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال فهذا وأمثاله من الاسئلة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو مما لا يعني وتركه من حسن الاسلام فهذا حده * وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة مالا حاجة به اليها والمباسطة بالكلام على سبيل التودد اوتزجية الاوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت بين يديه وانه مسؤل عن كل كلمة وان انفاسه رأس ماله وان لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص بها الحور العين فاهماله ذلك وتضييعه خسران مبين هذا علاجه من حيث العلم واما من حيث العمل فالعزلة او أن يضع حصاة في فيه وان يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا

(الآفة الثانية فضول الكلام)

وهو ايضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول اى فضل عن الحاجة وهو ايضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر قال عطاء بن ابى رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ماعدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اوامر بمعروف اونهي عن منكر اوان تنطق بحاجتك في معيشتك التي لابد لك منها اتنكرون ان عليكم حافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد أما يستحي احدكم اذا نشرت صحيفته التي املاها صدر نهاره كان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه أشهى الي من الماء البارد الى الظمآن فاترك جوابه خيفة ان

(الآفة الثانية فضول الكلام)

نفس الانسان صلاحية الخير جعل فيها صلاحية الشر حال الاصلاح والافساد فقال سبحانه وتعالى ونفس وماسواها فالهمها فجورها وتقواها فتسويتها بصلاحيتها للشيئين جميعا ثم قال عز وجل قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها فاذا تركت النفس تدبرت بالعقل واستقامت احوالها الظاهرة والباطنة وتهذبت الاخلاق وتكونت الآداب فالادب استخراج ما في القوة الى الفعل وهذا يكون لمن ركبت السجية الصالحة فيه والسجية فعل الحق لا قدرة للبشر على تكوينها كتكون النار في الزناد اذ هو فعل الله المحض واستخراجه بكسب الآدمي فهكذا الآداب

يكون فضولا وقال مطرف ليعظم جلال الله فى قلوبكم فلاتذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما أشبه ذلك * واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور فى كتاب الله تعالى قال الله عزوجل لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم (١) طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الامر فى ذلك فامسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه قال (٢) قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط من بنى عامر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء وأنت وأنت فقال قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشارة الى أن اللسان اذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود أنذركم فضول كلامكم حسب امرىء من الكلام مابلغ به حاجته وقال مجاهد ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه فيقول أبتاع لك كذا وكذا فيكتب كذابا وقال الحسن ياابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان اعمالك فاعمل ماشئت وأكثر او اقل وروى ان سليمان عليه السلام بعث بعض عفاريته و بعث نفرا ينظرون مايقول ويخبرونه فاخبروه بانه مر فى السوق فرفع رأسه الى السماء ثم نظر الى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما أسرع ما يملون وقال ابراهيم التيمى اذا أراد المؤمن ان يتكلم نظر فان كان له تكلم والا أمسك والفاجر انما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار (٣) تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فاكثر فقال له صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاى وأسنانى قال أفما كان لك فى ذلك ما يرد كلامك وفى رواية انه قال ذلك فى رجل أثنى عليه فاستهتر فى الكلام ثم قال ماأوتى رجل شرا من فضل فى لسانه وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه انه ليمنعنى من كثير من الكلام خوف المباهات وقال بعض الحكماء اذا كان الرجل فى مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فأعجبه السكوت فليتكلم وقال يزيد ابن ابى حبيب من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع فان وجد من يكفيه فان فى الاستماع سلامة وفى الكلام تزيين وزيادة ونقصان وقال ابن عمران احق ماطهر الرجل لسانه ورأى ابو الدرداء امرأة سلطية فقال لوكانت هذه خرساء كان خيرا لها وقال ابراهيم يهلك الناس خلتان فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه وعلاجه ماسبق فى الكلام فيما لا يعنى

الآفة الثالثة الخوض فى الباطل

وهو الكلام فى المعاصى كحكاية احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام وأما الكلام فيما لا يعنى او اكثر مما يعنى فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعنى لا يؤمن عليه الخوض فى الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس او الخوض فى الباطل

---

(١) حديث طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله البغوى وابن قانع فى معجمى الصحابة والبيهقى من حديث ركب المصرى وقال ابن عبد البرانه حديث حسن وقال البغوى لا أدرى سمع من النبي صلى الله عليه وسلم أم لا وقال ابن منده مجهول لا تعرف له صحبة ورواه البزار من حديث انس بسند ضعيف (٢) حديث مطرف بن عبد الله عن ابيه قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط من بنى عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا الحديث ن فى اليوم والليلة بلفظ آخر ورواه ابن ابى الدنيا بلفظ المصنف (٣) حديث عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال كم دون لسانك من باب الحديث ابن أبى الدنيا هكذا مرسلا ورجاله ثقات

الآفة الثالثة الخوض فى الباطل

منبعها السجايا الصالحة والمنح الالهية ولما هيأ الله تعالى بواطن الصوفية بتكميل السجايا فيها توصلوا بحسن الممارسة والرياضة الى استخراج ما فى النفوس من كوز بخلق الله تعالى الى الفعل فصاروا مؤديين مهذبين والآداب تقع فى حق بعض الاشخاص من غير زيادة ممارسة ورياضة لقوة ماأودع الله تعالى فى غرائزهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدبنى ربى فأحسن تأديبى وفى بعض الناس من يحتاج الى طول الممارسة لنقصان قوى أصولها فى الغريزة فلهذا احتاج المريدون الى صحبة المشايخ لتكون الصحبة والتعلم عونا على استخراج مافى الطبيعة الى الفعل

وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منها الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو يستحقرها فقد قال بلال بن الحرث (١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه الى يوم القيامة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيامة وكان علقمة يقول كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحرث وقال النبي صلى الله عليه وسلم (٢) ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا وقال أبو هريرة ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالا يرفعه الله بها في أعلى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم (٣) اعظم الناس خطايا يوم القيامة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين و بقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذاً مثلهم وقال سلمان اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم توضؤا فان بعض ما تقولون شر من الحديث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها اوتدبر للتوصل اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها و يدخل فيه ايضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه

﴿ الآفة الرابعة المراء والجدال ﴾

وذلك منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم (٤) لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال عليه السلام (٥) ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال صلى الله عليه وسلم (٦) من ترك المراء وهو محق بنى له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة وعن ام سلمة رضي الله عنها قالت (٧) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما عهد الى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال أيضا (٨) ما ضل قوم بعد أن هداهم الله الا أوتوا الجدل وقال أيضا (٩) لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وقال أيضا

---

(١) حديث بلال بن الحارث ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله الحديث ه.ت. وقال حسن صحيح (٢) حديث ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن وللشيخين وت ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوى بها سبعين خريفا في النار لفظ ت وقال حسن غريب (٣) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح

﴿ الآفة الرابعة المراء والمجادلة ﴾

(٤) حديث لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه ت من حديث ابن عباس وقد تقدم (٥) حديث ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته طب من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس بن مالك وواثلة بن الاسقع باسناد ضعيف دون قوله لا تفهم حكمته ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفا على ابن مسعود (٦) حديث من ترك المراء وهو محق بنى له بيت في أعلى الجنة الحديث تقدم في العلم (٧) حديث أم سلمة ان أول ما عهد الى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني والبيهقي بسند ضعيف وقد رواه ابن أبي الدنيا في المراسيل من حديث عروة بن رويم (٨) حديث ما ضل قوم الا أوتوا الجدل ت من حديث أبي أمامة وصححه وزاد بعد هدى كانوا عليه وتقدم في العلم وهو عند ابن ابي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره المصنف (٩) حديث لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يذر المراء وأن كان محقا ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ لا يؤمن العبد حتى يترك الكذب في

قال الله تعالى قوا انفسكم وأهليكم نارا قال ابن عباس رضي الله عنهما فقهوهم وأدبوهم وفي لفظ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدبني ربي فاحسن تاديبي ثم أمرني بمكارم الاخلاق فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين * قال يوسف بن الحسين بالادب يفهم العلم و بالعلم يصح العمل وبالعمل تنال الحكمة وبالحكمة يقام الزهد وبالزهد تترك الدنيا وبترك الدنيا يرغب في الآخرة وبالرغبة في الآخرة تنال الرتبة عند الله تعالى (قيل) لما ورد ابو حفص العراق جاء اليه الجنيد فرأى اصحاب ابي حفص وقوفا على رأسه يأتمرون لامره لا يخطئ احد منهم فقال يا اباحفص

(١) ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام فى الصيف وضرب أعداء الله بالسيف وتعجيل الصلاة فى اليوم الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانه ساعة جهل العالم وعندها يبتغى الشيطان زلته وقيل ماضل قوم بعد اذهداهم الله الا بالجدال وقال مالك بن أنس رحمة الله عليه ليس هذا الجدال من الدين فى شئ وقال ايضا المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن وقال لقمان لابنه يابنى لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد اذا رأيت الرجل لجوجا ممار يا معجبا برأيه فقد تمت خسارته وقال سفيان لو خالفت اخى فى رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بى الى السلطان وقال ايضا صاف من شئت ثم أغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك العيش وقال ابن أبى ليلى لا أمارى صاحبي فاما ان أكذبه واما ان اغضبه وقال ابو الدرداء كفى بك اثما ان لا تزال ممار يا وقال صلى الله عليه وسلم (٢) تكفير كل لحاء ركعتان وقال عمر رضى الله عنه لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه لتمارى به ولا لتباهي به ولا لترائى به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروءته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون بن مهران مالك لا تترك أخاك عن قلى قال لانى لا أشاريه ولا اماريه وماورد فى ذم المراء والجدال أكثر من ان يحصى وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما فى اللفظ واما فى المعنى واما فى قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا او كذبا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن فى كلام الغير تارة يكون فى لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو ومن جهة اللغة اومن جهة العربية اومن جهة النظم والترتيب بسوء تقديم او تأخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلله واما فى المعنى فبأن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا واما فى قصده فمثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض وما يجرى مجراه وهذا الجنس ان جرى فى مسالة علمية ربما خص باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت او السؤال فى معرض الاستفادة لا على وجه العناد والنكارة او التلطف فى التعريف لا فى معرض الطعن واما المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح فى كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك ان يكون تنبيهه للحق من جهة اخرى مكروها عند المجادل يحب ان يكون هو المظهر له خطأه ليبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة من هذا الا بالسكوت عن كل مالا يأثم به لو سكت عنه واما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها اما اظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى مافى العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية واما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضى ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح فى قائله بكل ما يتصور له فيثور الشجار بين المتمار يين كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى فى افحامه والجامه واما علاجه فهو بان يكسر الكبر الباعث

أدبت أصحابك أدب الملوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن حسن الأدب فى الظاهر عنوان الأدب فى الباطن قال أبو الحسين النورى ليس لله فى عبده مقام ولا حال ولا معرفة تسقط معها آداب الشريعة وآداب الشريعة حلية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلى بمحاسن الآداب قال عبد الله بن المبارك أدب الخدمة أعز من الخدمة (حكى) عن أبى عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكنت ربما أقعد بحذاء الكعبة وربما كنت أستلقى وأمد رجلى فجاءتنى عائشة المكية فقالت لى يا أبا عبيد يقال أنك من أهل العلم اقبل منى كلمة لا تجالسه الا بادب والا

المزاحة والمراء وان كان صادقا (١) حديث ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الحديث وفيه ترك المراء وهو صادق ابو منصور الديلمى من حديث ابى مالك الاشعرى بسند ضعيف بلفظ ست خصال من الخير الحديث
(٢) حديث تكفير كل لحاء ركعتان الطبرانى من حديث ابى امامة بسند ضعيف

له على اظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كاسيأتى ذلك فى كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها وسبب المراء والجدال ماذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس و يعسر الصبر عنه روى ان أباحنيفة رحمة الله عليه قال لدواد الطائى لم آثرت الانزواء قال لاجاهد نفسى بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة اشد على منها وهو كما قال لان من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه تعسر عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة لشدة ذلك على النفس وأكثر مايغلب ذلك فى المذاهب والعقائد فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه وذلك خطأ محض بل ينبغى للانسان ان يكف لسانه عن أهل القبلة واذا رأى مبتدعا تلطف فى نصحه فى خلوة لا بطريق الجدال فان الجدال يخيل اليه انها حيلة منه فى التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا فتستمر البدعة فى قلبه بالجدل وتتأكد فاذا عرف أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم (١) رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة الا باحسن مايقدر عليه وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات وكل من اعتاد المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها

﴿ الآفة الخامسة الخصومة ﴾

وهى أيضا مذمومة وهى وراء الجدال والمراء فالمراء طعن فى كلام الغير باظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن امر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج فى الكلام ليستوفى به مال أو حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عائشة رضى الله عنها (٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم وقال ابو هريرة (٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياك والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم ورع قط فى الدين وقال ابن قتيبة مر بى بشر بن عبد الله بن أبى بكرة فقال مايجلسك ههنا قلت خصومة بينى و بين ابن عم لى فقال ان لابيك عندى يدا وانى أريد ان اجزيك بها وانى والله مارأيت شيأ اذهب للدين ولا انقص للمروءة ولا اضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لانصرف فقال لى خصمى مالك قلت لا اخاصمك قال انك عرفت أن الحق لى قلت لا ولكن اكرم نفسى عن هذا قال فانى لا اطلب منك شيأ هو لك فان قلت فاذا كان للانسان حق فلابد له من الخصومة فى طلبه أو فى حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذى يخاصم بالباطل والذى يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضى فانه قبل ان يتعرف ان الحق فى اى جانب هو يتوكل فى الخصومة من اى جانب كان فيخاصم بغير علم و يتناول الذى يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد فى الخصومة على قصد التسلط او على قصد الايذاء و يتناول الذى يمزج بالخصومة كلمات

(١) حديث رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن مايقدر عليه ابن ابى الدنيا باسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا ورواه ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلفظ رحم الله امرأ كف لسانه عن اعراض المسلمين وهو منقطع وضعيف جدا

﴿ الآفة الخامسة الخصومة ﴾

(٢) حديث عائشة ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم خ وقد تقدم (٣) حديث ابى هريرة من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع ابن ابى الدنيا والاصفهانى فى الترغيب والترهيب وفيه رجاء ابو يحيى

فيمجى اسمك من ديوان القرب قال ابو عبيد وكانت من العارفات وقال ابن عطاء النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مأمور بملازمة الادب والنفس تجرى بطباعها فى ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده الى حسن المطالبة فمن اعرض عن الجهد فقد اطلق عنان النفس وغفل عن الرعاية ومهما اعانه فهو شريكها وقال الجنيد من اعان نفسه على هواها فقد اشرك فى قتل نفسه لان العبودية ملازمة الادب والطغيان سوء الادب (اخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال انا ابو الفتح الهروى قال انا ابو النصر التر ياقى قال انا ابو محمد الجراحى قال

مؤذية ليس يحتاج اليها نصرة الحجة واظهار الحق و يتناول الذى يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفى الناس من يصرح به و يقول انما قصدى عناده وكسر عرضه وانى ان أخذت منه هذا المال ربما رميت به فى بئر ولا أبالى وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج وهو مذموم جدا فاما المظلوم الذى ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان فى الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب واذا هاج الغضب نسى المتنازع فيه و بقى الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه و يحزن بمسرته و يطلق اللسان فى عرضه فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى انه فى صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذا المراء والجدال فينبغى ان لا يفتح بابه الا لضرورة وعند الضرورة ينبغى ان يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب فى خصومته سلم من الاثم ولا تذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيما خاصم فيه لان عنده ما يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون آثما نعم اقل ما يفوته فى الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب اذ اقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة فى الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذى حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم [1] يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال الله تعالى وقولوا للناس حسنا وقال بن عباس رضى الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وان كان مجوسيا ان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال بن عباس ايضا لو قال لى فرعون خيرا لرددت عليه وقال انس [2] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله تعالى لمن اطعم الطعام وألان الكلام وروى ان عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله اتقول هذا الخنزير فقال أكره ان اعود لسانى الشر وقال نبينا عليه السلام [3] الكلمة الطيبة صدقة وقال [4] اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال عمر رضى الله عنه البر شىء هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة فى الجوارح وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضى به جليسك فلا تكن به عليه بخيلا فانه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين هذا كله فى فضل الكلام وتضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج فانه الكلام المستكره الموحش المؤذى للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

(الآفة السادسة)

التقعر فى الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا واتقياء أمتى برآء من التكلف وقال صلى الله عليه وسلم [5] ان ابغضكم الى وابعدكم منى مجلسا الثرثارون

ضعفه الجمهور (١) حديث يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام الطبرانى من حديث جابر وفيه من لا اعرفه وله من حديث هانى ابى شريح باسناد جيد يوجب الجنة اطعام الطعام وحسن الكلام (٢) حديث انس ان فى الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها الحديث ت وقد تقدم (٣) حديث الكلمة الطيبة م من حديث ابى هريرة (٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدى بن حاتم وقد تقدم

(الآفة السادسة التقعر فى الكلام والتشدق)

(٥) حديث ان ابغضكم الى الله وابعدكم منى مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون أحمد من حديث ابى ثعلبة وهو عند ت من حديث جابر وحسنه بلفظ ان ابغضكم الى

أنا ابو العباس المحبوبى أنا ابو عيسى الترمذى قال ثنا قتيبة قال ثنا يحيى بن يعلى عن ناصح عن سماك عن جابر ابن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يؤدب الرجل ولده خير له من ان يتصدق بصاع (وروى) أيضا انه قال عليه السلام ما نحل والد ولدا من نحلة افضل من ادب حسن (وروت) عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه (وقال) ابو على الدقاق العبد يصل بطاعته الى الجنة و بادبه فى طاعته الى الله تعالى (قال) ابو القاسم القشيرى رحمه الله كان الاستاذ ابو على

المتفيهقون المتشدقون فى الكلام وقالت فاطمة رضى الله عنها [1] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام و يلبسون ألوان الثياب و يتشدقون فى الكلام وقال صلى الله عليه وسلم [2] ألا هلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر رضى الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمرو بن سعد بن ابى وقاص الى أبيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدى حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بابعد منك اليوم انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [3] يأتى على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقر الكلأ بالسنتها وكانه أنكر عليه ماقدمه على الكلام من التشبب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا أيضا من آفات اللسان و يدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع فى المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة فى الجنين فقال بعض قوم الجانى [4] كيف ندى من لاشرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال أسجعا كسجع الاعراب وأنكر ذلك لان أثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغى أن يقتصر فى كل شئ على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وماوراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل فى هذه تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط واغراب فان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها و بسطها فلرشاقة اللفظ تاثير فيه فهو لائق به فاما المحاورات التى تجرى لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع و يزجر عنه

(الآفة السابعة الفحش والسب و بذاءة اللسان)

وهو مذموم ومنهى عنه ومصدره الخبث واللؤم قال صلى الله عليه وسلم [5] اياكم والفحش فان الله تعالى لايحب الفحش ولا التفحش [6] ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال لاتسبوا هؤلاء فانه لايخلص اليهم شئ مما تقولون وتؤذون الاحياء الا ان البذاء لؤم وقال صلى الله عليه وسلم [7] ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء وقال صلى الله عليه وسلم [8] الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال صلى الله عليه وسلم [9] اربعة يؤذون اهل النار فى النار على مابهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له مابال الابعد قد آذانا على مابنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى

---

(١) حديث فاطمة شرار امتى الذين غذوا فى النعيم الحديث وفيه و يتشدقون ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب (٢) حديث الاهلك المتنطعون م من حديث ابن مسعود (٣) حديث سعد ياتى على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلأ بلسانها رواه احمد (٤) حديث كيف يدى من لاشرب ولا اكل الحديث م من حديث المغيرة بن شعبة وابى هريرة واصلهما عند خ ايضا

(الآفة السابعة الفحش والسب و بذاءة اللسان)

(٥) حديث اياكم والفحش الحديث ن فى الكبرى فى التفسير والحاكم وصححه من حديث عبدالله بن عمرو ورواه ابن حبان من حديث ابى هريرة (٦) حديث النهى عن سب قتلى بدر من المشركين الحديث ابن ابى الدنيا من حديث محمد بن على الباقر مرسلا ورجاله ثقات وللنسائى من حديث ابن عباس باسناد صحيح ان رجلا وقع فى اب للعباس كان فى الجاهلة فلطمه الحديث وفيه لاتسبوا امواتنا فتؤذوا احيانا (٧) حديث ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان الفاحش ولا البذىء ت باسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم وصححه وروى موقوفا قال الدارقطنى فى العلل والموقوف اصح (٨) حديث الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها ابن ابى الدنيا وابو نعيم فى الحلية من حديث عبدالله بن عمرو (٩) حديث اربعة يؤذون اهل النار على مابهم من الاذى الحديث وفيه ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث ابن ابى الدنيا من حديث شفى بن ماتع واختلف فى صحبته فذكره ابو نعيم فى الصحابة وذكره خ حب فى التابعين

لا يستند الى شىء فكان يوما فى مجمع فاردت ان اضع وسادة خلف ظهره لانى رايته غير مستند فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت انه توقى الوسادة لانه لم يكن عليها خرقة اوسجادة فقال لاار يد الاستناد فتأملت بعد ذلك فعلمت انه لا يستند الى شىء ابدا (وقال) الجلالى البصرى التوحيد يوجب الايمان فمن لا ايمان له لاتوحيد له والايمان يوجب الشريعة فمن لاشريعة له لا ايمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الادب فمن لا ادب له لاشريعة له ولا ايمان له ولا توحيد (وقال) بعضهم الزم الادب ظاهرا و باطنا فما اساء احد الادب ظاهرا الا عوقب ظاهرا وما اساء

كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة (١) ياعائشة لوكان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال صلى الله عليه وسلم (٢) البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق فيحتمل أن يراد بالبيان كشف مالا يجوز كشفه ويحتمل أيضا المبالغة فى الايضاح حتى ينتهى الى حد التكلف ويحتمل أيضا البيان فى أمور الدين وفى صفات الله تعالى فان القاء ذلك مجملا الى أسماع العوام أولى من المبالغة فى بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس فاذا أجملت بادرت القلوب الى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الانسان من بيانه فان الاولى فى مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم (٣) ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح فى الاسواق وقال جابر بن سمرة (٤) كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبى أمامى فقال صلى الله عليه وسلم ان الفحش والتفاحش ليسا من الاسلام فى شىء وان احسن الناس اسلاما احاسنهم اخلاقا وقال ابراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة فى صورة كلب أوفى جوف كلب وقال الاحنف بن قيس ألا أخبركم بادوأ الدواء اللسان البذى والخلق الدنى فهذه مذمة الفحش فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة واكثر ذلك يجرى فى الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون مايقاربها ويتعلق بها وقال ابن عباس ان الله حى كريم يعفو ويكنوا كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها فى الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة فى الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف ذلك بعادة البلاد واوائلها مكروهة واواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط اولى من لفظ التغوط والخراء وغيرهما فان هذا ايضا مما يخفى وكل ما يخفى يستحى منه فلا ينبغى ان يذكر الفاظه الصريحة فانه فحش وكذلك يستحسن فى العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل فى الحجرة اومن وراء الستر او قالت ام الاولاد فالتلطف فى هذه الالفاظ محمود والتصريح فيها يفضى الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيي منها فلا ينبغى ان يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذى يشكوه وما يجرى مجراه فالتصريح بذلك داخل فى الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان قال العلاء بن هرون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ فى منطقه فخرج تحت ابطه خراج فأتيناه نسأله لنرى مايقول فقلنا من اين خرج فقال من باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق واهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب وقال اعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) اوصنى فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشىء يعلمه فيك فلا تعيره بشىء تعلمه فيه يكن وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيأ قال فماسببت شيا بعده وقال عياض بن حمار (٦) قلت يارسول الله ان الرجل من قومى يسبنى وهو دونى هل على من باس أن أنتصر منه فقال المتسابان

(١) حديث ياعائشة لوكان الفحش رجلا لكان رجل سوء ابن أبى الدنيا من رواية ابن لهيعة عن ابى النضر عن ابى سلمة عنها (٢) حديث البذاء والبيان شعبتان من النفاق ت وحسنه ولك وصححه على شرطهما من حديث ابى امامة وقد تقدم (٣) حديث ان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش الصياح فى الاسواق ابن ابى الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف وله وللطبرانى من حديث اسامة بن زيد ان الله لا يحب الفاحش المتفحش واسناده جيد (٤) حديث جابر بن سمرة ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام فى شىء الحديث احمد وابن ابى الدنيا باسناد صحيح (٥) حديث قال اعرابى اوصنى فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشىء تعلمه فيك فلا تعيره بشىء تعلمه فيه الحديث احمد والطبرانى باسناد جيد من حديث ابى جرى الهجيمى قيل اسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر (٦) حديث عياض بن حمار قلت يارسول الله الرجل من قومى يسبنى وهو دونى هل على من

أحد الادب باطنا الا عوقب باطنا قال بعضهم هو غلام الدقاق نظرت الى غلام امرد فنظر الى الدقاق وانا انظر اليه فقال لتجدن غبها ولو بعد سنين قال فوجدت غبها بعد عشرين سنة ان انسيت القرآن (وقال) سرى صليت وردى ليلة من الليالى ومددت رجلى فى المحراب فنوديت ياسرى هكذا تجالس الملوك فضممت رجلى ثم قلت وعزتك لامددت رجلى ابدا وقال الجنيد فبقى ستين سنة مامد رجله ليلا ولا نهارا (قال عبد الله) بن المبارك من تهاون بالادب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ومن تهاون بالفرائض عوقب

شيطانان يتعاويان و يتهارجان وقال صلى الله عليه وسلم [١] سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله عليه وسلم [٢] المستبان ماقال فعلى البادىء منهما حتى يعتدى المظلوم وقال صلى الله عليه وسلم [٣] ملعون من سب والديه وفى رواية من أكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يارسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه

(الآفة الثامنة اللعن)

اما الحيوان أو جماد او انسان وكل ذلك مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] المؤمن ليس بلعان وقال صلى الله عليه وسلم [٥] لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الاحق عليهم القول وقال عمران بن حصين [٦] بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره اذا امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكأنى أنظر الى تلك الناقة تمشى بين الناس لا يتعرض لها أحد وقال أبو الدرداء مالعن احد الارض الاقالت لعن الله أعصانا لله وقالت عائشة رضى الله عنها سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم [٧] أبا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال يا أبا بكر أصديقين ولعانين كلا ورب الكعبة مرتين أو ثلاثا فاعتق أبو بكر يومئذ رقيقه وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا أعود وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٨] ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وقال أنس [٩] كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال صلى الله عليه وسلم ياعبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جائز الاعلى من اتصف بصفة تبعده من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغى ان يتبع فيه لفظ الشرع فان فى اللعنة خطرا لانه حكم على الله عز وجل بانه قد أبعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى و يطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق وللعن فى كل واحدة ثلاث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعين والفسقة الثانية اللعن باوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض أو على الزناة والظلمة وآكلى الربا وكل ذلك جائز ولكن فى لعن أوصاف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغى أن يمنع منه العوام لان ذلك يستدعى المعارضة بمثله و يثير

بأس ان انتصر منه فقال المستبان شيطانان يتكاذبان و يتهاتران د الطيالسى واصله عند احمد (١) حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر متفق عليه من حديث بن مسعود (٢) حديث المستبان ماقالا فعلى البادىء حتى يعتدى المظلوم م من حديث ابى هريرة وقال مالم يعتد (٣) حديث ملعون من سب والديه وفى رواية من أكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه الحديث احمد وابو يعلى والطبرانى من حديث ابن عباس باللفظ الاول باسناد جيد واتفق الشيخان على اللفظ الثانى من حديث عبد الله بن عمرو.

(الآفة الثامنة اللعن)

(٤) حديث المؤمن ليس بلعان تقدم حديث ابن مسعود ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان الحديث قبل هذا بأحد عشر حديثا وللترمذى وحسنه من حديث بن عمر لا يكون المؤمن لعانا (٥) حديث لا تلاعنوا بلعنة الله الحديث ت د من حديث سمرة بن جندب قال ت حسن صحيح (٦) حديث عمران بن حصين بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره اذ امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها الحديث رواه م (٧) حديث عائشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر رضى الله عنه وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه فقال ياابابكر لعانين وصديقين الحديث ابن ابى الدنيا فى الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف ضعفه الجمهور وكان احمد حسن الرأى فيه (٨) حديث ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة م من حديث ابى الدرداء (٩) حديث انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال

بحرمان المعرفة (وسئل السرى) عن مسئلة فى الصبر فجعل يتكلم فيها فدب على رجله عقرب فجعلت تضر به با برتها فقيل له ألا تدفعها عن نفسك قال استحى من الله ان اتكلم فى حال ثم اخالف ما اعلم فيه وقيل من ادب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال زويت لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها ولم يقل رأيت (وقال) يس بن مالك الادب فى العمل علامة قبول العمل (وقال) ابن عطاء الادب الوقوف مع المستحسنات قيل ما معناه قال ان تعامل الله سرا وعلنا بالادب فاذا كنت كذلك كنت اديبا وان كنت اعجميا ثم انشد

نزاعا بين الناس وفسادا الثالثة اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص ثبتت لعنته شرعا فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وأبو جهل لعنه الله لانه قد ثبت ان هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا أما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر فانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور أن يرتد فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أي ثبته الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز أن يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدرى والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر واذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى فلعن الاعيان فيه خطر لان الاعيان تتقلب في الاحوال الا من اعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز ان يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوما باللعن فكان يقول في دعائه على قريش (١) اللهم عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهى عنه (٢) اذ روى انه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون يعني انهم ربما يسلمون فمن أين تعلم انهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه أذى على مسلم فان كان لم يجز كما روى (٣) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر رضي الله عنه عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من ابي قحافة فقال ابو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم أقبل على أبي بكر فقال يا أبا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للاباء فكف الناس عن ذلك (٤) وشرب نعيمان الخمر فحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن

يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون ابن ابي الدنيا باسناد جيد (١) حديث اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة متفق عليه من حديث ابن مسعود (٢) حديث انه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء الشيخان من حديث أنس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا الحديث وفي رواية لهما قنت شهرا يدعو على رعل وذكوان الحديث ولهما من حديث ابي هريرة وكان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه الحديث وفيه اللهم العن لحيان ورعلا الحديث وفيه ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله ليس لك من الامر شيء لفظ م (٣) حديث ان رسول صلى الله عليه وسلم سأل ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه الحديث د في المراسيل من رواية على ابن ربيعة قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فوره ذلك الى الطائف ومعه ابو بكر ومعه ابنا سعيد بن العاص فقال ابو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال ابو بكر لعن الله صاحب هذا فانه كان يحاهد الله ورسوله الحديث وفيه فاذا سببتم المشركين فسبوهم جميعا (٤) حديث شرب نعيمان الخمر فحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على أخيك وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر في الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلا ومحمد هذا ولد في حياته صلى الله عليه وسلم وسماه محمدا وكناه عبد الملك وللبخاري من حديث عمر ان رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان

اذا نطقت جاءت بكل مليحة * وان سكتت جاءت بكل مليح
وقال الجريري منذ عشرين سنة ما مددت رجلي في الخلوة فان حسن الادب مع الله أحسن وأولى * وقال أبو علي ترك الادب موجب للطرد فمن أساء الادب على البساط رد الى الباب ومن أساء الادب على الباب رد الى سياسة الدواب * (الباب الثاني والثلاثون في آداب الحضرة الآلهية لاهل القرب) * كل الآداب تتلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام مجمع الآداب ظاهرا وباطنا وأخبر الله تعالى عن حسن أدبه في الحضرة بقوله تعالى مازاغ البصر وما طغى وهذه غامضة من

عونا للشيطان على اخيك وفى رواية لاتقل هذا فانه يحب الله ورسوله فنهاه عن ذلك وهذا يدل على أن لعن فاسق بعينه غير جائز وعلى الجملة فى لعن الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر فى السكوت عن لعن ابليس مثلا فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز لعن يزيد لانه قاتل الحسين او آمر به قلنا هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله اوأمر به مالم يثبت فضلا عن اللعنة لانه لاتجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم عليا وقتل ابو لؤلؤة عمر رضى الله عنهم فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز ان يرمى مسلم بفسق أو كفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم (١) لا يرمى رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ماشهد رجل على رجل بالكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئا لا كافرا وقال معاذ (٣) قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهاك ان تشتم مسلما او تعصى اماما عادلا والتعرض للاموات اشد قال مسروق دخلت على عائشة رضى الله عنها فقالت مافعل فلان لعنه الله قلت توفى قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) لاتسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ماقدموا وقال عليه السلام (٥) لاتسبوا الاموات فتؤذوا به الاحياء وقال عليه السلام (٦) ايها الناس احفظونى فى اصحابى واخوانى وأصهارى ولا تسبوهم أيها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله او الآمر بقتله لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهى الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر وليس فى السكوت خطر فهو اولى وانما اوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغى ان يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر او على الاجناس المعروفين باوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله اولى فان لم يكن ففى السكوت سلامة قال مكى بن ابراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابى بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا ياابن عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتى يوم القيامة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلأن يخرج من صحيفتى لا اله الا الله احب الى من ان يخرج منها لعن

يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلده فى الشراب فاتى به يوما فامر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه مااكثر مايؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاتلعنوه فوالله ماعلمت الا انه يحب الله ورسوله من حديث ابى هريرة فى رجل شرب ولم يسم وفيه لاتعينوا عليه الشيطان وفى رواية لاتكونوا عون الشيطان على اخيكم (١) حديث لايرمى رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك متفق عليه والسياق للبخارى من حديث ابى ذر مع تقديم ذكر الفسق (٢) حديث ماشهد رجل على رجل بالكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابى سعيد بسند ضعيف (٣) حديث معاذ انهاك ان تشتم مسلما او تعصى اماما عادلا ابو نعيم فى الحلية فى اثناء حديث له طويل (٤) حديث عائشة لاتسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ماقدموا خ وذكر المصنف فى اوله قصة لعائشة وهو عند ابن المبارك فى الزهد والرقائق مع القصة (٥) حديث لاتسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء الترمذى من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله ثقات الا ان بعضهم ادخل بين المغيرة وبين زياد بن علاقة رجلا لم يسم (٦) حديث ايها الناس احفظونى فى اصحابى واخوانى واصهارى ولا تسبوهم ايها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عياض الانصارى احفظونى فى اصحابى واصهارى واسناده ضعيف وللشيخين من حديث ابى سعيد وابى هريرة لاتسبوا اصحابى ولابى داود والترمذى وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وللنسائى

غوامض الآداب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر الله تعالى عن اعتدال قلبه المقدس فى الاعراض والاقبال اعرض عما سوى الله وتوجه الى الله وترك وراء ظهره الارضين والدار العاجلة بحظوظها والسموات والدار الآخرة بحظوظها فما التفت الى ما اعرض عنه ولا لحقه الاسف على الغائب فى اعراضه قال الله تعالى لكيلا تأسوا على مافاتكم فهذا الخطاب للعموم ومازاغ البصر اخبار عن حال النبي عليه السلام بوصف خاص من معنى ماخاطب به العموم فكان مازاغ البصر حاله فى طرف الاعراض وفى

الله

الله فلا نا وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم [١] أوصنى فقال اوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمر ان أبغض الناس الى الله كل طعان لعان وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد ان روى هذا لو قلت انه مرفوع لم أبال وعن ابى قتادة قال [٢] كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل ان يقتله وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و يقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان مثلا لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجرى مجراه فان ذلك مذموم وفى الخبر [٣] ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة

* (الآفة التاسعة) *

الغناء والشعر وقد ذكرنا فى كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده واما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] لأن يمتلىء جوف احدكم قيحا حتى يريه خيرا له من ان يمتلىء شعرا وعن مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له فى ذلك فقال انا اكره ان يوجد فى صحيفتى شعر وسئل بعضهم عن شىء من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام مستكره قال صلى الله عليه وسلم [٥] ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم [٦] حسان بن ثابت الانصارى بهجاء الكفار والتوسع فى المدح فانه وان كان كاذبا فانه لا يلتحق فى التحريم بالكذب كقول الشاعر

ولو لم يكن فى كفه غير روحه * لجاد بها فليتق الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر فلا يقصد منه ان يعتقد صورته وقد انشدت ابيات بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه قالت عائشة رضى الله عنها [٧] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت جالسة اغزل فنظرت اليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت فنظر الى فقال مالك بهت فقلت يارسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رآك ابو كبير الهذلى لعلم انك احق بشعره قال وما يقول ياعائشة ابو كبير الهذلى قلت يقول هذين البيتين

من حديث عائشة لا تذكروا موتاكم الا بخير واسناده جيد (١) حديث قال رجل اوصنى قال اوصيك ان لا تكون لعانا احمد والطبرانى وابن ابى عاصم فى الآحاد والثانى من حديث جرموز الهجيمى وفيه رجل لم يسم اسقط ذكره ابن ابى عاصم (٢) حديث لعن المؤمن كقتله متفق عليه من حديث ثابت بن الضحاك (٣) حديث ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة لم اقف له على اصل والترمذى من حديث عائشة بسند ضعيف من دعا على من ظلمه فقد انتصر

(الآفة التاسعة الغناء والشعر)

(٤) حديث لأن يمتلىء جوف احدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلىء شعرا مسلم من حديث سعد بن ابى وقاص واتفق عليه الشيخان من حديث ابى هريرة نحوه والبخارى من حديث ابن عمر ومسلم من حديث ابى سعيد (٥) حديث ان من الشعر لحكمة تقدم فى العلم وفى آداب السماع (٦) حديث امره حسانا أن يهجو المشركين متفق عليه من حديث البراء انه صلى الله عليه وسلم قال لحسان اهجهم وجبريل معك (٧) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت اغزل قالت فنظرت اليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا الحديث وفيه انشاد عائشة لشعر أبى كبير الهذلى

طرف الاقبال تلقى ماورد عليه فى مقام قاب قوسين بالروح والقلب ثم فرمن الله تعالى حياء منه وهيبة واجلالا وطوى نفسه بفراره فى مطاوى انكساره وافتقاره لكيلا تنبسط النفس فتطغى فان الطغيان عند الاستغناء وصف النفس قال الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى والنفس عند المواهب الواردة على الروح والقلب تسترق السمع ومتى نالت قسطا من المنح استغنت وطغت والطغيان يظهر منه فرط البسط والافراط فى البسط يسد باب المزيد وطغيان النفس لضيق وعائها عن المواهب فموسى عليه السلام صح له فى الحضرة

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل
واذا نظرت الى اسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان بيده وقام الى وقبل مابين عيني وقال جزاك الله خيرا ياعائشة ماسررت مني كسروري منك (١) ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم حنين أمر للعباس بن مرداس باربع قلائص فاندفع يشكو فى شعر له وفى آخره

وما كان بدر ولا حابس * يسودان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه فذهب به ابو بكر الصديق رضى الله عنه حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من أرضى الناس فقال له صلى الله عليه وسلم أتقول فى الشعر فجعل يعتذر اليه و يقول بابى انت وأمى انى لأجد للشعر دبيبا على لسانى كدبيب النمل ثم يقرصنى كما يقرص النمل فلا اجد بدا من قول الشعر فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين

﴿ الآفة العاشرة المزاح ﴾

وأصله مذموم منهى عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال صلى الله عليه وسلم (٢) لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت المماراة فيها ايذاء لان فيها تكذيبا للاخ والصديق او تجهيلا له واما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهى عنه فاعلم ان المنهى عنه الافراط فيه او المداومة عليه اما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل فيه واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة واما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة فى بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (٣) انى لأمزح ولا اقول الاحقا الا ان مثله يقدر على ان يمزح ولا يقول الاحقا واما غيره اذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيفما كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها فى النار ابعد من الثريا وقال عمر رضى الله عنه من كثر ضحكه قلت

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل
فاذا نظرت الى اسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

الى آخر الحديث رواه البيهقى فى دلائل النبوة (١) حديث لما قسم الغنائم امر للعباس بن مرداس باربع قلائص وفى آخره شعره

وما كان بدر ولا حابس * يسودان مرداس فى المجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه الحديث مسلم من حديث رافع بن خديج اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اباسفيان بن حرب وصفوان بن امية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس كل انسان منهم مائة من الابل واعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس

اتجعل نهبي ونهب العبيـــد بين عيينة والاقرع
وما كان بدر ولا حابس * يفوقان مرداس فى المجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن يخفض اليوم لا يرفع

قال فأتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وزاد فى رواية واعطى علقمة بن علاثة مائة وأما زيادة اقطعوا عنى لسانه فليست فى شىء من الكتب المشهورة ﴿ الآفة العاشرة المزاح ﴾

(٢) حديث لا تمار اخاك ولا تمازحه الترمذى وقد تقدم (٣) حديث انى امزح ولا اقول الاحقا تقدم
(٤) حديث ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها ابعد من الثريا تقدم

احد طرفى مازاغ البصر وما التفت الى مافاته وماطغى متاسفا لحسن ادبه ولكن امتلا من المنح واسترقت النفس السمع وتطلعت الى القسط والحظ فلما حظيت النفس استغنت وطفح عليها ماوصـــل اليها وضاق نطاقها فتجاوز الحد من فرط البسط وقال ارنى انظر اليك فمنع ولم يطلق فى فضاء المزيد وظهر الفرق بين الحبيب والكليم عليهما السلام وهذه دقيقة لارباب القرب والاحوال السنية فكل قبض بوجد عقوبة لان كل قبض سد فى وجه باب الفتوح والعقوبة بالقبض اوجبت الافراط فى البسط ولو حصل الاعتدال فى البسط ماجبت

هيبته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم (١) لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال رجل لاخيه يا أخي هل اتاك أنك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قيل فارىء ضاحكا حتى مات وقال يوسف بن اسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء السلمي أربعين سنة لم يضحك ونظر وهيب بن الورد الى قوم يضحكون في عيد فطر فقال ان كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين وكان عبد الله بن أبي يعلى يقول اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رأيت في الجنة رجلا يبكي ألست تعجب من بكائه قيل بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري الى ماذا يصير هو عجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم منه ان يستغرق ضحكا والمحمود منه التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) قال القاسم مولى معاوية (٣) اقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليساله يفر به فجعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه يضحكون منه ففعل ذلك مرارا ثم وقصه فقتله فقيل يارسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه وقد هلك فقال نعم وافواهكم ملاى من دمه واما اداء المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر قالت لي امي يا بني لا تمازح الصبيان فتهون عندهم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنيء فيجترىء عليك وقال عمر ابن العزيز رحمه الله تعالى اتقوا الله واياكم والمزاح فانه يورث الضغينة ويجر الى القبيح تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال وقال عمر رضي الله اتدرون لم سمى المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه ازاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شئ بذور وبذور العداوة المزاح ويقال المزاح مسابة للنهى مقطعة للاصدقاء فان قلت قد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فكيف ينهى عنه فاقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذى قلبا ولا تفرط فيه وتقصر عليه احيانا على الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور نهاره مع الزنوج ينظر اليهم والى رقصهم ويتمسك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) اذن لعائشة في النظر الى رقص الزنوج في يوم عيد وهو خطأ اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن هذا نعم روى ابو هريرة (٥) انهم قالوا يارسول الله انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم لا اقول الا حقا وقال عطاء (٦) ان رجلا سال ابن عباس اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال نعم قال فما كان مزاحه قال كان مزاحه انه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امراة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدى وجرى منه ذيلا كذيل

(١) حديث لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا متفق عليه من حديث انس وعائشة (٢) حديث كان ضحكه التبسم تقدم (٣) حديث القاسم مولى معاوية اقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يفر به وجعل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعلا ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يارسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه فهلك قال نعم وافواهكم ملاى من دمه ابن المبارك في الزهد والرقائق وهو مرسل (٤) حديث اذنه لعائشة في النظر الى رقص الزنوج في يوم عيد تقدم (٥) حديث أبي هريرة قالوا انك تداعبنا قال اني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا الترمذي وحسنه (٦) حديث عطاء ان رجلا سال ابن عباس اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال ابن عباس نعم الحديث فذكر منه قوله لامراة من نسائه البسيه واحمدي وجرى منه ذيلا كذيل العروس لم اقف عليه

العقوبة بالقبض والاعتدال في البسط بايقاف النازل من المنح على الروح والقلب والايقاف على الروح والقلب بما ذكرناه من حال النبي عليه السلام من تغييب النفس في مطاوى الانكسار فذلك الفرار من الله الى الله وهو غاية الادب حظى به رسول الله عليه الصلاة والسلام فما قوبل بالقبض فدام مزيده وكان قاب قوسين اوادنى ويشاكل الشرح الذي شرحناه قول ابي العباس ابن عطاء في قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى قال لم يره بطغيان يميل بل رآه على شروط اعتدال القوى وقال سهل ابن عبد الله التسترى لم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاهد نفسه ولا الى مشاهدتها وانما

العروس وقال أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم (١) كان من أفكه الناس مع نسائه وروى (٢) انه كان كثير التبسم
وعن الحسن (٣) قال أتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز فبكت
فقال انك لست بعجوز يومئذ قال الله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا وقال زيد بن أسلم (٤) ان امرأة
يقال لها أم أيمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك قال ومن هو أهو الذى بعينه بياض
قالت والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا و بعينه بياض
وأراد به البياض المحيط بالحدقة وجاءت امرأة أخرى فقالت (٥) يارسول الله احملني على بعير فقال بل نحملك
على ابن البعير فقالت ما أصنع به انه لا يحملني فقال صلى الله عليه وسلم ما من بعير الا وهو ابن بعير فكان يمزح به
وقال أنس كان لابى طلحة ابن يقال له أبو عمير (٦) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم و يقول يا أبا عمير ما فعل
النغير لنغير كان يلعب به وهو فرخ العصفور وقالت عائشة رضى الله عنها (٧) خرجت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى غزوة بدر فقال تعالى حتى أسابقك فشددت درعى على بطنى ثم خططنا خطا فقمنا عليه واستبقنا فسبقنى
وقال هذه مكان ذى المجاز وذلك أنه جاء يوما ونحن بذى المجاز وأنا جارية قد بعثنى أبى بشئ فقال اعطينيه فأبيت
وسعيت وسعى فى أثرى فلم يدركنى وقالت أيضا (٨) سابقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما حملت اللحم
سابقنى فسبقنى وقال هذه بتلك وقالت أيضا رضى الله عنها (٩) كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة
بنت زمعة فصنعت حريرة وجئت به فقلت لسودة كلى فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلن أو لالطخن به وجهك
فقالت ما انا بذائقته فاخذت بيدى من الصحفة شيأ منه فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
بينى و بينها فخفض لها رسول الله ركبتيه لتستقيد منى فتناولت من الصحفة شيا فمسحت به وجهى وجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يضحك وروى ان الضحاك بن سفيان الكلابى (١٠) كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان عندى امرأتين احسن من هذه الحميراء وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفلا أنزل لك عن
احداهما فتتزوجها وعائشة جالسة تسمع فقالت اهى احسن أم أنت فقال بل انا احسن منها وأكرم فضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها اياه لانه كان دميما وروى علقمة عن أبى سلمة (١١) أنه كان صلى الله عليه
وسلم يدلع لسانه للحسن بن على عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال له عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن

(١) حديث أنس كان من افكه الناس تقدم (٢) حديث انه كان كثير التبسم تقدم (٣) حديث الحسن
لا يدخل الجنة عجوز الترمذى فى الشمائل هكذا مرسلا واسنده ابن الجوزى فى الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف
(٤) حديث زيد بن اسلم فى قوله لامرأة يقال لها ام ايمن قالت ان زوجي يدعوك اهو الذى بعينه بياض الحديث
الزبير بن بكار فى كتاب الفكاهة والمزاح ورواه ابن ابى الدنيا من حديث عبدة بن سهم الفهرى مع اختلاف
(٥) حديث قوله لامرأة استحملته نحملك على ابن البعير الحديث ابو داود والترمذى وصححه من حديث انس
بلفظ انا حاملك على ولد الناقة (٦) حديث أنس ابا عمير ما فعل النغير متفق عليه وتقدم فى اخلاق النبوة
(٧) حديث عائشة فى مسابقته صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر فسبقها وقال هذه مكان ذى المجاز لم اجد له اصلا
ولم تكن عائشة معه فى غزوة بدر (٨) حديث عائشة سابقنى فسبقته النسائى وابن ماجه وقد تقدم فى النكاح
(٩) حديث عائشة فى لطخ وجه سودة بحريرة ولطخ سودة وجه عائشة فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك الزبير
ابن بكار فى كتاب الفكاهة وابو يعلى باسناد جيد (١٠) حديث ان الضحاك بن سفيان الكلابى قال عندى
امرأتان احسن من هذه الحميراء افلا انزل لك عن احداهما فتتزوجها وعائشة جالسة قبل ان يضرب الحجاب فقالت
اهى احسن ام انت فقال بل انا احسن منها واكرم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان دميما الزبير بن بكار فى
الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسلا او معضلا وللدارقطنى نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزارى
بعد نزول الحجاب من حديث ابى هريرة (١١) حديث ابي سلمة عن ابى هريرة انه صلى الله عليه وسلم كان يدلع

كان مشاهدا بكليته لربه يشاهد مايظهر عليه من الصفات التى اوجبت الثبوت فى ذلك المحل وهذا الكلام لمن اعتبر موافق لما شرحناه برمز فى ذلك عن سهل بن عبدالله ويؤيد ذلك ايضا ما اخبرنا به شيخنا ضياء الدين ابو النجيب السهروردي اجازة قال انا الشيخ العالم عصام الدين ابو حفص عمر بن احمد بن منصور الصفار النيسابورى قال انا ابو بكر احمد ابن خلف الشيرازى قال انا الشيخ ابو عبدالرحمن السلمى قال سمعت ابا نصر بن عبدالله ابن على السراج قال انا ابو الطيب العكى عن ابى محمد الجريرى قال التسرع الى استدراك علم الانقطاع وسيلة

لي الابن قد تزوج و بقل وجهه وماقبلته قط فقال صلى الله عليه وسلم ان من لا يرحم لا يرحم فأكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وقال صلى الله عليه وسلم (١) مرة لصهيب و به رمد وهو يأكل تمرا أتأكل التمر وأنت رمد فقال انما آكل بالشق الآخر يارسول الله فتبسم صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروى (٢) أن خوات بن جبير الانصارى كان جالسا الى نسوة من بنى كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لى شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد فقال يا أبا عبد الله ماأترك لك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أتفرر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة و بعدما قدمت المدينة قال فرآني فى المسجد يوما أصلى فجلس الى فطولت فقال لا تطول فانى انتظرك فلما سلمت قال يا أبا عبد الله أماترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام وكنت بعد ذلك أتفرر منه حتى لحقنى يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه فى شق واحد فقال أبا عبد الله أماترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذى بعثك بالحق ماشرد منذ أسلمت فقال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصارى (٣) رجلا مزاحا فكان يشرب الخمر فى المدينة فيؤتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيضرب به بنعله و يأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لعنك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول يارسول الله هذا قد اشتريته لك واهديته لك فاذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم أولم يهده لنا فيقول يارسول الله انه لم يكن عندى ثمنه واحببت ان تأكل منه فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم و يأمر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب الضحك المميت للقلب

﴿الآفة الحادية عشرة﴾

السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان مؤذيا كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على

لسانه للحسن بن على فيرى الصبي لسانه فيهش اليه فقال عيينة بن بدر الفزارى والله ليكونن لى الابن رجلا قد خرج وجهه وماقبلته قط فقال ان من لا يرحم لا يرحم ابو يعلى من هذا الوجه دون مافى آخره من قول عيينة بن بدر وهو عيينة بن حصن بن بدر ونسب الى جده وحكى الخطيب فى المبهمات قولين فى قائل ذلك احدهما انه عيينة ابن حصن والثانى انه الاقرع بن حابس وعند مسلم من رواية الزهرى عن ابى سلمة عن ابى هريرة ان الاقرع بن حابس ابصر النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال ان لى عشرة من الولد ماقبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم (١) حديث قال لصهيب و به رمد أتأكل التمر وانت رمد فقال انما آكل على الشق الآخر فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب ورجاله ثقات (٢) حديث ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بنى كعب بطريق مكة فطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لى شرود الحديث الطبرانى فى الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات ابن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات وادخل بعضهم بين زيد و بين خوات ربيعة بن عمرو (٣) حديث كان نعيمان رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به النبي صلى الله عليه وسلم فيضرب به الحديث وفيه انه كان يشترى الشيء ويهديه الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم يجىء بصاحبه فيقول اعطه ثمن متاعه الحديث الزبير بن بكار فى الفكاهة من طريقه ابن عبد البر من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلا وتقدم اوله

﴿الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء﴾

والوقوف على حد الانحسار نجاة واللياذ بالهرب من علم الدنو وصلة واستقباح ترك الجواب ذخيرة والاعتصام من قبول دواعى استماع الخطاب تكلف وخوف فوت علم ما انطوى من فصاحة الفهم فى حيز الاقبال مساءة والاصغاء الى تلقى ما ينفصل عن معدنه بعد والاستسلام عند التلاقى جراءة والانبساط فى محل الانس غرة وهذه الكلمات كلها من آداب الحضرة لاربابها وفى قوله تعالى مازاغ البصر وما طغى وجه آخر ألطف مما سبق مازاغ البصر حيث لم يتخلف عن البصيرة ولم يتقاصر وماطغى لم يسبق البصر البصيرة فيتجاوز حده ويتعدى مقامه بل استقام البصر مع البصيرة

العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة فى الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عائشة رضى الله عنها (١) حاكيت انسانا فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم والله ما احب انى حاكيت انسانا ولى كذا وكذا وقال ابن عباس فى قوله تعالى يا ويلتنا مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ان الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وهذا اشارة الى ان الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر وعن عبد الله بن زمعة (٢) انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فوعظهم فى ضحكهم من الضرطة فقال علام يضحك احدكم مما يفعل وقال صلى الله عليه وسلم (٣) ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه ثم يفتح له باب اخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فلا يأتيه وقال معاذ بن جبل (٤) قال النبي صلى الله عليه وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم اى لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا انما يحرم فى حق من يتأذى به فامامن جعل نفسه مسخرة وربما فرح من ان يسخر به كانت السخرية فى حقه من جملة المزاح وقد سبق مايذم منه ومايمدح وانما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه اذا تخبط فيه ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته او على صورته وخلقته اذا كان قصيرا اوناقصا لعيب من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل فى السخرية المنهى عنها

﴿الآفة الثانية عشرة﴾

افشاء السر وهو منهى عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال النبي صلى الله عليه وسلم (٥) اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهى أمانة وقال (٦) مطلقا الحديث بينكم أمانة وقال الحسن ان من الخيانة أن تحدث بسر أخيك ويروى أن معاوية رضى الله عنه أسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لأبيه يا أبت ان أمير المؤمنين أسر الى حديثا وما أراه يطوى عنك ما بسطه الى غيرك قال فلا تحدثنى به فان من كتم سره كان الخيار اليه ومن أفشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا أبت وان هذا ليدخل بين الرجل و بين ابنه فقال لا والله يابنى ولكن أحب أن لا تذلل لسانك باحاديث السر قال فاتيت معاوية فاخبرته فقال ياوليد أعتقك ابوك من رق الخطأ فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولؤم ان لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا مايتعلق بكتمان السر فى كتاب آداب الصحبة فاغنى عن الاعادة

﴿الآفة الثالثة عشرة﴾

الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وذلك من أمارات النفاق

---

(١) حديث عائشة حكيت انسانا فقال النبي صلى الله عليه وسلم مايسرنى انى حكيت انسانا ولى كذا وكذا ابو داود والترمذى وصححه (٢) حديث عبد الله بن زمعة وعظهم فى الضحك من الضرطة وقال علام يضحك احدكم مما يفعل متفق عليه (٣) حديث ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا جاء اغلق دونه الحديث ابن ابى الدنيا فى الصمت من حديث الحسن مرسلا ورويناه فى ثمانيات النجيب من رواية ابى هدبة احد الهالكين عن انس (٤) حديث معاذ بن جبل من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله الترمذى دون قوله قد تاب منه وقال حسن غريب وليس اسناده بمتصل قال الترمذى قال احمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه

﴿الآفة الثانية عشرة افشاء السر﴾

(٥) حديث اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهى امانة ابو داود والترمذى وحسنه من حديث جابر

(٦) حديث الحديث بينكم امانة ابن ابى الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا

﴿الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب﴾

الظاهر مع الباطن والقلب مع القالب والنظر مع القدم ففى تقدم النظر على القدم طغيان والمعنى بالنظر علم و بالقدم حال القالب فلم يتقدم النظر على القدم فيكون طغيانا ولم يتخلف القدم عن النظر فيكون تقصيرا فلما اعتدلت الاحوال وصار قلبه كقالبه وقالبه كقلبه وظاهره كباطنه وباطنه كظاهره و بصره كبصيرته فحيث انتهى نظره وعلمه قارنه قدمه وحاله ولهذا المعنى انعكس حكم معناه ونوره على ظاهره والى البراق ينتهى خطوه حيث ينتهى نظره لايتخلف قدم البراق عن موضع نظره كما جاء فى حديث المعراج فكان البراق بقالبه مشاكلا لمعناه ومتصفا

النفاق قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وسلم (١) العدة عطية وقال صلى الله عليه وسلم (٢) الوأى مثل الدين أو أفضل والوأى الوعد وقد أثنى الله تعالى على اسمعيل عليه السلام فى كتابه العزيز فقال انه كان صادق الوعد قيل انه واعد انسانا فى موضع فلم يرجع اليه ذلك الانسان بل نسى فبقى اسمعيل اثنين وعشرين يوما فى انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال انه كان خطب الى ابنتى رجل من قريش وقد كان منى اليه شبه الوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق أشهدكم أنى قد زوجته ابنتى (٣) وعن عبد الله بن أبى الخنساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث و بقيت له بقية فواعدته أن آتيه بها فى مكانه ذلك فنسيت يومى والغد فأتيته اليوم الثالث وهو فى مكانه فقال يا فتى لقد شققت على انا ههنا منذ ثلاث أنتظرك وقيل لابراهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال ينتظره الى ان يدخل وقت الصلاة التى تجيء وكان رسول الله صلى عليه وسلم (٤) اذا وعد وعدا قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا و يقول ان شاء الله وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم فى الوعد فلا بد من الوفاء الا أن يتعذر فان كان عند الوعد عازما على ان لا يفى فهذا هو النفاق قال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم (٥) ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) أربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ماهو صورة النفاق ولكن ينبغى أن يحترز من صورة النفاق أيضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغى ان يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاجزة فقد روى ان رسول الله صلى عليه وسلم (٧) كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السبي فاعطى اثنين و بقى واحد فاتت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه و تقول الا ترى اثر الرحى بيدى فذكر موعده لابى الهيثم فجعل يقول كيف بموعدى لابى الهيثم فآثره به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مع انها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفه (٨) ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف رجل من الناس فقال ان لى عندك موعدا يارسول الله قال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين ضائنة وراعيها

بصفته لقوة حاله ومعناه وأشار فى حديث المعراج الى مقامات الانبياء ورأى فى كل سماء بعض الانبياء اشارة الى تعويقهم وتخلفهم عن شأوه ودرجته ورأى موسى فى بعض السموات فمن هو فى بعض السموات يكون قوله أرنى أنظر اليك تجاوز النظر عن حد القدم وتخلفا للقدم عن النظر وهذا باهو الاخلال حد الوصفين من قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فرسول الله حمل مقترنا قدمه ونظره فى حجال الحياء والتواضع ناظرا الى قدمه قادما على نظره ولو خرج عن حجال الحياء والتواضع وتطال بالنظر متعديا حد القدم تعوق فى بعض السموات كتعوق غيره من الانبياء فلم يزل صلى الله عليه

---

(١) حديث العدة عطية الطبرانى فى الاوسط من حديث قباث بن اشيم بسند ضعيف وابو نعيم فى الحلية من حديث ابن مسعود ورواه ابن ابى الدنيا فى الصمت والخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث الحسن مرسلا (٢) حديث الوأى مثل الدين او افضل ابن ابى الدنيا فى الصمت من رواية بن لهيعة مرسلا وقال الوأى يعنى الوعد ورواه ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على بسند ضعيف (٣) حديث عبد الله بن ابى الخنساء بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فوعدته ان آتيه بها فى مكانه ذلك فنسيت يومى والغد فاتيته اليوم الثالث وهو فى مكانه فقال يابنى قد شققت على انا ههنا منذ ثلاث انتظرك رواه ابو داود واختلف فى اسناده وقال ابن مهدى ماظن ابراهيم بن طهمان الا اخطأ فيه (٤) حديث كان اذا وعد وعدا قال عسى لم اجد له اصلا (٥) حديث ابى هريرة ثلاث من كن فهو منافق الحديث وفيه اذا وعد اخلف متفق عليه وقد تقدم (٦) حديث عبد الله بن عمرو اربع من كن فيه كان منافقا الحديث متفق عليه (٧) حديث كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السبي فأعطى اثنين و بقى واحد فجاءت فاطمة تطلب منه الحديث وفيه فجعل يقول كيف بموعدى لابى الهيثم فآثره به على فاطمة تقدم ذكر قصة ابى الهيثم فى آداب الاكل وهى عند الترمذى من حديث ابى هريرة وليس فيها ذكر لفاطمة (٨) حديث انه كان جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل فقال ان لى عندك موعدا قال صدقت فاحتكم ماشئت الحديث وفيه لصاحبة موسى التى دلته على عظام يوسف كانت احزم منك الحديث ابن حبان والحاكم فى المستدرك من حديث ابى موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الاسناد وفيه

قال هي لك وقال احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى عليه السلام التى دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكما منك حين حكمها موسى عليه السلام فقالت حكمي أن تردني شابة وأدخل معك الجنة قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا فقيل أشح من صاحب الثمانين والراعي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفي نيته أن يفي وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلا اثم عليه

﴿ الآفة الرابعة عشرة ﴾

الكذب في القول واليمين وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسمعيل بن واسط سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (٢) قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام أول ثم بكى وقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار وقال ابو امامة (٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب باب من أبواب النفاق وقال الحسن كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذي بني عليه النفاق الكذب وقال عليه السلام (٤) كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم (٥) لا يزال العبد يكذب و يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله (٦) كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة و يتحالفان يقول أحدهما والله لا أنقصك من كذا وكذا و يقول الآخر والله لا أزيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها أحدهما فقال اوجب أحدهما بالاثم والكفارة وعليه السلام (٧) الكذب ينقص الرزق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) ان التجار هم الفجار فقيل يارسول الله أليس قد احل الله البيع قال قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون و يحدثون فيكذبون وقال صلى الله عليه وسلم (٩) ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر

نظر (١) حديث ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفي وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته ان يفي فلم يجد فلا اثم عليه ابو داود والترمذي وضعفه من حديث زيد بن ارقم باللفظ الثاني الا انهما قالا فلم يف

﴿ الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين ﴾

(٢) حديث ابي بكر الصديق قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال اياكم والكذب الحديث ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة وجعله المصنف من رواية اسماعيل بن اوسط عن ابي بكر وانما هو اوسط ابن اسماعيل بن اوسط واسناده حسن (٣) حديث ابي امامة ان الكذب باب من ابواب النفاق ابن عدي في الكامل بسند ضعيف وفيه عمر بن موسى الوجيهي ضعيف جدا و يغني عنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وحديث اربع من كن فيه كان منافقا قال في كل منهما واذا حدث كذب وهما في الصحيحين وقد تقدما في الآفة التي قبلها (٤) حديث كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك به مصدق وانت له كاذب البخاري في كتاب الأدب المفرد وابو داود من حديث سفيان بن اسيد وضعفه ابن عدي ورواه احمد والطبراني من حديث النواس بن سمعان باسناد جيد (٥) حديث ابن مسعود لا يزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا متفق عليه (٦) حديث مر برجلين يتبايعان شاة و يتحالفان الحديث وفيه فقال أوجب احدهما بالاثم والكفارة ابو الفتح الازدي في كتاب الاسماء المفردة من حديث ناسخ الحضرمي وهكذا رويناه في امالي ابن سمعون وناسخ ذكره البخاري هكذا في التاريخ وقال ابو حاتم هو عبد الله بن ناسخ (٧) حديث الكذب ينقص الرزق ابو الشيخ في طبقات الاصبهانيين من حديث ابي هريرة ورويناه كذلك في مشيخة القاضي ابي بكر واسناده ضعيف (٨) حديث ان التجار هم الفجار الحديث وفيه و يحدثون فيكذبون أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل (٩) حديث ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمسبل ازاره مسلم من حديث ابي ذر

وسلم متجلس حجاله في خفارة ادب حاله حتى خرق حجب السموات فانصبت اليه اقسام القرب انصبابا وانقشعت عنه سحائب الحجب حجابا حجابا حتى استقام على صراط مازاغ البصر وما طغى فمر كالبرق الخاطف الى مخدع الوصل واللطائف وهذا غاية في الادب ونهاية في الارب (قال) ابو محمد بن رويم حين سئل عن ادب المسافر فقال لا يجاوز همه قدمه فحيث وقف قلبه يكون مقره (اخبرنا) شيخنا ضياء الدين ابو النجيب اجازة قال انا عمر بن احمد قال انا ابو بكر بن خلف قال انا ابو عبد الرحمن السلمي قال ثنا القاضي ابو محمد يحيى بن منصور قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن

اللهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال صلى الله عليه وسلم (١) ماحلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة فى قلبه الى يوم القيامة وقال ابوذر (٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يحبهم الله رجل كان فى فئة فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه وعلى اصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت اوظعن ورجل كان معه قوم فى سفر اوسرية فاطالوا السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلى حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلاثة يشنأهم الله التاجر اوالبياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال صلى الله عليه وسلم (٣) ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه وسلم (٤) رايت كأن رجلا جاءنى فقال لى قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه فى شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذى اقامنى ماهذا فقال هذا رجل كذاب يعذب فى قبره الى يوم القيامة وعن عبدالله ابن جراد قال (٥) سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هل يزنى المؤمن قال قد يكون ذلك قال يانبي الله هل يكذب المؤمن قال لا ثم اتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وقال ابوسعيد الخدرى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) يدعو فيقول فى دعائه اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال صلى الله عليه وسلم (٧) ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وقال عبدالله بن عامر (٨) جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امى ياعبدالله تعال حتى اعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وما اردت ان تعطيه قالت تمرا فقال اما انك لولم تفعلى لكتبت عليك كذبة وقال صلى الله عليه وسلم (٩) لو افاء الله على نعما عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم وكان متكئا

---

(١) حديث ماحلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة فى قلبه الى يوم القيامة الترمذى والحاكم وصحح اسناده من حديث عبدالله بن انيس (٢) حديث ابى ذر ثلاثة يحبهم الله الحديث وفيه وثلاثة يشناهم الله التاجر اوالبائع الحلاف احمد واللفظ له وفيه ابن الاحمس ولا يعرف حاله ورواه هو والنسائى بلفظ آخر باسناد جيد وللنسائى من حديث ابى هريرة اربعة يبغضهم الله البياع الحلاف الحديث واسناده جيد (٣) حديث ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له ابوداود والترمذى وحسنه والنسائي فى الكبرى من رواية بهز بن حكيم عن ابيه عن جده (٤) حديث رأيت كان رجلا جاءنى فقال لى قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قائم والاخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه فى شدق الجالس الحديث البخارى من حديث سمرة بن جندب فى حديث طويل (٥) حديث عبدالله بن جراد انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يزنى المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا الحديث ابن عبد البر فى التمهيد بسند ضعيف ورواه ابن ابى الدنيا فى الصمت مقتصرا على الكذب وجعل السائل ابا الدرداء (٦) حديث ابى سعيد اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب هكذا وقع فى نسخ الاحياء عن ابن سعيد وانما هو عن أم معبد كذا رواه الخطيب فى التاريخ دون قوله وفرجي من الزنا وزاد وعملي من الرياء وعيني من الخيانة واسناده ضعيف (٧) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم الحديث وفيه والامام الكذاب مسلم من حديث ابى هريرة (٨) حديث عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت امي ياعبد الله تعال اعطيك فقال وما اردت ان تعطيه قالت تمرا فقال ان لم تفعلى كتبت عليك كذبة رواه ابو داود وفيه من لم يسم وقال الحاكم ان عبدالله بن عامر ولد فى حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه قلت وله شاهد من حديث ابى هريرة وابن مسعود ورجالهما ثقات الا ان الزهرى لم يسمع من ابى هريرة (٩) حديث لو افاء الله على نعما عدد الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذابا ولا جبانا رواه مسلم وتقدم فى اخلاق النبوة

على الترمذى قال حدثنا محمد بن رزام الايلى قال حدثنا محمد بن عطاء الهجيمي قال حدثنا محمد بن نصير عن عطاء ابن ابى رباح عن ابن عباس قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية رب ارنى انظر اليك قال قال ياموسى انه لا يرانى حى الا مات ولا يابس الا تدهده ولا رطب الا تفرق انما يرانى اهل الجنة الذين لا تموت اعينهم ولا تبلى اجسادهم ومن آداب الحضرة ما قال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب وهذا يختص ببعض الاحوال والاشياء دون البعض ليس هو على الاطلاق لان الله تعالى امر بالدعاء وانما الامساك عن القول كما أمسك موسى عن

(١) الا أنبئكم بأ كبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال ألا وقول الزور وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ماجاء به وقال أنس (٣) قال النبي صلى الله عليه وسلم تقبلوا الى بست اتقبل لكم بالجنة فقالوا وماهن قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا ايديكم وقال صلى الله عليه وسلم (٤) ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا اما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم وخطب عمر رضي الله عنه يوما فقال (٥) قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقيامي هذا فيكم فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف و يشهد ولم يستشهد وقال النبي صلى الله عليه وسلم (٦) من حدث عني بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال صلى الله عليه وسلم (٧) من حلف على يمين باثم ليقتطع بها مال امرىء مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم (٨) انه رد شهادة رجل في كذبة كذبها وقال صلى الله عليه وسلم (٩) كل خصلة يطبع او يطوى عليها المسلم الا الخيانة والكذب وقالت عائشة رضي الله عنها (١٠) ما كان من خلق اشد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من اصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم انه قد أحدث توبة لله عز وجل منها وقال موسى عليه السلام يارب اى عبادك خيرلك عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه و لا يزني فرجه وقال لقمان لابنه يابني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال عليه السلام في مدح الصدق (١١) اربع اذا كن فيك فلا يضرك مافاتك من الدنيا صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن خلق وعفة طعمة وقال ابو بكر رضي الله عنه (١٢) في خطبة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة

---

(١) حديث ألا أنبئكم بأ كبر الكبائر الحديث وفيه ألا وقول الزور متفق عليه من حديث ابى بكرة (٢) حديث ابن عمر ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ماجاء به الترمذي وقال حسن غريب (٣) حديث أنس تقبلوا الى بست أتقبل لكم بالجنة اذا حدث أحدكم فلا يكذب الحديث الحاكم في المستدرك والخرائطي في مكارم الاخلاق وفيه سعد بن سنان ضعفه أحمد والنسائي ووثقه ابن معين ورواه الحاكم بنحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال صحيح الاسناد (٤) حديث ان للشيطان كحلا ولعوقا الحديث الطبراني وابو نعيم من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم (٥) حديث خطب عمر بالجابية الحديث وفيه ثم يفشوا الكذب الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر (٦) حديث من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكذابين مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب (٧) حديث من حلف على يمين مأثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم الحديث متفق عليه من حديث بن مسعود (٨) حديث انه رد شهادة رجل في كذبة كذبها ابن ابي الدنيا في الصمت من رواية موسى بن شيبة مرسلا وموسى روى معمر عنه مناكير قاله احمد بن حنبل (٩) حديث على كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب ابن ابي شيبة في المصنف من حديث ابي امامة ورواه ابن عدي في مقدمة الكامل من حديث ابن ابي وقاص وابن عمر ايضا وابي امامة ايضا ورواه ابن ابي الدنيا في الصمت من حديث سعد مرفوعا وموقوفا والموقوف اشبه بالصواب قاله الدارقطني في العلل (١٠) حديث ما كان من خلق الله شيء اشد عند اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان يطلع على الرجل من اصحابه على الكذب فما ينحل من صدره حتى يعلم انه قد احدث لله منها توبة احمد من حديث عائشة ورجاله ثقات الا انه قال عن ابن ابي مليكة او غيره وقد رواه ابو الشيخ في الطبقات فقال ابن ابي مليكة ولم يشك وهو صحيح (١١) حديث اربع اذا كن فيك فلا يضرك مافاتك من الدنيا صدق الحديث الحديث الحاكم والخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه ابن لهيعة (١٢) حديث ابي بكر عليكم بالصدق

الانبساط في طلب المآرب والحاجات الدنيوية حتى رفعه الحق مقاما في القرب وأذن له في الانبساط وقال اطلب مني ولو ملحا لعجينك فلما بسط انبسط وقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير لأنه كان يسأل حوائج الآخرة و يستعظم الحضرة ان يسأل حوائج الدنيا لحقارتها وهو في حجاب الحشمة عن سؤال المحقرات ولهذا مثال في الشاهد فان الملك المعظم يسأل المعظمات و يحتشم في طلب المحقرات فلما رفع بساط حجاب الحشمة صار في مقام خاص من القرب يسأل الحقير كما يسأل الخطير قال ذوالنون المصري ادب العارف فوق كل أدب لأن معروفه مؤدب قلبه * وقال بعضهم يقول الحق

وقال

وقال معاذقال لى صلى الله عليه وسلم (١) اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الامانة والوفاء بالعهد و بذل السلام وخفض الجناح (واما الآثار) فقدقال على رضى الله عنه اعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة وقال عمر بن عبدالعزيز رحمة الله عليه ما كذبت كذبة منذ شددت على ازارى وقال عمر رضى الله عنه أحبكم الينا مالم نركم احسنكم اسما فاذا رأيناكم فاحبكم الينا احسنكم خلقا فاذا اختبرنا كم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا وأعظمكم امانة وعن ميمون بن ابى شبيب قال جلست اكتب كتابا فأتيت على حرف ان انا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنوديت من جانب البيت يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وقال الشعبي ماادرى ايهما ابعدغورا فى النار الكذاب اوالبخيل وقال ابن السماك ما ارانى اوجر على ترك الكذب لانى انما ادعه انفة وقيل لخالد بن صبيح أيسمى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار قرأت فى بعض الكتب مامن خطيب الا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال مالك بن دينار الصدق والكذب يعتركان فى القلب حتى يخرج احدهما صاحبه وكلم عمر بن عبدالعزيز الوليد بن عبدالملك فى شئ فقال له كذبت فقال عمر والله ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه

﴿ بيان مارخص فيه من الكذب ﴾

اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته أن يعتقد المخبر الشئ على خلاف ماهو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون ماذونا فيه وربما كان واجبا قال ميمون بن مهران الكذب فى بعض المواطن خير من الصدق أرأيت لوان رجلا سعى خلف انسان بالسيف ليقتله فدخل دارا فانتهى اليك فقال أرأيت فلانا ما كنت قائلا الست تقول لم أره وما تصدق به وهذا الكذب واجب * فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التواصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان أمكن التوصل اليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك القصد مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان فى الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب أو اصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجنى عليه الا بكذب فالكذب مباح الا انه ينبغى أن يحترز منه ماأمكن لانه اذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى ان يتداعى الى مايستغنى عنه والى مالا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما فى الاصل الا لضرورة والذى يدل على الاستثناء ماروى عن أم كلثوم قالت (٢) ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص فى شئ من الكذب الا فى ثلاث الرجل يقول القول يريد به الاصلاح والرجل يقول القول فى الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها وقالت ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أونمى خيرا وقالت أسماء بنت يزيد (٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما وروى عن أبى كاهل (٥) قال وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت أحدهما فقلت مالك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا ثم قلت أهلكت نفسي واصطلحت بين هذين فاخبرت النبي صلى الله عليه

فانه مع البر وهما فى الجنة ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة وقد تقدم بعضه فى اول هذا النوع (١) حديث معاذ اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث أبو نعيم فى الحلية وقد تقدم (٢) حديث أم كلثوم ماسمعته يرخص فى شئ من الكذب الا فى ثلاث مسلم وقد تقدم (٣) حديث ام كلثوم ايضا ليس بكذاب من اصلح بين الناس الحديث متفق عليه وقد تقدم والذى قبله عند مسلم بعض هذا (٤) حديث أسماء بنت يزيد كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل كذب على رجلين يصلح بينهما أحمد بزيادة فيه وهو عند الترمذى مختصرا وحسنه (٥) حديث أبى كاهل وقع بين رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام الحديث وفيه ياأبا كاهل اصلح بين الناس رواه الطبرانى

سبحانه وتعالى من ألزمته القيام مع أسمائى وصفاتى ألزمته الادب ومن كشفت له عن حقيقة ذاتى ألزمته العطب فاختر أيهما شئت الادب أو العطب وقول القائل هذا يشير الى ان الاسماء والصفات تستقل بوجود محتاج الى الادب لبقاء رسوم البشرية وحظوظ النفس ومع لمعان نور عظمة الذات تتلاشى الآثار بالانوار ويكون معنى العطب التحقق بالفناء وفى ذلك العطب نهاية الارب (وقال) أبو على الدقاق فى قوله تعالى وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين لم يقل ارحمنى لانه حفظ أدب الخطاب وقال عيسى عليه السلام ان كنت قلته فقد علمته ولم يقل لم

اقل رعاية لادب الحضرة * وقال ابو نصر السراج ادب اهل الخصوصية من اهل الدين فى طهارة القلوب ومراعاة الاسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات الى الخواطر والعوارض والبوادى والعوائق واستواء السر والعلانية وحسن الادب فى مواقف الطلب ومقامات القرب واوقات الحضور والأدب ادبان ادب قول وادب فعل فمن تقرب الى الله تعالى بادب فعله منحه محبة القلوب (قال ابن المبارك) نحن الى قليل من الادب احوج منا الى كثير من العلم وقال ايضا الادب للعارف بمنزلة التوبة للمستانف * وقال النورى من لم يتادب للوقت فوقته مقت

وسلم فقال يا أبا كاهل أصلح بين الناس أى ولو بالكذب وقال عطاء بن يسار (١) قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أكذب على اهلى قال لا خير فى الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك وروى ان ابن ابى عذرة الدؤلى وكان فى خلافة عمر رضى الله عنه كان يخلع النساء اللاتى يتزوج بهن فطارت له فى الناس من ذلك احدوثة يكرهها فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الارقم حتى اتى به الى منزله ثم قال لامرأته أنشدك بالله هل تبغضينى قالت لا تنشدنى قال فانى انشدك الله قالت نعم فقال لابن الارقم أتسمع ثم انطلقا حتى اتيا عمر رضى الله عنه فقال انكم لتحدثون انى اظلم النساء واخلعهن فاسال ابن الارقم فسأله فاخبره فارسل الى امرأة ابن أبى عذرة فجاءت هى وعمتها فقال انت التى تحدثين لزوجك انك تبغضينه فقالت انى اول من تاب وراجع أمر الله تعالى انه ناشدنى فتحرجت انا اكذب أفا كذب يا امير المؤمنين قال نعم فا كذبى فان كانت احدا كن لا تحب احدنا فلا تحدثه بذلك فان اقل البيوت الذى يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحساب (٢) وعن النواس بن سمعان الكلابى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى اراكم تتهافتون فى الكذب تهافت الفراش فى النار كل الكذب يكتب على ابن آدم لا محالة الا ان يكذب الرجل فى الحرب فان الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شحناء فيصلح بينهما أو يحدث امرأته يرضيها وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلما او دفع عنه ضررا وقال على رضى الله عنه اذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلان اخر من السماء احب الى من أن اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بينى وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفى معناها ما عداها اذا ارتبط به مقصود صحيح له او لغيره اما ماله فمثل ان ياخذه ظالم ويساله عن ماله فله ان ينكره او ياخذه سلطان فيساله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله ان ينكر ذلك فيقول مازنيت وما سرقت وقال صلى الله عليه وسلم (٣) من ارتكب شيا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك ان اظهار الفاحشة فاحشة أخرى فللرجل ان يحفظ دمه وماله الذى يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان يسال عن سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر لكل واحدة انها احب اليه وان كانت امرأته لا تطاوعه الا بوعد لا يقدر عليه فيعدها فى الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا باس به ولكن الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق فى هذه المواضع تولد منه محذور فينبغى ان يقابل احدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذى يحصل بالصدق اشد وقعا فى الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود اهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب يباح لضرورة او حاجة مهمة فان شك فى كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد ينبغى أن يحترز الانسان من الكذب ما امكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة لحق الغير والاضرار به واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادات المال والجاه ولامور ليس فواتها محذورا حتى ان المراة لتحكى عن زوجها ما تفتخر به

ولم يصح (١) حديث عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اكذب على اهلى قال لا خير فى الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك ابن عبد البر فى التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسلا وهو فى الموطا عن صفوان بن سليم معضلا من غير ذكر عطاء بن يسار (٢) حديث النواس بن سمعان مالى اراكم تتهافتون فى الكذب تهافت الفراش فى النار كل الكذب مكتوب الحديث ابو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق بلفظ تتبايعون الى قوله فى النار دون ما بعده فرواه الطبرانى وفيهما شهر بن حوشب (٣) حديث من ارتكب شيا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله الحاكم من حديث ابن عمر بلفظ اجتنبوا هذه القاذورات التى نهى الله عنها فمن الم بشئ منها فليستتر بستر الله واسناده حسن

وتكذب لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام وقالت أسماء [1] سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ان لى ضرة وانى أتكثر من زوجى بما لم يفعل أضارها بذلك فهل على شئ فيه فقال صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور وقال صلى الله عليه وسلم [2] من تطعم بما لا يطعم أوقال لى وليس له أو أعطيت ولم يعط فهو كلابس ثوبى زور يوم القيامة ويدخل فى هذا فتوى العالم بما لا يتحققه وروايته الحديث الذى لا يتثبته اذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من أن يقول لا أدرى وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب فى المكتب الا بوعد أو وعيد أو تخويف كاذب كان ذلك مباحا نعم روينا فى الاخبار ان ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب المباح ايضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح بقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور كبير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع فى خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذى كذب لاجله هل هو اهم فى الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض جدا والحزم تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو ادى الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاحاديث فى فضائل الاعمال وفى التشديد فى المعاصى وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطأ محض اذ قال صلى الله عليه وسلم [3] من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة اذ فى الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد من الايات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك قد تكرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض التى تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدى فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره اصلا والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التى لا يقاومها شئ نسال الله العفو عنا وعن جميع المسلمين

﴿ بيان الحذر من الكذب بالمعاريض ﴾

قد نقل عن السلف ان فى المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضى الله عنه اما فى المعاريض ما يكفى الرجل عن الكذب وروى ذلك عن ابن عباس وغيره وانما ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض اهون ومثال التعريض ماروى ان مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال مارفعت جنبي مذ فارقت الامير الا ما رفعني الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شئ فكرهت ان تكذب فقل ان الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شئ فيكون قوله ما حرف نفى عند المستمع وعنده للابهام وكان معاذ بن جبل عاملا لعمر رضى الله عنه فلما رجع قالت له امراته ماجئت به مما ياتى به العمال الى اهلهم وما كان قد اتاها بشئ فقال كان عندى ضاغط قالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند ابى بكر رضى الله عنه فبعث عمر معك ضاغطا وقامت بذلك بين نسائها واشتكت عمر فلما بلغه ذلك دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا قال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر رضى الله عنه واعطاه شيئا فقال ارضها به ومعنى قوله ضاغطا يعنى رقيبا واراد به الله تعالى وكان النخعى لا يقول لابنته اشترى لك سكرا بل يقول ارايت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما لا يتفق له ذلك وكان ابراهيم اذا طلبه من يكره ان يخرج اليه وهو فى الدار قال للجارية قولى له اطلبه فى المسجد ولا تقولى ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبي اذا طلب فى المنزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية ضعى الاصبع فيها وقولى ليس ههنا وهذا كله فى موضع الحاجة فامافى غير

وقال ذو النون اذا خرج المريد عن حد استعمال الادب فانه يرجع من حيث جاء وقال ابن المبارك ايضا قد اكثر الناس فى الادب ونحن نقول هو معرفة النفس وهذه اشارة منه الى ان النفس هى منبع الجهالات وترك الادب من مخامرة الجهل فاذا عرف النفس صادف نور العرفان على ماورد من عرف نفسه فقد عرف ربه ولهذا النور لا تظاهر النفس بجهالة الا ويقمعها بصريح العلم وحينئذ يتادب ومن قام باداب الحضرة فهو بغيرها اقوم وعليها اقدر

﴿ الباب الثالث والثلاثون فى اداب الطهارة ومقدماتها ﴾

قال الله تعالى فى وصف اصحاب الصفة فيه رجال

(١) حديث اسماء قالت امراة ان لى ضرة وانى اتكثر من زوجى بما لم يفعل الحديث متفق عليه وهى اسماء بنت ابى بكر الصديق (٢) حديث من تطعم بما لا يطعم وقال لى وليس له واعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبى زور يوم القيامة لم اجده بهذا اللفظ (٣) حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من طرق وقد تقدم فى العلم

موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روى عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع أبي على عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فخرجت وعلى ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه أمير المؤمنين فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا فقال لى يا بنى اتق الكذب وما أشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم (١) لا يدخل الجنة عجوز وقوله للاخرى الذى فى عين زوجك بياض وللاخرى نحملك على ولد البعير وما اشبهه واما الكذب الصريح كما فعله نعيمان الانصارى مع عثمان فى قصة الضرير اذ قال له انه نعيمان وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمق بتغريرهم بان امرأة قد رغبت فى تزويجك فان كان فيه ضرر يؤدى الى ايذاء قلب فهو حرام وان لم يكن الا لمطايبته فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة ايمانه قال صلى الله عليه وسلم (٢) لا يكمل للمرء الايمان حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب فى مزاحه واما قوله عليه السلام (٣) ان الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها فى النار ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذى لا يوجب الفسق ما جرت به العادة فى المبالغة كقوله طلبتك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مائة مرة فانه لا يريد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا وان كان طلبه مرات لا يعتاد مثلها فى الكثرة لا يأثم وان لم تبلغ مائة و بينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه و يتساهل به ان يقال كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك منهى عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد (٤) قالت اسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة فى الليلة التى هيأتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى نسوة قالت فوالله ماوجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحيت الجارية فقلت لا تردى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه قالت فاخذت منه على حياء فشربت منه ثم قال ناولى صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشئ تشتهيه لا اشتهيه ايعد ذلك كذبا قال ان الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة وقد كان اهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن المسيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت عينيك فيقول واين قول الطبيب لا تمس عينيك فاقول لا افعل وهذه مراقبة اهل الورع ومن تركه انسل لسانه فى الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمى قال جاءت اخت الربيع بن خثيم عائدة لابن له فانكبت عليه فقالت كيف انت يا بنى فجلس الربيع وقال ارضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخى فصدقت ومن العادة ان يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى عليه السلام ان من اعظم

يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قيل فى التفسير يحبون ان يتطهروا من الاحداث والجنابات والنجاسات بالماء قال الكلبي هو غسل الادبار بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء لما نزلت هذه الاية ان الله تعالى قد اثنى عليكم فى الطهور فما هو قالوا انا نستنجى بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله اذا اتى احدكم الخلاء فليستنج بثلاثة احجار وهكذا كان الاستنجاء فى الابتداء حتى نزلت الاية فى اهل قباء قيل لسلمان قد علمكم نبيكم كل شئ حتى الخراءة فقال سلمان

---

(١) حديث لا يدخل الجنة عجوز وحديث فى عين زوجك بياض وحديث نحملك على ولد البعير تقدمت الثلاثة فى الآفة العاشرة (٢) حديث لا يستكمل المؤمن ايمانه حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب فى مزاحه ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب من حديث ابى مليكة الذمارى وقال فيه نظر وللشيخين من حديث انس لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وللدارقطنى فى المؤتلف والمختلف من حديث ابى هريرة لا يؤمن عبد الايمان كله حتى يترك الكذب فى مزاحه قال احمد بن حنبل منكر (٣) حديث ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوى بها ابعد من الثريا تقدم فى الآفة الثالثة (٤) حديث مجاهد عن اسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التى هيأتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه قال لا تجمعن جوعا وكذبا ابن ابى الدنيا فى الصمت والطبرانى فى الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد وهو الصواب فان اسماء بنت عميس كانت اذ ذاك بالحبشة لكن فى طبقات الاصبهانيين لابى الشيخ من رواية عطاء ابن ابى رباح عن اسماء بنت عميس زففنا الى النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه الحديث فاذا كانت غير عائشة

الذنوب عند الله أن يقول العبد ان الله يعلم لما يعلم وربما يكذب فى حكاية المنام والاثم فيه عظيم اذ قال عليه السلام (١) ان من أعظم الفرية ان يدعى الرجل الى غير أبيه أو يرى عينيه فى المنام مالم يرأو يقول على مالم أقل وقال عليه السلام (٢) من كذب فى حلم كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد بينهما أبدا

﴿ الآفة الخامسة عشرة الغيبة والنظر فيها طويلا ﴾

فلنذكر أولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها فى كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقال عليه السلام (٣) كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال ابو برزة قال عليه السلام (٤) لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وابى سعيد (٥) قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا فان الرجل قد يزنى ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال انس (٦) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسرى بى على أقوام يخمشون وجوههم باظافيرهم فقلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس و يقعمون فى أعراضهم وقال سليم بن جابر (٧) أتيت النبي عليه الصلاة والسلام فقلت علمنى خيرا أنتفع به فقال لا تحقرن من المعروف شيا ولو ان تصب منه دلوه فى أناء المستقى وان تلقى أخاك بيشر حسن وان أدبر فلا تغتابنه وقال البراء (٨) خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى بيوتهن فقال يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته وقيل أوحى الله الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار وقال أنس (٩) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يفطرن احد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا أمسوا جعل الرجل يجىء فيقول يارسول الله ظللت صائما فاذن لى لافطر فيأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال

ممن تزوجها بعد خيبر فلا مانع من ذلك (١) حديث ان من أعظم الفرى أن يدعى الرجل الى غير أبيه أو يرى عينيه فى المنام مالم تريا أو يقول على مالم أقل البخارى من حديث واثلة بن الاسقع وله من حديث بن عمر من أفرى الفرى أن يرى عينيه مالم تريا (٢) حديث من كذب فى حلمه كلف يوم القيامة أن يعقد شعيرة البخاري من حديث ابن عباس

(الآفة الخامسة عشرة الغيبة)

(٣) حديث كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه مسلم من حديث ابى هريرة (٤) حديث ابى هريرة لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا متفق عليه من حديث ابى هريرة وأنس دون قوله ولا تغتب بعضكم بعضا وقد تقدم فى آداب الصحبة (٥) حديث جابر وابى سعيد اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا الحديث ابن ابى الدنيا فى الصمت وابن حبان فى الضعفاء وابن مردويه فى التفسير (٦) حديث أنس مررت ليلة اسرى بى على قوم يخمشون وجوههم باظفارهم الحديث ابو داود مسندا ومرسلا والمسند اصح (٧) حديث سليم بن جابر أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد علمنى خيرا يفعنى الله به الحديث احمد فى المسند وابن ابى الدنيا فى الصمت واللفظ له ولم يقل فيه احمد واذا أدبر فلا يغتابه وفى اسنادهما ضعف (٨) حديث البراء يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين الحديث ابن ابى الدنيا هكذا ورواه ابو داود من حديث ابى برزة باسناد جيد (٩) حديث انس امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم وقال لا يفطرن احد حتى آذن له فصام الناس الحديث فى ذكر المرأتين اللتين اغتابتا فى صيامهما فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم ابن ابى الدنيا فى الصمت وابن مردويه فى التفسير من رواية يزيد الرقاشى عنه ويزيد ضعيف

أجل نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو نستنجي باليمين أو يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار أو نستنجي برجيع أو عظم (حدثنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب أملاء قال انا أبو منصور الحريمي قال أنا أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمي قال انا ابو على اللؤلؤى قال انا أبو داود قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا ابن المبارك عن ابن عجلان عن القعقاع عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قال صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فاذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطيب بيمينه وكان يأمر بثلاثة أحجار و ينهى

يارسول الله فتاتان من أهلك ظلتا صائمتين وانهما يستحيان أن يأتياك فاذن لهما أن يفطرا فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم فاعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يا كل لحم الناس اذهب فرهما ان كانتا صائمتين أن تستقيا فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال والذى نفسي بيده لو بقيتا فى بطونهما لأ كلتهما النار وفى رواية أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يارسول الله والله انهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم[1] ائتونى بهما فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لاحداهما قيئى فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئى فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وافطرتا على ماحرم الله عليهما جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس وقال أنس [2] خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربى عرض الرجل المسلم وقال جابر [3] كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال انهما يعذبان وما يعذبان فى كبير اما احدهما فكان يغتاب الناس واما الآخر فكان لا يستنزه من بوله فدعا بجريدة رطبة او جريدتين فكسرهما ثم امر بكل كسرة فغرست على قبر وقال اما انه سيهون عن عذابهما ما كانتا رطبتين او مالم ييبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] ماعزا فى الزنا قال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انهشا منها فقالا يارسول الله ننهش جيفة فقال ما أصبتما من اخيكما أنتن من هذه وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة و يرون ذلك افضل الاعمال و يرون خلافه عادة المنافقين وقال ابو هريرة[5] من اكل لحم اخيه فى الدنيا قرب اليه لحمه فى الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله فيضج و يكلح وروى مرفوعا كذلك وروى ان رجلين كانا قاعدين عند باب من ابواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقى فيه منه شىء واقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فحاك من انفسهما ماقالا فاتيا عطاء فسالاه فأمرهما ان يعيدا الوضوء والصلاة وامرهما ان يقضيا الصيام ان كانا صائمين وعن مجاهد انه قال فى ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان فى الناس واللمزة الذى يأكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا ان عذاب القبر ثلاثة اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من النميمة وثلث من البول وقال الحسن والله للغيبة اسرع فى دين الرجل المؤمن من الأكلة فى الجسد وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة فى الصوم ولا فى الصلاة ولكن فى الكف عن اعراض الناس وقال بن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذى فى عين اخيه ولا يبصر الجذع فى عين نفسه وكان الحسن يقول ابن آدم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب

---

(١) حديث المرأتين المذكورتين وقال فيه ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وافطرتا على ماحرم الله عليهما الحديث احمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه رجل لم يسم و رواه ابو يعلى فى مسنده فاسقط منه ذكر الرجل المبهم (٢) حديث انس خطبنا فذكر الربا وعظم شانه الحديث وفيه وأربى الربى عرض الرجل المسلم ابن ابى الدنيا بسند ضعيف (٣) حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير فاتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال اما انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير اما احدهما فكان يغتاب الناس الحديث ابن ابى الدنيا فى الصمت وابو العباس الدغولى فى كتاب الآداب باسناد جيد وهو فى الصحيحين من حديث ابن عباس الا انه ذكر فى النميمة بدل الغيبة وللطيالسى فيه اما احدهما فكان يا كل لحوم الناس ولاحمد والطبرانى من حديث ابى بكرة نحوه باسناد جيد (٤) حديث قوله للرجل الذى قال لصاحبه فى حق المرجوم هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر بجيفة فقال انهشا منها الحديث ابو داود والنسائى من حديث ابى هريرة نحوه باسناد جيد (٥) حديث ابى هريرة من اكل لحم اخيه فى الدنيا قرب اليه لحمه فى الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا الحديث ابن مردويه فى

عن الروث والرمة (والفرض) فى الاستنجاء شيآن ازالة الخبث وطهارة المزيل وهو ان لا يكون رجيعا وهو الروث ولا مستعملا مرة اخرى ولا رمة وهى عظم الميتة ووتر الاستنجاء سنة فاما ثلاثة احجار او خمس اوسبع واستعمال الماء بعد الحجر سنة وقد قيل فى الاية يحبون ان يتطهروا ولما سئلوا عن ذلك قالوا كنا نتبع الماء الحجر والاستنجاء بالشمال سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهكذا يكون فى الصحراء اذا كانت ارضا طاهرة وترابا طاهرا * وكيفية الاستنجاء ان يأخذ الحجر بيساره و يضعه على مقدم

الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك فى خاصة نفسك وأحب العباد الى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون ما أنتن ريح هذا الكلب فقال عليه الصلاة والسلام ما اشد بياض اسنانه كأنه صلى الله عليه وسلم نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على انه لا يذكر من شئ من خلق الله الا احسنه وسمع علي بن الحسين رضى الله عنهما رجلا يغتاب آخر فقال له اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس وقال عمر رضى الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء نسال الله حسن التوفيق لطاعته

(بيان معنى الغيبة وحدودها)

اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص فى بدنه او نسبه او فى خلقه او فى فعله او فى قوله او فى دينه او فى دنياه حتى فى ثوبه وداره ودابته * اما البدن فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به مما يكرهه كيفما كان * واما النسب فبان تقول ابوه نبطى او هندى او فاسق او خسيس او اسكاف او زبال او شىء مما يكرهه كيفما كان * واما الخلق فبأن تقول هو سيء الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجرى مجراه * واما فى افعاله المتعلقة بالدين فكقولك هو سارق او كذاب او شارب خمر او خائن او ظالم او متهاون بالصلاة او الزكاة او لا يحسن الركوع او السجود او لا يحترز من النجاسات او ليس بارا بوالديه او لا يضع موضعها او لا يحسن قسمتها او لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس * واما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك انه قليل الادب متهاون بالناس او لا يرى لاحد على نفسه حقا او يرى لنفسه الحق على الناس او انه كثير الكلام كثير الاكل نؤم ينام فى غير وقت النوم و يجلس فى غير موضعه * واما فى ثوبه فكقولك انه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لا غيبة فى الدين لانه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصى وذمه بها يجوز بدليل ماروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال هى فى النار (٢) وذكرت عنده امرأة اخرى بانها بخيلة فقال فما خيرها اذا فهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقيص ولا يحتاج اليه فى غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع الامة على ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حد الغيبة وكل هذا وان كان صادقا فيه فهو مغتاب عاص لربه وآكل لحم اخيه بدليل ماروى ان النبي صلى الله عليه وسلم (٣) قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكرهه قيل ارأيت ان كان فى اخى ما اقوله قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن جبل (٤) ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اعجزه فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتم اخاكم قالوا يارسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن عائشة رضى الله عنها (٥) انها ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة فقالت انها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة

التفسير مرفوعا وموقوفا وفيه محمد بن اسحاق رواه بالعنعنة (١) حديث ذكر له امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكن تؤذى جيرانها فقال هى النار ابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابى هريرة ( ) حديث ذكر امراة اخرى بانها بخيلة قال فما خيرها اذا الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابى جعفر محمد بن على مرسلا ورويناه فى امالى ابن شمعون هكذا (٣) حديث هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره الحديث مسلم من حديث ابى هريرة (٤) حديث معاذ ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اعجزه الحديث الطبرانى بسند ضعيف (٥) حديث عائشة انها ذكرت امراة فقلت انها قصيرة فقال اغتبتيها رواه احمد واصله عند ابى داود والترمذى وصححه بلفظ آخر ووقع عند المصنف عن

المخرج قبل ملاقاة النجاسة ويمره بالمسح ويدير الحجر فى مره حتى لا ينقل النجاسة من موضع الى موضع يفعل ذلك الى أن ينتهى الى مؤخر المخرج و ياخذ الثانى و يضعه على المؤخر كذلك و يمسح الى المقدمة و ياخذ الثالث ويديره حول المسربة وان استجمر بحجر ذى ثلاث شعب جاز وأما الاستبراء اذا انقطع البول فيمد ذكر من أصله ثلاثا الى الحشفة بالرفق لئلا يندفق بقية البول ثم ينتره ثلاثا و يحتاط فى الاستبراء بالاستنقاء هو أن يتنحنح ثلاثا لان العروق ممتدة من الحلق الى الذكر وبالتنحنح تتحرك وتقذف ما فى مجرى البول

الغيبة والبهتان والافك و كل فى كتاب الله عز وجل فالغيبة ان تقول مافيه والبهتان أن تقول ماليس فيه والافك أن تقول مابلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله انى أرانى قد اغتبته وذكر ابن سيرين ابراهيم النخعى فوضع يده على عينه ولم يقل الاعور وقالت عائشة (١) لايغتابن احد كم أحدا فانى قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال لى الفظى الفظى فلفظت مضغة لحم

(بيان أن الغيبة لاتقتصر على اللسان)

اعلم أن الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل فى الغيبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضى الله عنها (٢) دخلت علينا امرأة فلما ولت أومات بيدى انها قصيرة فقال عليه السلام اغتبتها ومن ذلك المحاكاة كأن يمشى متعارجا أو كما يمشى فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لانه أعظم فى التصوير والتفهيم ولما رأى صلى الله عليه وسلم عائشة حاكت امرأة قال (٣) مايسرنى أنى حاكيت انسانا ولى كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتابة فان القلم أحد اللسانين وذكر المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه فى الكتاب غيبة الا أن يقترن به شىء من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سياتى بيانه وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اماحى وأماميت ومن الغيبة أن تقول بعض من مر بنا اليوم أو بعض من رأيناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاما اذا لم يفهم عينه جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) اذا كره من انسان شيا قال مابال أقوام يفعلون كذا وكذا فكان لا يعين وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعى العلم ان كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهى غيبة أو خبث انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة و يفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الغيبة والرياء وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذى لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل فى طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسال الله ان يعصمنا منها وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريده غيبته فيقول احسن احوال فلان ما كان يقصر فى العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلى بما بتلى به كانا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره فى ضمن ذلك و يمدح نفسه بالتشبه بالصالحين بان يذم نفسه فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو بجهله يظن انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة ولذلك يلعب الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم و يحيط بمكايده عملهم و يضحك عليهم و يسخر منهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغى اليه و يعلم مايقول فيذكر الله تعالى و يستعمل اسمه آلة له فى تحقيق خبثه وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول ساءنى ماجرى على صديقنا من الاستخفاف به نسال الله ان يروح نفسه فيكون كاذبا فى دعوى الاغتمام وفى اظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لاخفاه فى خلوته عقيب

حذيفة عن عائشة وكذا هو فى الصمت لابن ابى الدنيا والصواب عن ابى حذيفة كما عند احمد وابى داود والترمذى واسم ابى حذيفة سلمة بن صهيب (١) حديث عائشة قلت لامرأة ان هذه طويلة الذيل فقال صلى الله عليه وسلم الفظى فلفظت بضعة من لحم ابن ابى الدنيا وابن مردويه فى التفسير وفى اسناده امراة لا اعرفها (٢) حديث عائشة دخلت علينا امراة فاومات بيدى اى قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتها ابن ابى الدنيا وابن مردويه من رواية حسان بن مخارق عنها وحسان وثقه ابن حبان وباقيهم ثقات (٣) حديث مايسرنى انى حكيت ولى كذا وكذا تقدم فى الافة الحادية عشرة (٤) حديث كان اذا كره من انسان شيا قال مابال اقوام يفعلون كذا وكذا الحديث ابوداود من حديث عائشة دون قوله وكان لا يعينه ورجاله رجال

فان مشى خطوات وزاد فى التنحنح فلا باس ولكن يراعى حد العلم ولا يجعل للشيطان عليه سبيلا بالوسوسة فيضيع الوقت ثم يمسح الذكر ثلاث مسحات او اكثر الى ان لايرى الرطوبة وشبه بعضهم الذكر بالضرع وقال لا يزال تظهر منه الرطوبة مادام يمد فيراعى الحد فى ذلك ويراعى الوتر فى ذلك ايضا والمسحات تكون على الارض الطاهرة اوحجر طاهر وان احتاج الى اخذ الحجر لصغره فلياخذ الحجر باليمين والذكر باليسار ويمسح على الحجر وتكون الحركة باليسار لا باليمين لئلا يكون مستنجيا باليمين واذا اراد استعمال الماء انتقل الى موضع آخر ويقنع

صلاته ولو كان يغتم به لاغتم أيضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت أعظم مما تعرض له الجهال اذا جاهروا ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب لتزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجب ما علمت انه كذلك ماعرفته الى الآن الا بالخير وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال صلى الله عليه وسلم (١) المستمع احد المغتابين وقد روي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (٢) ان احدهما قال لصاحبه ان فلانا لنؤوم ثم انهما طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلا به الخبز فقال صلى الله عليه وسلم قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه قال بلى انكما أكلتما من لحم أخيكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل احدهما والآخر مستمع وقال للرجلين اللذين قال احدهما اقعص الرجل كما يقعص الكلب (٣) انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا ان ينكر بلسانه أو بقلبه ان خاف وان قدر على القيام اوقطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وان قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه من الاثم مالم يكرهه بقلبه ولا يكفي في ذلك ان يشير باليد أي اسكت أو يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظم ذلك فيذب عنه صريحا وقال صلى الله عليه وسلم (٤) من اذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره اذله الله يوم القيامة على رؤس الخلائق وقال ابو الدرداء (٥) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيامة وقال ايضا (٦) من ذب عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفي فضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول باعادتها

*(بيان الاسباب الباعثة على الغيبة)

اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سببا ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلاثة تختص باهل الدين والخاصة *(اما الثمانية)* فالاول ان يشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فانه اذا هاج غضبه يشتفي بذكر مساويه فيسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن ثم دين وازع وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة * الثاني موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر عليهم أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم اظهارا

الصحيح (١) حديث المستمع احد المغتابين الطبراني من حديث ابن عمر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة وهو ضعيف (٢) حديث ان أبا بكر وعمر قال احدهما لصاحبه ان فلانا لنؤوم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد ائتدمتما فقالا ما نعلم فقال بلى ما اكلتما من لحم صاحبكما ابو العباس الدغولي في الآداب من رواية عبد الرحمن ابن ابي ليلى مرسلا نحوه (٣) حديث انهشا من هذه الميتة قاله للرجلين اللذين قال أحدهما اقعص كما يقعص الكلب تقدم قبل هذا باثني عشر حديثا (٤) حديث من أذل عنده مؤمن وهو قادر على أن ينصره فلم ينصره اذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق الطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن لهيعة (٥) حديث ابي الدرداء من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت وفيه شهر بن حوشب وهو عند الطبراني من وجه آخر بلفظ رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وفي رواية له كان له حجابا من النار وكلاهما ضعيف (٦) حديث من ذب عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله ان يعتقه من النار احمد والطبراني من رواية شهر بن حوشب عن اسماء

الحجر مالم ينتشر البول على الحشفة وفي ترك الاستنقاء في الاستبراء وعيد ورد فيما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال انهما ليعذبان ومايعذبان في كبير أما هذا فكان لا يستبرئ أو لا يستنزه من البول وأما هذا فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بعسيب رطب فشقه اثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال لعله يخفف عنهما مالم ييبسا والعسيب الجريد واذا كان في الصحراء يبعد عن العيون * روى جابر رضي الله عنه ان النبي عليه السلام كان اذا اراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد وروى المغيرة بن شعبة

للمساهمة فى السراء والضراء فيخوض معهم فى ذكر العيوب والمساوى * الثالث أن يستشعر من انسان أنه سيقصده و يطول لسانه عليه أو يقبح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبلى أن يقبح هو حاله و يطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يبتدئ بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول و يستشهد و يقول ما من عادتى الكذب فانى أخبرتكم بكذا و كذا من أحواله فكان كما قلت * الرابع أن ينسب الى شئ فيريد ان يتبرأ منه فيذكر الذى فعله و كان من حقه ان يبرئ نفسه ولا يذكر الذى فعل فلا ينسب غيره اليه أو يذكر غيره بانه كان مشاركا له فى الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه فى فعله * الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت فى ضمن ذلك فضل نفسه و يريهم انه أعلم منه أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك * السادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يثنى الناس عليه و يحبونه و يكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لانه يثقل عليه ان يسمع كلام الناس وثناءهم عليه واكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعى جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والرفيق الموافق * السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة ومنشؤه التكبر والتعجب * الثامن السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجرى فى الحضور و يجرى أيضا فى الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به * وأما الاسباب الثلاثة التى هى فى الخاصة فهى أغمضها وأدقها لانها شرور خبأها الشيطان فى معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر * الاول أن تنبعث من الدين داعية التعجب فى انكار المنكر والخطأ فى الدين فيقول ما اعجب ما رأيت من فلان فانه قد يكون به صادقا و يكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه فى اظهار تعجبه فصار به مغتابا وآثما من حيث لا يدرى ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهى قبيحة وكيف يجلس بين يدى فلان وهو جاهل * الثانى الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمنى أمره وما ابتلى به فيكون صادقا فى دعوى الاغتمام و يلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان الى شر من حيث لا يدرى والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه * الثالث الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا رآه او سمعه فيظهر غضبه و يذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يظهره على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض تركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله تعالى كان عذرا فى ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص فى الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتى ذكره وروى عن عامر بن واثلة (١) ان رجلا مر على قوم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم انى لابغض هذا فى الله تعالى فقال أهل المجلس لبئس ما قلت والله لننبئنه ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فادركه واخبره بما قال فادركه رسولهم فاخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وساله ان يدعوه له فدعاه وساله فقال قد قلت ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لم تبغضه فقال انا جاره وانا به خابر والله ما رأيته يصلى صلاة قط الا هذه المكتوبة قال فاساله يا رسول الله هل رآنى اخرتها عن وقتها او اسأت الوضوء لها أو الركوع او السجود فيها فساله فقال لا فقال والله ما رأيته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذى يصومه البر والفاجر قال فاساله يا رسول الله هل

بنت يزيد (١) حديث عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم انى لابغض هذا فى الله الحديث بطوله وفيه فقال قم فلعله خير منك.

رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فاتى النبي عليه السلام حاجته فابعد فى المذهب وروى ان النبي عليه السلام كان يتبوأ لحاجته كما يتبوأ الرجل المنزل وكان يستتر بحائط او نشز من الارض او كوم من الحجارة و يجوزان يستتر الرجل براحلته فى الصحراء او بذيله اذا حفظ الثوب من الرشاش ويستحب البول فى ارض دمثة او على تراب مهيل قال ابو موسى كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يبول فاتى دمثا فى اصل جدار فبال ثم قال اذا اراد احدكم ان يبول فليرتد لبوله و ينبغى ان لا يستقبل القبلة

رآنى قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيأ فسأله عنه فقال لا فقال والله ما رأيته يعطى سائلا ولا مسكينا قط ولا رأيته ينفق شيأ من ماله فى سبيل الله الا هذه الزكاة التى يؤديها البر والفاجر قال فسأله هل رآنى نقصت منها أو ماكست فيها طالبها الذى يسألها فسأله فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فلعله خير منك

(بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة)

اعلم ان مساوى الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل أما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الأخبار التى رويناها وان يعلم انها محبطة لحسناته يوم القيامة فانها تنقل حسناته فى القيامة الى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فان لم تكن له حسنات نقل اليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل ومشبه عنده بآكل الميتة بل العبد يدخل النار بأن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وانما اقل الدرجات ان تنقص من ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم (١) ما النار فى اليبس باسرع من الغيبة فى حسنات العبد وروى ان رجلا قال للحسن بلغنى انك تغتابنى فقال ما بلغ من قدرك عندى انى احكمك فى حسناتى فمهما آمن العبد بما ورد من الأخبار فى الغيبة لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك وينفعه ايضا ان يتدبر فى نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم (٢) طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغى ان يستحي من ان يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغى ان يتحقق ان عجز غيره عن نفسه فى التنزه عن ذلك العيب كعجزه وهذا ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم صانعها * قال رجل لحكيم ياقبيح الوجه قال ما كان خلق وجهى الى فاحسنه واذا لم يجد العبد عيبا فى نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه باعظم العيوب فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه بنفسه انه برىء من كل عيب جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب وينفعه ان يعلم ان تالم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه ان يغتاب فينبغى ان لا يرضى لغيره مالا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية اما التفصيل فهو ان ينظر فى السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب فيعالجه بما سيأتى فى كتاب آفات الغضب وهو ان يقول انى اذا أمضيت غضبي عليه فلعل الله تعالى يمضى غضبه على بسبب الغيبة اذ نهانى عنها فاجترأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم (٣) ان لجهنم بابا لا يدخل منه الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم (٤) من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه وسلم (٥) من كظم غيظا وهو يقدر على ان يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلايق حتى يخيره فى اى الحور شاء وفى بعض الكتب المنزلة على بعض النبيين يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن امحق واما الموافقة فبأن تعلم ان الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه فى رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله تعالى وذلك

أحمد باسناد صحيح (١) حديث ما النار فى اليبس بأسرع من الغيبة فى حسنات العبد لم أجد له أصلا (٢) حديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس البزار من حديث انس بسند ضعيف (٣) حديث ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله البزار وابن ابى الدنيا وابن عدي والبيهقى والنسائى من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٤) حديث من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه أبو المنصور الديلمي فى مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف ورويناه فى الاربعين البلدانية للسلفي (٥) حديث من كظم غيظه وهو قادر على ان ينفذه الحديث ابوداود الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ ابن انس

ولا يستدبرها ولا يستقبل الشمس والقمر ولا يكره استقبال القبلة فى البنيان والأولى اجتنابه لذهاب بعض الفقهاء الى كراهية ذلك فى البنيان أيضا ولا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض ويتجنب مهاب الرياح احترازا من الرشاش قال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا أحسبك تحسن الخراءة فقال بلى وأبيك انى بها لحاذق قال فصفها لى فقال أبعد البشر وأعد المدر وأستقبل الشيح وأستدبر الريح وأقعى اقعاء الظبي وأجفل اجفال النعام يعنى أستقبل أصول النبات من الشيح وغيره. و استدبر الريح احترازا من الرشاش والاقعاء ههنا أن يستوفز على

لا يوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله أيضا على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بافحش الذنوب وهى الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة الغير الى الخيانه حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بان تعرف ان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت المخلوقين وانت بالغيبة متعرض لسخط الله يقينا ولا تدرى انك تتخلص من سخط الناس أم لا فتخلص نفسك فى الدنيا بالتوهم وتهلك فى الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان واما عذرك كقولك ان أكلت الحرام ففلان يأكله وان قبلت مال السلطان ففلان يقبله فهذا جهل لأنك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وانت تقدر على ان تدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى المعزى تردى نفسها من قلة الجبل فهى أيضا ترى نفسها ولو كان لها لسان ناطق بالعذر وصرحت بالعذر وقالت العنز أكيس مني وقد اهلكت نفسها فكذلك انا افعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك واما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بان تقدح فى غيرك فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته به ابطلت فضلك عند الله وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوقين وهما ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيأ * واما الغيبة لأجل الحسد فهو جمع بين عذابين لأنك حسدته على نعمة الدنيا وكنت فى الدنيا معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك فى الدنيا فصرت ايضا خاسرا فى الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك واهديت اليه حسناتك فاذا انت صديقه وعدو نفسك اذلا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك اوتنقل اليك سيآته ولا تنفعك وقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل

وإذا اراد الله نشر فضيلة * طويت اتاح لها لسان حسود

واما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام فلو تفكرت فى حسرتك وجنايتك وخجلتك وخزيك يوم القيامة يوم تحمل سيآت من استهزأت به وتساق الى النار لأدهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت اولى ان تضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لأن ياخذ يوم القيامة بيدك على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيآته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله تعالى اياه عليك وتسلطه على الانتقام منك واما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاضلك واستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذا حبط اجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة وانما الشيطان حبب اليك الغيبة ليحبط اجر غضبك وتصير معرضا لمقت الله عز وجل بالغيبة واما التعجب اذا اخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انت كيف اهلكت نفسك ودينك بدين غيرك او بدنياه وانت مع ذلك لا تامن عقوبة الدنيا وهوان يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر اخيك فاذا علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التى هى من ابواب الايمان فمن قوى ايمانه بجميع ذلك انكف لسانه عن الغيبة لا محالة

(بيان تحريم الغيبة بالقلب)

اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوى الغير فليس لك ان تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك ولست اعنى به الاعقد القلب وحكمه على غيره بالسوء فاما الخواطر

صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه * ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وطهر قلبي من الرياء وحصن فرجي من الفواحش ويكره ان يبول الرجل فى المغتسل روى عبدالله بن مغفل ان النبي عليه السلام نهى ان يبول الرجل فى مستحمه وقال ان عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك يوسع فى البول فى المستحم اذا جرى فيه الماء واذ كان فى البنيان يقدم رجله اليسرى لدخول الخلاء ويقول قبل الدخول بسم الله اعوذ بالله من الخبث والخبائث * حدثنا شيخنا شيخ الاسلام ابو النجيب السهروردى

وحديث النفس فهو معفوعنه بل الشك ايضا معفوعنه ولكن المنهى عنه ان يظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب فقدقال الله تعالى ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لايعلمها الاعلام الغيوب فليس لك ان تعتقد فى غيرك سوأ الا اذا انكشف لك بعيان لايقبل التأويل فعند ذلك لايمكنك الا ان تعتقد ماعلمته وشاهدته ومالم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع فى قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغى ان تكذبه فانه افسق الفساق وقدقال الله تعالى ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس وان كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان تصدق لان الفاسق يتصور ان يصدق فى خبره ولكن لايجوز لك ان تصدق به حتى ان من استنكه فوجد منه رائحة الخمر لايجوز ان يحد اذيقال يمكن ان يكون قدتمضمض بالخمر ومجها وماشربها او حمل عليه قهرا فكل ذلك لامحالة دلالة محتملة فلايجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم بها وقدقال صلى الله عليه وسلم (١) ان الله حرم من المسلم دمه وماله وان يظن به ظن السوء فلايستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته او بينة عادلة فاذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغى ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان حاله عندك مستور كما كان وان مارأيته منه يحتمل الخير والشر فان قلت فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فنقول امارة عقد سوء الظن ان يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ما ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقدقال صلى الله عليه وسلم (٢) ثلاث فى المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لايحققه اى لايحققه فى نفسه بعقد ولا فعل لا فى القلب ولا فى الجوارح اما فى القلب فتغيره الى النفرة والكراهة وأما فى الجوارح فبالعمل بموجبه والشيطان قديقرر على القلب بادنى مخيلة مساءة الناس ويلقى اليه ان هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذكائك وان المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته وأما اذا أخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لوكذبته لكنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك ايضا من سوء الظن فلاينبغى ان تحسن الظن بواحد وتسىء بالآخر نعم ينبغى ان تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق التهمة بسببه (٣) فقدرد الشرع شهادة الاب العدل للولد للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند ذلك ان تتوقف وان كان عدلا فلاتصدقه ولاتكذبه ولكن تقول فى نفسك المذكور حاله كان عندى فى ستر الله تعالى وكان امره محجوبا عنى وقدبقى كما كان لم ينكشف لى شىء من امره وقديكون الرجل ظاهره العدالة ولامحاسدة بينه وبين المذكور ولكن قديكون من عادته التعرض للناس وذكرمساويهم فهذا قديظن انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق وان كان ذلك من عادته ردت شهادته الا أن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا فى امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغى ان تزيد فى مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلايلقى اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه فى السر ولايخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلاتعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستحقار وتترفع عليه بابداء الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الاثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان فى دينك وينبغى ان يكون تركه لذلك

(١) حديث ان الله حرم من المسلم دمه وماله وان يظن به ظن السوء البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر (٢) حديث ثلاث فى المؤمن وله منهن مخرج الطبرانى من حديث حارثة ابن النعمان بسند ضعيف (٣) حديث رد الشرع شهادة الوالد العدل وشهادة العدو الترمذى من حديث عائشة وضعفه لاتجوز شهادة خائن ولاخائنة ولامجلود حدا ولاذى غمر لاخيه وفيه ولاظنين فى ولاء ولاقرابة ولابى داود وابن ماجه باسناد جيد من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة

قال انا ابو منصور المقرى قال انا ابو بكر الخطيب قال انا ابو عمرو الهاشمى قال انا ابو على اللؤلؤى قال انا ابو داود قال ثنا عمر وهو ابن مرزوق البصرى قال ثنا شعبة عن قتادة عن النضر بن انس عن زيد بن ارقم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذه الحشوش محتضرة فاذا اتى احدكم الخلاء فليقل اعوذ بالله من الخبث والخبائث واراد بالحشوش الكنف وأصل الحش جماعة النخل الكثيف كانوا يقضون حوائجهم اليها قبل ان تتخذ الكنف فى البيوت وقوله محتضرة اى يحضرها الشياطين وفى الجلوس للحاجة يعتمد على الرجل

من غير نصحك احب اليك من تركه بالنصيحة فاذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته واجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن و يطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس ان لا يترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له مالو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته

﴿ بيان الاعذار المرخصة في الغيبة ﴾

اعلم ان المرخص في ذكر مساوى الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة امور * الاول التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا ان لم يكن مظلوما أما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان و ينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا به قال صلى الله عليه وسلم [1] ان لصاحب الحق مقالا وقال عليه السلام [2] مطل الغني ظلم وقال عليه السلام [3] لي الواجد يحل عقوبته وعرضه * الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح كما روى ان عمر رضي الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فذهب الى ابي بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك فجاء ابو بكر اليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه ان اباجندل قد عاقر الخمر بالشام كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية فتاب ولم ير ذلك عمر ممن أبلغه غيبة اذ كان قصده ان ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه مالا ينفعه نصح غيره وانما اباحة هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما * الثالث الاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني ابي اوزوجتي اوأخي فكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بان يقول ماقولك في رجل ظلمه ابوه او اخوه اوزوجته ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روى عن هند بنت عتبة انها قالت [4] للنبي صلى الله عليه وسلم ان اباسفيان رجل شحيح لا يعطيني مايكفيني انا وولدي افآخذ من غير علمه فقال خذي مايكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء * الرابع تحذير المسلم من الشر فاذا رأيت فقيها يتردد الى مبتدع اوفاسق وخفت ان تتعدى اليه بدعته وفسقه فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث و يلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة او بالفسق او بعيب آخر فلك ان تذكر ذلك فان في سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري أولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه ان علم مطعنا وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر مايعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة فان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب وفيه الكفاية وان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح بعيبه فله ان يصرح به اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [5] اترعون عن ذكر الفاجر اهتكوه متى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه * الخامس ان يكون الانسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول روى ابو الزناد عن الاعرج وسلمان

وذى الغمر على اخيه (١) حديث لصاحب الحق مقال متفق عليه من حديث ابي هريرة (٢) حديث مطل الغنى ظلم متفق عليه من حديثه (٣) حديث لي الواجد يحل عرضه وعقوبته ابوداود والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد باسناد صحيح (٤) حديث ان هندا قالت ان اباسفيان رجل شحيح متفق عليه من حديث عائشة (٥) حديث اترعون عن ذكر الفاجر اهتكوه متى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس الطبراني وابن حبان في الضعفاء وابن عدي من رواية بهز بن حكيم عن ابيه عن جده دون قوله حتى يعرفه الناس

اليسرى ولا يتولغ بيده ولا يخط في الارض والحائط وقت قعوده ولا يكثر النظر الى عورته الا للحاجة الى ذلك ولا يتكلم فقد ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عوراتهما يتحدثان فان الله تعالى يمقت على ذلك و يقول عند خروجه غفرانك الحمد لله الذي اذهب عني مايؤذيني وأبقى علي ماينفعني ولا يستصحب معه شيأ عليه اسم الله من ذهب وخاتم وغيره ولا يدخل حاسر الرأس روت عائشة رضي الله عنها عن ابيها ابي بكر رضي الله عنه انه قال استحيوا من الله فاني لا ادخل الكنيف فالزق ظهري واغطي راسي استحياء من ربي عز وجل

عن الاعمش ومايجرى مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولان ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد ان قد صار مشهورا به نعم ان وجد عنه معدلا وامكنه التعريف بعبارة اخرى فهو اولى ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص * السادس ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستنكف من ان يذكر له ولا يكره ان يذكر به فاذا ذكرت فيه ما يتظاهر به فلا اثم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر رضى الله عنه ليس لفاجر حرمة واراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكرى له بما فيه غيبة له قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بفسقه والامام الجائر فهؤلاء الثلاثة يجمعهم انهم يتظاهرون به ور بما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به اثم وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله تعالى غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج

﴿ بيان كفارة الغيبة ﴾

اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم و يتوب و يتاسف على ما فعله ليخرج به من حق الله سبحانه ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وينبغى ان يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله اذ المرائى قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفى الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية اخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما استدل فى ذلك بما روى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثنى عليه وتدعو له بخير وسئل عطاء بن ابى رباح عن التوبة من الغيبة قال ان تمشى الى صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت وظلمتك واسأت فان شئت أخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ قد وجب فى العرض حد القذف وتثبت المطالبة به بل فى الحديث الصحيح ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال (٣) من كانت لاخيه عنده مظلمة فى عرض او مال فليستحللها منه من قبل ان يأتى يوم ليس هناك دينار ولا درهم انما يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته وقالت عائشة رضى الله عنها لامرأة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فاذا لابد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غائبا او ميتا فينبغى ان يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات فان قلت فالتحليل هل يجب فاقول لا لانه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر ان يبالغ فى الثناء عليه والتودد اليه و يلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة فى القيامة وكان بعض السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمنى وقال ابن سيرين انى لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرم الله ابدا فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ينبغى ان يستحلها وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما قاله ابن سيرين حسن فى التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز له ان يحلل لغيره الغيبة فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (٤) ايعجز احدكم ان يكون كابى ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم انى قد تصدقت بعرضى على الناس

ورواه بهذه الزيادة ابن ابى الدنيا فى الصمت (١) حديث من القى جلباب الحياء فلا غيبة له ابن عدى وابو الشيخ فى كتاب ثواب الاعمال من حديث انس بسند ضعيف وقد تقدم (٢) حديث كفارة من اغتبته ان تستغفر له ابن ابى الدنيا فى الصمت والحارث بن ابى اسامة فى مسنده من حديث انس بسند ضعيف (٣) حديث من كانت له عند اخيه مظلمة من عرض او مال فليتحلله الحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة (٤) حديث ايعجز احدكم ان يكون كابى ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم انى تصدقت بعرضى على الناس البزار وابن

﴿ الباب الرابع والثلاثون فى آداب الوضوء وأسراره ﴾

اذا أراد الوضوء يبتدئ بالسواك (حدثنا) شيخنا أبو النجيب قال أنا أبو عبد الله الطائى قال انا الحافظ الفراء قال أنا عبد الواحد بن أحمد المليحى قال أنا أبو منصور محمد بن أحمد قال أنا أبو جعفر محمد ابن احمد بن عبد الجبار قال ثنا حميد ابن زنجويه قال ثنا يعلى بن عبيد قال ثنا محمد بن اسحق عن محمد ابن ابراهيم عن ابى سلمة بن عبد الرحمن عن زيد ابن خالد الجهنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على أمتى لاخرت العشاء الى ثلث الليل وامرتهم بالسواك عند كل مكتوبة وروت عائشة رضى الله تعالى

فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه انى لا اطلب مظلمة يوم القيامة منه ولا اخاصمه والا فلا تصير الغيبة حلال به ولا تسقط المظلمة عنه لانه عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم فان رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوق ان له ذلك بل صرح الفقهاء ان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو أفضل قال الحسن اذا جثت الامم بين يدى الله عز وجل يوم القيامة نودوا ليقم من كان له اجر على الله فلا يقوم الا العافون عن الناس فى الدنيا وقد قال الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فقال النبي صلى الله عليه وسلم[1] ياجبريل ماهذا العفو فقال ان الله تعالى يأمرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وروى عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه رطبا على طبق وقال قد بلغنى أنك اهديت الى من حسناتك فاردت ان اكافئك عليها فاعذرنى فانى لا اقدر ان أكافئك على التمام

(الآفة السادسة عشر النميمة)

قال الله تعالى هماز مشاء بنميم ثم قال عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذى لا يكتم الحديث وأشار به الى ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه ولد زنا استنباطا من قوله عزوجل عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعى وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام وقال تعالى حمالة الحطب قيل انها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح تخبر انه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم[2] لا يدخل الجنة نمام وفى حديث آخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] احبكم الى الله أحاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات وقال صلى الله عليه وسلم[4] الا اخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال ابوذر[5] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها فى النار يوم القيامة وقال أبو الدرداء[6] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برئ ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه بها يوم القيامة فى النار وقال ابو هريرة[7] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها باهل فليتبوأ مقعده من النار ويقال ان ثلث

السنى فى اليوم والليلة والعقيلى فى الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت مرسلا عند ذكر ابى ضمضم فى الصحابة قلت وانما هو رجل ممن كان قبلنا كما عند البزار والعقيلى (١) حديث نزول خذ العفو الآية فقال ياجبريل ماهذا فقال ان الله يامرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك تقدم فى رياضة النفس

(الافة السادسة عشرة النميمة)

(٢) حديث لا يدخل الجنة نمام وفى حديث آخر قتات متفق عليه من حديث حذيفة وقد تقدم (٣) حديث أبى هريرة واحبكم الى الله احسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الطبرانى فى الاوسط والصغير وتقدم فى آداب الصحبة (٤) حديث الا اخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة الحديث أحمد من حديث أبى مالك الاشعرى وقد تقدم (٥) حديث أبى ذر من اشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها فى النار يوم القيامة ابن ابى الدنيا فى الصمت والطبرانى فى مكارم الاخلاق وفيه عبد الله بن ميمون فان يكن القداح فهو متروك الحديث (٦) حديث أبى الدرداء أيما رجل اشاع على رجل كلمة هو منها برئ ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه بها يوم القيامة فى النار ابن ابى الدنيا موقوفا على ابى الدرداء ورواه الطبرانى بلفظ آخر مرفوعا من حديثه وقد تقدم (٧) حديث ابى هريرة من شهد على مسلم شهادة ليس لها باهل فليتبوأ مقعده من النار احمد وابن ابى الدنيا وفى رواية احمد رجل

عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك والشوص الدلك ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وكلما تغير الفم من ازم وغيره وأصل الازم امساك الاسنان بعضها على بعض وقيل للسكوت ازم لان الاسنان تنطبق وبذلك يتغير الفم ويكره للصائم بعد الزوال ويستحب له قبل الزوال واكثر استحبابه مع غسل الجمعة وعند القيام من الليل وينبدى السواك اليابس بالماء ويستاك عرضا وطولا فان اقتصر فعرضا فاذا فرغ من السواك يغسله ويجلس

عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم (١) ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من دخلني فقال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذى يقول على عهد الله ان لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به وقال كعب الاحبار ان بني اسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى اليه انى لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة فقال موسى يارب من هو دلني عليه حتى أخرجه من بيننا قال ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فتابوا جميعا فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ فى سبع كلمات فلما قدم عليه قال انى جئتك للذى آتاك الله تعالى من العلم أخبرنى عن السماء وما أثقل منها وعن الارض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقسى منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أذل منه فقال له الحكيم البهتان على البرىء أثقل من السموات والحق أوسع من الارض والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أقسى من الحجر والنمام اذا بان أمره أذل من اليتيم

﴿ بيان حد النميمة وما يجب فى ردها ﴾

اعلم ان اسم النميمة انما يطلق فى الاكثر على من ينم قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول اليه أو كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالايماء وسواء كان المنقول من الاعمال أو من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصا فى المنقول عنه أو لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الانسان من أحوال الناس مما يكره فينبغى أن يسكت عنه الا ما فى حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما اذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له فاما اذا رآه يخفى مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر فان كان ما ينم به نقصا وعيبا فى المحكى عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة فالباعث على النميمة اما ارادة السوء للمحكى عنه أو اظهار الحب للمحكى له أو التفرج بالحديث والخوض فى الفضول والباطل وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك كذا أو فعل فى حقك كذا او هو يدبر فى افساد امرك او فى ممالاة عدوك او تقبيح حالك او ما يجرى مجراه فعليه ستة امور * الاول ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة * الثانى ان ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله قال الله تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر * الثالث ان يبغضه فى الله تعالى فانه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى * الرابع ان لا تظن باخيك الغائب السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم * الخامس ان لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق اتباعا لقوله تعالى ولا تجسسوا * السادس ان لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكى نميمته فتقول فلان قد حكى لى كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد اتيت ما عنه نهيت وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه انه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيأ فقال له عمر ان شئت نظرنا فى امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا

لم يسم اسقطه ابن ابى الدنيا من الاسناد (١) حديث ابن عمر ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية فذكرمنها ولا قتات وهو النمام لم اجده هكذا بتمامه ولاحمد لا يدخل الجنة عاق لوالديه ولا ديوث وللنسائي من حديث عبد الله بن عمرو لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر وللشيخين من حديث حذيفة لا يدخل الجنة قتات ولهما من حديث جبير بن مطعم لا يدخل الجنة قاطع وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس لما خلق الله الجنة قال لها تكلمي تزيني فتزينت فقالت طوبى لمن

للوضوء والأولى أن يكون مستقبل القبلة ويبتدىء بسم الله الرحمن الرحيم ويقول رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ويقول عند غسل اليد اللهم انى أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ويقول عند المضمضة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ويقول عند الاستنشاق اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأوجدنى رائحة الجنة وأنت عنى راض ويقول عند الاستنثار اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك من روائح النار وسوء الدار ويقول عند

عنك فقال العفو ياأمير المؤمنين لا أعود اليه أبدا * وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكيم قد أبطأت فى الزيارة وأتيت بثلاث جنايات بغضت أخى الى وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة وروى ان سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاء رجل فقال له سليمان بلغنى انك وقعت فى وقلت كذا وكذا فقال الرجل مافعلت ولا قلت فقال سليمان ان الذى أخبرنى صادق فقال له الزهرى لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت ثم قال للرجل اذهب بسلام وقال الحسن من نم اليك نم عليك وهذا اشارة الى ان النمام ينبغى أن يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن يسعى فى قطع ما أمر الله به أن يوصل و يفسدون فى الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس و يبغون فى الارض بغير الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم (١) ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال (٢) لا يدخل الجنة قاطع قيل وما القاطع قال قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروى عن على رضى الله عنه أن رجلا سعى اليه برجل فقال له ياهذا نحن نسأل عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت أن نقيلك أقلناك فقال أقلنى ياأمير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظى أى خصال المؤمن أوضع له فقال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول قول كل احد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغنى ان فلانا اعلم الامير انى ذكرته بسوء قد كان ذلك قال فاخبرنى بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك قال ما احب ان اشتم نفسى بلسانى وحسبي انى لم اصدقه فيما قال ولا اقطع عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ماظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس الا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء فاخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعى فلو كان صادقا فى قوله لكان لئيما فى صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هى النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم (٣) الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعنى ليس بولد حلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه فى الكلام وقال انى مكلمك ياامير المؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته فقال قل فقال ياامير المؤمنين انه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصخ اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لن يألوا فى الامة خسفا وفى الامانة تضييعا والاعراض قطعا وانتهاكا على قربهم البغى والنميمة واجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وانت مسئول عما اجرموا وليسوا المسؤلين عما اجرمت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الاعجم الى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد على الرجل وقال

فانت امرؤ اما ائتمنتك خاليا * فخنت واما قلت قولا بلا علم
فانت من الامر الذى كان بيننا * بمنزلة بين الخيانة والاثم

وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسوارى مايزال يذكرك فى قصصه بشر فقال له عمرو ياهذا مارعيت حق مجالسة

دخلنى ورضى عنه الهي فقال الله عز وجل لاسكنك مخنث ولا نائحة (١) حديث ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره متفق عليه من حديث عائشة بنحوه (٢) حديث لا يدخل الجنة قاطع متفق عليه من حديث جبير بن مطعم (٣) حديث الساعى بالناس الى الناس لغير رشدة الحاكم من حديث ابى موسى من سعي بالناس فهو لغير رشدة اوفيه شيء منها وقال له اسانيد هذا امثلها قلت فيه سهل بن عطية قال فيه ابن طاهر فى التذكرة منكر الرواية قال والحديث لا اصل له وقد ذكر ابن حبان فى الثقات سهل بن عطية ورواه الطبرانى بلفظ لا يسعى على الناس الا ولد بغى والا من فيه عرق منه وزاد بين سهل و بين بلال بن ابى بردة ابا الوليد القرشى

غسل الوجه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد و بيض وجهى يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهى يوم تسود وجوه اعدائك وعند غسل اليمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وآتنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا وعند غسل الشمال اللهم انى اعوذ بك ان تؤتينى كتابى بشمالى او من وراء ظهرى وعند مسح الراس اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وغشنى برحمتك وانزل على من بركاتك واظلنى تحت ظل عرشك يوم لاظل الا ظل عرشك ويقول عند مسح الاذنين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلنى ممن يستمع القول فيتبع احسنه اللهم اسمعنى

الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا أديت حقى حين أعلمتنى عن أخى ما أكره ولكن أعلمه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين * ورفع بعض السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته فوقع على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة فان كنت أجريتها مجرى النصح فخسرانك فيها أفضل من الربح ومعاذ الله أن نقبل مهتوكا فى مستور ولولا انك فى خفارة شيبتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك فى مثلك فتوق ياملعون العيب فان الله أعلم بالغيب الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعى لعنه الله وقال لقمان لابنه يا بنى أوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا أبسط خلقك للقريب والبعيد وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل أقاربك وآمنهم من قبول قول ساع أو سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهى أثافى الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغى أن يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشترى مافيه عيب الا النميمة قال قد رضيت فاشتراه فمكث الغلام أياما ثم قال لزوجة مولاه ان سيدى لايحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذى الموسى واحلقى من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تريد قتله فقام اليها فقتلها فجاء اهل المرأة فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبيلتين فنسأل الله حسن التوفيق

﴿ الآفة السابعة عشرة ﴾

كلام ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر (١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة وقال ابو هريرة (٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفى لفظ آخر الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال ابو هريرة لاينبغى لذى الوجهين ان يكون أمينا عند الله وقال مالك بن دينار قرأت فى التوراة بطلت الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم (٣) أبغض خليقة الله الى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم فى صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وأمره كانوا سراعا وقال ابن مسعود لايكونن احدكم امعة قالوا وما الامعة قال الذى يجرى مع كل ريح واتفقوا على ان ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روى ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر يموت رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصل عليه فقال ياامير المؤمنين انه منهم فقال نشدتك الله أنا منهم ام لا قال اللهم لا ولا أؤمن منها احدا بعدك فان قلت بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لاتنتهى الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت

﴿ الآفة السابعة عشرة كلام ذى اللسانين ﴾

(١) حديث عمار بن ياسر من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة البخارى فى كتاب الادب المفرد وأبوداود بسند حسن (٢) حديث أبى هريرة تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الحديث متفق عليه بلفظ تجد من شر الناس لفظ البخارى وهو عند ابن ابى الدنيا بلفظ المصنف (٣) حديث ابغض خليقة الله الى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم فى صدورهم فاذا لقوهم

مناداى الجنة مع الابرار ويقول فى مسح العنق اللهم فك رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وثبت قدمى على الصراط مع أقدام المؤمنين ويقول عند اليسرى اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك أن تزل قدمى عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين واذا فرغ من الوضوء يرفع رأسه الى السماء ويقول أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوأ وظلمت نفسى أستغفرك وأتوب اليك

معاداة الاعداء كما ذكرنا فى كتاب آداب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد منهما الى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من أحد الجانبين فقط فاذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ماهو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بان ينصره وكذلك اذا أثنى على كل واحد منهما فى معاداته وكذلك اذا أثنى على أحدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغى أن يسكت او يثنى على المحق من المتعادين و يثنى عليه فى غيبته و فى حضوره و بين يدى عدوه قيل لابن عمر رضى الله عنهما (١) انا ندخل على أمرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذى أحوج نفسه الى ذلك فان كان مستغنيا عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى وأثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم (٢) حب المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء والى مراعاتهم ومراآتهم فاما اذا ابتلى به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال ابو الدرداء رضى الله عنه انا لنكشر فى وجوه أقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة رضى الله عنها (٣) استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو ثم لما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يارسول الله قلت فيه ماقلت ثم ألنت له القول فقال ياعائشة ان شر الناس الذى يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد فى الاقبال وفى الكشر والتبسم فاما الثناء فهو كذب صراح ولا يجوز الا لضرورة أو اكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه فى آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس فى معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغى أن ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه

﴿ الآفة الثامنة عشرة ﴾

المدح وهو منهى عنه فى بعض المواضع أما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات أربع فى المادح واثنان فى الممدوح * (فاما المادح) * فالاولى انه قد يفرط فينتهى به الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما او احدا بما ليس فيه على رؤوس الاشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه * الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا * الثالثة انه قد يقول مالا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روى (٤) ان رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح ثم قال ان كان احد كم لابد مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكى على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التى تعرف بالادلة كقوله انه متق وورع وزاهد وخير ومايجرى مجراه فأما اذا قال رأيته يصلى بالليل و يتصدق و يحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله أنه عدل رضا فان ذلك خفى فلا ينبغى ان يجزم القول فيه

تعلقوا لهم الحديث لم اقف له على اصل (١) حديث قيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبرانى من طرق (٢) حديث حب الجاه والمال ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابى هريره بسند ضعيف الا انه قال حب الغناء وقال العشب مكان البقل (٣) حديث عائشة استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة الحديث وفيه ان شر الناس الذى يكرم اتقاء لشره متفق عليه وقد تقدم فى الآفة التى قبلها

* (الآفة الثامنة عشرة المدح) *

(٤) حديث ان رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك متفق عليه

فاغفر لى وتب على أنك انت التواب الرحيم اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد واجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى صبورا شكورا واجعلنى اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا * وفرائض الوضوء النية عند غسل الوجه وغسل الوجه وحد الوجه من مبتدأ تسطيح الوجه الى منتهى الذقن وما ظهر من اللحية وما استرسل منها ومن الأذن الى الأذن عرضا ويدخل فى الغسل البياض الذى بين الاذنين واللحية وموضع الصلع وما انحسر عنه الشعر وهما النزعتان من الرأس ويستحب غسلهما مع الوجه و يوصل الماء الى شعر التحذيف وهو القدر الذى

الا بعد خبرة باطنه سمع عمر رضى الله عنه رجلا يثنى على رجل فقال أسافرت معه قال لا قال أخالطته فى المبايعة والمعاملة قال لا قال فأنت جاره صباحه ومساءه قال لا فقال والله الذى لا اله الا هو لا أراك تعرفه * الرابعة أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ان الله تعالى يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعى لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى فى أرضه والظالم الفاسق ينبغى أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح ﴿ وأما الممدوح فيضره من وجهين ﴾ أحدهما أنه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان قال الحسن رضى الله عنه كان عمر رضى الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس حوله اذ أقبل الجارود بن المنذر فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال مالى ولك يا أمير المؤمنين قال مالى ولك أما لقد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت أن يخالط قلبك منها شئ فأحببت ان أطأطئ منك الثانى هو أنه اذا أثنى عليه بالخير فرح به وفتر ورضى عن نفسه ومن أعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاما اذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح وقال صلى الله عليه وسلم (٢) اذا مدحت أخاك فى وجهه فكانما أمررت على حلقه موسى وميضا وقال أيضا لمن مدح رجلا (٣) عقرت الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت قط ثناء ولا مدحة الا تصاغرت الى نفسى وقال زياد بن أبى مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة الا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلاهما أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام وأما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم (٤) لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثنى عليه فى وجهه وقال عمر رضى الله عنه المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح هو الذى يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور أو لان المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح من هذه الآفات فى حق المادح والممدوح لم يكن به باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال (٥) لو وزن ايمان ابى بكر بايمان العالم لرجح وقال فى عمر (٦) لو لم أبعث لبعثت ياعمر واى ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق و بصيرة وكانوا رضى الله عنهم اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر اذ قال صلى الله عليه وسلم (٧) انا سيد ولد آدم ولا فخر اى لست اقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره صلى الله عليه وسلم كان بالله و بالقرب من الله لا بولد ادم وتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه و به يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح و بين الحث قال صلى الله عليه وسلم (٨) وجبت لما أثنوا

من حديث ابى بكرة بنحوه وهو فى الصمت لابن ابى الدنيا بلفظ المصنف (١) حديث ان الله يغضب اذا مدح الفاسق ابن أبى الدنيا فى الصمت والبيهقى فى الشعب من حديث أنس وفيه ابو خلف خادم انس ضعيف ورواه ابو يعلى الموصلى وابن عدى بلفظ اذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش قال الذهبي فى الميزان منكر وقد تقدم فى آداب الكسب (٢) حديث اذا مدحت اخاك فى وجهه فكانما امررت على حلقه موسى ومبضا ابن المبارك فى الزهد والرقائق من رواية يحيى بن جابر مرسلا (٣) حديث عقرت الرجل عقرك الله قاله لمن مدح رجلا لم اجد له اصلا (٤) حديث لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثنى عليه فى وجهه لم اجده ايضا (٥) حديث لو وزن ايمان ابى بكر بايمان العالمين لرجح تقدم فى العلم (٦) حديث لو لم أبعث لبعثت ياعمر ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابى هريرة وهو منكر والمعروف حديث عقبة بن عامر لو كان بعدى نبي لكان عمر بن الخطاب رواه الترمذى وحسنه (٧) حديث انا سيد ولد آدم ولا فخر الترمذى وابن ماجه من حديث ابى سعيد الخدرى والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وله من حديث عبادة بن الصامت انا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ولمسلم من حديث ابى هريرة انا سيد ولد آدم يوم القيامة (٨) حديث وجبت قاله لما اثنوا

يزيله النساء من الوجه و يوصل الماء الى العنفقة والشارب والحاجب والعذار وماعدا ذلك لا يجب ثم اللحية ان كانت خفيفة يجب ايصال الماء الى البشرة وحد الخفيف أن ترى البشرة من تحته وان كانت كثيفة فلا يجب و يجتهد فى تنقية مجتمع الكحل من مقدم العين (الواجب الثالث) غسل اليدين الى المرفقين و يجب ادخال المرفقين فى الغسل و يستحب غسلهما الى انصاف العضدين وان طالت الاظافر حتى خرجت من رؤوس الاصابع يجب غسل ما تحتها على الاصح (الواجب الرابع) مسح الرأس و يكفى ما يطلق عليه اسم المسح واستيعاب الرأس بالمسح سنة وهو

على بعض الموتى وقال مجاهد ان لبنى آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر الرجل المسلم اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك بمثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورتك اربع على نفسك واحمد الله الذى ستر عورتك فهذه آفات المدح

﴿بيان ما على الممدوح﴾

اعلم ان على الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه الا بان يعرف نفسه و يتأمل ما فى خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الاعمال فانه يعرف من نفسه مالا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجرى على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح قال صلى الله عليه وسلم (١) احثوا التراب فى وجوه المادحين وقال سفيان بن عيينه لا يضر المدح من عرف نفسه وأثنى على الرجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفونى وأنت تعرفنى وقال آخر لما اثنى عليه اللهم ان عبدك هذا تقرب الى بمقتك وأنا اشهدك على مقته وقال على عمر رضى الله عنه لما اثنى عليه اللهم اغفر لى مالا يعلمون ولا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى خيرا مما يظنون واثنى رجل على عمر رضى الله عنه فقال اتهلكنى وتهلك نفسك وأثنى رجل على على كرم الله وجهه فى وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه فقال انا دون ماقلت وفوق ما فى نفسك

﴿الآفة التاسعة عشرة﴾

الغفلة عن دقائق الخطأ فى فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته و يرتبط بأمور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ فى امور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر فى علم اوفصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله مثاله ماقال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم (٢) لا يقل احدكم ماشاء الله وشئت ولكن ليقل ماشاء الله ثم شئت وذلك لان فى العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضى الله عنهما (٣) جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه فى بعض الامر فقال ماشاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم وسلم اجعلتنى لله عديلا بل ماشاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (٤) من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله و بك و يجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك وان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم ان يقال اللهم اعتقنا من النار وكان يقول العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار و يتعوذون من النار وقال رجل اللهم اجعلنى ممن تصيبهم شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة ان الله يغنى المؤمنين عن شفاعة محمد وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل ياحمار ياخنزير قيل له يوم القيامة حمارا رأيتنى خلقته خنزيرا رأيتنى خلقته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان احدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه فيقول لولاه لسرقنا الليلة وقال عمر رضى الله عنه (٥) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ينهاكم ان تحلفوا بابائكم من كان حالفا فليحلف بالله اوليصمت قال عمر رضى الله عنه فوالله ماحلفت بها منذ سمعتها وقال صلى الله عليه وسلم (٦) لا تسموا العنب كرما انما الكرم الرجل المسلم وقال ابوهريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن

على بعض الموتى متفق عليه من حديث انس (١) حديث احثوا فى وجوه المداحين التراب مسلم من حديث المقداد

﴿الآفة التاسعة فى الغفلة عن دقائق الخطأ﴾

(٢) حديث حذيفة لا يقل احدكم ماشاء الله وشئت الحديث ابو داود والنسائى فى الكبرى بسند صحيح (٣) حديث ابن عباس جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه فى بعض الامر فقال ماشاء الله وشئت اجعلتنى لله عدلا قل ماشاء الله وحده النسائى فى الكبرى باسناد حسن وابن ماجه (٤) حديث خطب رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى الحديث مسلم من حديث عدى بن حاتم (٥) حديث عمر ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم متفق عليه (٦) حديث لا تسموا العنب

ان يلصق رأس اصابع اليمنى باليسرى و يضعهما على مقدم الرأس و يمدهما الى القفا ثم يردهما الى الموضع الذى بدأ منه و ينصف بلل الكفين مستقبلا ومستدبرا * والواجب الخامس غسل القدمين و يجب ادخال الكعبين فى الغسل و يستحب غسلهما الى انصاف الساقين و يقنع غسل القدمين من الكعبين و يجب تخليل الاصابع الملتفة فيخلل بخنصر يده اليسرى من باطن القدم و يبدأ بخنصر رجله اليمنى و يختم بخنصر اليسرى وان كان فى الرجل شقوق يجب ايصال الماء الى باطنها وان ترك فيها عجينا اوشحما يجب ازالة عين ذلك الشئ * الواجب السادس

احدكم عبدى ولا أمتى كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله وليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى ولا يقول المملوك ربى ولا ربتى وليقل سيدى وسيدتى فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى وقال صلى الله عليه وسلم (١) لاتقولوا للفاسق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم وقال صلى الله عليه وسلم (٢) من قال انا برىء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا وأمثاله مما يدخل فى الكلام ولا يمكن حصره ومن تأمل جميع ما اوردنا من آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم (٣) من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهى على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان نطق وتكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين

﴿ الآفة العشرون ﴾

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة اومحدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما فى القرآن الا ان ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامى يفرح بالخوض فى العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم فى العلم بما هو كفر وهو لا يدرى وكل كبيرة يرتكبها العامى فهى أسلم له من ان يتكلم فى العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به المقت من الله عز وجل ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (٤) ذرونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وقال أنس (٥) سال الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فاكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال سلونى ولا تسالونى عن شىء الا أنبأتكم به فقام اليه رجل فقال يارسول الله من أبى فقال ابوك حذافة فقام اليه شابان أخوان فقالا يارسول الله من أبونا فقال ابوكما الذى تدعيان اليه ثم قام اليه رجل آخر فقال يارسول الله أفى الجنة أنا أم فى النار فقال لا بل فى النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه عمر رضى الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس ياعمر رحمك الله انك ما علمت لموفق وفى الحديث (٦) نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال وقال صلى الله عليه وسلم

الكرم انما الكرم الرجل المسلم متفق عليه من حديث أبى هريرة (١) حديث لا تقولوا للمنافق سيدنا الحديث أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح (٢) حديث من قال أنا برىء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال الحديث النسائى وابن ماجه من حديث بريدة باسناد صحيح (٣) حديث من صمت نجا الترمذى وقد تقدم فى أول آفات اللسان

﴿ الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى ﴾

(٤) حديث ذرونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم الحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة (٥) حديث سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال سلونى فلا تسالونى عن شىء الا أنبأتكم به الحديث متفق عليه مقتصرا على سؤال عبد الله بن حذافة وقول عمر ولمسلم من حديث ابى موسى فقام آخر فقال مَن أبى فقال ابوك سالم مولى شيبة (٦) حديث النهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة

* الترتيب على النسق المذكور فى كلام الله تعالى * الواجب السابع التابع فى القول القديم عند الشافعى رحمه الله تعالى وحد التفريق الذى يقطع التتابع نشاف العضو مع اعتدال الهواء *(وسنن الوضوء ثلاثة عشر)* التسمية فى أول الطهارة وغسل اليدين الى الكوعين والمضمضة والاستنشاق والمبالغة فيهما فيغرغر فى المضمضة حتى يرد الماء الى الغلصمة ويستصعد فى الاستنشاق الماء بالنفس الى الخياشيم ويرفق فى ذلك ان كان صائما وتخليل اللحية الكثيفة وتخليل الاصابع المنفرجة والبداءة بالميامن واطالة الغرة واستيعاب الرأس بالمسح

(١) يوشك الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله أحد الله الصمد حتى تختموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر (١) مانزلت آية التلاعنين الا لكثرة السؤال وفى قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال هذا فراق بينى و بينك وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهى من المثيرات للفتن فيجب دفعهم ومنعهم من ذلك وخوضهم فى حروف القرآن يضاهى حال من كتب الملك اليه كتابا ورسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشئ منها وضيع زمانه فى أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لا محالة فكذلك تضييع العامى حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهى قديمة ام حديثة وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى والله تعالى أعلم

﴿ كتاب ذم الغضب والحقد والحسد وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى لا يتكل على عفوه ورحمته الا الراجون * ولا يحذر سوء غضبه وسطوته الا الخائفون * الذى استدرج عباده من حيث لا يعلمون * وسلط عليهم الشهوات وامرهم بترك مايشتهون * وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون * ثم حفهم بالمكاره واللذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون * وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون * وعرفهم انه لا يخفى عليه شىء مما يسرون وما يعلنون * وحذرهم ان ياخذهم بغتة وهم لا يشعرون * فقال ماينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون * والصلاة والسلام على محمد رسوله الذى يسير تحت لوائه النبيون * وعلى آله واصحابه الأئمة المهديون * والسادة المرضيون * صلاة يوازى عددها عدد ما كان من خلق الله وماسيكون * ويحظى ببركتها الاولون والآخرون وسلم تسليما كثيرا (اما بعد) فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة * وانها لمستكنة فى طى الفؤاد * استكنان الجمر تحت الرماد * و يستخرجها الكبر الدفين فى قلب كل جبار عنيد كاستخراج الحجر النار من الحديد * وقد انكشف للناظرين بنور اليقين * ان الانسان ينزع عنه عرق الى الشيطان اللعين * فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتنى من نار وخلقته من طين * فان شأن الطين السكون والوقار وشان النار التلظى والاستعار * والحركة والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد * و بهما هلك من هلك وفسد من فسد * ومفيضهما مضغة اذا صلحت صلح معها سائر الجسد واذا كان الحقد والحسد والغضب * مما يسوق العبد الى مواطن العطب * فما احوجه الى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه * و يميطه عن القلب ان كان و ينفيه * و يعالجه ان رسخ فى قلبه و يداويه * فان من لا يعرف الشر يقع فيه * ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه * مالم يعرف الطريق الذى به يدفع الشر و يقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد فى هذا الكتاب و يجمعها بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان أن الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه ثم بيان فضيلة كظم الغيظ ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفى به من الكلام ثم القول فى معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ثم القول فى ذم الحسد وفى حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب فى ازالته ثم بيان السبب فى كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة و بنى العم والاقارب

---

(١) حديث يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله الخلق الحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة وقد تقدم (٢) حديث جابر مانزلت آية التلاعن الا لكثرة السؤال رواه البزار باسناد جيد

﴿ كتاب الغضب والحقد والحسد ﴾

ومسح الاذنين والتثليث وفى القول الجديد التتابع ويجتنب ان يزيد على الثلاث ولا ينفض اليد ولا يتكلم فى اثناء الوضوء ولا يلطم وجهه بالماء لطما وتجديد الوضوء مستحب بشرط ان يصلى بالوضوء ماتيسر والا فكروه *(الباب الخامس والثلاثون فى آداب اهل الخصوص والصوفية فى الوضوء) * اداب الصوفية بعد القيام بمعرفة الاحكام * ادبهم فى الوضوء حضور القلب فى غسل الاعضاء سمعت بعض الصالحين يقول اذا حضر القلب فى الوضوء يحضر فى الصلاة واذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة فى الصلاة ومن آدابهم استدامة الوضوء والوضوء

وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه ثم بيان الدواء الذى به ينفى مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر الواجب فى نفى الحسد عن القلب وبالله التوفيق

﴿ بيان ذم الغضب ﴾

قال الله تعالى اذجعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة وروى أبو هريرة (١) أن رجلا قال يارسول الله مرنى بعمل وأقلل قال لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب وقال ابن عمر (٢) قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لى قولا وأقلله لعلى أعقله فقال لا تغضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الى لا تغضب وعن عبد الله بن عمرو (٣) أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينقذنى من غضب الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود (٤) قال النبي صلى الله عليه وسلم ماتعدون الصرعة فيكم قلنا الذى لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب وقال ابو هريرة (٥) قال النبي صلى الله عليه وسلم وليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر (٦) قال النبي صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود عليهما السلام يابنى اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم وعن عكرمة فى قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذى لا يغلبه الغضب وقال ابو الدرداء (٧) قلت يارسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال لاأستطيع ان لا اغضب انما أنا بشر قال لا تقتن مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم (٨) الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم (٩) ماغضب أحد الا أشفى على جهنم وقال له رجل (١٠) أى شئ أشد قال غضب الله قال فما يبعدنى عن غضب الله قال لا تغضب (الآثار) قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت و يوشك أن تثب وثبة فتقع فى النار وعن ذى القرنين انه لقى ملكا من الملائكة فقال علمنى علما أزداد به ايمانا و يقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطأت حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه ان راهبا كان فى صومعته فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فلم يجبه فقال افتح فانى ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال انى انا المسيح قال الراهب وان كنت المسيح فما أصنع بك أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك فقال انى الشيطان وقد أردت ان اضلك فلم استطع فجئتك لتسألنى عما شئت فاخبرك فقال ماأريد ان اسالك عن شئ قال فولى مدبرا فقال الراهب ألا تسمع قال بلى

---

(١) حديث أبى هريرة ان رجلا قال يارسول الله مرنى بعمل واقلل قال لا تغضب ثم اعاد عليه فقال لا تغضب رواه البخارى (٢) حديث ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لى قولا واقلل الحديث نحوه ابو يعلى باسناد حسن (٣) حديث عبد الله بن عمرو سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم مايبعدنى من غضب الله قال لا تغضب الطبرانى فى مكارم الاخلاق وابن عبد البر فى التمهيد باسناد حسن وهو عند احمد وان عبد الله بن عمرو هو السائل (٤) حديث ابن مسعود ماتعدون الصرعة الحديث رواه مسلم (٥) حديث ابى هريرة وليس الشديد بالصرعة الحديث متفق عليه (٦) حديث ابن عمر من كف غضبه ستر الله عورته ابن ابى الدنيا فى كتاب العفو وذم الغضب وفى الصمت وتقدم فى آفات اللسان (٧) حديث ابى الدرداء دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال لا تغضب ابن ابى الدنيا والطبرانى فى الكبير والاوسط باسناد حسن (٨) حديث الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من رواية بهزر بن حكيم عن ابيه عن جده بسند ضعيف (٩) حديث ماغضب احد الا اشفى على جهنم البزار وابن عدى من حديث ابن عباس للنار باب لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله واسناده ضعيف وتقدم فى آفات اللسان (١٠) حديث قال رجل اى شئ اشد على قال غضب الله فما يبعدنى من غضب الله قال لا تغضب احمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشطر الاخير منه وقد تقدم قبله بست احاديث

سلاح المؤمن والجوارح اذا كانت فى حماية الوضوء الذى هو أثر شرعى يقل طروق الشيطان عليها * قال عدى بن حاتم ما أقيمت صلاة منذ أسلمت الا وأنا على وضوء وقال أنس ابن مالك قدم النبي عليه الصلاة والسلام المدينة وأنا يومئذ ابن ثمان سنين فقال لى يابنى ان استطعت أن لا تزال على الطهارة فافعل فانه من أتاه الموت وهو على الوضوء أعطي الشهادة فشأن العاقل أن يكون أبدا مستعدا للموت ومن الاستعداد لزوم الطهارة (وحكى) عن الحصرى انه قال مهما انتبه من الليل لا يحملنى النوم الا بعد ما أقوم وأجدد الوضوء لئلا

قال أخبرني أي اخلاق بني آدم أعون لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى أكون في قلبه واذا غضب طرت حتى أكون في رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار رأس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث اذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا واذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك والغضب فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله أن لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فاطرق عمر زمانا طويلا ثم قال أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غدا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة فأقل الناس غضبا أعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان حلما وعلما فقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضي الله عنه اذا خطب قال في خطبته أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قاداه الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وتحمل في رفاقة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك أجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الانبياء لمن تبعه من يتكفل لي أن لا يغضب فيكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب انا اوفي به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لأنه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر اربعة أركان الغضب والشهوة والخرق والطمع

﴿ بيان حقيقة الغضب ﴾

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجة عنه أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى أجل معلوم سماه في كتابه * أما السبب الداخل فهو انه ركبه من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من أجزائها لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب * واما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها في الانسان وعجنها بطينته فمهما صد عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت به ثورانا يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى أعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على

يعود الى النوم وأنا على غير طهارة وسمعت من صحب الشيخ علي ابن الهيتمي انه كان يقعد الليل جميعه فان غلبه النوم يكون قاعدا كذلك وكلما أنتبه يقول لا أكون أسأت الأدب فيقوم ويجدد الوضوء ويصلي ركعتين (وروى) ابو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال عند صلاة الفجر يا بلال حدثني بارجى عمل عملته في الاسلام فاني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة قال ما عملت عملا في الاسلام أرجى عندي أني لم أتطهر طهرا في ساعة ليل أو نهار الا صليت لربي عز وجل بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي ومن أعجبهم في الطهارة ترك الاسراف

من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزناولذلك يصفر اللون وان كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر و يضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات قبل وقوعها والى التشفى والانتقام قبل وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم ان الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال * اما التفريط فبفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذى يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب والحمية اصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله سبحانه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم الآية وانما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب * واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر و فكرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته امور غريزية وامور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان و يعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال صلى الله عليه وسلم (1) وانما برودة المزاج تطفئه وتكسر سورته * وأما الاسباب الاعتيادية فهو ان يخالط قوما يتبجحون بتشفى الغيظ وطاعة الغضب و يسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم انا الذى لا اصبر على المكر والمحال ولا احتمل من احد امرا ومعناه لا عقل ولا حلم ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوى اضطرامها اعمت صاحبها واصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا واذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر اذ ينطفئ نور العقل و ينمحى في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم الى الدماغ يستولى على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا باسرها و يكون دماغه على مثال كهف اضطرمت فيه نار فاسود جوه وحمى مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانمحى او انطفأ نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفنى الرطوبة التى بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فينشق وتنهد اعاليه على اسفله وذلك لابطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لأجزائه فهكذا حال القلب عند الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظا اذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها واما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذ أعماه الغضب واصمه ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمر بالمثمرة فهذا أثره في الجسد وأما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذى يستحيي منه ذو العقل

(1) حديث الغضب من النار الترمذى من حديث ابى سعيد بسند ضعيف الغضب جمرة في قلب ابن ادم ولابى داود من حديث عطية السعدى ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار

في الماء والوقوف على حد العلم (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقي قال أخبرنا ابو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا ابوعيسي الترمذى قال حدثنا محمد ابن بشار قال حدثنا ابو داود قال حدثنا خارجة ابن مصعب عن يونس ابن عبيد عن الحسن عن يحيي بن ضمرة السعدى عن ابى ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وساوس الماء قال ابو عبد الله الروذبارى ان الشيطان يجتهد أن ياخذ نصيبه من جميع اعمال بنى آدم فلا يبالى أن ياخذ نصيبه

ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه اوفاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الارض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما يسقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلا على الارض وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها ويتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ويقول الى متى منك هذا يا كيت وكيت كانه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك واما اثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساآت والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والامة واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال صلى الله عليه وسلم (١) ان سعدا لغيور وانا اغير من سعد وان الله اغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم (٢) خير امتي احداؤها يعني في الدين وقال تعالى ولا تاخذكم بهما رأفة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ لا تتم الرياضة الا بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال (٣) خير الامور اوساطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى احس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو ارق من الشعرة واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسال الله حسن التوفيق لما يرضيه انه على مايشاء قدير

﴿ بيان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا ﴾

اعلم انه ظن ظانون انه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه تتوجه واياه تقصد وظن آخرون انه اصل لا يقبل العلاج وهذا راى من يظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرأيين ضعيف بل الحق فيه مانذكره وهو انه مابقي الانسان يحب شيا ويكره شيأ فلا يخلو من الغيظ والغضب ومادام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد من ان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما اخذ منه محبوب به غضب لا محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا ان مايحبه الانسان ينقسم الى ثلاثة أقسام * الاول هو ماضرورة في حق الكافة كالقوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وان يغضب وكذلك اذا اخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك اذا اخرج من داره التي هي مسكنه اواريق ماؤه الذي لعطشه فهذه ضرورات

(١) حديث ان سعد الغيور الحديث مسلم من حديث ابي هريرة وهو متفق عليه من حديث المغيرة بنحوه وتقدم في النكاح (٢) حديث خير امتي احداؤها الطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب من حديث علي بسند ضعيف وزاد الذين اذا غضبوا ارجعوا (٣) حديث خير الامور اوساطها البيهقي في الشعب مرسلا وقد تقدم

بان يزدادوا فيما امروا به او ينقصوا عنه (وحكى) عن ابن الكرنبي انه اصابته جنابة ليلة من الليالي وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة فجاء الى الدجلة وكان برد شديد فحرنت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد فطرح نفسه في الماء مع المرقعة ثم خرج من الماء وقال عقدت ان لا انزعها من بدني حتى تجف علي فمكثت عليه شهرا لثخانتها وغلظها ادب بذلك نفسه لما حرنت عن الائتمار لامر الله تعالى (وقيل) ان سهل بن عبد الله كان يحث اصحابه على كثرة شرب الماء وقلة صبه على الارض وكان يرى ان في الاكثار من شرب الماء ضعف النفس واماتة الشهوات وكسر القوة

لايخلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها * القسم الثانى ماليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين فى انفسهما فيكنزان و يغضب على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما فى القوت فهذا الجنس مما يتصور ان ينفك الانسان عن اصل الغيظ عليه فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز ان يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد فى الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فانه لايحب وجودها ولو أحب وجودها الغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ماهو غير ضرورى كالجاه والصيت والتصدر فى المجالس والمباهاة فى العلم فمن غلب عليه هذا الحب فلا محالة يغضب اذا زاحمه مزاحم على التصدر فى المحافل ومن لايحب ذلك فلا يبالى ولو جلس فى صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الرديئة هى التى أكثرت محاب الانسان ومكارهه فأكثرت غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات أكثر كان صاحبها أحط رتبة وأنقص لان الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل ابدا جهده فى ان يزيد فى حاجاته وفى شهواته وهو لا يدرى انه مستكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهى بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل له انك لاتحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجرى مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضرورى لان حبه ليس بضرورى * القسم الثالث مايكون ضروريا فى حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا فى حق العالم لانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه و يغرقه وكذلك ادوات الصناعات فى حق المكتسب الذى لايمكنه التوصل الى القوت الا بها فان ماهو وسيلة الى الضرورى والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالأشخاص وانما الحب الضرورى ما أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله[(١)] من اصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقائق الامور وسلم له هذه الثلاثة يتصور ان لا يغضب فى غيرها فهذه ثلاثة اقسام فلنذكر غاية الرياضة فى كل واحد منها (اما القسم الأول) فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكى يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله فى الظاهر الا على حد يستحبه الشرع و يستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر شهوته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ فى الباطن و ينتهى ضعفه الى أن لا يظهر أثره فى الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لأن ماصار ضروريا فى حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه فى الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه (وأما القسم الثانى) فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بأن يعلم الانسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وان الدنيا معبر يعبر عليها و يتزود منها قدر الضرورة وماوراء ذلك عليه وبال فى وطنه ومستقره فيزهد فى الدنيا و يمحو حبها عن قلبه ولو كان للانسان كلب لايحبه لا يغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة فى هذا تنتهى الى قمع اصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهى الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو اهون فان قلت الضرورى من القسم الاول التألم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهى قوته فماتت لا يغضب على أحد وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على أحد من خلقه اذ يراهم مسخرين فى قبضة قدرته كالقلم فى يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم

(١) حديث من اصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها الترمذى وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محصن دون قوله بحذافيرها قال الترمذى حسن غريب

ومن أفعال الصوفية الاحتياط فى استبقاء الماء للوضوء (قيل) كان ابراهيم الخواص اذا دخل البادية لايحمل معه الا ركوة من الماء وربما كان لا يشرب منها الا القليل يحفظ الماء للوضوء. وقيل انه كان يخرج من مكة الى الكوفة ولا يحتاج الى التيمم يحفظ الماء للوضوء و يقنع بالقليل للشرب * وقيل اذا رأيت الصوفى ليس معه ركوة أو كوز فاعلم انه قد عزم على ترك الصلاة شاء أم أبى وحكى عن بعضهم أنه أدب نفسه فى الطهارة الى حد أنه أقام بين ظهرانى جماعة من النساك وهم مجتمعون فى دار فما رآه أحدهم أنه دخل الخلاء لانه كان يقضى حاجته اذا خلا الموضع فى وقت يريد تأديب نفسه

يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل فيندفع الغضب بغلبة التوحيد و يندفع ايضا بحسن الظن بالله وهو ان يرى الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد والحجام لانه يرى ان الخيرة فيه فنقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما تكون كالبرق الخاطف تغلب في احوال مختلفة ولا تدوم و يرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فانه كان يغضب متى تحمر وجنتاه حتى قال (٢) اللهم انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما مسلم سببته اولعنته اوضربته فاجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وقال عبدالله بن عمرو بن العاص (٣) يارسول الله ا كتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال ا كتب فوالذي بعثني بالحق نبيا ما يخرج منه الا الحق واشار الى لسانه فلم يقل اني لا أغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق اي لا أعمل بموجب الغضب وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) مالك جاءك شيطانك فقالت ومالك شيطان قال بلى ولكني دعوت الله فاعانني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بالخير ولم يقل لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر وقال علي رضي الله عنه (٥) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بدله في دينه منها فانما غضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغضب فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خيثم فقال ياهذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم أقطعها فانا شر مما تقول وسب رجل ابا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله عنك اكثر فكانه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن ان يتقي الله حق تقاته و يعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره وقالت امرأة لمالك بن دينار يامرائي فقال ما عرفني غيرك فكانه كان مشغولا بان ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقيه الشيطان اليه فلم يغضب لما نسب اليه وسب رجل الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم و يحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم يغضب حتى تحمر وجنتاه مسلم من حديث جابر كان اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه وللحاكم كان اذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وقد تقدم في اخلاق النبوة (٢) حديث اللهم انا بشر اغضب كما يغضب البشر الحديث مسلم من حديث ابي هريرة دون قوله اغضب كما يغضب البشر وقال جلدته بدل ضربته وفي رواية اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واصله متفق عليه وتقدم ولمسلم من حديث انس انما انا بشر ارضى كما يرضى البشر واغضب كما يغضب البشر ولأبي يعلى من حديث ابي سعيد اوضربته (٣) حديث عبد الله بن عمرو يارسول الله ا كتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال ا كتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا الحق واشار الى لسانه ابو داود بنحوه (٤) حديث غضبت عائشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالك جاء شيطانك الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث علي كان لا يغضب للدنيا الحديث الترمذي في الشمائل وقد تقدم

وقيل مات الخواص في جامع الري في وسط الماء وذاك انه كان به علة البطن وكلما قام دخل الماء وغسل نفسه فدخله مرة ومات فيه كل ذلك لحفظه على الوضوء والطهارة * وقيل كان ابراهيم بن ادهم به قيام فقام في ليلة واحدة نيفا وسبعين مرة كل مرة يجدد الوضوء ويصلي ركعتين وقيل ان بعضهم ادب نفسه حتى لا يخرج منه الريح الا في وقت البراز يراعي الادب في الخلوات واتخاذ المنديل بعد الوضوء كرهه قوم وقالوا ان الوضوء يوزن واجازه بعضهم ودليلهم ما اخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال انا ابو الفتح الهروي قال انا ابو نصر قال انا ابو محمد قال انا ابو العباس

فاذايتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم أو بغلبة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهوان يعلم ان الله يحب منه ان لا يغتاظ فيطفئ شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال فى احوال نادرة وقدعرفت بهذا ان الطريق للخلاص من نار الغضب محوحب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كماسياتى فى كتاب ذم الدنيا ومن اخرج حب المزايا عن القلب تخلص من اكثر اسباب الغضب ومالا يمكن محوه يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه نسال الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه انه على كل شىء قدير والحمد لله وحده

* (بيان الاسباب المهيجة للغضب) *

قد عرفت ان علاج كل علة حسم مادتها وازالة اسبابها فلابد من معرفة اسباب الغضب وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام اى شىء اشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب قال فما يبدى الغضب وما ينبته قال عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية والاسباب المهيجة للغضب هى الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهى باجمعها اخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلابد من ازالة هذه الاسباب باضدادها فينبغى ان تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفتك بنفسك كما سياتى بيانه فى كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم فى الانتساب اب واحد وانما اختلفوا فى الفضل اشتاتا فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب والكبر اكبر الرذائل وهى اصلها ورأسها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وانت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة واما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التى تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفت ذلك واما الهزل فتزيله بالجد فى طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التى تبلغك الى سعادة الاخرة واما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزأ بك واما التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر فى علاجه الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت ايضا عن الغضب الذى يتولد منها ومن اشد البواعث على الغضب عند اكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه وقد يتاكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الاكابر فى معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب الى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية انه لضعف النفس ان المريض اسرع غضبا من الصحيح والمرأة اسرع غضبا من الرجل والصبي اسرع غضبا من الرجل الكبير والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى انه يغضب على اهله وولده واصحابه بل القوى من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب بل ينبغى ان يعالج هذا الجاهل بان تتلى عليه حكايات اهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واكابر الملوك الفضلاء وضد ذلك منقول عن الاكراد والاتراك والجهلة والاغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم

(١) حديث ليس الشديد بالصرعة تقدم قبله

قال أنا ابو عيسى الترمذى قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا عبد الله بن وهب عن زيد بن حبان عن أبى معاذ عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خرقة ينشف بها أعضاءه بعد الوضوء *وروى معاذ بن جبل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه واستقصاء الصوفية فى تطهير البواطن من الصفات الرديئة والاخلاق المذمومة لا الاستقصاء فى طهارة الظاهر الى حد يخرج عن حد العلم وتوضأ عمر رضى الله عنه من جرة نصرانية مع كون النصارى لا يحترزون عن الخمر وأجرى الامر على الظاهر وأصل

﴿ بيان علاج الغضب بعد هيجانه ﴾

ماذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل * اما العلم فهو ستة امور * الاول ان يتفكر فى الاخبار التى سنوردها فى فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب فى ثوابه فيمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفى والانتقام و ينطفئ عند غيظه قال مالك بن اوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وامر بضربه فقلت يا امير المؤمنين خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان يتأمل فى الآية وكان وقافا عند كتاب الله مهما تلى عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل وامر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين الغيظ فقال لغلامه خل عنه * الثانى ان يخوف نفسه بعقاب الله وهو ان يقول قدرة الله على اعظم من قدرتى على هذا الانسان فلو امضيت غضبى عليه لم آمن ان يمضى الله غضبه على يوم القيامة احوج ما اكون الى العفو فقد قال تعالى فى بعض الكتب القديمة يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا الى حاجة فابطأ عليه فلما جاء قال (١) لولا القصاص لاوجعتك اى القصاص فى القيامة وقيل ما كان فى بنى اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة فيها ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه * والثالث ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعى فى هدم اغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب فى الدنيا ان كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من اعمال الآخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض الا ان يكون محذوره ان تتشوش عليه فى الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه * الرابع ان يتفكر فى قبح صورته عند الغضب بان يتذكر صورة غيره فى حالة الغضب و يتفكر فى قبح الغضب فى نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضارى والسبع العادى ومشابهة الحليم الهادى التارك للغضب للانبياء والاولياء والعلماء والحكماء و يخير نفسه بين ان يتشبه بالكلاب والسباع واراذل الناس و بين ان يتشبه بالعلماء والانبياء وفى عادتهم لتميل نفسه الى حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقى معه مسكة من عقل * الخامس ان يتفكر فى السبب الذى يدعوه الى الانتقام و يمنعه كظم الغيظ ولا بد ان يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا فى اعين الناس فيقول لنفسه ما اعجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزى يوم القيامة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من ان تصغرى فى اعين الناس ولا تحذرين من ان تصغرى عند الله والملائكة والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبغى أن يكظمه لله وذلك يعظمه عند الله فماله وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو القائم اذا نودى يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم الا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الايمان ينبغى أن يقرره على قلبه * السادس ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشىء على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادى اولى من مراد الله و يوشك ان يكون غضب الله عليه اعظم من غضبه * واما العمل فان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ان يقال عند الغيظ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) اذا غضبت

(١) حديث لولا القصاص لأوجعتك ابو يعلى من حديث ام سلمة بسند ضعيف (٢) حديث الامر بالتعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال كنت جالسا مع النبى صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان فاحدهما احمر وجهه وانتفخت اوداجه الحديث وفيه لو قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد فقالوا له ان النبى صلى الله عليه وسلم قال تعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحديث (٣) حديث كان اذا غضبت عائشة اخذ بانفها وقال يا عويش قولى اللهم رب النبى محمد اغفر لى ذنبى واذهب غيظ قلبى الحديث ابن

الطهارة وقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون على الارض من غير سجادة و يمشون حفاة فى الطرق وقد كانوا لا يجعلون وقت النوم بينهم و بين التراب حائلا وقد كانوا يقتصرون على الحجر فى الاستنجاء فى بعض الاوقات وكان امرهم فى الطهارة الظاهرة على التساهل واستقصاؤهم فى الطهارة الباطنة وهكذا شغل الصوفية وقد يكون فى بعض الاشخاص تشدد فى الطهارة و يكون مستند ذلك رعونة النفس فلو اتسخ ثوبه تحرج ولا يبالى بما فى باطنه من الغل والحقد والكبر والعجب والرياء والنفاق ولعله ينكر على الشخص لو داس الارض حافيا مع وجود رخصة

عائشة اخذ بانفها وقال ياعو يش قولى اللهم رب النبي محمد اغفر لى ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن فيستحب ان تقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التى منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ان الغضب جمرة توقد فى القلب الم تروا الى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيأ فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء فقد قال صلى الله عليه وسلم (٢) اذا غضب احدكم فليتوضا بالماء فانما الغضب من النار وفى رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضا وقال ابن عباس (٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت وقال ابو هريرة (٤) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه وقال أبو سعيد الخدرى قال النبي صلى الله عليه وسلم (٥) الا ان الغضب جمرة فى قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيأ فليلصق خده بالارض وكان هذا اشارة الى السجود وتمكين أعز الاعضاء من اذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذى هو سبب الغضب وروى أن عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لى ابى أوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض تحتك ثم عظم خالقهما وروى ان أباذر قال لرجل ياابن الحمراء فى خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (٦) ياأباذر بلغنى انك اليوم عيرت اخاك بامه فقال نعم فانطلق ابوذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياأباذر ارفع رأسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا فاضطجع وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطنى هذه وقال للثانى اذا سكن بعض غضبي فاعطنى هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فاعطنى هذه فاشتد غضبه يوما فاعطى الصحيفة الاولى فاذا فيها ما أنت وهذا الغضب انك لست باله انما انت

السنى فى اليوم والليلة من حديثها وتقدم فى الاذكار والدعوات (١) حديث ان الغضب جمرة توقد فى القلب الحديث الترمذى من حديث ابى سعيد دون قوله توقد وقد تقدم ورواه بهذه اللفظة البيهقى فى الشعب (٢) حديث اذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء البارد الحديث ابو داود من حديث عطية السعدى دون قوله بالماء البارد وهو بلفظ الرواية الثانية التى ذكرها المصنف وقد تقدم (٣) حديث ابن عباس اذا غضبت فاسكت احمد وابن ابى الدنيا والطبرانى واللفظ لهما والبيهقى فى شعب الايمان وفيه ليث ابن ابى سليم (٤) حديث ابى هريرة كان اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه ابن ابى الدنيا وفيه من لم يسم ولاحمد باسناد جيد فى اثناء حديث فيه وكان ابو ذر قائما فجلس ثم اضطجع فقيل له لم جلست ثم اضطجعت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا اذا غضب احدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع والمرفوع عند ابى داود وفيه عنده انقطاع سقط منه ابو الاسود (٥) حديث ابى سعيد الا ان الغضب جمرة فى قلب ابن آدم الحديث الترمذى وقال حسن (٦) حديث ابى ذر انه قال لرجل ياأبا الحمراء فى خصومة بينهما فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فقال ياأباذر ارفع رأسك فانظر الحديث وفيه ثم قال اذا غضبت الى آخره ابن ابى الدنيا فى العفو وذم الغضب باسناد صحيح وفى الصحيحين من حديثه قال كان بينى و بين رجل من اخوانى كلام وكانت امه اعجمية فعيرته بامه فشكانى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياأباذر انك امرؤ فيك جاهلية ولاحمد انه صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من احمر ولا أسود الا ان تفضله بتقوى ورجاله ثقات

الشرع ولا ينكر عليه ان يتكلم بكلمة غيبة يخرب بها دينه وكل ذلك من قلة العلم وترك التأدب بصحبة الصادقين من العلماء الراسخين وكانوا يكرهون كثرة الدلك فى الاستبراء لانه ربما يسترخى العرق ولا يمسك البول ويتولد منه القطر المفرط (ومن حكاية) المتصوفة فى الوضوء والطهارات ان أبا عمرو الزجاجى جاور بمكة ثلاثين سنة وكان لا يتغوط فى الحرم ويخرج الى الحل وأقل ذلك فرسخ (وقيل) كان بعضهم على وجهه قرح لم يندمل اثنتى عشرة سنة لان الماء كان يضره وكان مع ذلك لا يدع تجديد الوضوء عند كل فريضة و بعضهم نزل فى عينه الماء فحملوا اليه المداوى و بذلوا

بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فأعطى الثانية فاذا فيها ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء فأعطى الثالثة فاذا فيها خذ الناس بحق الله فانه لا يصلحهم الا ذلك أى لا تعطل الحدود * وغضب المهدى على رجل فقال شبيب لا تغضب لله باشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله

﴿ فضيلة كظم الغيظ ﴾

قال الله تعالى والكاظمين الغيظ وذكر ذلك فى معرض المدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم (٢) أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند القدرة وقال صلى الله عليه وسلم (٣) من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا وفى رواية ملأ الله قلبه أمنا وايمانا وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) ماجرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله عنهما (٥) قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم (٦) مامن جرعة أحب الى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله قلبه ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم (٧) من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق ويخيره من أى الحور شاء (الآثار) قال عمر رضى الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل مايشاء ولولا يوم القيامة لكان غير ماترون وقال لقمان لابنه يابنى لا تذهب ماء وجهك بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال أيوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثورى وأبو خزيمة اليربوعى والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فأجمعوا على ان أفضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الجزع وقال رجل لعمر رضى الله عنه والله ماتقضى بالعدل ولا تعطى الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك فى وجهه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ألا تسمع ان الله تعالى يقول خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكأنما كانت نارا فاطفئت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ماليس له وجاء رجل الى سلمان فقال ياعبد الله أوصنى قال لا تغضب قال لا أقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك

له مالا كثير ليداويه فقال المداوى يحتاج الى ترك الوضوء اياما ويكون مستلقيا على قفاه فلم يفعل ذلك واختار ذهاب بصره على ترك الوضوء

﴿ الباب السادس والثلاثون فى فضيلة الصلاة وكبر شأنها ﴾

(وروى) عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى جنة عدن وخلق فيها مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال لها تكلمى فقالت قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ثلاثا وشهد القرآن المجيد بالفلاح للمصلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل لدلوك الشمس

﴿ فضيلة كظم الغيظ ﴾

(١) حديث من كف غضبه كف الله عنه عذابه الحديث الطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى شعب الايمان واللفظ له من حديث أنس باسناد ضعيف ولابن أبى الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وقاه الله عذابه الحديث وقد تقدم فى آفات اللسان (٢) حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحلمكم من عفا عند القدرة ابن ابى الدنيا من حديث على بسند ضعيف والبيهقى فى الشعب بالشطر الاول من رواية عبد الرحمن بن عجلان مرسلا باسناد جيد وللبزار والطبرانى فى مكارم الاخلاق واللفظ له من حديث أشدكم أملككم لنفسه عند الغضب وفيه عمران القطان مختلف فيه (٣) حديث من كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا وفى رواية أمنا وايمانا ابن ابى الدنيا بالرواية الاولى من حديث ابن عمر وفيه سكين بن ابى سراج تكلم فيه ابن حبان وابو داود بالرواية الثانية من حديث رجل من ابناء أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عن ابيه ورواها ابن ابى الدنيا من حديث ابى هريرة وفيه من لم يسم (٤) حديث ابن عمر ماجرع رجل جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله ابن ماجه (٥) حديث ابن عباس ان لجهنم بابا لا يدخل منه الا من شفى غيظه بمعصية الله تقدم فى آفات اللسان (٦) حديث مامن جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله قلبه ايمانا ابن ابى الدنيا من حديث ابن عباس وفيه ضعف ويتلفق من حديث بن عمر وحديث الصحابى الذى لم يسم وقد تقدما (٧) حديث من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق حتى يخيره من أى الحور شاء تقدم فى آفات اللسان

﴿ بيان فضيلة الحلم ﴾

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم أى تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه و يحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون فى كظمه تعب وهو الحلم الطبيعى وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال صلى الله عليه وسلم [١] انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتخير الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه وأشار بهذا الى اكتساب الحلم طريقه التحلم أولا وتكلفه كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم حلمكم أشار بهذا الى أن التكبر والتجبر هو الذى يهيج الغضب و يمنع من الحلم واللين وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم [٣] اللهم اغننى بالعلم وزينى بالحلم وأكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم [٤] ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هى يارسول الله قال تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه وسلم [٥] خمس من سنن المرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال على كرم الله وجهه [٦] قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما يملك الا أهل بيته وقال أبو هريرة [٧] ان رجلا قال يارسول الله ان لى قرابة أصلهم و يقطعونى وأحسن اليهم و يسيئون الى و يجهلون على وأحلم عنهم قال ان كان كما تقول فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير مادمت على ذلك المل يعنى به الرمل [٨] وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندى صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضى شيأ فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم انى قد غفرت له وقال صلى الله عليه وسلم [٩] أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم قالوا وما أبو ضمضم قال رجل ممن كان قبلكم كان اذا أصبح يقول اللهم انى تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى وقيل فى قوله تعالى ربانيين اى حلماء علماء وعن الحسن فى قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا

﴿ فضيلة الحلم ﴾

(١) حديث انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم الحديث الطبرانى والدارقطنى فى العلل من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف (٢) حديث أبى هريرة اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم الحديث ابن السنى فى رياضة المتعلمين بسند ضعيف (٣) حديث كان من دعائه اللهم اغننى بالعلم وزينى بالحلم وأكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية لم أجد له أصلا (٤) حديث ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هى قال تصل من قطعك الحديث الحاكم والبيهقى وقد تقدم (٥) حديث خمس من سنن المرسلين الحياء والعلم والحجامة والسواك والتعطر أبو بكر بن أبى عاصم فى المثانى والآحاد والترمذى الحكيم فى نوادر الاصول من رواية مليح بن عبد الله الخطمى عن أبيه عن جده وللترمذى وحسنه من حديث أبى أيوب اربع فاسقط الحلم والحجامة وزاد النكاح (٦) حديث على ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم الحديث الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف (٧) حديث أبى هريرة ان رجلا قال يارسول الله ان لى قرابة اصلهم و يقطعونى وأحسن اليهم و يسيئون الى و يجهلون على واحلم عنهم الحديث رواه مسلم (٨) حديث قال رجل من المسلمين اللهم ليس عندى صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضى شيأ فهو صدقة عليه الحديث ابو نعيم فى الصحابة والبيهقى فى الشعب من رواية عبد المجيد بن ابى عبس بن جبر عن ابيه عن جده باسناد لين زاد البيهقى عن علية بن زيد وعلية هو الذى قال ذلك كما فى اثناء الحديث وذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب انه رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابى صالح عن ابى هريرة ان رجلا من المسلمين ولم يسمه وقال اظنه اباضمضم قلت وليس بابى ضمضم انما هو علية بن زيد وابو ضمضم ليس له صحبة وانما هو متقدم (٩) حديث ايعجز احدكم ان يكون كابى ضمضم الحديث تقدم فى آفات اللسان

حين زالت وصلى بى الظهر واشتقاق الصلاة قبل من الصلى وهو النار والخشبة المعوجة اذا أرادوا تقويمها تعرض على النار ثم تقوم وفى العبد اعوجاج لوجود نفسه الامارة بالسوء وسبحات وجه الله الكريم التى لو كشف حجابها أحرقت من أدركته يصيب بها المصلى من وهج السطوة الالهية والعظمة الربانية مايزول به اعوجاجه بل يتحقق به معراجه فالمصلى كالمصطلى بالنار ومن اصطلى بنار الصلاة وزال بها اعوجاجه لايعرض على نار جهنم الا تحلة القسم (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين أحمد ابن اسمعيل القزوينى اجازة قال انا أبو سعيد محمد بن أبى العباس ابن محمد بن أبى

سلاماقل حلمـاء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن أبي رباح يمشون على الارض هونا أي حلمـا وقال ابن أبي حبيب في قوله عز وجل وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما أي اذا أوذوا صفحوا[١] وروي ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وامسى كريما ثم تلا ابراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبي صلى الله عليه وسلم[٢] اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم وألسنتهم ألسنة العرب وقال صلى الله عليه وسلم[٣] ليليني منكم ذوو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وروي انه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الاشج فاناخ راحلته ثم عقلها وطرح عنه ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع ثم اقبل يمشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام[٤] ان فيك يا أشج خلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بابي انت وامي يا رسول الله قال الحلم والاناة فقال خلتان تخلقتهما او خلقان جبلت عليهما فقال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله وقل صلى الله عليه وسلم[٥] ان الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف أبا العيال التقي و يبغض الفاحش البذي السائل الملحف الغبي وقال ابن عباس[٦] قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم[٧] اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا أسيء الينا عفونا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين (الآثار) قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك و يعظم حلمك وان لا تباهي الناس بعبادة الله واذا احسنت حمدت الله تعالى واذا اسات استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال اكثم بن صيفي دعامة العقل الحلم وجماع الأمر الصبر وقال ابو الدرداء ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان عرفتهم نقدوك وان تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال علي رضي الله عنه ان اول ماعوض الحليم من حلمه ان الناس كلهم اعوانه على الجاهل وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال معاوية لعمرو ابن الاهتم اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه قال اي الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال انس

(١) حديث ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح ابن مسعود وامسى كريما ابن المبارك في البر والصلة (٢) حديث اللهم لا يدركني ولا ادركه زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحليم الحديث احمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف (٣) حديث ليليني منكم اولو الاحلام والنهى الحديث مسلم من حديث ابن مسعود دون قوله ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم فهي عند ابي داود والترمذي وحسنه وهي عند مسلم في حديث آخر لابن مسعود (٤) حديث يا اشج ان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة الحديث متفق عليه (٥) حديث ان الله يحب الحيي الحليم الغني المتعفف الحديث الطبراني من حديث سعد ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي (٦) حديث ابن عباس ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدن بشيء من عمله ابو نعيم في كتاب الايجاز باسناد ضعيف والطبراني من حديث ام سلمة باسناد لين وقد تقدم في آداب الصحبة (٧) حديث اذا جمع الخلائق نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس الحديث وفيه اذا جهل علينا حلمنا البيهقي في شعب الايمان من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال البيهقي في اسناده ضعف

العباس الخليلي قال انا ابو سعيد الفرخزاذي قال انا ابو اسحق احمد بن محمد قال انا ابو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن قال انا ابو زكريا يحيى بن محمد العنبري قال ثنا جعفر بن احمد ابن الحافظ قال انا احمد بن نصير قال ثنا آدم بن ابي اياس عن ابن سمعان عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله عز وجل مجدني عبدي فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي فاذا قال الرحمن الرحيم قال الله

ابن مالك فى قوله تعالى فاذا الذى بينك و بينه عداوة كانه ولى حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لى وقال بعضهم شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم على فاستعبدنى بها زمانا وقال معاوية لعرابة بن اوس بم سدت قومك ياعرابة قال ياأمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم واعطى سائلهم واسعى فى حوائجهم فمن فعل فعلى فهو مثلى ومن جاوزنى فهو افضل منى ومن قصر عنى فانا خير منه وسب رجل ابن عباس رضى الله عنهما فلما فرغ قال ياعكرمة هل للرجل حاجة فتقضيها فنكس الرجل رأسه واستحى وقال رجل لعمر بن عبد العزيز اشهد انك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك وعن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم أنه سبه رجل فرمى اليه بخميصة كانت عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودة الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله عز وجل وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشئ من الدنيا يسير وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بينى و بين قوم منازعة فى امر وانى اريد أن اتركه فاخشى ان يقال لى ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم وقال الخليل بن احمد كان يقال من أساء فاحسن اليه فقد جعل له حاجزا من قلبه يردعه عن مثل اساءته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم ولكننى أتحلم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسال الله يفتقر ومن يامن مكر الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغنى انك ذكرتنى بسوء قال انت اذا أكرم على من نفسى انى اذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتى وقال بعض العلماء الحلم ارفع من العقل لان الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء لاسبنك سبا يدخل معك فى قبرك فقال معك يدخل لامعى ومر المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل ينفق مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخ الا عند الحاجة اليه ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم اليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فعرعت المائدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا فى منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة فافسدت ماعليها فلم يغضب أحد منا قال نعم قال فاحسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل ألم وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له فى ذلك فقال اقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب وقال محمود الوراق

سالزم نفسى الصفح عن كل مذنب * وان كثرت منه على الجرائم
وما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذى فوقى فاعرف قدره * واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فان قال صنت عن * اجابته عرضى وان لام لائم
وأما الذى مثلى فان زل اوهفا * تفضلت ان الفضل بالحكم حاكم

﴿ بيان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفى به من الكلام ﴾

اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصى وانما القصاص والغرامة على قدر ماورد الشرع به وقد فصلناه فى الفقه واما السب فلا يقابل بمثله اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه قال

(١) حديث ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه احمد من حديث جابر بن مسلم.

تعالى انى على عبدى فاذا قال مالك يوم الدين قال فوض الى عبدى فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بينى و بين عبدى فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله تعالى هذا لعبدى ولعبدى ماسال فالصلاة صلة بين الرب والعبد وما كان صلة بينه و بين الله فحق العبد أن يكون خاشعا لصولة الربوبية على العبودية وقد ورد ان الله تعالى اذا تجلى لشيء خضع له ومن يتحقق بالصلة فى الصلاة تلمع له طوالع التجلى فيخشع والفلاح للذين هم فى صلاتهم خاشعون و بانتفاء الخشوع ينتفى الفلاح وقال الله تعالى

المستبان ماقالا فهو على البادئ مالم يعتد المظلوم وقال(١) المستبان شيطانان يتهاتران وشتم رجل (٢) أبا بكر الصديق رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر انك كنت ساكتا لما اشتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لاجلس فى مجلس فيه الشيطان وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه وانما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعيير بمثله نهى تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصى به والذى يرخص فيه ان تقول من انت وهل انت الا من بنى فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل انت الا من بنى هذيل وقال ابن مسعود وهل انت الا من بنى أمية ومثل قوله يا أحمق قال مطرف كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه الا ان الناس اقل حماقة من بعض وقال ابن عمر (٣) فى حديث طويل حتى الناس كانهم حمق فى ذات الله تعالى وكذلك قوله ياجاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله ياسيئ الخلق ياصفيق الوجه ياثلابا للاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء لما تكلمت وما احقرك فى عينى بما فعلت واخزاك الله وانتقم منك فاما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روى انه كان بين خالد ابن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعنى ان يأثم بعضنا فى بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز له ان يقوله والدليل على جواز ماليس بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنا والفحش والسب ماروت عائشة رضى الله عنها(٤) ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ارسلن اليه فاطمة فجاءت فقالت يارسول الله ارسلنى اليك ازواجك يسالنك العدل فى ابنة ابى قحافة والنبي صلى الله عليه وسلم نائم فقال يابنية اتحبين ما احب قالت نعم قال فاحبي هذه فرجعت اليهن فاخبرتهن بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيئا فارسلن زينب ابنة جحش قالت وهى التى كانت تساميني فى الحب فجاءت فقالت بنت ابى بكر وبنت ابى بكر فمازالت تذكرنى وانا ساكتة انتظر ان ياذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجواب فاذن لى فسببتها حتى جف لسانى فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا انها ابنة ابى بكر يعنى انك لاتقاومينها فى الكلام قط وقولها سببتها ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم (٥) المستبان ماقالا فعلى البادئ منهما حتى يعتدى المظلوم فأثبت للمظلوم انتصاراً الى ان يعتدى فهذا القدر هو الذى أباحه هؤلاء وهو رخصة فى الايذاء جزاء على ايذائه السابق ولا تبعد الرخصة فى هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجره الى ماوراءه ولا يمكنه الاقتصار على قدر الحق فيه والسكوت عن أصل الجواب لعله ايسر من الشروع فى الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه فى فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف نفسه فى الابتداء ولكن يحقد على الدوام والناس فى الغضب أربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطىء الوقود بطىء الخمود وبعضهم بطئ الوقود سريع الخمود وهو الاحمد مالم ينته الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطئ الخمود وهذا هو شرهم وفى الخبر(٦) المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك وقال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان وقد قال ابو سعيد الخدرى(٧) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان

(١) حديث المستبان شيطانان يتهاتران تقدم (٢) حديث شتم رجل أبا بكر رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتدا ينتصر منه قام صلى الله عليه وسلم الحديث ابا داود من حديث ابى هريرة متصلا ومرسلا قال البخارى المرسل اصح (٣) حديث ابن عمر فى حديث طويل حتى ترى الناس كأنهم حمقى فى ذات الله عز وجل تقدم فى العلم (٤) حديث عائشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن فاطمة فقالت يارسول الله أرسلنى أزواجك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة الحديث رواه مسلم (٥) حديث المستبان ماقالا فعلى البادئ الحديث رواه مسلم وقد تقدم (٦) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضا تقدم (٧) حديث أبى سعيد الخدرى ألا ان بنى آدم خلقوا على طبقات الحديث تقدم

واقم الصلاة لذكري واذا كانت الصلاة للذكر كيف يقع فيها النسيان قال الله تعالى لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون فمن قال ولا يعلم ما يقول كيف يصلى وقد نهاه الله عن ذلك فالسكران يقول الشىء لا بحضور عقل والغافل يصلى لا بحضور عقل فهو كالسكران وقيل فى غرائب التفسير فى قوله تعالى فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى قيل نعليك همك بامرأتك وغنمك فالاهتمام بغير الله تعالى سكر فى الصلاة وقيل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون ابصارهم الى السماء فى الصلاة وينظرون يمينا وشمالا فلما نزلت

بنى آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطىء الغضب سريع الفىء ومنهم سريع الغضب سريع الفىء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطىء الفىء ألا وان خيرهم البطىء الغضب السريع الفىء وشرهم السريع الغضب البطىء الفىء ولما كان الغضب يهيج و يؤثر فى كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب أحدا فى حال غضبه لانه ربما يتعدى الواجب ولانه ربما يكون متغيظا عليه فيكون متشفيا لغيظه ومريحا نفسه من ألم الغيظ فيكون صاحب حظ فينبغى أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه * ورأى عمر رضى الله عنه سكران فاراد أن يأخذه و يعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته قال لانه أغضبنى ولو عزرته لكان ذلك لغضبى لنفسى ولم أحب أن أضرب مسلما حمية لنفسى وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه لولا انك أغضبتنى لعاقبتك

* القول فى معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق *

اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفى فى الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وأن يدوم ذلك و يبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) المؤمن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية أمور الاول الحسد وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان أصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين وسيأتى ذمه ان شاء الله تعالى * الثانى ان تزيد على اضمار الحسد فى الباطن فتشمت بما أصابه من البلاء * الثالث أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك وأقبل عليك * الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له * الخامس أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره * السادس أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه * السابع ايذاؤه بالضرب ومايؤلم بدنه * الثامن أن تمنعه حقه من قضاء دين أوصلة رحم اورد مظلمة وكل ذلك حرام وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ماتعصى الله به ولكن تستثقله فى الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له أو بترك الدعاء له والثناء عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك فى الدين و يحول بينك و بين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب الله (٢) ولما حلف ابو بكر رضى الله عنه ان لا ينفق على مسطح وكان قريبه لكونه تكلم فى واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر نعم نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه والاولى ان يبقى على ما كان عليه فان امكنه ان يزيد فى الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل اعمال المقربين فللمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة احدها ان يستوفى حقه الذى يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل * الثانى ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل * الثالث ان يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثانى هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجات الصالحين ولنذكر الآن فضيلة العفو والاحسان

* فضيلة العفو والاحسان *

اعلم ان معنى العفو أن يستحق حقا فيسقطه و يبرىء عنه من قصاص اوغرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال الله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ثلاث والذى نفسى بيده لو كنت حلافا لحلفت عليهن ما نقص مال من صدقة

* فضيلة العفو *

(١) حديث المؤمن ليس بحقود تقدم فى العلم (٢) حديث لما حلف ابو بكر ان لا ينفق على مسطح نزل قوله تعالى ولا يأتل اولو الفضل منكم الآية متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث ثلاث والذى نفسى بيده ان كنت

الذين هم فى صلاتهم خاشعون جعلوا وجوههم حيث يسجدون وما رؤى بعد ذلك احد منهم ينظر الا الى الارض وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا قام الى الصلاة فانه بين يدى الرحمن فاذا التفت قال له الرب الى من تلتفت الى من هو خير لك منى ابن آدم أقبل الى فانا خير لك ممن تلتفت اليه وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صليت فصل صلاة مودع فالمصلى سائر الى الله تعالى بقلبه يودع هواه ودنياه وكل شىء

فتصدقوا ولاعفا رجل عن مظلمة يبتغى بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيامة ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر وقال صلى الله عليه وسلم (١) التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عائشة رضى الله عنها (٢) ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط مالم ينتهك من محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شئ كان أشدهم فى ذلك غضبا وما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن أثما وقال عقبة لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فابتدرته فاخذت بيده أو بدرنى فاخذ بيدى فقال (٣) ياعقبة ألا أخبرك بافضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم (٤) قال موسى عليه السلام يارب أى عبادك أعز عليك قال الذى اذا قدر عفا وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعز الناس قال الذى يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو اليه مظلمة فامره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس واراد ان يأخذ له بمظلمته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (٥) ان المظلومين هم المفلحون يوم القيامة فابى ان ياخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) اذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة اصوات يامعشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن أبى هريرة (٧) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فاخذ بعضادتى الباب فقال ماتقولون وما تظنون فقالوا نقول أخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا الاسلام وعن سهيل بن عمرو قال (٨) لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يده على باب الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يامعشر قريش ماتقولون وماتظنون قال قلت يارسول الله نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن عم رحيم وقد قدرت فقال رسول

حالفا الحلفت عليهن ومانقصت صدقة من مال الحديث الترمذى من حديث ابى كبشة الانمارى ولمسلم وابى داود نحوه من حديث ابى هريرة (١) حديث التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله الاصفهانى فى الترغيب والترهيب وابى منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث انس بسند ضعيف (٢) حديث عائشة ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط الحديث الترمذى فى الشمائل وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم (٣) حديث عقبة بن عامر ياعقبة ألا أخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك الحديث ابن ابى الدنيا والطبرانى فى مكارم الاخلاق والبيهقى فى الشعب باسناد ضعيف وقد تقدم (٤) حديث قال موسى يارب أى عبادك اعز عليك قال الذى اذا قدر عفا الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابى هريرة وفيه ابن لهيعة (٥) حديث ان المظلومين هم المفلحون يوم القيامة وفى اوله قصة ابن ابى الدنيا فى كتاب العفو من رواية أبى صالح الحنفى مرسلا (٦) حديث انس اذا بعث الله عز وجل الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يامعشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض ابو سعيد احمد بن ابراهيم المقرى فى كتاب التبصرة والتذكرة بلفظ ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا امة محمد ان الله تعالى يقول ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم و بقيت التبعات فتوهبوها وادخلوا الجنة برحمتى واسناده ضعيف ورواه الطبرانى فى الاوسط بلفظ نادى مناد يا اهل الجمع تتاركوا المظالم بينكم وثوابكم على وله من حديث ام هانئ ينادى مناديا يا اهل التوحيد ليعف بعضكم عن بعض وعلى الثواب (٧) حديث ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتى الباب فقال ماتقولون الحديث رواه ابن الجوزى فى الوفاء من طريق ابن ابى الدنيا وفيه ضعف (٨) حديث سهيل بن عمرو لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يده على باب

سواء والصلاة فى اللغة هى الدعاء فكأن المصلى يدعو الله تعالى بجميع جوارحه فصارت أعضاؤه كلها ألسنة يدعوا بها ظاهرا وباطنا ويشارك الظاهر الباطن بالتضرع والتقلب وفى الهيآت تعلقات متضرع سائل محتاج فاذا دعا بكليته اجابه مولاه لانه وعده فقال ادعونى استجب لكم كان خالد الربعى يقول عجبت لهذه الآية ادعونى استجب لكم امرهم بالدعاء ووعدهم بالاجابة ليس بينهما شرط والاستجابة والاجابة هى نفوذ دعاء العبد فان الداعى الصادق العالم بمن يدعوه بنور يقينه فتخرق الحجب وتقف الدعوة بين يدى الله تعالى متقاضية للحاجة وخص الله تعالى هذه

الله صلى الله عليه وسلم اقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم عن انس قال(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل ومن ذا الذى له على الله أجر قال العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا ألفا فيدخلونها بغير حساب وقال ابن مسعود(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لوالى امر ان يؤتى بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ وليعفوا وليصفحوا الآية وقال جابر(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل من اى ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من أدى دينا خفيا وقرأ فى دبر كل صلاة قل هو الله احد عشر مرات وعفا عن قاتله قال ابو بكر أو احداهن يارسول الله قال او احداهن (الآثار) قال ابراهيم التيمى ان الرجل ليظلمنى فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وانه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا اراد الله ان يتحف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه و يقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى الله ومظلمتك كما هى خير لك من ان تلقاه وقد اقتصصتها وقال يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعو على من ظلمك فان الله تعالى يقول ان آخر يدعو عليك بانك ظلمته فان شئت استجبنا لك واجبنا عليك وان شئت أخرتكما الى يوم القيامة فيسعكما عفوى وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل وقمن ان لا يفعل وعن ابن عمر عن ابى بكر انه قال بلغنا ان الله تعالى يامر مناديا يوم القيامة فينادى من كان له عند الله شئ فليقم فيقوم أهل العفو فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وعن هشام بن محمد قال اتى النعمان بن المنذر برجلين قد اذنب احدهما ذنبا عظيما فعفا عنه والاخر اذنب ذنبا خفيفا فعاقبه وقال

تعفو الملوك عن العظيـــم من الذنوب بفضلها
ولقد تعاقب فى اليســـير وليس ذاك لجهلها
الا ليعرف حلمها * ويخاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله فى وفد من اهل البصرة الى ابى جعفر قال فكنت عنده اذ اتى برجل فامر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر فقلت يا امير المؤمنين الا احدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس فى صعيد واحد حيث يسمعهم الداعى و ينفذهم البصر فيقوم مناد فينادى من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال والله لقد سمعته من الحسن فقلت والله لسمعته منه فقال خلينا عنه وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فاذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والافضال وروى ان راهبا دخل على هشام بن عبد الملك فقال الراهب أرأيت ذا القرنين أكان نبيا فقال لا ولكنه انما اعطى ما أعطى باربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر عفا وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة يعنى الحقد والغضب واتى هشام برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المؤمنين قال الله عز وجل يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها افنجادل الله تعالى ولا نتكلم بين يديك كلاما قال هشام بلى و يحك تكلم وروى ان سارقا

الكعبة الحديث بنحوه لم اجده (١) حديث انس اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذى اجره على الله قال العافون عن الناس الحديث الطبرانى فى مكارم الاخلاق وفيه الفضل بن يسار ولا يتابع على حديثه (٢) حديث ان ابن مسعود لا ينبغى لوالى امر ان يؤتى بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو الحديث احمد والحاكم وصححه وتقدم فى اداب الصحبة (٣) حديث جابر ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل الجنة من اى ابواب الجنة شاء الحديث الطبرانى فى الاوسط وفى الدعاء بسند ضعيف

الامانة بانزال فاتحة الكتاب وفيها تقديم الثناء على الدعاء ليكون أسرع الى الاجابة وهى تعليم الله تعالى عباده كيفية الدعاء وفاتحة الكتاب هى السبع المثانى والقرآن العظيم قيل سميت مثانى لانها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة نزلت منها فهم آخر بل كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة يقرؤها على الترداد مع طول الزمان فهم آخر وهكذا المصلون المحققون من امته ينكشف لهم عجائب اسرارها وتقذف لهم كل مرة درر بحارها وقيل سميت مثانى لانها استثنيت من الرسل وهى

دخل خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فانه من اعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله يستر على يوم القيامة وجلس ابن مسعود فى السوق يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت فى عمامته فوجدها قدحلت فقال لقد جلست وانها لمعى فجعلوا يدعون على من اخذها و يقولون اللهم اقطع يد السارق الذى اخذها اللهم افعل به كذا فقال عبدالله اللهم ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنو به وقال الفضيل مارأيت ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الى فى المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكى فقلت له أعلى الدنانير تبكى فقال لا ولكن مثلتنى واياه بين يدى الله عز وجل فاشرف عقلى على ادحاض حجته فبكائى رحمة له وقال مالك بن دينار اتينا منزل الحكم بن ايوب ليلا وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وماصنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له فى الجب فقال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر مالقى من كيد النساء ومن الحبس ثم قال ايها الامير ماذا صنع الله به أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كلمته وجعله على خزائن الارض فماذا صنع حين اكمل له أمره وجمع له اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين يعرض للحكم بالعفو عن اصحابه قال الحكم فانا اقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم اجد الا ثوبى هذا لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع الى صديق له يسأله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لائذ منك بك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتى عبد الملك بن مروان باسارى ابن الاشعث فقال لرجاء بن حيوة ماترى قال ان الله تعالى قد اعطاك ماتحب من الظفر فاعط الله مايحب من العفو فعفا عنهم وروى ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فافلت منه فاخذ اخاله فقال له ان جئت باخيك والا ضربت عنقك فقال ارأيتك ان جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلى سبيلى قال نعم قال فانا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين ابراهيم وموسى ثم تلا أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى ان لا تزر وازرة وزر أخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل قدلقن حجته وقيل مكتوب فى الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان

فضيلة الرفق

اعلم ان الرفق محمود و يضاده العنف والحدة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقديكون سبب الحدة والغضب وقديكون سببها شدة الحرص واستيلاءه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق فى الامور ثمرة لا يثمرها الاحسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظها على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق و بالغ فيه فقال (١) ياعائشة انه من اعطى حظه من الرفق فقد اعطى حظه من خير الدنيا والاخرة ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم (٢) اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال صلى الله عليه وسلم (٣) ان الله ليعطى على الرفق مالا يعطى على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق ومامن اهل بيت يحرمون الرفق الا حرموا محبة الله تعالى وقالت عائشة رضى الله عنها قال النبى صلى الله عليه وسلم (٤) ان الله رفيق

فضيلة الرفق

(١) حديث ياعائشة انه من اعطى حظه من الرفق فقد اعطى حظه من خير الدنيا والآخرة الحديث احمد والعقيلى فى الضعفاء فى ترجمة عبد الرحمن بن المليكى وضعفه عن القاسم عن عائشة وفى الصحيحين من حديثها ياعائشة ان الله يحب الرفق فى الامر كله (٢) حديث اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق أحمد بسند جيد والبيهقى فى الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة (٣) حديث ان الله ليعطى على الرفق مالا يعطى على الخرق الحديث الطبرانى فى الكبير من حديث جرير باسناد ضعيف (٤) حديث ان الله رفيق يحب الرفق الحديث مسلم من حديث عائشة

سبع آيات * وروت ام رومان قالت رآنى ابو بكر وانا أتميل فى الصلاة فزجرنى زجرا كدت ان انصرف عن صلاتى ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا قام احدكم الى الصلاة فليسكن اطرافه لا يتميل تميل اليهود فان سكون الاطراف من تمام الصلاة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال خشوع البدن ونفاق القلب فاما تميل اليهود قيل كان موسى يعامل بنى اسرائيل على ظاهر الامور لقلة مافى باطنهم فكان يهيئ الامور و يعظمها ولهذا المعنى اوحى الله تعالى اليه ان يحلى التوراة بالذهب ووقع لى

يحب الرفق و يعطي عليه مالا يعطي على العنف وقال صلى الله عليه وسلم (١) ياعائشة ارفقي فان الله اذا أراد باهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال صلى الله عليه وسلم (٢) من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال صلى الله عليه وسلم (٣) أيما وال ولى فرفق ولان رفق الله تعالى به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم (٤) تدرون من يحرم على النار يوم القيامة كل هين لين سهل قريب وقال صلى الله عليه وسلم (٥) الرفق يمن والخرق شؤم وقال صلى الله عليه وسلم (٦) التأنى من الله والعجلة من الشيطان وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال (٧) يارسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين اوثلاثا ثم أقبل عليه فقال هل أنت مستوص مرتين او ثلاثا قال نعم قال اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانته وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) ياعائشة عليك بالرفق فانه لا يدخل في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه

(الآثار) بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فأمرهم ان يوافوه فلما اتوه قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ايتها الرعية ان لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير ايتها الرعاة ان للرعية عليكم حقا فاعلموا انه لا شيء احب الى الله ولا اعز من حلم امام ورفقه وليس جهل ابغض الى الله ولا اغم من جهل امام وخرقه واعلموا انه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه وقال وهب بن منبه الرفق ثنى الحلم وفي الخبر موقوفا ومرفوعا (٩) العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين اخوه والصبر امير جنوده وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شيء الى شيء مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال ان تكون ذا اناة فتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناوأة من يقدر على ضررك وقال سفيان لأصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذه اشارة الى انه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا ❊ مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى العنف والحدة اميل كانت الحاجة

والله أعلم ان موسى كان يرد عليه الوارد في صلاته ومحال مناجاته فيموج به باطنه كبحر ساكن تهب عليه الريح فتتلاطم الامواج فكان تمايل موسى عليه السلام تلاطم أمواج بحر القلب اذا هبت عليه نسمات الفضل وربما كانت الروح تتطلع الى الحضرة الالهية فتهم بالاستعلاء وللقالب بها تشبك وامتزاج فيضطرب القلب و يتمايل فرأى اليهود ظاهره فتمايلوا من غير حظ لبواطنهم من ذلك ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكارا على أهل الوسوسة هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني اسرائيل حتى شهدت

---

(١) حديث ياعائشة ارفقي ان الله اذا اراد باهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق احمد من حديث عائشة وفيه انقطاع ولأبي داود ياعائشة ارفقي (٢) حديث من يحرم الرفق يحرم الخير كله مسلم من حديث جرير دون قوله كله فهي عند ابي داود (٣) حديث ايما وال ولي فلان ورفق رفق الله به يوم القيامة مسلم من حديث عائشة وفي حديث فيه ومن ولي من امر امتي شيأ فرفق بهم فارفق به (٤) حديث تدرون على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب الترمذي من حديث ابن مسعود وتقدم في اداب الصحبة (٥) حديث الرفق يمن والخرق شؤم الطبراني في الاوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلاهما ضعيف (٦) حديث التأني من الله والعجلة من الشيطان ابو يعلى من حديث انس ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ الأناة من الله وقد تقدم (٧) حديث اتاه رجل فقال يارسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك الحديث وفيه فاذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق من حديث ابي جعفر هو المسمى عبد الله بن مسور الهاشمي ضعيف جدا ولأبي نعيم في كتاب الايجاز من رواية اسماعيل الانصاري عن ابيه عن جده اذا هممت بامر فاجلس فتدبر عاقبته واسناده ضعيف (٨) حديث عائشه عليك بالرفق فانه لا يدخل في شيء الا زانه الحديث رواه مسلم (٩) حديث العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائده والرفق والده ابو الشيخ في كتاب الثواب وفضائل الاعمال من حديث انس بسند ضعيف ورواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث ابي الدرداء وابي هريرة وكلاهما ضعيف

الى ترغيبهم فى جانب الرفق أكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف وان كان العنف فى محله حسنا كما أن الرفق فى محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألذ من الزبد بالشهد وهكذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله وروى أن عمرو بن العاص كتب الى معاوية يعاتبه فى التأنى فكتب اليه معاوية اما بعد فان التفهم فى الخير زيادة رشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخائب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب أو كاد ان يكون مصيبا وان العجل مخطئ أو كاد ان يكون مخطئا وأن من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالى وعن ابى عون الانصارى قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة ألين منها تجرى مجراها وقال ابو حمزة الكوفى لا تتخذ من الخدم الا مالا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشدة شيا الا أعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن المؤمن وقاف متان وليس كحاطب ليل فهذا ثناء اهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد فى اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطى كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة او اشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه فى الاكثر

(القول فى ذم الحسد وفى حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب فى ازالته)

(بيان ذم الحسد)

اعلم ان الحسد ايضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب اصل اصله ثم ان للحسد من الفروع الذميمة مالا يكاد يحصى وقد ورد فى ذم الحسد خاصة اخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وسلم فى النهى عن الحسد واسبابه وثمراته (٢) لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال انس (٣) كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الان من هذا الفج رجل من اهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار ينفض لحيته من وضوئه قد علق نعليه فى يده الشمال فسلم فلما كان الغد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله فى اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له انى لاحيت ابى فاقسمت ان لا ادخل عليه ثلاثا فان رايت ان تؤوينى اليك حتى تمضى الثلاث فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيا غير انه اذا تقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير انى ما سمعته يقول الا خيرا فلما مضت الثلاث وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بينى و بين والدى غضب ولا هجرة ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فاردت ان اعرف عملك فلم ارك تعمل عملا كثيرا فما الذى بلغ بك ذلك فقال ما هو الا ما رايت فلما وليت دعانى فقال ما هو الا ما رايت غير انى لا اجد على احد من المسلمين فى نفسى غشا ولا حسدا على خير اعطاه الله اياه قال عبد الله فقلت له هى التى بلغت بك وهى التى لا نطيق وقال صلى الله عليه (٤) ثلاث لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج

(القول فى ذم الحسد)

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ابو داود من حديث ابى هريرة وابن ماجه من حديث انس وقد تقدم (٢) حديث لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث انس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من اهل الجنة الحديث بطوله وفيه ان ذلك الرجل قال لا اجد على احد من المسلمين فى نفسى غشا ولا حسدا على خير اعطاه الله رواه احمد باسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه البزار وسمى الرجل فى رواية له سعدا وفيها ابن لهيعة (٤) حديث ثلاث لا ينجو منهن احد الظن والطعن والحسد الحديث وفى روايه وقل من ينجو منهن ابن ابى الدنيا فى كتاب ذم الحسد من حديث ابى هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهرى وموسى بن يعقوب الزمعى ضعفهما الجمهور والروايه الثانية رواها

ابدانهم وغابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرئ لا يشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه وان الرجل على صلاته دائم ولا يكتب له عشرها اذا كان قلبه ساهيا لاهيا واعلم ان الله تعالى اوجب الصلوات الخمس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين فمن ترك الصلاة فقد كفر فبالصلا تحقيق العبودية واداء حق الربوبية وسائر العبادات وسائل الى تحقيق سر الصلاة قال سهل بن عبد الله يحتاج العبد الى السنن الرواتب لتكميل الفرائض ويحتاج الى النوافل لتكميل السنن ويحتاج الى الاداب لتكميل النوافل ومن الادب ترك الدنيا والذى ذكره سهل هو معنى

من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وفى رواية ثلاثة لا ينجو منهن أحد وقل من ينجو منهن فاثبت فى هذه الرواية امكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم (١) دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هى الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذى نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وسلم (٢) كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر وقال صلى الله عليه وسلم (٣) انه سيصيب امتى داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس فى الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغى ثم الهرج وقال صلى الله عليه وسلم (٤) لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله و يبتليك وروى ان موسى عليه السلام لما تعجل الى ربه تعالى راى فى ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه فقال ان هذا لكريم على ربه فسأل ربه تعالى ان يخبره باسمه فلم يخبره وقال احدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشى بالنميمة وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتى متسخط لقضائى غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى وقال صلى الله عليه وسلم (٥) اخوف ما اخاف على امتى ان يكثر فيهم المال فيتحاسدون و يقتتلون وقال صلى الله عليه وسلم (٦) استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال صلى الله عليه وسلم (٧) ان لنعم الله اعداء فقيل ومن هم فقال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم (٨) ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يارسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد (الآثار) قال بعض السلف اول خطيئة كانت هى الحسد حسد ابليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية وحكى ان عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال انى اريد ان اعظك بشىء فقال وما هو قال اياك والكبر فانه اول ذنب عصى الله به ثم قرأ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس الآية واياك والحرص فانه اخرج

ابن ابى الدنيا ايضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف وللطبرانى من حديث حارثة بن النعمان نحوه وتقدم فى آفات اللسان (١) حديث دب اليكم داء الامم الحسد والبغضاء الحديث الترمذى من حديث مولى الزبير عن الزبير (٢) حديث كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر ابو مسلم الكشى والبيهقى فى الشعب من رواية يزيد الرقاشى عن انس ويزيد ضعيف ورواه الطبرانى فى الاوسط من وجه آخر بلفظ كادت الحاجة ان تكون كفرا وفيه ضعف ايضا (٣) حديث انه سيصيب امتى داء الامم قبلكم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر الحديث ابن ابى الدنيا فى ذم الحسد والطبرانى فى الاوسط من حديث ابى هريرة باسناد جيد (٤) حديث لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله و يبتليك الترمذى من حديث واثلة بن الاسقع وقال حسن غريب وفى رواية ابن ابى الدنيا فيرحمه الله (٥) حديث اخوف ما اخاف على امتى ان يكثر لهم المال فيتحاسدون و يقتتلون ابن ابى الدنيا فى كتاب ذم الحسد من حديث ابى عامر الاشعرى وفيه ثابت ابن ابى ثابت جهله ابو حاتم وفى الصحيحين من حديث ابى سعيد ان مما اخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ولهما من حديث عمرو بن عوف البدرى والله ما الفقر اخشى عليكم ولكنى اخشى ان يبسط عليكم الدنيا الحديث ولمسلم من حديث عبد الله ابن عمرو اذا فتحت عليكم فارس والروم الحديث وفيه يتنافسون ثم يتحاسدون ثم يتدابرون الحديث ولأحمد والبزار من حديث عمر لا يفتح الدنيا على احد الا القى الله بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة (٦) حديث استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود ابن ابى الدنيا والطبرانى من حديث معاذ بسند ضعيف (٧) حديث ان لنعم الله أعداء قيل ومن اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الطبرانى فى الاوسط من حديث ابن عباس ان لاهل النعم حسادا فاحذروهم (٨) حديث ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يارسول الله من هم قال الامراء بالجور الحديث وفيه والعلماء بالحسد ابو منصور الديلمى من حديث ابن عمر

ما قال عمر على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه فى الاسلام وما أكمل لله صلاة قيل وكيف ذاك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله فيها وقد ورد فى الاخبار ان العبد اذا قام الى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه الكريم وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلاته و يؤمنون على دعائه وان المصلى لينثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق رأسه و يناديه مناد لو علم المصلى من يناجى ما التفت أو ما انفتل وقد جمع الله تعالى للمصلين فى كل ركعة ما فرق على أهل السموات فلله ملائكة فى الركوع منذ خلقهم الله

آدم من الجنة أسكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يا كل منها الا الشجرة واحدة نهاه الله عنها فا كل منها فاخرجه الله تعالى منها ثم قرأ اهبطوا منها الى آخر الاية واياك والحسد فانما قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق الايات واذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسك واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكر النجوم فاسكت وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول أحسن الى المحسن باحسانه فان المسيء سيكفيكه اساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك فقال ان هذا الذي يقوم بحذائك و يقول مايقول زعم ان الملك أبخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه اليك فانه اذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال احسن الى المحسن باحسانه فان المسيء سيكفيكه اساءته فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا الا قد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة أو صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الى فاخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ماهذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فاخذه ومضى به الى العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلخك قال ان الكتاب ليس هو لي فالله الله في أمري حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا و بعث به ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال مافعل الكتاب فقال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له فقال الملك انه ذكر لي انك تزعم اني أبخر قال ماقلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فيك قال لانه أطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسيء اساءته وقال ابن سيرين رحمه الله ماحسدت أحدا على شيء من أمر الدنيا لانه ان كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير الى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بني يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا يضرك مالم تعد به يدا ولا لسانا وقال ابو الدرداء ما اكثر عبد ذكر الموت الاقل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس اقدر على رضاه الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذلك قيل

كل العداوة قد ترجى اماتتها * الاعداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود مايلقى وقال اعرابي مارايت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن ادم لم تحسد اخاك فان كان الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة و بغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا

﴿ بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه ﴾

اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان احداهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة و يوضع احد اللفظين موضع الاخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) ان المؤمن يغبط والمنافق يحسد فاما الاول فهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها فاجر أو كافر

وانس بسندين ضعيفين (١) حديث المؤمن يغبط والمنافق يحسد لم اجده اصلا مرفوعا وانما هو من قول الفضيل ابن عياض كذلك رواه ابن ابي الدنيا في ذم الحسد ﴿ بيان حقيقة الحسد وحكمه ﴾

لا يرفعون من الركوع الى يوم القيامة وهكذا في السجود والقيام والقعود والعبد المتيقظ يتصف في ركوعه بصفة الراكعين منهم وفي السجود بصفة الساجدين وفي كل هيئة هكذا يكون كالواحد منهم و بينهم وفي غير الفريضة ينبغي المصلي ان يمكث في ركوعه متلذذا بالركوع غير مهتم بالرفع منه فان طرقته سامة بحكم الجبلة استغفر منها و يستديم تلك الهيئة ويتطلع ان يذوق الخشوع اللائق بهذه الهيئة ليصير قلبه بلون الهيئة وربما يتراءى للراكع المحق انه ان سبق همه في حال الركوع او السجود الى الرفع منه ما وفى الهيئة حقها فيكون همه

وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو أمنت فساده لم يغمك بنعمته ويدل على تحريم الحسد الاخبار التى نقلناها وان هذه الكراهة تسخط لقضاء الله فى تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واى معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة والى هذا أشار القران بقوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وأن تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان وقال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم فاخبر تعالى ان حبهم زوال نعمة الايمان حسد وقال عزوجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف عليه السلام وعبر عما فى قلوبهم بقوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفى ضلال مبين اقتلوا يوسف اواطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم فلما كرهوا حب ابيهم له ساءهم ذلك واحبوا زواله عنه فغيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أتوا اى لا تضيق صدورهم به ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى فى معرض الانكار أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال تعالى كان الناس امة واحدة الى قوله الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم قيل فى التفسير حسدا وقال تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم ان يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد منهم ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس (١) كانت اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسالك بالنبي الذى وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذى تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينتصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به الى قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا اى حسدا وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم (٢) جاء ابى وعمي من عندك يوما فقال ابى لعمي ماتقول فيه قال اقول انه النبي الذى بشر به موسى قال فما ترى قال ارى معاداته ايام الحياة فهذا حكم الحسد فى التحريم * واما المنافسة فليست بحرام بل هى اما واجبة واما مندوبة واما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة والمنافسة بدل الحسد قال قثم بن العباس (٣) لما اراد هو والفضل ان يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه ان يؤمرهما على الصدقة قالا لعلى حين قال لهما لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ماهذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اى هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه اياك فاطمة والمنافسة فى اللغة مشتقة من النفاسة والذى يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى فليتنافس المتنافسون وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند

الهيئة مستغرقا فيها مشغولا بها عن غيرها من الهيآت فبذلك يتوفر حظه من بركة كل هيئة فان السرعة التى يتقاضى بها الطبع تسد باب الفتوح ويقف فى مهاب النفحات الالهية حتى يتكامل حظ العبد فتنمحي آثاره بحسن الاسترسال ويستقر فى مقعد الوصال (وقيل) فى الصلاة أربع هيآت وستة أذكار فالهيات الاربع القيام والقعود والركوع والسجود والاذكار الستة التلاوة والتسبيح والحمد والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام فصارت عشرة كاملة تفرق هذه العشرة على عشر صفوف من الملائكة كل صف عشرة

---

(١) حديث ابن عباس قوله كانت اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسالك بالنبي الذى وعدتنا ان ترسله الحديث فى نزول قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ابن اسحاق فى السيرة فيما بلغه عن عكرمة او عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان اليهود كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره نحوه وهو منقطع (٢) حديث قالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء ابى وعمي من عندك يوما فقال ابى لعمي ماتقول فيه قال اقول انه النبي الذى بشر به موسى الحديث ابن اسحاق فى السيرة قال حدثنى ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حديث عن صفية فذكره نحوه وهو منقطع ايضا (٣) حديث قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل ان يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه ان يؤمرهما على الصدقة قالا لعلى الحديث هكذا وقع للمصنف انه قثم والفضل وانما هو الفضل والمطلب بن ربيعة كما رواه مسلم من حديث المطلب بن ربيعة بن الحارث قال اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب فقال والله لو بعثنا هذين الغلامين قال لى وللفضل بن عباس ائتيا الى رسول الله صلى الله

خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لايحظى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال (١) لاحسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به و يعلمه الناس ثم فسر ذلك فى حديث ابى كبشة الانمارى فقال (٢) مثل هذه الامة مثل اربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه فى ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لى مالا مثل مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما فى الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ماله فيعمل مثل مايعمل من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه فى معاصى الله ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول لو أن لى مثل مال فلان لكنت انفقه فى مثل ما أنفقه فيه من المعاصى فهما فى الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه للمعصية لامن جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فاذا لاحرج على من يغبط غيره فى نعمة و يشتهى لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه اذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال فى المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته واللحوق فى النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكأن تحت هذه النعمة امرين احدهما راحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه و يحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها فى المباحات نعم ذلك ينقص من الفضائل و يناقض الزهد والتوكل والرضا و يحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وههنا دقيقة غامضة وهو انه اذا ايس من ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه اما بان يقال مثل ذلك او بان تزول نعمة المحسود فاذا انسد أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشفى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو ألقى الامر اليه ورد الى اختياره لسعى فى ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان تدعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عما يجده فى طبعه من الارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم (٣) ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ أى ان وجدت فى قلبك شيأ فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريدا للحاق باخيه فى النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحا له على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغى ان يحتاط فيه فانه موضع الخطر ومامن انسان الا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم و يكاد ينجر ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوى الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذ لم يقدر هو ان يرتقى الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه أصلا بل هو حرام سواء كان فى مقاصد الدين اومقاصد الدنيا ولكن يعفى عنه فى ذلك ما لم يعمل به ان شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد واحكامه * وأما مراتبه فاربع (الاولى) ان يحب زوال النعمة عنه

عليه وسلم فكلاه فذكر الحديث (١) حديث لاحسد الا فى اثنتين الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم فى العلم (٢) حديث ابى كبشة مثل هذه الامة مثل اربعة رجل آتاه الله مالا الحديث رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح (٣) حديث ثلاث لاينفك المؤمن عنهن الحسد والظن والطيرة الحديث تقدم غير مرة

آلاف فيجتمع فى الركعتين مايفرق على مائة الف من الملائكة

(الباب السابع والثلاثون فى وصف صلاة اهل القرب)

ونذكر فى هذا الفصل كيفية الصلاة بهيآتها وشروطها وآدابها الظاهرة والباطنة على الكمال باقصى ماينتهى اليه فهمنا وعلمنا على الوجه مع الاعراض عن نقل الاقوال فى كل شئ من ذلك اذ فى ذلك كثرة ويخرج عن حد الاختصار ولايجاز المقصود فنقول وبالله التوفيق ينبغى للعبد ان يستعد للصلاة قبل دخول وقتها بالوضوء ولا يوقع الوضوء فى وقت الصلاة فذلك من المحافظة عليها ويحتاج فى معرفة الوقت الى معرفة الزوال وتفاوت

وان كان ذلك لاينتقل اليه وهذا غاية الخبث (الثانية) أن يحب زوال النعمة اليه لرغبته فى تلك النعمة مثل رغبته فى دار حسنة او امرأة جميلة او ولاية نافذة اوسعة نالها غيره وهو يحب ان تكون له ومطلوبه تلك النعمة لازوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لاتنعم غيره بها (الثالثة) ان لايشتهى عينها لنفسه بل يشتهى مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما (الرابعة) ان يشتهى لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان فى الدنيا والمندوب اليه ان كان فى الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية اخف من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الرتبة الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك عين مذموم وأما تمنيه غير ذلك فهو مذموم

﴿ بيان اسباب الحسد والمنافسة ﴾

اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة فان كان ذلك أمراً دينيا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الآن فى الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة ابواب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة على غيره اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لايختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه أو الى من يحبه واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما أن يكون فى طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب عظيما فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته فى أغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التى تنبنى على الاختصاص بنعمة لايساوى فيها واما ان لايكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الاسباب (السبب الاول) العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد فان من آذاه شخص بسبب من الاسباب وخالفه فى غرض بوجه من الوجوه أبغضه الله وغضب عليه ورسخ فى نفسه الحقد والحقد يقتضى التشفى والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فمهما اصابت عدوه بلية فرح بها وظنها مكافأة له من جهة الله على بغضه وانها لاجله ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لامنزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذى اذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلازم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقى ان لايبغى وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض انسانا ثم يستوى عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به أعنى الحسد بالعداوة اذ قال الله تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم الآية وكذلك قال الله تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صدورهم اكبر والحسد بسبب البغض ربما يفضى الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر فى ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجرى مجراه (السبب الثانى) التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا أصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضى بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليه (السبب الثالث) الكبر وهو ان يكون فى طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة فى أغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما يتشوف الى مساواته او الى ان يرتفع عليه فيعود متكبرا بعد أن كان متكبرا عليه ومن التكبر والتعزز كان حسد أكثر

الاقدام لطول النهار وقصره ويعتبر الزوال بان الظل مادام فى الانتقاص فهو النصف الاول من النهار فاذا اخذ الظل فى الازدياد فهو النصف الآخر وقد زالت الشمس واذا عرف الزوال وان الشمس على كم قدم تزول يعرف اول الوقت وآخره ووقت العصر ويحتاج الى معرفة المنازل ليعلم طلوع الفجر ويعلم اوقات الليل وشرح ذلك يطول ويحتاج ان يفرد له باب فاذا دخل وقت الصلاة يقدم السنة الراتبة ففى ذلك سر وحكمة ذلك والله اعلم أن العبد تشعث باطنه وتفرق همه لما بلى به من المخالطة من الناس وقيامه

الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأطئ رؤوسنا(١) فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أى كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال تعالى يصف قول قريش اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم (السبب الرابع) التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم السالفة اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحى والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النبوة عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم فى الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة وقال تعالى اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم الآية (السبب الخامس) الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه فى كل نعمة تكون عونا له فى الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات فى التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة فى التزاحم على نيل المنزلة فى قلب الابوين للتوصل به الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه فى نيل المنزلة من قلبه للتوصل به الى المال والجاه وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب كل واحد منزلة فى قلوبهم للتوصل بهم الى اغراض له (السبب السادس) حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به الى مقصود وذلك كالرجل الذى يريد أن يكون عديم النظر فى فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر فى فنه وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له فى اقصى العالم لساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة عنه التى بها يشاركه فى المنزلة من شجاعة اوعلم اوعبادة اوصناعة اوجمال اوثروة اوغير ذلك مما يتفرد هو به و يفرح بسبب تفرده وليس السبب فى هذا عداوة ولا تعززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوفا من فوات مقصود سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة فى قلوب الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من ان تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم (السبب السابع) خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما انعم الله به عليه يشق ذلك عليه واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشتهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره و يبخل بنعمة الله على عباده كانهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته و يقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذى يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه و بينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث فى النفس ورذالة فى الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب أسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع فى ازالتها وهذا خبث فى الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر ازالته اذ يستحيل فى العادة ازالته فهذه هى اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها اوجميعها فى شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك و يقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات تجمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها

(١) حديث سبب نزول قوله تعالى لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ذكره ابن اسحاق فى السيرة وان قائل ذلك الوليد بن المغيرة قال اينزل على محمد واترك وأنا كبير قريش وسيدها و يترك ابو مسعود عمرو بن عمير الثقفى سيد ثقيف فنحن عظماء القريتين فانزل الله فيما بلغنى هذه الآية ورواه ابو محمد بن ابى حاتم وابن مردويه فى تفسيريهما من حديث ابن عباس الا انهما قالا مسعود بن عمرو وفى رواية لابن مردويه حبيب بن عمير الثقفى وهو ضعيف

بتهام المعاش أو سهو جرى بوضع الجبلة اوصرف ثم الى اكل أو نوم بمقتضى العادة فاذا قدم السنة ينجذب باطنه الى الصلاة ويتهيأ للمناجاة و يذهب بالسنة الراتبة اثر الغفلة والكدورة من الباطن فينصلح الباطن و يصير مستعدا للفريضة فالسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطرق النفحات ثم يجدد التوبة مع الله تعالى عند الفريضة عن كل ذنب عمله ومن الذنوب عامة وخاصة فالعامة الكبائر والصغائر مما اومأ اليه الشرع ونطق به الكتاب والسنة والخاصة ذنوب حال الشخص فكل عبد على قدر صفاء حاله له ذنوب تلائم حاله و يعرفها صاحبها وقيل حسنات

(بيان السبب فى كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبنى العم والاقارب وتاكده وقلته فى غيرهم وضعفه)

اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التى ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الاسباب فيهم وتتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه قد يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو لغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها فى مجالس المخاطبات و يتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد منهم صاحبه فى غرض من الاغراض نفر طبعه عنه وابغضه وثبت الحقد فى قلبه فعند ذلك يريد ان يستحقره و يتكبر عليه و يكافئه على مخالفته لغرضه و يكره تمكنه من النعمة التى توصله الى اغراضه وتترادف جملة من هذه الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين فى بلدتين فلا يكون بينهما محاسدة و كذلك فى محلتين نعم اذا تجاورا فى مسكن اوسوق اومدرسة اومسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية اسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب آخر سوى الاجتماع فى الحرفة و يحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد أم الزوج وابنته لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة الزبون وانما ينازعه فيه بزاز آخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة و يشتهر بها و ينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود أخص فأصل هذه المحاسدات العداوة وأصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهما نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت فى جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو فى العالم وان بعد ممن يساهمه فى الخصلة التى يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هى التى تضيق على المتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الاخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت سمواته وارضه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك أيضا لان المعرفة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم و يفرح بمعرفته و يلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الاستفادة والافادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ولا ضيق أيضا فيما عند الله تعالى لان أجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال أعيان وأجسام اذا وقعت فى يد واحد خلت عنها يد الاخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلا قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الاخر او نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلا قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلئ قلب غيره بها وان يفرح بذلك والفرق بين العلم والمال أن المال لا يحل فى يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم فى قلب العالم مستقر و يحل فى قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل من قلبه والمال أجسام واعيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما فى الارض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر فى جلال الله وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك ألذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا منه ولا مزاحما فيه فلا يكون فى قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم

الابرار سيآت المقربين * ثم لا يصلى الا بجماعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفضل صلاة الجماعة صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة ثم يستقبل القبلة بظاهره والحضرة الالهية بباطنه و يقرأ قل أعوذ برب الناس و يقرأ فى نفسه آية التوجه وهذا التوجه قبل الصــــلاة والاســـتفتاح قبل الصلاة لوجهه الظاهر بانصرافه الى القبلة وتخصيص جهته بالتوجه دون جهة الصلاة ثم يرفع يديه حذو منكبيه بحيث تكون كفاه حذو منكبيه وابهاماه عند شحمة أذنيه ورؤس الاصابع مع الاذنين و يضم الاصابع وان نشرها جاز والضم أولى فانه قيل

يتقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فتكون لذة هؤلاء فى مطالعة عجائب الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنة معرفته التى هى صفة ذاته يامن زوالها وهوابدا يجنى ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهى فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ابدا ترفع فى جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة فى العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد فى الدنيا فما اذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب فى العقبى فاذا لا يتصور ان يكون فى الجنة محاسدة ولا ان يكون بين اهل الجنة فى الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال الا بمعرفة الله تعالى التى لا مزاحمة فيها فى الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد فى الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته انه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتباء ولما دعي الى السجود استكبر وابى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق بالوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التى هى جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة الى السماء ولكن السماء لسعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا أن تطلب نعمة لا زحمة فيها ولذة لا كدر لها ولا يوجد ذلك فى الدنيا الا فى معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وافعاله وعجائب ملكوت السماء والارض ولا ينال ذلك فى الاخرة الا بهذه المعرفة ايضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنك رايك وضعفت فيها رغبتك فانت فى ذلك معذور اذ العنين لا يشتاق الى لذة الوقاع والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة يختص بادراكها الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين فى اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين

(بيان الدواء الذى ينفى مرض الحسد عن القلب)

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى أمراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا أن الحسد ضرر عليك فى الدنيا والدين وانه لا ضرر فيه على المحسود فى الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة أما كونه ضررا عليك فى الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التى قسمها بين عباده وعدله الذى أقامه فى ملكه بخفي حكمته فاستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى فى عين الايمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف الى ذلك انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبياءه فى حبهم الخير لعباده تعالى وشاركت ابليس وسائر الكفار فى محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث فى القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا عليك فى الدنيا فهو انك تتالم بحسدك فى الدنيا اوتتعذب به ولا تزال فى كمد وغم اذ أعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهيه الاعداء لك وتشتهيه لأعدائك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت فى الحال محنتك وغمك نقدا ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم بما فى الحسد من العذاب الشديد فى الآخرة فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط

النشر نشر الكف لا نشر الاصابع ويكبر ولا يدخل بين باء أكبر ورائه ألفا ويجزم أكبر ويجعل المد فى الله ولا يبالغ فى ضم الهاء من الله ولا يبتدئ بالتكبير الا اذا استقرت اليدان حذو المنكبين ويرسلهما مع التكبير من غير نفض فالوقار اذا سكن القلب تشكلت به الجوارح وتايدت بالاولى والاصوب ويجمع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا يغيب عن قلبه حالة التكبير انه يصلى الصلاة بعينها (وحكى) عن الجنيد انه قال لكل شئ صفوة وصفوة الصلاة التكبيرة الاولى وانما كانت التكبيرة صفوة لانها موضع النية واول الصلاة قال ابو نصر السراج سمعت ابن سالم يقول

الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة وأما انه لا ضرر على المحسود فى دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ماقدره الله تعالى من اقبال ونعمة فلابد أن يدوم الى أجل معلوم قدره الله سبحانه فلا حيلة فى دفعه بل كل شئ عنده بمقدار ولكل أجل كتاب ولذلك شكا نبي من الانبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله اليه فر من قدامها حتى تنقضى أيامها أى ماقدرناه فى الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر حتى تنقضى المدة التى سبق القضاء بدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر فى الدنيا ولا يكون عليه اثم فى الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدى وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتهيه أولا لنفسك فانك أيضا لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعمة الايمان أيضا لان الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان قال الله تعالى ودكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم اذ ما يريده الحسود لا يكون نعم هو يضل بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذلك سائر النعم وان اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد أيضا يشتهى ان يخص بهذه الخاصية ولست باولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك فى ان لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرهها وأما ان المحسود ينتفع به فى الدين والدنيا فواضح اما منفعته فى الدين فهو انه مظلوم من جهتك لاسيما اذا أخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تهديها اليه اعنى انك بذلك تهدى اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت فى الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليه نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه فاضفت اليه نعمة الى نعمة واضفت الى نفسك شقاوة الى شقاوة واما منفعته فى الدنيا فهو ان أهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أمانى اعدائك ان يكونوا فى نعمة وان تكون فى غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ماهو مرادهم ولذلك لا يشتهى عدوك موتك بل يشتهى ان تطول حياتك ولكن فى عذاب الحسد لتنظر الى نعمة الله عليه فينقطع قلبك حسدا ولذلك قيل

لامات اعداؤك بل خلدوا * حتى يروا فيك الذى يكمد
لازلت محسودا على نعمة * فانما الكامل من يحسد

ففرح عدوك بغمك وحسدك احسن من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية عنده فما انت فيما تلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذا تأملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ماتضررت به فى الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك فى الدنيا والآخرة وصرت مذموما عند الخالق والخلائق شقيا فى الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة شئت ام ابيت باقية ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت الى ادخال اعظم سرور على ابليس الذى هو اعدى اعدائك لانه لما رآك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذى اختص به عدوك عنك خاف ان تحب ذلك له فتشاركه فى الثواب بسبب المحبة لان من احب الخير للمسلمين كان شريكا فى الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر فى الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما احب ذلك فخاف ابليس ان تحب ما انعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال اعرابى للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله (١) الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وقام اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه

(١) حديث الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال هو مع من احب متفق عليه من حديث ابن مسعود

النية بالله لله ومن الله والآفات التى تدخل فى صلاة العبد بعد النية من العدو ونصيب العدو وان كثر لا يوازن بالنية التى هى لله بالله وان قل (وسئل) أبو سعيد الخراز كيف الدخول فى الصلاة فقال هو ان تقبل على الله تعالى اقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يدى الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تناجيه وتعلم بين يدى من أنت واقف فانه الملك العظيم (وقيل) لبعض العارفين كيف تكبر التكبيرة الاولى فقال ينبغى اذا قلت الله أكبر ان يكون مصحوبك فى الله التعظيم مع الالف والهيبة مع اللام والمراقبة والقرب مع الهاء واعلم ان من

وسلم وهو يخطب فقال (١) يارسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صيام الا أنى احب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت قال أنس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشارة الى ان أكبر بغيتهم كانت حب الله ورسوله قال انس فنحن نحب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجوا ان نكون معهم وقال ابو موسى (٢) قلت يارسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلى ويحب الصوام ولا يصوم حتى عد أشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما فان لم تستطع ان تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع ان تكون متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجا فانظر الآن كيف حسدك ابليس ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك اخاك وحملك على الكراهة حتى أثمت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطىء فى دين الله تعالى وينكشف خطؤه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم واى اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الاثم وعذاب الآخرة وقد جاء فى الحديث (٣) اهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه اى من يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف ابعدك ابليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تكون من واحد منها البتة فقد نفذ فيك حسد ابليس وما نفذ حسدك فى عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك فى يقظة او منام لرأيت نفسك ايها الحاسد فى صورة من يرى سهما الى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع الى حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرمى اشد من الاولى فيرجع الى عينه الاخرى فيعميها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشجه وعدوه سالم فى كل حال وهو اليه راجع مرة بعد اخرى واعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حالك فى الحسد اقبح من هذا لأن الرمية العائد لم تفوت الا العينين ولو بقيتا لفاتتا بالموت لا محاله والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله والى النار فلان تذهب عينه فى الدنيا خير له من ان تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد اذ اراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم ازالها عن الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السىء الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقلما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضى الله عنها ما تمنيت لعثمان شيئا الا نزل بى حتى لو تمنيت له القتل لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف ما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش فى التشفى من الاعداء وهو الداء الذى فيه هلك الامم السالفة فهذه هى الادوية العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأت نار الحسد من قلبه وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه * واما العمل النافع فيه فهو ان يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغى ان يكلف نفسه نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فى محسوده كلف لسانه المدح له والثناء عليه وان حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار عليه وان بعثه على كف الانعام عليه ألزم نفسه الزيادة فى الانعام عليه فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فاحبه وتولد من ذلك الموافقة التى تقطع مادة الحسد لان التواضع والثناء والمدح واظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود

(١) حديث سؤال الاعرابى متى الساعة فقال ما اعددت لها الحديث متفق عليه من حديث انس (٢) حديث ابى موسى قلت يارسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلى الحديث وفيه هو مع من أحب متفق عليه من حديث بلفظ آخر مختصرا الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال المرء مع من احب (٣) حديث اهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه لم اجد له اصلا

الناس من اذا قال الله اكبر غاب فى مطالعة العظمة والكبرياء وامتلا باطنه نورا وصار الكون باسره فى فضاء شرح صدره كخردلة بارض فلاة ثم تلقى لخردلة فما يخشى من الوسوسة وحديث النفس وما يتخايل فى الباطن من الكون الذى صار بمثابة الخردلة فالقيت فكيف تزاحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا العبد وقد تزاحم مطالعة العظمة والغيبوبة فى ذلك كون النية غير انه لغاية لطف الحال يختص الروح بمطالعة العظمة والقلب يتميز بالنية فتكون النية موجودة بالطف صفاتها مندرجة فى نور العظمة اندراج الكواكب فى ضوء الشمس

الى الاول فيطيب قلبه و يصير ما تكلفه أولا طبعا آخر ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت وأثنيت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق او الخوف وان ذلك مذلة ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كانت أو طبعا تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلوب التآلف والتحاب و بذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جدا الا انها مرة على القلوب جدا ولكن النفع فى الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما تهون مرارة هذا الدواء أعنى التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعانى التى ذكرناها وقوة الرغبة فى ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما احبه وعزة النفس وترفعها عن ان يكون فى العالم شىء على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد مالا يكون اذ لا مطمع فى ان يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما بان يكون ما تريد او بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثانى فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلى فاما الدواء المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغنى وسيأتى تفصيل مداواة هذه الاسباب فى مواضعها ان شاء الله تعالى فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد اخرى و يطول الجهد فى تسكينه مع بقاء مواده فانه مادام محبا للجاه فلابد وان يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة فى قلوب الناس دونه و يغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه و يده فاما الخلو عنه رأسا فلا يمكنه والله الموفق

بيان القدر الواجب فى نفى الحسد عن القلب

اعلم ان المؤذى ممقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك ان لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها له حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك فى النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد له ولكن ان قوى ذلك فيك حتى بعثك على اظهار الحسد بقول اوفعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس فى نفسك كراهة لهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا وقال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم اما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك و بين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فاما اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما فى طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل فى مقابلة الميل من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك فى اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوى عنده المؤذى والمحسن و يكون فرحه اوغمه بما تيسر لهما من نعمة اوتنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه مادام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهى امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهى عين الرحمة و يرى الكل عباد الله وافعالهم افعالا لله و يراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك الى طبعه و يعود العدو الى منازعته اعنى الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهته والزم قلبه هذه الحالة فقد ادى ما كلفه وقد ذهب ذاهبون الى انه لا يأثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يضرك مالم تبده وروى عنه موقوفا ومرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يخلو منهن المؤمن وله منهن مخرج

ثم يقبض بيده اليمنى يده اليسرى و يجعلهما بين السرة والصدر واليمنى لكرامتها تجعل فوق اليسرى و يمد المسبحة والوسطى على الساعد و يقبض بالثلاثة البواقى اليسرى من الطرفين وقد فسر أمير المؤمنين على رضى الله عنه قوله تعالى فصل لربك وانحر قال انه وضع اليمنى على الشمال تحت الصدر وذلك ان تحت الصدر عرقا يقال له الناحر أى ضع يدك على الناحر وقال بعضهم وانحر أى استقبل القبلة بنحرك وفى ذلك سر خفى يكاشف به من وراء أستار الغيب وذلك ان الله تعالى بلطيف حكمته خلق الآدمي وشرفه وكرمه وجعله محل نظره ومورد وحيه ونخبة ما فى

فخرجه من الحسد أن لا يبغى والأولى أن يحمل هذا على ماذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغى والايذاء فان جميع ماورد من الاخبار فى ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال فكل من يحب اساءة مسلم فهو حاسد فاذا كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو فى محل الاجتهاد والاظهر ماذكرناه من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد أن يعفى عن العبد فى ارادته اساءة مسلم واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا ان لك فى أعدائك ثلاثة أحوال أحدها ان تحسب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة فى ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه * الثانى ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا * الثالث وهو بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقت لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد فى مقتضاه وهذا فى محل الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى اعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى عرف اولياءه غوائل الدنيا وآفاتها * وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها * حتى نظروا فى شواهدها وآياتها ووزنوا بحسناتها سيآتها فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها ولا يفى مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها فى صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها ولها اسرار سوء قبائح تهلك الراغبين فى وصالها ثم هى فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها واذا اقبلت لم يؤمن شرها ووبالها ان احسنت ساعة اساءت سنة وان اساءت مرة جعلتها سنة فدوائر اقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة وآفاتها على التوالى لصدور طلابها راشقة ومجارى احوالها بذل طالبيها ناطقة فكل مغرور بها الى الذل مصيره وكل متكبر بها الى التحسر مسيره شأنها الهرب من طالبها والطلب لهاربها ومن خدمها فاتته ومن اعرض عنها وافته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهى خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا من احبابها كشرت لهم عن انيابها وشوشت عليهم مناظم اسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجابها فاذاقتهم قواتل سمامها ورشقتهم بصوائب سهامها بينما اصحابها منها فى سرور وانعام اذ ولت عنهم كانها اضغاث احلام ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم فى اكفانهم تحت الصعيد ان ملكت واحدا منهم جميع ماطلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كأن لم يغن بالامس تمنى اصحابها سرورا وتعدهم غرورا حتى يأملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا ودعاؤهم ثبورا هذه صفتها وكان امر الله قدرا مقدورا والصلاة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا وعلى من كان من اهله واصحابه له فى الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا ﴿ اما بعد ﴾ فان الدنيا عدوة لله وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها واما عداوتها لاولياء الله عز وجل فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها واما عداوتها لاعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها فاقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم السعادة ابد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها

ارضه وسمائه روحانيا وجسمانيا ارضيا سماويا منتصب القامة مرتفع الهيئة فنصفه الأعلى من حد الفؤاد مستودع اسرار السموات ونصفه الاسفل مستودع اسرار الارض فمحل نفسه ومركزها النصف الاسفل ومحل روحه الروحانى والقلب النصف الاعلى فجواذب الروح مع جواذب النفس يتطاردان ويتحاربان وباعتبار تطاردهما وتغالبهما تكون لمة الملك ولمة الشيطان ووقت الصلاة يكثر التطارد لوجود التجاذب بين الايمان والطبع فيكاشف المصلى الذى صار قلبه سماويا مترددا بين الفناء والبقاء لجواذب النفس متصاعدة من مركزها وللجوارح وتصرفها وحركتها

يستغيثون

يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون واذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلابد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وماهي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه و يوشك ان يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها ان شاء الله تعالى وهو المعين على ما يرتضيه

﴿ بيان ذم الدنيا ﴾

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الا استشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على اهلها قالوا من هوانها ألقوها قال والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم (٢) الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ما كان لله منها وقال أبو موسى الاشعرى (٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وسلم (٥) حب الدنيا رأس كل خطيئة (٦) وقال زيد بن أرقم كنا مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه فدعا بشراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى ابكى اصحابه وسكتوا وماسكت ثم عاد و بكى حتى ظنوا انهم لا يقدرون على مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا ياخليفة رسول الله ما أبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيأ ولم ارمعه احدا فقلت يارسول الله ما الذى تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لى فقلت لها اليك عنى ثم رجعت فقالت انك ان أفلت منى لم يفلت منى من بعدك وقال صلى الله عليه وسلم (٧) ياعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروى (٨) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى ان زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التى ترى ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم (٩) ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بنى

(١) حديث مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على صاحبها الحديث ابن ماجه والحاكم وصحح اسناده من حديث سهل بن سعد وآخره عند الترمذى وقال حسن صحيح ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث المستورد بن شداد دون هذه القطعة الاخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر (٢) حديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر مسلم من حديث أبى هريرة (٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون مافيها الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبى هريرة وزاد الاذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم (٤) حديث ابى موسى الاشعرى من حب دنياه اضر بآخرته الحديث احمد والبزار والطبرانى وابن حبان والحاكم وصححه (٥) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا والبيهقى فى شعب الايمان من طريقه من رواية الحسن مرسلا (٦) حديث زيد بن ارقم كنا مع أبى بكر فدعا بشراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى الحديث وفيه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيأ الحديث البزار بسند ضعيف بنحوه والحاكم وصحح اسناده وابن أبى الدنيا والبيهقى من طريقه بلفظه (٧) حديث ياعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور ابن أبى الدنيا من حديث ابى جرير مرسلا (٨) حديث انه وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا الحديث ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا والبيهقى فى شعب الايمان من طريقه من رواية ابن ميمون اللخمى مرسلا وفيه بقية بن الوليد وقد عنعنه وهو مدلس (٩) حديث ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون الحديث الترمذى

مع معالجة الباطن ارتباط وموازنة فبوضع اليمنى على الشمال حصر النفس ومنع من صعود جواذبها وأثر ذلك يظهر بدفع الوسوسة وزوال حديث النفس فى الصلاة ثم اذا استوت جواذب الروح وتملكت من الفرق الى القدم عند كال الانس وتحقق قرة العين واستيلاء سلطان المشاهدة تصير النفس مقهورة ذليلة و يستنير مركزها بنور الروح وتنقطع حينئذ جواذب النفس وعلى قدر استنارة مركز النفس يزول كل العبادة و يستغنى حينئذ عن مقاومة النفس ومنع جواذبها بوضع اليمين على الشمال فيسبل حينئذ ولعل لذلك والله أعلم

اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام يامعشر الحواريين انى قد كبت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدى فان من خبث الدنيا ان عصى الله فيها وان من خبث الدنيا ان الاخرة لا تدرك الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة اورثت اهلها حزنا طويلا وقال أيضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الرجال والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه وقال موسى بن يسار (١) قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروى ان سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه وشماله قال فمر بعابد من بنى اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد اتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود فان ما أعطي بن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ألهاكم التكاثر يقول ابن ادم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فافنيت أو لبست فابليت او تصدقت فابقيت وقال صلى الله عليه وسلم (٣) الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم (٤) من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا وأملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال أبو هريرة (٥) قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أباهريرة الا اريك الدنيا جميعها بما فيها فقلت بلى يارسول الله فاخذ بيدى وأتى بى واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أباهريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كاملكم ثم هى اليوم عظام بلا جلد ثم هى صائرة رمادا وهذه العذرات هى ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذا العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا ✽ ويروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم الى الارض قال له ابن للخراب ولد للفناء وقال داود بن هلال مكتوب فى صحف ابراهيم عليه السلام يادنيا ما أهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم انى قد قذفت فى قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك كل شأنك صغير والى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى

ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى مسبلا وهو مذهب مالك رحمه الله ثم يقرأ وجهت وجهى الآية وهذا التوجه انقاء لوجه قلبه والذى قبل الصلاة لوجه قالبه ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك اللهم أنت الملك لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك انت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعا انه لا يغفر الذنوب الا أنت واهدنى لاحسن الاخلاق فانه لا يهدى لاحسنها الا أنت واصرف عنى سيئها فانه لا يصرف عنى سيئها الا أنت لبيك وسعديك فالخير كله بيديك تباركت وتعاليت

وابن ماجه من حديث أبى سعيد دون قوله ان بنى اسرائيل الخ والشطر الاول متفق عليه ورواه ابن ابى الدنيا من حديث الحسن مرسلا بالزيادة التى فى آخره (١) حديث موسى بن يسار ان الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها ابن أبى الدنيا من هذا الوجه بلاغا والبيهقى فى الشعب من طريقه وهو مرسل (٢) حديث ألهاكم التكاثر يقول ابن أدم مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير (٣) حديث الدنيا دار من لا دار له الحديث أحمد من حديث عائشة مقتصرا على هذا وعلى قوله ولها يجمع من لا عقل له دون بقيته وزاد ابن ابى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه ومال من لا مال له واسناده جيد (٤) حديث من أصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله فى شيء وألزم الله قلبه أربع خصال الحديث الطبرانى في الاوسط من حديث أبى ذر دون قوله وألزم الله قلبه الخ وكذلك رواه ابن ابى الدنيا من حديث انس باسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة متفردة صاحب الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف (٥) حديث ابى هريرة ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يارسول الله فاخذ بيدى وأتى بى واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة الحديث لم أجد له أصلا

لاحد ولا يدوم لك أحد وان يخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين أطلعونى من قلوبهم على الرضا ومن
ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم مالهم عندى من الجزاء اذا وفدوا الى من قبورهم الا النور يسعى أمامهم
والملائكة حافون بهم حتى ابلغهم مايرجون من رحمتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) الدنيا موقوفة بين
السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر اليها وتقول يوم القيامة يارب اجعلنى لأدنى أوليائك اليوم نصيبا
فيقول اسكتى يالاشىء انى لم أرضك لهم فى الدنيا أأرضاك لهم اليوم وروى فى اخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل
من الشجرة تحركت معدته لخروج السفل ولم يكن ذلك مجعولا فى شىء من اطعمة الجنة الا فى هذه الشجرة فلذلك
نهيا عن اكلها قال فجعل يدور فى الجنة فامر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له اى شىء تريد قال آدم اريد ان
اضع مافى بطنى من الاذى فقيل للملك قل له فى اى مكان تريد ان تضعه اعلى الفرش ام على السرر ام على الانهار ام
تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ليجيئن اقوام يوم
القيامة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يارسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون
ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شىء من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه (٣) المؤمن
بين مخافتين بين اجل قد مضى لايدرى ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقى لايدرى ما الله قاض فيه فليتزود العبد من
نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة
والذى نفسى بيده مابعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار وقال عيسى عليه السلام لايستقيم
حب الدنيا والآخرة فى قلب مؤمن كما لايستقيم الماء والنار فى اناء واحد وروى ان جبريل عليه السلام قال لنوح
عليه السلام يا اطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من
الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا يكنك قال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه
وسلم (٤) احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال (٥) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب فى الدنيا وطال
امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد فى الدنيا وقصر فيها امله اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية
الا انه سيكون بعدكم قوم لايستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع
الهوى ألا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على
المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لايريد بذلك الا وجه الله تعالى اعطاه الله ثواب خمسين صديقا وروى
ان عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيأ يلجأ اليه فوقعت عينه على خيمة
من بعيد فاتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف فى جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع يده عليه وقال الهى
جعلت لكل شىء ماوى ولم تجعل لى ماوى فاوحى الله تعالى اليه ماواك فى مستقر رحمتى لأزوجنك يوم القيامة
مائة حوراء خلقتها بيدى ولأطعمن فى عرسك اربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادى اين

---

(١) حديث الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لاينظر اليها الحديث تقدم بعضه من رواية موسى بن
يسار مرسلا ولم اجد باقيه (٢) حديث ليجيئن اقوام يوم القيامة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار الحديث
ابو نعيم فى الحلية من حديث سالم مولى ابى حذيفة بسند ضعيف وابو منصور الديلمى من حديث انس وهو ضعيف
ايضا (٣) حديث المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى الحديث البيهقى فى الشعب من حديث الحسن عن رجل
من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وفيه انقطاع (٤) حديث احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت
ابن ابى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه من رواية ابى الدرداء الرهاوى مرسلا وقال البيهقى ان بعضهم قال عن
ابى الدرداء عن رجل من الصحابة قال الذهبى لايدرى من ابو الدرداء قال وهذا منكر لا اصل له (٥) حديث
الحسن هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى الحديث ابن ابى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه هكذا

أستغفرك وأتوب اليك ويطرق رأسه فى قيامه ويكون نظره الى موضع السجود ويكمل القيام بانتصاب القامة ونزع يسير الانطواء عن الركبتين والخواصر ومعاطف البدن ويقف كأنه ناظر بجميع جسده الى الارض فهذا من خشوع سائر الاجزاء ويتكون الجسد بتكون القلب من الخشوع ويراوح بين القدمين بمقدار أربع أصابع فان ضم الكعبين هو الصفد المنهى عنه ولا يرفع احدى الرجلين فانه الصفن المنهى عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد واذا كان الصفن منهيا عنه ففى زيادة الاعتماد على احدى الرجلين دون الاخرى

الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد في الدنيا عيسى بن مريم وقال عيسى بن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ومافيها وتغره ويأمنها ويثق بها وتخذله وويل المغترين كيف أرتهم مايكرهون وفارقهم مايحبون وجاءهم مايوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ياموسى مالك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي ياموسى اني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) بعث ابي عبيدة بن الجراح فجاءه بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أباعبيدة قدم بشئ قالوا أجل يارسول الله قال فابشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني اخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم وقال ابوسعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ان أكثر ماأخاف عليكم مايخرج الله لكم من بركات الارض فقيل مابركات الارض قال زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم (٣) لاتشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا أهلها موتى في الافنية والطرق فقال معشر الحوار يين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا ياروح الله وددنا أن لو علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فاوحى اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل أشرف على نشز ثم نادى ياأهل القرية فاجابه مجيب لبيك ياروح الله فقال ماحالكم وماقصتكم قال بتنا في عافية وأصبحنا في الهاوية قال وكيف ذاك قال بحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لامه اذا أقبلت فرحنا بها واذا أدبرت حزنا وبكينا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجم من نار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتني أنت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم فانا معلق على شفير جهنم لا ادري انجو منها ام أكبكب فيها فقال المسيح للحوار يين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والاخرة وقال أنس (٤) كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لاتسبق فجاء اعرابي بناقة فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم انه حق على الله ان لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى وقال ابو الدرداء (٥) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوتعلمون ماأعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال ابو الدرداء من قبل نفسه لوتعلمون ماأعلم لخرجتم الى الصعدات تجارون وتبكون على

مرسلا وفيه ابراهيم بن الاشعث تكلم فيه ابوحاتم (١) حديث بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة متفق عليه من حديث عمرو بن عوف البدري (٢) حديث ابي سعيد ان أكثر ماأخاف عليكم مايخرج الله لكم من بركات الارض الحديث متفق عليه (٣) حديث لاتشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا البيهقي في الشعب من طريق ابن ابي الدنيا من رواية محمد بن النضر الحارثي مرسلا (٤) حديث انس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لاتسبق الحديث وفيه حق على الله ان لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه البخاري (٥) حديث ابي الدرداء لوتعلمون ماأعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة الطبراني دون قوله ولهانت الخ وزاد ولخرجتم الى الصعدات الحديث وزاد الترمذي وابن ماجه من حديث ابي ذر وماتلذذتم بالنساء على الفراش واول الحديث متفق عليه من حديث انس وفي افراد البخاري من حديث عائشة

معنى من الصفن فالاولى رعاية الاعتدال في الاعتماد على الرجلين جميعا ويكره اشتمال الصماء وهو ان يخرج يده من قبل صدره ويجتنب السدل وهو ان يرخي اطراف الثوب الى الارض ففيه معنى الخيلاء وقيل هو الذى يلتف بالثوب ويجعل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وفي معناه ماذا جعل يديه داخل القميص ويجتنب الكف وهو ان يرفع ثيابه بيده عند السجود ويكره الاختصار وهو ان يجعل يده على الخاصرة ويكره الصلب وهو وضع اليدين جميعا على الخصرين وتجافي العضدين فاذا وقف في الصلاة على الهيئة التى ذكرناها مجتنبا

أنفسكم ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا مالا بد لكم منه ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التى لا تدع هواها مخافة مما فى عاقبته مالكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين الله مافرق بين اهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم مالكم تناصحون فى أمر الدنيا ولا تناصحون فى أمر الآخرة ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه و يعينه على أمر آخرته ماهذا الا من قلة الايمان فى قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الاخرة لانها أملك لاموركم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف فى طلب أمر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم أنتم ماحققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم فى شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فائتونا لنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم تستبينون صواب الرأى فى دنياكم وتأخذون بالحزم فى أموركم مالكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير يفوتكم حتى يتبين ذلك فى وجوهكم و يظهر على ألسنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك فى وجوهكم ولا يتغير حالكم انى لارى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلاكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت ان الله تعالى اراحنى منكم وألحقنى بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا و بالله استعين على نفسى وعليكم وقال عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين ارضوا بدنىء الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدنىء الدين مع سلامة الدنيا وفى معناه قيل

أرى رجالا بادنى الدين قد قنعوا * وما اراهم رضوا فى العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام ياطالب الدنيا لتبر تركك الدنيا أبر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم (١) لتأتينكم بعدى دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب وقد أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ياموسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تأتينى بكبيرة هى أشد منها ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكى ورجع وهو يبكى فقال موسى يارب عبدك يبكى من مخافتك فقال ياابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا (الآثار) قال على رضى الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا اولها من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال الحسن رحمه الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك فى دينك فنافسه ومن نافسك فى دنياك فالقها فى نحره وقال لقمان عليه السلام لابنه يا بنى ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما اراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتى فى هذه الاية انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم أيهم احسن عملا وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا وقال بعض الحكماء انك لن تصبح فى شىء من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك وسيكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك فى اكلة وصم عن الدنيا وافطر على الآخرة وان رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان و يجدد الآمال و يقرب المنية و يبعد الامنية قيل فما حال اهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وفى ذلك قيل

(١) حديث لتأتينكم بعدى دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب لم أجد له اصلا

للمكاره فقد تمم القيام وكمله فيقرأ آية التوجه والدعاء كما ذكرناه ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم و يقولها فى كل ركعة امام القراءة و يقرأ الفاتحة وما بعدها بحضور قلب وجمع هم ومواطأة بين القلب واللسان بحظ وافر من الوصلة والدنو والهيبة والخشوع والخشية والتعظيم والوقار والمشاهدة والمناجاة وان قرأ بين الفاتحة وما يقرأ بعدها اذا كان اماما فى السكتة الثانية اللهم باعد بينى و بين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ونقنى من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم اغسل خطاياى بالماء والثلج والبرد فحسن وان قالها فى

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره * فسوف لعمرى عن قليل يلومها
اذأدبرت كانت على المرء حسرة * وان اقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة او بلية نازلة اومنية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطى احدا مايستحق لكنها امان تزيد واماان تنقص وقال سفيان اماترى النعم كانها مغضوب عليها قد وضعت فى غيراهلها وقال ابو سليمان الدارانى من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيا الا اراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط شيا الا اراد أكثر وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية وقال رجل لابى حازم اشكو اليك حب الدنيا وليست لى بدار فقال انظر ما آتاكه الله عزوجل منها فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا فى حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لواخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيأ فيجئ فى طلبه فيأخذك وقال الفضيل لوكانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغى لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغنى انه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا اعظم ماحقره الله وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وفى ذلك قيل

وما المال والاهلون الا ودائع * ولابد يوما ان ترد الودائع

وزار رابعة اصحابها فذكروا الدنيا فاقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيأ اكثر من ذكره وقيل لابراهيم بن ادهم كيف انت فقال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه * وجاد بدنياه لما يتوقع

وقيل ايضا فى ذلك

ارى طالب الدنيا وان طال عمره * ونال من الدنيا سرورا وانعما
كبان بنى بنيانه فاقامه * فلما استوى ماقد بناه تهدما

وقيل ايضا فى ذلك

هب الدنيا تساق اليك عفوا * اليس مصير ذاك الى انتقال
ومادنياك الا مثل فئ * اظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يابنى بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال مطرف ابن الشخير لاتنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس ان الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة اجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن اراد منها شيا فليصبر على معاشرة الكلاب وفى ذلك قيل

ياخاطب الدنيا الى نفسها * تنح عن خطبتها تسلم
ان التى تخطب غدارة * قريبة العرس من المأتم

وقال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ماعنده الا بتركها وفى ذلك قيل

اذا امتحن الدنيا اللبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وقيل ايضا

ياراقد الليل مسرور باوله * ان الحوادث قد يطرقن احسانا
افنى القرون التى كانت منعمة * كر الجديدين اقبالا وادبارا
كم قد ابادت صروف الدهر من ملك * قد كان فى الدهر نفاعا وضرارا
يامن يعانق دنيا لابقاء لها * يمسى ويصبح فى دنياه سفارا

السكتة الاولى فحسن روى عن النبي عليه السلام انه قال ذلك وان كان منفردا يقولها قبل القراءة ويعلم العبدان تلاوته نطق اللسان ومعناها نطق القلب وكل مخاطب لشخص يتكلم بلسانه ولسانه يعبر عما فى قلبه ولو امكن المتكلم افهام من يكلمه من غير لسان فعل ولكن حيث تعذر الافهام الا بالكلام جعل اللسان ترجمانا فاذا قال باللسان من غير مواطأة القلب فما اللسان ترجمانا ولا القارئ متكلما قاصدا اسماع الله حاجته ولا مستمعا الى الله فاهما عنه سبحانه مايخاطبه وما عنده غير حركة اللسان بقلب غائب عن قصد ما يقول فينبغى ان يكون

هلا تركت من الدنيا معانقة * حتى تعانق فى الفردوس أبكارا
ان كنت تبغى جنان الخلد تسكنها * فينبغى لك أن لاتأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلى رضى الله عنه لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت أمة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ماابالى ان لا يعبدوا الاوثان وانما اغدو عليهم واروح بثلاث اخذ المال من غير حقه وانفاقه فى غير حقه وامساكه عن غير حقه والشر كله من هذا نبع وقال رجل لعلى كرم الله وجهه يا امير المؤمنين صف لنا الدنيا قال وما اصف لك من دار من صح فيها سقم ومن امن فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن فى حلالها الحساب وفى حرامها العقاب ومتشابهها العتاب وقيل له ذلك مرة اخرى فقال اطول ام اقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعنى الدنيا وقال ابو سليمان الدارانى اذا كانت الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تزاحمها فاذا كانت الدنيا فى القلب لم تزاحمها الآخرة لان الاخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو ان يكون ماذكره سيار بن الحكم اصح اذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان فى القلب فايهما غلب كان الآخر تبعا له وقال مالك بن دينار بقدر ماتحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك و بقدر ماتحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مماقاله على كرم الله وجهه حيث قال الدنيا والاخرة ضرتان فبقدر ما ترضى احداهما تسخط الاخرى وقال الحسن والله لقد ادركت اقواما كانت الدنيا اهون عليهم من التراب الذى تمشون عليه مايبالون اشرقت الدنيا ام غربت ذهبت الى ذا اوذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ماتقول فى رجل اتاه الله مالا فهو يتصدق منه و يصل منه ايحسن له ان يتعيش فيه يعنى يتنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف و يقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا لا احاسب عليها فى الاخرة لكنت اتقذرها كما يتقذر احدكم الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه وقيل لما قدم عمر رضى الله عنه الشام فاستقبله ابو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم وسأله ثم اتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال عمر رضى الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا امير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الاخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا وقال وهب قرات فى بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يابنى انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الاخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب من دار تباعد عنها وقال سعيد بن مسعود اذا رايت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذى يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص على المنبر (١) والله مارايت قوما قط ارغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله مامر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث الا والذى عليه اكثر من الذى له وقال الحسن بعد ان تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا من قال ذا قاله من خلقها ومن هو اعلم بها ايا كم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل الا اوشك ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال ايضا مسكين ابن ادم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان اخذه من حله حوسب به وان اخذه من حرام عذب به ابن ادم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته فى دينه و يجزع من مصيبته فى دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك اما بعد فكانك بآخر من كتب عليه الموت قدمات فاجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل وقال الفضيل بن عياض الدخول فى الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف

(١) حديث عمرو بن العاص والله مارايت قوما قط ارغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم الحاكم وصححه ورواه احمد وابن حبان بنحوه

متكلما مناجيا أومستمعا واعيا فاقل مراتب أهل الخصوص فى الصلاة الجمع بين القلب واللسان فى التلاوة ووراء ذلك أحوال للخواص يطول شرحها ﴿ قال بعضهم ﴾ مادخلت فى صلاة قط فاهمنى فيها غير ما أقول * وقيل لعامر بن عبد الله هل تجد فى الصلاة شيا من أمور الدنيا فقال لأن تختلف على الاسنة أحب الى من أن أجد فى الصلاة ماتجدون * وقيل لبعضهم هل تحدث نفسك فى الصلاة بشىء من أمور الدنيا فقال لا فى الصلاة ولا فى غيرها ومن الناس من اذا أقبل على الله فى صلاته يتحقق بمعنى الانابة لان الله [illegible] الى قدم الانابة وقال منيبين اليه

ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن رأى تقلب الدنيا باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر حق كيف
ينصب وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات
بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد و يهلك هالك فلولا المولود لباد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن
فيها فقال له سل ماشئت قال عمر مضى فترده أو أجل حضر فتدفعه قال لا املك ذلك قال لا حاجة لى اليك وقال داود
الطائى رحمه الله يا ابن آدم فرحت ببلوغ املك وانما بلغته بانقضاء اجلك ثم سوفت بعملك كان منفعته لغيرك وقال
بشر من سال الله الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم مافى الدنيا شئ يسرك الا وقد ألصق الله
اليه شئ يسوءك وقال الحسن لاتخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك
ماأمل ولم يحسن الزاد لما يقدم وقيل لبعض العباد قدنلت الغنى فقال انما نال الغنى من عتق من رق الدنيا
وقال ابو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان فى قلبه مايشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على
حب الدنيا فلا يامر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعرى اى عذاب الله ينزل علينا
وقال ابو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ماهى لاحد باهنا منها لمن
اهانها وقال ايضا اذا اراد الله بعبد خيرا اعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا انفذ اعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط
له الدنيا بسطا وكان بعضهم يقول فى دعائه يا ممسك السماء أن تقع على الارض الا باذنك أمسك الدنيا عنى وقال
محمد بن المنكدر أرأيت لو ان رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد فى سبيل الله واجتنب
محارم الله غير انه يؤتى به يوم القيامة فيقال ان هذا عظم فى عينه ماصغره الله وصغر فى عينه ماعظمه الله كيف ترى
يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع مااقترفنا من الذنوب والخطايا وقال ابو حازم اشتدت مؤنة
الدنيا والآخرة فامامؤنة الآخرة فانك لاتجد عليها اعوانا وأما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شئ منها الا
وجدت فاجرا قدسبقك اليه وقال ابو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالشن البالى تنادى ربها منذ
خلقها الى يوم يفنيها يارب يارب لم تبغضنى فيقول لها اسكتى يالا شئ وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب فى
القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشئ من الدنيا فقد اخطا الحكمة ومن
جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هو فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال
جمع الدنيا وذهب الى الآخرة ضيع نفسه قيل له انه كان يفعل و يفعل وذكروا ابوابا من البر فقال وما ينفع هذا
وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن
هى قال لمن تركها فقيل الآخرة لمن هى قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها
والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها وقال الجنيد كان الشافعى رحمه الله من المريدين الناطقين بلسان
الحق فى الدنيا وعظ اخا له فى الله وخوفه بالله فقال يا اخى ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صائر
وساكنها الى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار
فيها يسار فافزع الى الله وارض برزق الله لا تتسلف من دار فنائك الى دار بقائك فان عيشك فئ زائل وجدار مائل
أكثر من عملك وأقصر من املك وقال ابراهيم بن ادهم لرجل أدرهم فى المنام احب اليك ام دينار فى اليقظة فقال
دينار فى اليقظة فقال كذبت لان الذى تحبه فى الدنيا كانك تحبه فى المنام والذى لا تحبه فى الآخرة كانك
لا تحبه فى اليقظة وعن اسماعيل بن عياش قال كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا ياخنزيرة
فلو وجدوا لها اسما اقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها وقال يحيى بن
معاذ الرازى رحمه الله العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه و بنى قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل ان
يلقاه وقال ايضا الدنيا بلغ من شؤمها أن تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله
من اراد ان يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن وقال بندار اذا رأيت ابناء الدنيا يتكلمون فى الزهد

واتقوه واقيموا الصلاة فينيب الى الله تعالى و يتقى الله تعالى وتبرى عما سواه و يقيم الصلاة بصدر منشرح بالاسلام وقلب منفتح بنور الانعام فتخرج الكلمة من القرآن من لسانه و يسمعها بقلبه فتقع الكلمة فى فضاء قلب ليس فيه غيرها فيتملكها القلب بحسن الفهم ولذيذ نعمة الاصغاء و يتشربها بحلاوة الاسماع وكمال الوعى و يدرك لطيف معناها وشريف نحواها معانى تلطف عن تفصيل الذكر وتتشكل بخفى الفكر و يصير الظاهر من معانى القرآن قوت النفس فالنفس المطمئنة متعرضة بمعانى القرآن عن

فاعلم انهم فى سخرة الشياطين وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها يعنى الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الآخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لاحد لقيمته وقال على كرم الله وجهه انما الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروبات الماء ويستوى فيه البر والفاجر وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال وأشرف المنكوحات المرأة وهى مبال فى مبال وان المرأة لتزين احسن شيء منها ويراد اقبح شيء منها وأشرف المشمومات المسك وهو دم

﴿ بيان الواعظ فى ذم الدنيا وصفتها ﴾

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثير بوائقها وذمها خالقها وجديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل ودها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل اومدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل اوهل الى الطبيب من سبيل فتدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان اوصى ولماله احصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك * وقال بعضهم لملك الملوك ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطى حاجته منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه اوعلى جمعه فتفرقه اوتاتى سلطانه فتهدمه من القواعد اوتدب الى جسمه فتسقمه اوتفجعه بشئ هو ضنين به بين احبابه فالدنيا احق بالذم هى الآخذة ماتعطى الراجعة فيما تهب بينا هى تضحك صاحبها اذ اضحكت منه غيره وبيناهى تبكى له اذا ابكت عليه وبيناهي تبسط كفها بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره بالتراب غدا سواء عليها ذهاب ماذهب وبقاء مابقى تجد فى الباقى من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا * وكتب الحسن البصرى الى عمر بن عبد العزيز امابعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامة وانما انزل آدم عليه السلام من الجنة اليها عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها فى كل حين قتيل تذل من اعزها وتفقر من جمعها هى كالسم ياكله من لا يعرفه وفيه حتفه فكن فيها كالداوى جراحه يحتمي قليلا مخافة مايكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التى قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحلت بآمالها وسوفت بخطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهى لازواجها كلهم قالية فلا الباقى بالماضى معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين اخبره عنها مدكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسى المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وتالمه وحسرات الفوت بغصته وراغب فيها لم يدرك منها ماطلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المؤمنين وكن اسر ماتكون فيها احذر ماتكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور اشخصته الى مكروه السار فى اهلها غار والنافع فيها غدار ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء فسرورها

حديثها لكونها معانى ظاهرة متوجهة الى عالم الحكمة والشهادة تقرب مناسبتها من النفس المكونة لاقامة رسم الحكمة ومعانى القرآن الباطنة التى يكاشف بها من الملكوت قوت القلب وتخلص الروح القدس الى أوائل سرادقات الجبروت بمطالعة عظمة المتكلم ويمثل هذه المطالعة يكون كمال الاستغراق فى لجج الاشواق كما نقل عن مسلم ابن يسار انه صلى ذات يوم فى مسجد البصرة فوقعت اسطوانة تسامع بسقوطها أهل السوق وهو واقف فى الصلاة لم يعلم بذلك ثم اذا أراد الركوع يفصل بين القراءة والركوع ثم يركع منطوى

مشوب بالاحزان لا يرجع منها ماولى وأدبر ولا يدرى ماهو آت فينتظر أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكدوابن آدم فيهاعلى خطر ان عقل ونظر فهومن النعماء على خطرومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لهامثلا لكانت الدنيا قدأيقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقدجاءمن الله عزوجل عنها زاجرا وفيها واعظ فما لها عندالله جل ثناؤه قدر ومانظر اليهامنذ خلقها[1] ولقدعرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عندالله جناح بعوضة فابى أن يقبلها اذ كره ان يخالف على الله امره أو يحب ماأبغضه الله خالقه أو يرفع ماوضع مليكه فزواها عن الصالحين اختبارا و بسطها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه أ كرم بها ونسى ماصنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم [2] حين شد الحجر على بطنه ولقدجاءت الرواية عنه عن ربه جل وعز انه قال لموسى عليه السلام اذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيت الفقرمقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام فانه كان يقول ادامى الجوع وشعارى الخوف ولباسى الصوف وصلائى فى الشتاء مشارق الشمس وسراجى القمرودابتى رجلاى وطعامى وفا كهتى ما أنبتت الارض أبيت وليس لى شىء وأصبح وليس لى شىء وليس على الارض احد أغنى منى وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون قال لا يرو عنكما لباسه الذى لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذنى ولا يعجبنكما ماتمتع به منها فانما هى زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلوشئت ان أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها ان قدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت ولكني ارغب بكما عن ذلك فازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائى انى لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعى الشفيق عنه عن مراتع الهلكة وانى لاجنبهم ملاذها كما يجنب الراعى الشفيق ابله عن منازل الغرة وماذاك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفرا انما يتزين لى أوليائى بالذل والخوف والخضوع والتقوى تنبت فى قلوبهم وتظهر على اجسادهم فهى ثيابهم التى يلبسون ودثارهم الذى يظهرون وضميرهم الذى يستشعرون ونجاتهم التى بها يفوزون ورجاؤهم الذى اياه يأملون ومجدهم الذى به يفتخرون وسيماهم الذى بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من اخاف لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم انا الثائر له يوم القيامة * وخطب على كرم الله وجهه يوما خطبة فقال فيها اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة و بالفناء معروفة و بالغدر موصوفة وكل مافيها الى زوال وهى بين اهلها دول وسجال لا تدوم احوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا اهلها منها فى رخاء وسرور اذاهم منها فى بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيهامذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصيهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه فيها موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد منكم بطشا واعمر ديارا وابعد آثارا فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها واجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة فى القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب

(١) حديث الحسن وكتب به الى عمر بن عبدالعزيز عرضت اى الدنيا على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها الحديث ابن ابى الدنيا هكذا مرسلا ورواه احمد والطبرانى متصلا من حديث ابى مويهبة فى اثناء حديث فيه انى قد اعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة الحديث وسنده صحيح وللترمذى من حديث ابى امامة عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا الحديث (٢) حديث الحسن مرسلا فى شده الحجر على بطنه ابن ابى الدنيا ايضا هكذا وللبخارى من حديث انس رفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجر بن وقال حديث غريب

القامة والنصف الاسفل بحاله فى القيام من غير انطواء الركبتين ويجافي مرفقيه عن جنبيه ويمد عنقه مع ظهره ويضع راحتيه على ركبتيه منشورة الاصابع (روى) مصعب ابن سعد قال صليت الى جنب سعد بن مالك فجعلت يدى بين ركبتى وبين فخذى وطبقتهما فضرب بيدى وقال اضرب بكفيك على ركبتيك وقال يابنى انا كنا نفعل ذلك فامرنا أن نضرب بالاكف على الركب ويقول سبحان ربى العظيم ثلاثا وهو أدنى الكمال والكمال ان يقول احدى عشرة وما ياتى به من العدد يكون بعد التمكن من

وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلا وأكلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكان قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلا والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عاينتم الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله عز وجل يقول ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه متبعين لاوليائه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد * وقال بعض الحكماء الايام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما أحدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت مر الساعة بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذا عجنها الحكيم وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم أرشدنا الى الصواب وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال الدنيا وقتك الذي يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعته وأحداثه تتوالى على الانسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور وخطب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال يا أيها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانكم حمقى وان كنتم تكذبون به فانكم هلكى انما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل وقال علي كرم الله وجهه في خطبته أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقا وكأنهم قد قطعوه وأفضوا الى علم فكأنهم بلغوه وكم عسى أن يجرى المجرى حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والادب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وانه لم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الآخرة انها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ونظروا الى الآخرة بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون اليها بأعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون اليها بأبدانهم تعبوا قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم

﴿ بيان صفة الدنيا بالامثلة ﴾

اعلم ان الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند

الركوع ومن غير أن يمزج آخر ذلك بالرفع ويرفع يديه للركوع والرفع من الركوع ويكون في ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو أقرب الى الخشوع من النظر الى موضع السجود وانما ينظر الى موضع سجوده في قيامه ويقول بعد التسبيح اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري وعظمي ومخي وعصبي ويكون قلبه في الركوع متصفا بمعنى الركوع من التواضع والاخبات ثم يرفع رأسه قائلا سمع الله لمن حمده عالما بقلبه ما يقول فاذا استوى قائما يحمد ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت

انقضائها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن متحرك فى الحقيقة ساكن فى الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصرى رحمه الله أنشد وقال

احلام نوم أو كظل زائل * ان اللبيب بمثلها لا يخدع

وكان الحسن بن على بن ابى طالب كرم الله وجهه يتمثل كثيرا ويقول

يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها * ان اغترارا بظل زائل حمق

وقيل ان هذا من قوله ويقال ان اعرابيا نزل بقوم فقدموا اليه طعاما فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فاصابته الشمس فانتبه فقام وهو يقول

الا انما الدنيا كظل ثنية * ولا بد يوما ان ظلك زائل

وكذلك قيل وان امرأ دنياه أكبر همه * لمستمسك منها بحبل غرور

(مثال آخر للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها بعد افلاتها) تشبه خيالات المنام وأضغاث الاحلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون وقال يونس بن عبيد ماشبهت نفسى فى الدنيا الا كرجل نام فرأى فى منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك اذ انتبه فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بايديهم شئ مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لبعض الحكماء اى شئ اشبه بالدنيا قال احلام النائم (مثال آخر للدنيا فى عداوتها لاهلها واهلاكها لبنيها) اعلم ان طبع الدنيا التلطف فى الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك آخرا وهى كامرأة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم وقد روى ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها فى صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك أم كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر (مثال آخر للدنيا فى مخالفة ظاهرها لباطنها) اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهى شبه عجوز متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم فى الاغترار بظاهرها وقال العلاء بن زياد رأيت فى المنام عجوزا كبيرة متعصبة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون اليها فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من أنت قالت أو ما تعرفنى قلت لا أدرى من أنت قالت أنا الدنيا قلت اعوذ بالله من شرك قالت ان احببت ان تعاذ من شرى فابغض الدرهم وقال ابو بكر بن عياش رايت الدنيا فى النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحذائى اقبلت على فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ماصنعت بهؤلاء ثم بكى ابو بكر وقال رأيت هذا قبل ان اقدم الى بغداد وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلائق فيقال لهم اتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تناحرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم يقذف بها فى جهنم فتنادى اى رب اين اتباعى واشياعى فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها واشياعها وقال الفضيل بلغنى ان رجلا عرج بروحه فاذا امراة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلى والثياب واذا لا يمر بها احد الاجرحته فاذا هى ادبرت كانت احسن شئ رآه الناس واذا هى اقبلت كانت اقبح شئ رآه الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال فقلت اعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله منى حتى تبغض الدرهم قال فقلت من انت قالت انا الدنيا (مثال آخر للدنيا وعبور الانسان بها) اعلم ان الاحوال ثلاثة حالة لم تكن فيها شيأ وهى ماقبل وجودك الى الازل وحالة لا تكون فيها مشاهد الدنيا وهى ما بعد موتك الى الابد وحالة متوسطة بين الابد والازل

(١) حديث الدنيا حلم واهلها عليها مجازون ومعاقبون لم اجد له اصلا

من شئ بعد ثم يقول اهل الثناء والمجد احق ماقال العبد وكانا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد فان اطال فى النافلة القيام بعد الرفع من الركوع فليقل لربى الحمد مكررا ذلك مهما شاء فاما فى الفرض فلا يطول تطويلا يزيد على الحد زيادة بينة ويقنع فى الرفع من الركوع بتمام الاعتدال باقامة الصلب (ورد) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا ينظر الله الى من لا يقيم صلبه بين الركوع والسجود ثم يهوى ساجدا ويكون فى هويه مكبرا مستيقظا حاضرا خاشعا عالما بما يهوى فيه واليه وله فمن

وهي أيام حياتك فى الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفى الازل والابد حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير فى سفر بعيد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) مالى وللدنيا وانما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب سار فى يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف انقضت أيامه فى ضر وضيق أو فى سعة ورفاهية بل لا يبنى لبنة على لبنة توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة (٣) ورأى بعض الصحابة يبنى بيتا من جص فقال أرى الامر أعجل من هذا وأنكر ذلك والى هذا اشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهو مثال واضح فان الحياة الدنيا معبر الى الآخرة والمهد هو الميل الاول على رأس القنطرة واللحد هو الميل الآخر وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان فلابد له من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها باصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان ﴿مثال آخر للدنيا فى لين موردها وخشونة مصدرها﴾ اعلم ان اوائل الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائض فيها أن حلاوة خفضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فان الخوض فى الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب على رضى الله عنه الى سلمان الفارسى بمثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها بما أيقنت من فراقها وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور أشخصه عنه مكروه والسلام ﴿مثال آخر للدنيا فى تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) انما مثل صاحب الدنيا كالماشى فى الماء هل يستطيع الذى يمشى فى الماء ان لا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون فى نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم منها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا من أعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشى على الماء يقتضى بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضى علاقة وظلمة فى القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا وبحق أقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعب ويتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ وبحق أقول لكم ان الزق ما لم ينخرق او يقحل يوشك ان يكون وعاء للعسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات او يدنسها الطمع او يقسيها النعيم فسوف تكون اوعية للحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم (٥) انما بقى من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله ﴿مثال آخر لما بقى من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق﴾ قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى آخره فبقى

الساجدين من يكاشف أنه يهوى الى تخوم الارضين متغيبا فى أجزاء الملك لامتلاء قلبه من الحياء واستشعار روحه عظيم الكبرياء كما ورد ان جبريل عليه السلام تستر بخافية من جناحه حياء من الله تعالى ومن الساجدين من يكاشف أنه يطوى بسجوده بساط الكون والمكان ويسرح قلبه فى فضاء الكشف والعيان فتهوى دون هويه أطباق السموات وتنمحى لقوة شهوده تماثيل الكائنات ويسجد على طرف رداء العظمة وذاك أقصى ما ينتهى اليه طائر الهمة البشرية وتفى بالوصول اليه القوى الانسانية ويتفاوت الانبياء والاولياء فى مراتب

(١) حديث مالى وللدنيا انما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب الحديث الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود بنحوه ورواه احمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس (٢) حديث ما وضع لبنة على لبنة الحديث ابن حبان فى الثقات وللطبرانى فى الاوسط من حديث عائشة بسند ضعيف من سأل عنى اوسره ان ينظر الى فلينظر الى أشعث شاحب مشمر لم يضع لبنة على لبنة الحديث (٣) حديث رأى بعض أصحابه يبنى بيتا من جص فقال ارى الامر أعجل من هذا ابو داود والترمذى من حديث عبدالله بن عمرو وقال حسن صحيح (٤) حديث انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشى فى الماء الحديث ابن ابى الدنيا والبيهقى فى الشعب من رواية الحسن قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره ووصله البيهقى فى الشعب وفى الزهد من رواية الحسن عن انس (٥) حديث انما بقى من الدنيا بلاء وفتنة الحديث ابن ماجه من حديث معاوية فرقه فى موضعين ورجاله ثقات (٦) حديث مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من اوله الى آخره ابو الشيخ ابن حبان فى الثواب وابو نعيم فى الحلية

متعلقا بخيط فى آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع ﴿ مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك ﴾ قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله (مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا أولها ولنضارة أوائلها وخبث عواقبها) اعلم ان شهوات الدنيا فى القلب لذيذة كشهوات الاطعمة فى المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا فى قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت فى المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان الذ طعما وا كثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه أقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة فى القلب هى اشهى والذ واقوى فنتنها وكراهتها والتاذى بها عند الموت اشد بل هى فى الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره واخذ اهله وماله وولده فتكون مصيبته وألمه وتفجعه فى كل ما فقد بقدر لذته به وحبه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود اشهى عنده والذ فهو عند الفقد ادهى وأمر ولا معنى للموت الا فقد ما فى الدنيا وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم [١] قال للضحاك بن سفيان الكلابى ألست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالام يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن آدم وقال ابى ابن كعب [٢] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر الى ما يخرج من ابن آدم وان قزحه وملحه آلام يصير وقال صلى الله عليه وسلم [٣] ان الله ضرب الدنيا المطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وان قزحه وملحه وقال الحسن قد رأيتهم يطيبونه بالافاويه والطيب ثم يرمون به حيث رأيتم وقد قال الله عز وجل فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه وقال رجل لابن عمر انى أريد ان اسالك واستحيى قال فلا تستحيى واسال قال اذا قضى احدنا حاجته فقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر الى ما بخلت به انظر الى ماذا صار وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى ارىكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم ﴿ مثال آخر فى نسبة الدنيا الى الآخرة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤] ما الدنيا فى الآخرة الا كمثل ما يجعل احدكم أصبعه فى اليم فلينظر احدكم بم يرجع اليه (مثال آخر للدنيا واهلها فى اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها) اعلم ان اهل الدنيا مثلهم فى غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج الى قضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا فى نواحى الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فاخذ اوسع الاماكن والينها وأوفقها لمراده وبعضهم توقف فى الجزيرة ينظر الى انوارها وازهارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة والحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من بريتها احجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظر بن بحسن زبرجدها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الامكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة فلم يجد فى السفينة الامكانا ضيقا وزاده ما حمله من الحجارة ضيقا وصار ثقيلا عليه وو بالا فندم على اخذه

المعظمة واستشعار كنهها لكل منهم على قدره حظ من ذلك وفوق كل ذى علم عليم ومن الساجدين من يتسع وعاؤه وينتشر ضياؤه ويحظى بالصنفين ويبسط الجناحين فيتواضع بقلبه اجلالا ويرفع بروحه اكراما وافضالا فيجتمع له الانس والهيبة والحضور والغيبة والفرار والقرار والاسرار والجهار فيكون فى سجود سابحا فى بحر شهوده لم يتخلف منه عن السجود شعرة كما قال سيد البشر فى سجود مسجد لك سوادى وخيالى ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها الطوع للروح والقلب لما فيهما من الاهلية والكره من النفس لما فيها من

والبيهقى فى شعب الايمان من حديث انس بسند ضعيف (١) حديث انه قال للضحاك بن سفيان الكلابى الست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح الحديث وفيه فان الله ضرب مثل الدنيا لما يصير اليه طعام ابن آدم أحمد والطبرانى من حديثه بنحوه وفيه على ابن زيد بن جدعان مختلف فيه (٢) حديث ابى بن كعب ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم الحديث الطبرانى وابن حبان بلفظ ان مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا ورواه عبد الله بن أحمد فى زياداته بلفظ جعل (٣) حديث ان الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا الحديث الشطر الاول منه غريب والشطر الاخير هو الذى تقدم من حديث الضحاك بن سفيان ان الله ضرب ما يخرج من بنى آدم مثلا للدنيا (٤) حديث ما الدنيا فى الآخرة الا كمثل ما يجعل احدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع اليه مسلم من حديث المستورد بن شداد

ولم

ولم يقدر على رميه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله فى السفينة على عنقه وهومتأسف على أخذه وليس ينفعه التأسف و بعضهم تولج الغياض ونسى المركب و بعد فى متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله بأكل تلك الثمار واستشمام تلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهومع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولامنفك عن شوك ينشب بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل فى رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه و يهتك عورته و يمنعه عن الانصراف لوأراده فلما بلغه نداء اهل السفينة انصرف مثقلا بما معه ولم يجد فى المركب موضعا فبقى فى الشط حتى مات جوعا و بعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات فى الاوحال ومنهم من نهشته الحيات فتفرقوا كالجيف المنتنة واما من وصل الى المركب بثقل ما اخذه من الازهار والاحجار فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت تلك الازهار وكدت تلك الالوان والاحجار فظهر نتن رائحتها فصارت مع كونها مضيقة عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة الا ان القاها فى البحرهربا منها وقد أثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت عليه الاسقام بتلك الروائح فبلغ سقيما مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اولا وجد المكان الاوسع ووصل الى الوطن سالما فهذا مثال اهل الدنيا فى اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امورهم وما اقبح من يزعم انه بصير عاقل ان تغره احجار الارض وهى الذهب والفضة وهشيم النبت وهى زينة الدنيا وشىء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلاو بالا عليه وهو فى الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم الا من عصمه الله عزوجل *(مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم)* قال الحسن رحمه الله (١) بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلى ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثرا وما بقى انفدوا الزاد وخسروا الظهر و بقوا بين ظهرانى المفازة ولا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينماهم كذلك اذ خرج عليهم رجل فى حلة تقطر رأسه فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال ياهؤلاء فقالوا ياهذا فقال علام انتم فقالوا على ماترى فقال أرأيتم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيأ قال عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيأ قال فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ماشاء الله ثم قال ياهؤلاء قالوا ياهذا قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا انا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا وقالت طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيأ وقد صدقكم فى اول حديثه فوالله ليصدقنكم فى آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فاصبحوا بين اسير وقتيل *(مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها)* اعلم ان مثل الناس فيما اعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه و يتركه لمن يلحقه لا ليتملكه و يأخذه فجهل رسمه وظن انه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وانشراح صدر وكذلك من عرف سنة الله فى الدنيا علم انها دار ضيافة سلبت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها و ينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون

(١) حديث الحسن بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلى ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء الحديث ابن ابى الدنيا هكذا بطوله ولاحمد والبزاز والطبرانى من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه فيما يرى النائم ملكان الحديث وفيه فقال اى احد الملكين ان مثل هذا ومثل امته كمثل قوم سفر انتهوا الى راس مفازة فذكر نحوه اخصر منه واسناده حسن

الاجنبية و يقول فى سجوده سبحان ربى الاعلى ثلاثا الى العشر الذى هو الكمال و يكون فى السجود مفتوح العينين لانهما يسجدان وفى الهوى يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأنفه و يكون ناظرا نحو أرنبة أنفه فى السجود فهو أبلغ فى الخشوع للساجد و يباشر بكفيه المصلى ولا يلفهما فى الثوب و يكون رأسه بين كفيه و يداه حذو منكبيه غير متيامن ومتياسر بهما و يقول بعد التسبيح اللهم لك سجدت و بك آمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه و بصره فتبارك الله احسن الخالقين

بالعوارى ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه

﴿ بيان حقيقة الدنيا وماهيتها فى حق العبد ﴾

اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا تكفيك مالم تعرف الدنيا المذمومة ماهى وما الذى ينبغى أن يجتنب منها وما الذى لا يجتنب فلا بد وان نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ماهى فنقول دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك فالقريب الدانى منها يسمى دنيا وهو كل ماقبل الموت والمتراخى المتأخر يسمى آخرة وهو مابعد الموت فكل مالك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهى الدنيا فى حقك الا ان جميع مالك اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة اقسام ﴿ القسم الاول ﴾ مايصحبك فى الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيآن العلم والعمل فقط وأعنى بالعلم العلم بالله وصفاته وافعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه واعنى بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمطعم والمنكح فى لذته لانه أشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حظا عاجلا فى الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الآخرة وكذلك العابد قد يانس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث يحول بينى و بين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقنى قوة الصلاة والركوع والسجود فى القبر فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعنى بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل مايدخل فى الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود انما يكون فى الدنيا ولذلك اضافها الى الدنيا الا انا لسنا فى هذا الكتاب نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا ﴿ القسم الثانى ﴾ وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل مافيه حظ عاجل ولا ثمرة له فى الآخرة أصلا كالتلذذ بالمعاصى كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة فى جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجوارى والخيول والمواشى والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذا كله هى الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا أو فى محل الحاجة نظر طويل اذ روى عن عمر رضى الله عنه انه استعمل ابا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه عمر من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عويمر قد كان لك فى بناء فارس والروم ماتكتفى به عن عمران الدنيا حين اراد الله خرابها فاذا أتاك كتابى هذا فقد سيرتك الى دمشق انت وأهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتأمل فيه ﴿ القسم الثالث ﴾ وهو متوسط بين الطرفين كل حظ فى العاجل معين على اعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل مالا بد منه ليتاتى للانسان البقاء والصحة التى بها يتوصل الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثانى وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات صفاء القلب اعنى طهارته عن الادناس وأنسه بذكر الله تعالى وحبه لله عز وجل وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه

وروى أمير المؤمنين على رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى سجوده ذلك وان قال سبوح قدوس رب الملائكة والروح فحسن روت عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى سجوده ذلك ويجافى مرفقيه عن جنبيه ويوجه أصابعها فى السجود نحو القبلة ويضم أصابع كفيه مع الابهام ولا يفرش ذراعيه على الارض ثم يرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى موجها بالاصابع الى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تسكلف

(١) حديث حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة النسائى والحاكم من حديث انس دون قوله ثلاث وتقدم فى النكاح

والحب

والحب لايحصل الا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله الا بدوام الفكر وهي الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت * أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد و بين عذاب الله كما ورد في الاخبار [١] ان أعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث وأما الانس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان العبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لايكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن دوام الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وأفلت من السجن وخلى بينه و بين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع آمنا من العوائق وكيف لايكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه و بينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه ولذلك قيل

ماحال من كان له واحد * غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذا سالك طريق الآخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا و يبغض اليه ملاذها و يقطعه عنها وكل ذلك لايمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لاتنال الا بقوت وملبس ومسكن و يحتاج كل واحد الى أسباب فالقدر الذي لابد منه من هذه الثلاثة اذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة وان أخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى مايعرض صاحبه لعذاب الآخرة و يسمى ذلك حراما والى مايحول بينه و بين الدرجات العلا و يعرضه لطول الحساب و يسمى ذلك حلالا والبصير يعلم أن طول الموقف في عرصات القيامة لاجل المحاسبة أيضا عذاب [٢] فمن نوقش الحساب عذب اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] حلالها حساب وحرامها عذاب وقد قال أيضا حلالها عذاب الا انه عذاب اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان مايفوت من الدرجات العلا في الجنة ومايرد على القلب من التحسر على تفو يتها لحظوظ حقيرة خسيسة لابقاء لها هو أيضا عذاب وقس به حالك في الدنيا اذا نظرت الى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بانها سعادات منصرمة لابقاء لها ومنغصة بكدورات لاصفاء لها فما حالك في فوات سعادة لايحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر او بالنظر الى خضرة أوشربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة أضعافه وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه [٤] هذا من النعيم الذي تسئل عنه أشار به الى الماء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر رضي الله عنه اعزلوا عني حسابها حين كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فاداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة الا ما أعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى وأتقن كان حذره من نعيم الدنيا أشد حتى ان عيسى عليه السلام وضع على رأسه على حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان

---

(١) حديث مناضلة أعمال العبد عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل فدفع عنه الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن سمرة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن المخزومي ضعفه البخاري وأبو حاتم ولاحمد من حديث اسماء بنت أبي بكر اذا دخل الانسان قبره فان كان مؤمنا أحف به عمله الصلاة والصيام الحديث واسناده صحيح (٢) حديث من نوقش الحساب عذب متفق من حديث عائشة (٣) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه موقوفا على علي بن أبي طالب باسناد منقطع بلفظ وحرامها النار ولم أجده مرفوعا (٤) حديث هذا من النعيم الذي تسئل عنه تقدم في الاطعمة

ضمهما وتفريجهما و يقول رب اغفرلي وارحمني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطيل هذه الجلسة في الفريضة أما في النافلة فلا بأس مهما أطال قائلا رب اغفر وارحم مكررا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا و يكره الاقعاء في القعود وهو ههنا أن يضع أليتيه على عقبيه ثم اذا أراد النهوض الى الركعة الثانية يجلس جلسة خفيفة للاستراحة و يفعل في بقية الركعات هكذا ثم يتشهد وفي الصلاة سر المعراج وهو معراج القلوب والتشهد مقر الوصول بعد قطع مسافات الهيآت على تدريج طبقات السموات

عليه السلام فى ملكه كان يطعم الناس لذائذ الاطعمة وهو يأكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتهانا وشدة فان الصبر عن لذائذ الاطعمة مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روى أن الله تعالى (١) زوى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى أياما (٢) وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه و يلزمه ألم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا أن كل ماليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذى هو لله فاقول الاشياء ثلاثة أقسام منها مالا يتصور أن يكون لله وهو الذى يعبر عنه بالمعاصى والمحظورات وأنواع التنعمات فى المباحات وهى الدنيا المحضة المذمومة فهى الدنيا صورة ومعنى ومنها ماصورته لله ويمكن أن يجعل لغير الله وهو ثلاثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاثة اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهى لله وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال أو الحمية لصحة البدن والاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورته أنه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه و بقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم (٣) من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقى الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذى لا حاجة اليه لامر الآخرة و يعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى ومجامع الهوى خمسة أمور وهى ماجمعه الله تعالى فى قوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد والاعيان التى تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا فقد عرفت أن كل ماهو لله فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت ومالا بد منه من مسكن وملبس هو لله ان قصد به وجه الله والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله و بين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف يزاحم جانب التنعم و يقرب منه و ينبغى أن يحذر منه و بينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه والحزم فى الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما أمكن اقتداء بالانبياء والاولياء عليهم السلام اذ كانوا يردون أنفسهم الى حد الضرورة حتى ان أويسا القرنى كان يظن أهله انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان يأتى عليهم السنة والسنتان والثلاث لا يرون له وجها وكان يخرج أول الاذان و يأتى الى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه أن يلتقط النوى وكلما أصاب حشفة خبأها لافطاره وان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى بثمنه ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من المزابل من قطع الاكسية فيغسلها فى الفرات و يلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها فكان ذلك

(١) حديث زوى الله الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى أياما محمد بن خفيف فى شرف الفقراء من حديث عمر بن الخطاب قال قلت يارسول الله عجبا لمن بسط الله لهم الدنيا وزواها عنك الحديث وهو من طريق ابن اسحاق معنعنا وللترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله الحديث قال الترمذى حسن صحيح (٢) حديث كان يشد الحجر على بطنه من الجوع تقدم (٣) حديث من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقى الله وهو عليه غضبان الحديث أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

والتحيات سلام على رب البريات فليذهن لما يقول و يتأدب مع من يقول ويدور كيف يقول و يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم و يمثله بين عينى قلبه و يسلم على عباد الله الصالحين فلا يبقى عبد فى السماء ولا فى الارض من عباد الله الا و يسلم عليه بالنسبة الروحية والخاصية الفطرية و يضع يده اليمنى على فخذه اليمنى مقبوضة لاصابع الا المسبحة ويرفع المسبحة فى الشهادة فى الا الله لا فى كلمة النفى ولا يرفعها منتصبة بل مائلة برأسها الى الفخذ منطوية فهذه هيئة خشوع المسبحة ودليل سراية خشوع القلب اليها و يدعو فى آخر صلاته لنفسه

لباسه وكان ر بما مر بالصبيان فيرمونه ويظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم ولا بدان ترموني فارموني باحجار صغار فاني أخاف ان تدموا عقبي فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب الماء فهكذا كانت سيرته ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فقال (١) اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن اشارة اليه رحمه الله ولما ولي الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ايها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجلا واحدا فقال له عمر أقرني انت فقال نعم فقال أتعرف او يس بن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وماذاك تسال عنه يا أمير المؤمنين والله مافينا أحمق منه ولا أجن منه ولا اوحش منه ولا ادنى منه فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال ماقلت ماقلت الا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن هم الا ان أطلب او يسا القرني واسال عنه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال عرفته بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الرأس كث اللحية متغير اجدا كريه الوجه متهيب المنظر قال فسلمت عليه فرد على السلام ونظر الي فقلت حياك الله من رجل ومددت يدي لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت رحمك الله يا اويس وغفرلك كيف انت رحمك الله ثم خنقتني العبرة من حبي اياه و رقتي عليه اذ رأيت من حاله مارأيت حتى بكيت و بكى فقال وانت فحياك الله ياهرم بن حيان كيف انت يا أخي ومن دلك على قال قلت الله فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فعجبت حين عرفني ولا والله رايته قبل ذلك ولا رآني فقلت من أين عرفت اسمي واسم ابي وما رأيتك قبل اليوم قال نبأني العليم الخبير وعرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ان الار واح لها انفس كأنفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا و يتحابون بروح الله وان لم يلتقوا يتعارفون و يتكلمون وان نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث أسمعه منك قال اني لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لي معه صحبة بابي وأمي رسول الله ولكن رأيت رجالا قد صحبوه و بلغني من حديثه كما بلغك ولست أحب ان أفتح على نفسي هذا الباب ان أكون محدثا اومفتيا اوقاضيا في نفسي شغل عن الناس ياهرم بن حيان فقلت يا أخي اقرأ علي آية من القرآن اسمعها منك وادع لي بدعوات وأوصني بوصية احفظها عنك فاني احبك في الله حبا شديدا قال فقام واخذ بيدي على شاطئ الفرات ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه واصدق الكلام كلامه ثم قرأ وماخلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى قوله انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه ثم قال ياابن حيان مات أبوك حيان و يوشك ان تموت فاما الى جنة واما الى نار ومات أبوك آدم وماتت امك حواء ومات نوح ومات ابراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم رسول رب العالمين ومات ابو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب أخي وصفي ثم قال ياعمراه ياعمراه قال فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت قال فقد نعاه الي ربي ونعى الي نفسي ثم قال انا وانت في الموتى كأنه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيتي اياك ياهرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين فقد نعيت الى نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين

والمؤمنين ان كان اماما ينبغي ان لا ينفرد بالدعاء بل يدعو لنفسه ولمن ورائه فان الامام المتيقظ في الصلاة كحاجب دخل على سلطان ووراءه اصحاب الحوائج يسال لهم و يعرض حاجاتهم والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا و بهذا وصفهم الله تعالى في كلامه بقوله سبحانه كأنهم بنيان مرصوص وفي وصف هذه الامة في الكتب السالفة صفهم في صلاتهم كصفهم في قتالهم (حدثنا) بذلك شيخنا ضياء الدين ابو النجيب السهر وردي املاء قال انا أبو عبد الرحمن محمد بن عيسى بن شعيب الماليني قال انا أبو الحسن عبد الرحمن بن

(١) حديث اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن أشار به الى أويس القرني. تقدم في قواعد العقائد لم اجد له اصلا

(٢) حديث عمر يدخل الجنة في شفاعته مثل ربيعة ومضر يريد أو يسا ورو يناه في جزء ابن السماك من حديث أبي أمامة يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي اكثر من ربيعة ومضر واسناده حسن وليس فيه ذكر لأويس بل في آخره فكان المشيخة يرون ان ذلك الرجل عثمان بن عفان

مابقيت وانذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح للامة جميعا واياك أن تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وأنت لاتعلم فتدخل النار يوم القيامة ادع لى ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبنى فيك وزارنى من أجلك فعرفنى وجهه فى الجنة وأدخله على فى دارك دار السلام واحفظه مادام فى الدنيا حيثما كان وضم عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما اعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال استودعتك الله ياهرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبنى فانى أكره الشهرة والوحدة أحب الى انى كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس مادمت حيا فلا تسأل عنى ولا تطلبنى واعلم انك منى على بال وان لم أرك ولم ترنى فاذكرنى وادع لى فانى ساذكرك وادعو لك ان شاء الله انطلق أنت ههنا حتى أنطلق انا ههنا فحرصت ان أمشى معه ساعة فابى على وفارقته فبكى وأبكانى وجعلت انظر فى قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا يخبرنى عنه بشئ رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة ابناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق فى بيان الدنيا ومن سيرة الانبياء والاولياء ان حد الدنيا كل ما أظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو ان الحاج اذا حلف انه فى طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل مالابد للحج منه لم يحنث فى يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشئ من هذه الاسباب كان منحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسى كنت على باب بنى شيبة فى المسجد الحرام سبعة ايام طاويا فسمعت فى الليلة الثامنة مناديا وانا بين اليقظة والنوم ألا من اخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج اليه أعمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا فى حقك فاعلم ذلك ترشد ان شاء الله تعالى

﴿ بيان حقيقة الدنيا فى نفسها وأشغالها التى استغرقت همم الخلق حتى انستهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم ﴾

اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله فى اصلاحها شغل فهذه ثلاثة امور قد يظن ان الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التى الدنيا عبارة عنها فهى الارض وماعليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم أحسن عملا فالارض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع ما على الارض ثلاثة اقسام المعادن والنبات والحيوان اما النبات فيطلبه الآدمى للاقتيات والتداوى واما المعادن فيطلبها للآلات والاوانى كالنحاس والرصاص وللنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم اما البهائم فيطلب منها لحومها للما كل وظهورها للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب الآدمى ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان اوليتمتع بهم كالجوارى والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذى يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هى الاعيان الذى يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى فى قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلئ واليواقيت وغيرها والخيل المسومة والانعام وهى البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه هى اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر بالدنيا ويدخل فى هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة فى الدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر وهذه هى الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهى الاعيان الذى ذكرناها * العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله

محمد المظفر الواعظ قال انا ابو محمد عبد الله بن احمد السرخسى قال انا ابو عمران عيسى بن عمر ابن العباس السمرقندى قال انا ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى قال انا مجاهد بن موسى قال ثنا معن هو ابن عيسى انه سأل كعب الاحبار كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه سلم فى التوراة قال نجد محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر لطيبة ويكون ملكه بالشام وليس بفحاش ولا سخاب فى الاسواق ولا يكافئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر امته الحمادون يحمدون الله فى كل سراء ويكبرون الله

باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهى جملة الصناعات والحرف التى الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التى سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التى يسير بها الى الله تعالى وأعنى بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم ومشرب وملبس ومسكن كما لا يبقى الجمل فى طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد فى الدنيا فى نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذى يقف فى منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب ويحمل اليها أنواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه فى البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من أمر الجمل الا القدر الذى يقوى به على المشى فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير فى سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء الا لضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام فى البطن وبين اخراجه من البطن فى أن كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل بطنه فقيمته ما يخرج منها وأكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن فان القوت ضرورى وأمر المسكن والملبس اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليه لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا فى كثرة الاشغال ونسوا مقاصدها ونحن نذكر تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس فى مقاصدها حتى تتضح لهم اشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف انستهم عاقبة امورهم فنقول الاشغال الدنيوية هى الحرف والصناعات والاعمال التى ترى الخلق منكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو ان الانسان مضطر الى ثلاث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع اسباب الهلاك عن الاهل والمال ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك للبهائم فان النبات يغذى الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر فى بدنه فيستغنى عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغنى عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هى اصول الصناعات واوائل الاشغال الدنيوية وهى الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء اما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من امر الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشى والخيل ايضا للمطعم والمركب والاقتناص نعنى به تحصيل ما خلقه الله من صيد اومعدن اوحشيش اوحطب فالفلاح يحصل النباتات والراعى يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمى وكذلك يأخذ من معادن الارض ما خلق فيها من غير صنعة آدمى ونعنى بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات واشغال عدة ثم هذه الصناعات تفتقر الى ادوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص والآلات انما تؤخذ امامن النبات وهو الاخشاب اومن المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلاثة أنواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الآلات ونعنى بالنجار كل عامل فى الخشب كيفما كان وبالحداد كل عامل فى الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابرى وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس فاما آحاد الحرف فكثيرة واما الخراز فنعنى به كل عامل فى جلود الحيوانات واجزائها فهذه امهات الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثانى التعاون على تهيئة اسباب المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضى الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد فى المنزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل بكل

على كل نجد يوضئون أطرافهم ويأتزرون فى أوساطهم يصفون فى صلاتهم كما يصفون فى قتالهم دويهم فى مساجدهم كدوى النحل يسمع مناديهم فى جو السماء فالامام فى الصلاة مقدمة الصف فى محاربة الشيطان فهو أولى المصلين بالخشوع والاتيان بوظائف الادب ظاهرا وباطنا والمصلون المتيقظون كلما اجتمعت ظواهرهم تجتمع بواطنهم وتتناصر وتتعاضد وتسرى من البعض الى البعض أنوار وبركات بل جميع المسلمين المصلين فى أقطار الارض بينهم تعاضد وتناصر بحسب القلوب ونسب الاسلام ورابطة الايمان بل يمدهم الله

واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج الى آلاتها وتحتاج الآلة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى حراسة القطن وآلات الحياكة والخياطة وآلات كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماع ثم لو اجتمعوا فى صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد والمطر واللصوص فافتقروا الى أبنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبما معه من الآلات والاثاث والمنازل تدفع الحر والبرد والمطر وتدفع اذى الجيران من اللصوصية وغيرها لكن المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر أهل المنازل الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس فى المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات اذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج الى قوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل أفضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت فاما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا فى المنزل واما أهل البلد أيضا فيتعاملون فى الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعى والاراضى والمياه وهى لا تفى باغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى أو مرض أو هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعا لهلك ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى فمنها صناعة المساحة التى بها تعرف مقادير الارض لتمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل الخصومة ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذى ينبغى أن يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى فى المعاملات وشروطها فهذه أمور سياسة لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتمييز والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة أخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج أهل البلد اليهم اذ لو اشتغل اهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم وارزاقهم الاموال الضائعة التى لا مالك لها ان كانت او تصرف الغنائم اليهم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة لصناعات اخر اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم رابطة انخرم النظام فتحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويراعى النصفة فى اخذ الخراج واعطائه واستعمال الجند فى الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقائد على كل طائفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم اهل السلاح وبعد الملك الذى يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم الحاجة الى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هؤلاء ايضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس فى الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثانية الجندية الحماة بالسيوف والثالثة المترددون بين الطائفتين فى الاخذ والعطاء وهم العمال والجباة وامثالهم فانظر كيف ابتدا الامر من حاجة القوت والملبس والمسكن والى ماذا انتهى وهكذا امور الدنيا لا يفتح منها باب الا وينفتح بسببه ابواب اخر وهكذا تتناهى الى غير حد محصور وكانها هاوية لا نهاية

تعالى بالملائكة الكرام كما امد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المسومين فحاجتهم الى محاربة الشيطان امس من حاجتهم الى محاربة الكفار ولهذا كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فتتداركهم الاملاك بل بانفاسهم الصادقة تتماسك الافلاك فاذا اراد الخروج من الصلاة يسلم على يمينه وينوى مع التسليم الخروج من الصلاة والسلام على الملائكة والحاضرين من المؤمنين ومؤمنى الجن ويجعل خده مبينا لمن على يمينه بالولاء عنقه ويفصل بين هذا السلام والسلام عن

لعمقها من وقع في هواتها سقط منها الى أخرى وهكذا على التوالى فهذه هى الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال والآلات والمال عبارة عن أعيان الارض وما عليها مما ينتفع بها وأعلاها الاغذية ثم الامكنة التى يأوى الانسان اليها وهى الدور ثم الامكنة التى يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم أثاث البيت وآلاته ثم آلات الآلات وقد يكون فى الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقر آلة الحراسة والفرس آلة الركوب فى الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج احدهما ان يبذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب الفلاح الغذاء بآلته ربما يحتاج الفلاح فى ذلك الوقت الى آلته فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام فى ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فتتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليترصد بها صاحبها أرباب الحاجات والى أبيات يجمع اليها ما يحمل الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الابيات ليترصد به أرباب الحاجات فظهرت لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها فى انتظار أرباب الحاجات طمعا فى الربح وكذلك فى جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الالات وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنتظم أمور الناس فى البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال لا محالة فيتبعون طول الليل والنهار فى الاسفار لغرض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذى يأكله لا محاله غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم جعل الله تعالى فى غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا فى الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التى تنقل لا يقدر الانسان على حملها فيحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لا تكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب ايضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة الى النقدين فان من يريد ان يشترى طعاما بثوب فمن اين يدرى المقدار الذى يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجرى فى اجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل احدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فمست الحاجة الى دار الضرب والصيارفة وهكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ما تراه فهذه اشغال الخلق وهى معاشهم وشئ من هذه الحرف لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب فى الابتداء وفى الناس من يغفل عن ذلك فى الصبا فلا يشتغل به او يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان يأكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية اذ يجمعهما انهما يأكلان من سعى غيرهما ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم اموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم فى استنباط الحيل والتدابير * اما اللصوص فنهم من يطلب اعوانا ويكون فى يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالاعراب والاكراد * واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب او التسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما بان يكون طرارا اوسلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجه الافكار المصروفة الى استنباطها * واما المكدى فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فمالك والبطالة فلا يعطى شيئا فافتقروا الى حيلة فى استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم فى البطالة فاحتالوا للتعلل

يسار فقد ورد النهى عن المواصلة والمواصلة خمس اثنان تختص بالامام وهو أن لا يوصل القراءة بالتكبير والركوع بالقراءة واثنان على المأموم وهو أن لا يوصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة على الامام والمأمومين وهو ان يوصل تسليم الفرض بتسليم النفل ويجزم التسليم ولا يمد مدا ثم يدعوا بعد التسليم بما يشاء من أمر دينه ودنياه ويدعو قبل التسليم أيضا فى صلب الصلاة فانه يستجاب ومن أقام الصلوات الخمس فى جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة وكل المقامات والأحوال زبدتها الصلوات الخمس

بالعجز امابالحقيقة كجماعة يعمون أولادهم وانفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعامى والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان تلك محنة اصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون اقوالا وافعالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخو برفع اليدعن قليل من المال فى حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع من حسن الصوت والشعر الموزون اشد تأثيرا فى النفس لاسيما اذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضائل أهل البيت اوالذى يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة الطبالين فى الاسواق وصنعة مايشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش الذى يخيل بائعه انها ادوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال وكاصحاب القرعة والفال من المنجمين و يدخل فى هذا الجنس الوعاظ والمكدون على رؤس المنابر اذا لم يكن وراءهم طائل علمى وكان غرضهم استمالة قلوب العوام واخذ اموالهم بانواع الكدية وانواعها تزيد على الف نوع والفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لاجل المعيشة فهذه هى اشغال الخلق واعمالهم التى اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكنهم نسوا فى اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فتاهوا وضلوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد ان كدرتها زحمة الاشتغالات بالدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة اوجه * فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امورهم فقالوا المقصود ان نعيش اياما فى الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فيأكلون ليكسبوا ثم يكسبون ليأكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم فى الدنيا ولاقدم فى الدين فانه يتعب نهارا ليأكل ليلا ويأكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السوانى فهو سفر لاينقطع الا بالموت * وطائفة اخرى زعموا انهم تفطنوا الامر وهو انه ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم فى الدنيا بل السعادة فى ان يقضى وطره من شهوة الدنيا وهى شهوة البطن والفرج فهؤلاء نسوا انفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذائذ الاطعمة يأكلون كما تأكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعادة فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر * وطائفة ظنوا ان السعادة فى كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم واتعبوا نهارهم فى الجمع فهم يتعبون فى الاسفار طول الليل والنهار و يترددون فى الاعمال الشاقة و يكتسبون و يجمعون ولا يأكلون الاقدر الضرورة شحا و بخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم وفى ذلك دأبهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض او يظفر به من يأكله فى الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبه ووباله وللآكل لذته ثم الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك ولا يعتبرون * وطائفة ظنوا ان السعادة فى حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة فهؤلاء يتعبون فى كسب المعاش و يضيقون على انفسهم فى المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسة و يزخرفون أبواب الدور ومايقع عليها ابصار الناس حتى يقال انه غنى وانه ذو ثروة و يظنون ان ذلك هى السعادة فهمتهم فى نهارهم وليلهم فى تعهد موقع نظر الناس * وطائفة اخرى ظنوا ان السعادة فى الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ امرهم بها على طائفة من الناس و يرون أنهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية المطلب وهذا اغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر فى آخرتهم ومعادهم ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا واضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن ونسوا ماتراد له هذه الامور الثلاثة والقدر الذى يكفى منها وانجرت بهم اوائل

في جماعة وهي سر الدين وكفارة المؤمن وتمحيص للخطايا على ماأخبرنا شيخنا شيخ الاسلام ضياء الدين أبو النجيب السهرودى رحمه الله اجازة قال أناأبومنصور محمد بن عبد الملك ابن خيرون قال أناأبو محمد الحسن ابن على الجوهرى اجازة قال اناأبو عمر محمد بن العباس بن زكريا قال ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال ثنا الحسين بن الحسن المروزى قال أناعبد الله ابن المبارك قال انايحيى بن عبدالله قال سمعت أبى يقول سمعت أبا هريرة رضى رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس كفارات للخطايا واقرؤا

أسبابها الى اواخرها وتداعى بهم ذلك الى مهاولم يمكنهم الرقى منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض فى شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم فى اودية الدنيا فلا يبالى الله فى اى واد اهلكه منها فهذا شان المنهمكين فى اشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم واضلهم فى الاعراض ايضا حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة ان الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد فى الدنيا أو لم يتعبد فرأوا ان الصواب فى ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند فهم يتهجمون على النار و يقتلون انفسهم بالاحراق و يظنون ان ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طائفة اخرى أن القتل لا يخلص بل لا بد اولا من اماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية وان السعادة فى قطع الشهوة والغضب ثم اقبلوا على المجاهدة وشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة و بعضهم فسد عقله وجن و بعضهم مرض وانسد عليه الطريق فى العبادة و بعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع فى الالحاد وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله وان الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة متعبد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا ان الله مستغن عن عبادة العباد و ظن طائفة ان المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد الى معرفة الله تعالى فاذا حصلت المعرفة فقد وصل و بعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعم انه ارتفع محلهم فى معرفة الله سبحانه عن ان يمتهنوا بالتكاليف وانما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصاؤها الى ما يبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فياخذ منها قدر الزاد وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شئ من الدنيا ولا يطلب كل شئ من الدنيا بل يعلم مقصوده كل ما خلق من الدنيا و يحفظه على حد مقصوده فياخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله تعالى بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر و بقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية وهم الصحابة فانه عليه السلام (١) لما قال الناجي منها واحدة قالوا يارسول الله ومن هم قال اهل السنة والجماعة فقيل ومن اهل السنة والجماعة قال ما انا عليه واصحابي وقد كانوا على النهج القصد وعلى السبيل الواضح الذى فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون و يهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم فى الامور تفريط ولا افراط بل كان امرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره فى مواضع والله أعلم تم كتاب ذم الدنيا والحمد لله اولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

(١) حديث افتراق الامة وفيه الناجي منهم واحدة قالوا ومن هم قال اهل السنة والجماعة الحديث الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار الا ملة واحدة فقالوا من هي يارسول الله قال ما انا عليه وأصحابي ولأبى داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهي الجماعة واسانيدها جياد

ان شئتم ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين

(الباب الثامن والثلاثون فى ذكر آداب الصلاة واسرارها)

أحسن آداب المصلى ان لا يكون مشغول القلب بشئ قل او كثر لان الاكياس لم يرفضوا الدنيا الا ليقيموا الصلاة كما امروا لان الدنيا واشغالها لما كانت شاغلة للقلب رفوضها غيرة على محل المناجاة ورغبة فى اوطان القربات واذعانا بالباطل لرب البريات لان حضور الصلاة بالظاهر اذعان الظاهر وفراغ القلب فى الصلاة عما سوى الله تعالى اذعان الباطل فلم يرو حضور الظاهر وتخلف الباطن حتى لا يختل اذعانهم

(كتاب ذم البخل وذم حب المال وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط * وكاشف الضر بعد القنوط * الذى خلق الخلق * ووسع الرزق * وأفاض على العالمين أصناف الاموال * وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال * ورددهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع والياس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع والاملاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم أيهم احسن عملا وينظر ايهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخرا وخولا والصلاة على محمد الذى نسخ بملته مللا وطوى بشريعته اديانا ونحلا وعلى آله واصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم تسليما كثيرا (اما بعد) فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف واسعة الارجاء والاكناف ولكن الاموال اعظم فتنها واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لاغنى لاحد عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة منها فان فقد المال حصل منه الفقر الذى يكاد ان يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذى تكون عاقبة امره الا خسران وبالجملة فهى لا تخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التى لا يقوى عليها الا ذوو البصائر فى الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ماذكرناه فى كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا فى المال خاصة بل فى الدنيا عامة اذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفى الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن فى هذا الكتاب فى المال وحده اذ فيه آفات وغوائل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحداهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما فى ايدى الناس وتشمر للحرف والصناعات مع الياس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحدهما مذمومة والاخرى محمودة وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونحن نشرح ذلك فى اربعة عشر فصلا ان شاء الله تعالى وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف فى المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر ان شاء الله تعالى

(بيان ذم المال وكراهة حبه)

قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وغبن خسرانا عظيما وقال عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وقال تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم الهاكم التكاثر * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ماذئبان ضاريان ارسلا فى زريبة غنم باكثر افسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه فى دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم

(كتاب ذم البخل وحب المال)

(١) حديث حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل لم اجده بهذا اللفظ وذكره بعد هذا بلفظ الجاه بدل الشرف (٢) حديث ما ذئبان ضاريان ارسلا فى زريبة غنم باكثر فسادا لها من حب المال والجاه فى دين الرجل المسلم الترمذى والنسائى فى الكبرى من حديث كعب بن مالك وقال ما ذئبان جائعان مكان ضاريان

فتنخرم عبوديتهم فيجتنب ان يكون باطنه مرتهنا بشىء ويدخل الصلاة (وقيل) من فقه الرجل أن يبدأ بقضاء حاجته قبل الصلاة ولهذا ورد اذا حضر العشاء والعشاء فقدموا العشاء على العشاء ولا يصلى وهو حاقن يطالبه البول ولا حازق يطالبه الغائط والحزق أيضا ضيق الخلق ولا يصلى أيضا وخفه ضيق يشغل قلبه فقد قيل لا رأى لحازق قيل الذى يكون معه ضيق وفى الجملة ليس من الأدب أن يصلى وعنده ما يغير مزاج باطنه عن الاعتدال كهذه الاشياء التى ذكرناها والاهتمام المفرط والغضب (وفى الخبر)

(١) هلك المكثرون الا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم (٢) وقيل يارسول الله اى امتك شر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وسلم (٣) سيأتى بعدكم قوم يأكلون اطايب الدنيا وألوانها ويركبون فره الخيل والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون اجمل الثياب والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم ورباً دون ربهم الى امرها ينتهون ولهواهم يتبعون فعزيمة من محمد عبد الله لمن ادركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم (٤) دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وسلم (٥) يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت (٦) وقال رجل يارسول الله مالى لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يارسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال صلى الله عليه وسلم (٧) اخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثانى الى قبره والثالث الى محشره فالذى يتبعه الى قبض روحه فهو ماله والذى يتبعه الى قبره فهو اهله والذى يتبعه الى محشره فهو عمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام مالك تمشى على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والمدر عندى سواء (٨) وكتب سلمان الفارسى الى ابى الدرداء رضى الله عنهما يا اخى اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تؤدى شكره فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد اديت

ولم يقولا فى زريبة وقالا الشرف بدل الجاه قال الترمذى حسن صحيح وللطبرانى فى الاوسط من حديث ابى سعيد ماذئبان ضاريان فى زريبة غنم الحديث وللبزار من حديث ابى هريرة ضاريان جائعان واسناد الطبرانى فيهما ضعيف (١) حديث هلك الاكثرون الا من قال به فى عباد الله هكذا وهكذا الحديث الطبرانى من حديث عبد الرحمن ابن ابزى بلفظ المكثرون ولم يقل فى عباد الله ورواه احمد من حديث ابى سعيد بلفظ المكثرون وهو متفق عليه من حديث ابى ذر بلفظ هم الاخسرون فقال ابوذر من هم فقال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا الحديث (٢) حديث قيل يارسول الله اى امتك شر قال الاغنياء غريب لم اجده بهذا اللفظ وللطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى الشعب من حديث عبد الله بن جعفر شرار امتى الذين ولدوا فى النعيم وغذوا به يأكلون الطعام الوانا وفيه اصرم بن حوشب ضعيف ورواه هناد بن السرى فى الزهد له من رواية عروة بن رويم مرسلا وللبزار من حديث ابى هريرة بسند ضعيف ان من شرار امتى الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم (٣) حديث سيأتى بعدكم قوم يأكلون اطايب الدنيا والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها الحديث بطوله الطبرانى فى الكبير والاوسط من حديث ابى امامة سيكون رجال من امتى يأكلون الوان الطعام ويشربون الوان الشراب ويلبسون الوان الثياب يتشدقون فى الكلام اولئك شرار امتى وسنده ضعيف ولم اجد لباقيه اصلا (٤) حديث دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر البزار من حديث انس وفيه هانئ بن المتوكل ضعفه ابن حبان (٥) حديث يقول العبد مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير وابى هريرة وقد تقدم (٦) حديث قال رجل يارسول الله مالى لا احب الموت الحديث لم اقف عليه (٧) حديث اخلاء ابن ادم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثانى الى قبره الحديث احمد والطبرانى فى الكبير والاوسط من حديث النعمان بن بشير باسناد جيد نحوه ورواه ابوداود الطيالسى وابو الشيخ فى كتاب الثواب والطبرانى فى الاوسط من حديث انس بسند جيد ايضا وفى الكبير من حديث سمرة بن جندب وللشيخين من حديث انس يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد الحديث (٨) حديث كتب سلمان الى ابى الدرداء وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى اطاع الله فيها وماله بين يديه الحديث قلت ليس هو من حديث سلمان انما هو من حديث ابى

لا يدخل أحدكم فى الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان فلا ينبغى للعبد ان يتلبس بالصلاة الا وهو على أتم الهيآت وأحسن لبسة المصلى سكون الاطراف وعدم الالتفات والاطراق ووضع اليمين على الشمال فما احسنها من هيئة عبد ذليل واقف بين يدى ملك عزيز وفى رخصة الشرع دون الثلاث حركات متواليات جائز وأرباب العزيمة يتركون الحركة فى الصلاة جملة وقد حركت يدى فى الصلاة وعندى شخص من الصالحين فلما انصرفت من الصلاة انكر على وقال عندنا ان العبد اذا وقف فى الصلاة ينبغى ان يبقى جمادا مجمدا لا يتحرك

حق الله ثم يجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفا به الصراط قال له ماله ويلك ألا أديت حق الله فى فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور وكل ما أوردناه فى كتاب الزهد والفقر فى ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذا كل ما ذكرناه فى ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال أعظم أركان الدنيا وانما نذكر الآن ما ورد فى المال خاصة قال صلى الله عليه وسلم (١) اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال صلى الله عليه وسلم (٢) لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا (الآثار) روي أن رجلا نال من أبى الدرداء وأراه سوأ فقال اللهم من فعل بى سوأ فاصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لابد وأن يفضى الى الطغيان ووضع على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما انك مالم تخرج عنى لا تنفعنى وروى ان عمر رضى الله عنه ارسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا أرسل اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمته فى اهل بيتها ورحمها وأيتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركن عطاء عمر بعد عامى هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد الا أذله الله وقيل ان أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدى حقا وقال سميط بن عجلان ان الدراهم والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيي بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل وما رقيته قال أخذه من حله ووضعه فى حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت لى الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك فقالت ان سرك ان يعيذك الله منى فابغض الدرهم والدينار وذلك لان الدرهم والدينار هم الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفى ذلك قيل

انى وجدت فلا تظنوا غيره * أن التورع عند هذا الدرهم

فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بان تقاك تقوى المسلم

وفى ذلك قيل أيضا

لا يغرنك من المرء * قميص رقعه او ازار فوق عظم الـ * ـساق منه رفعه

أوجبين لاح فيه * أثر قد خلعه أره الدرهم تعرف * حبه أوورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يا أمير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه احد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر أقعدونى فاقعدوه فقال اما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فانى لم امنعهم حقا لهم ولم أعطهم حقا لغيرهم وانما ولدى احد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله فلا ابالى على ما وقع وروى ان محمد بن كعب القرظى أصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكنى أدخره لنفسى عند ربى وادخر ربى لولدى ويروى ان رجلا قال لابى عبد ربه يا اخى لا تذهب بشر وتترك اولادك بخير فاخرج ابو عبد ربه من ماله مائة الف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسئل عنه كله

﴿ بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم ﴾

اعلم ان الله تعالى قد سمى المال خيرا فى مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز ان ترك خيرا الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء فى ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليهما الا به وقال تعالى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وقال تعالى ممتنا على عباده ويمددكم باموال وبنين

الدرداء أنه كتب الى سلمان كذا رواه البيهقى فى الشعب وقال بدل الدنيا المال وهو منقطع (١) حديث اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم الحديث البيهقى فى الشعب من حديث ابى هريرة يبلغ به وقد تقدم فى آداب الصحبة (٢) حديث لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا الترمذى والحاكم وصحح اسناده من حديث ابن مسعود بلفظ فترغبوا (٣) حديث نعم المال الصالح للرجل الصالح احمد والطبرانى فى الكبير والاوسط من حديث عمرو بن

منه شئ (وقد) جاء فى الخبر سبعة اشياء فى الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشئ من الشيطان ايضا وقيل السهو والشك (وقد روى) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال ان الخشوع فى الصلاة ان لا يعرف المصلى من على يمينه وشماله (ونقل عن سفيان) انه قال من لم يخشع فسدت صلاته وروى عن معاذ ابن جبل اشد من ذلك قال من عرف من عن يمينه وشماله فى الصلاة متعمدا فلا صلاة له وقال بعض العلماء من قرأ كلمة مكتوبة فى حائط او بساط فى صلاته فصلاته

ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال صلى الله عليه وسلم (١) كاد الفقر أن يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بعد الذم والمدح الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة تارة ويذم أخرى ولكن البصير المميز يدرك أن المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه فى كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو أن مقصد الاكياس وأرباب البصائر سعادة الآخرة التى هى النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا دأب الكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) من أكرم الناس وأكيسهم فقال أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا وهذه السعادة لا تنال الا بثلاث وسائل فى الدنيا وهى الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الاسباب وأعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجة فالخارجة أخسها والمال من جملة الخارجات وأدناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هى الجوهر النفيس المطلوب سعادتها وانها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصلها صفة فى ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق أن المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التى هى ضرورة بقاء البدن الذى هو ضرورة كمال النفس الذى هو خير ومن عرف فائدة الشىء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع وكان ما حصل له الغرض محمودا فى حقه فاذا المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح أن يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهى المقاصد الصادرة عن سعادة الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذا محمود مذموم محمود بالاضافة الى المقصد المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصد المذموم (٣) فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام (٤) اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض خيره وقال اللهم (٥) أحيني مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين واستعاذ ابراهيم صلى الله عليه وسلم فقال واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام وعنى بها هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة أجل من يخشى عليها أن تعتقد الالهية فى شىء من هذه الحجارة اذ قد كفى قبل النبوة عبادتها مع الصغر وانما معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون اليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم (٦) تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش فبين أن محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل من كان عبد الغير الله فهو عابد صنم أى من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كعابد صنم وهو شرك الا أن الشرك شركان شرك خفى

---

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا أبو مسلم الليثى فى سننه والبيهقى فى شعب الايمان من حديث أنس وقد تقدم فى كتاب ذم الغضب (٢) حديث من أكرم الناس وأكيسهم قال أكثرهم للموت ذكرا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ أى المؤمنين أكيس ورواه ابن أبى الدنيا فى الموت بلفظ المصنف واسناده جيد (٣) حديث من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر تقدم قبله بتسعة احاديث وهو بقية احذروا الدنيا (٤) حديث اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا متفق عليه من حديث أبى هريرة (٥) حديث اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا الترمذى من حديث أنس وابن ماجه والحاكم وصحح اسناده من حديث أبى سعيد وقد تقدم (٦) حديث تعس عبد الدنيار وتعس عبد الدرهم الحديث البخارى من حديث أبى هريرة ولم يقل وانتقش وانما علق آخره بلفظ تعس وانتكس ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم العاص بسند صحيح بلفظ نعما وقالا للمرء

باطلة قال بعضهم لان ذلك عدوه عملا وقيل فى تفسير قوله تعالى والذين هم على صلاتهم دائمون قيل هو سكون الاطراف والطمأنينة (قال) بعضهم اذا كبرت التكبيرة الاولى فاعلم ان الله ناظر الى شخصك عالم بما فى ضميرك ومثل فى صلاتك الجنة عن يمينك والنار عن شمالك وانما ذكرنا أن تمثل الجنة والنار لان القلب اذا شغل بذكر الآخرة ينقطع عنه الوسواس فيكون هذا التمثيل تداويا للقلب لدفع الوسوسة (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى اجازة قال أنا عمر ابن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر

لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فانه أخفى من ديبب النمل وشرك جلي يوجب الخلود في النار نعوذ بالله من الجميع

﴿ بيان تفصيل آفات المال وفوائده ﴾

اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه ان يحترز من شره ويستدر من خيره ﴿اما الفوائد﴾ فهي تنقسم الى دنيوية ودينية أما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشهورة مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها وأما الدينية فتنحصر جميعها في ثلاثة أنواع ﴿ النوع الاول ﴾ أن ينفقه على نفسه اما في عبادة او في الاستعانة على عبادة أما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من أمهات القربات والفقير محروم من فضلهما واما فيما يقويه على العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر كان القلب مصروفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين ومالا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط ﴿ النوع الثاني ﴾ ما يصرفه الى الناس وهو اربعة اقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض وأجرة الاستخدام * أما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفئ غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم * وأما المروءة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراها فان هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى المحتاج الا ان هذا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة والفتوة وهذا أيضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها * وأما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهو أيضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة * وأما الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو لا تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك الآخرة بالفكر والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فانت متعوب اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر مالا يتصور ان يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران ﴿ النوع الثالث ﴾ مالا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى ونصب الحباب في الطريق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية ﴿وأما الآفات﴾ فدينية ودنيوية أما الدينية فثلاث ﴿الاولى﴾ ان تجر الى المعاصي فان الشهوات متفاضلة والعجز قد يحول بين المرء والمعصية ومن العصمة ان لا يجد ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر القدرة عليها انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة أشد وفتنة السراء أعظم من فتنة

ابن خلف قال انا ابو عبد الرحمن قال سمعت ابا الحسين الفارسي يقول سمعت محمد بن الحسين يقول قال سهل من خلا قلبه عن ذكر الآخرة تعرض لوساوس الشيطان فاما من باشر باطنه صفو اليقين ونور المعرفة فيستغني بشاهده عن تمثيل مشاهدة قال ابو سعيد الخراز اذا ركع فالادب في ركوعه ان ينتصب ويدنو ويتدلى في ركوعه حتى لا يبقى منه مفصل الا وهو منتصب نحو العرش العظيم ثم يعظم الله تعالى حتى لا يكون في قلبه شيء أعظم من الله ويصغر في نفسه حتى يكون اقل من الهباء واذا رفع رأسه وحمد الله يعلم انه

(١) حديث ماوقى المرء عرضه به فهو صدقة ابو يعلى من حديث جابر وقد تقدم

الضراء ﴿الثانية﴾ انه يجر الى التنعم فى المباحات وهذا أول الدرجات فتى يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير و يلبس الثوب الخشن و يترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فى ملكه فاحسن أحواله أن يتنعم بالدنيا و يمرن عليها نفسه فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه و يجره البعض منه الى البعض فاذا اشتد أنسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات و يخوض فى المرا آة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياه و يتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد وان ينافقهم و يعصي الله فى طلب مرضاتهم فان سلم الانسان من الآفة الاولى وهى مباشرة الحظوظ فلا يسلم عن هذه أصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة و ينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والنميمة والغيبة وسائر المعاصي التى تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدي أيضا الى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه ﴿الثالثة﴾ وهى التى لا ينفك عنها أحد وهو أنه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام فى المال ثلاث آفات أن يأخذه من غير حله فقيل أن أخذه من حله فقال يضعه فى غير حقه فقيل ان وضعه فى حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فان أصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله والتفكر فى جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي و يصبح متفكرا فى خصومة الفلاح ومحاسبته وفى خصومة الشركاء ومنازعتهم فى الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان فى الخراج وخصومة الاجراء على التقصير فى العمارة وخصومة الفلاحين فى خياناتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا فى خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره فى العمل وتضييعه المال و كذلك صاحب المواشي وهكذا سائر أصناف الاموال وأبعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفى كيفية حفظه وفى الخوف مما يعثر عليه وفى دفع أطماع الناس عنه واودية أفكار الدنيا لا نهاية لها والذى معه قوت يومه فى سلامه من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال فى الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب فى دفع الحساد وتجشم المصاعب فى حفظ المال و كسبه فاذا ترياق المال اخذ القوت منه وصرف الباقى الى الخيرات وما عدا ذلك سموم وآفات نسال الله تعالى السلامة وحسن العون بلطفه و كرمه انه على ذلك قدير

﴿بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما فى ايدي الناس﴾

اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه فى كتاب الفقر ولكن ينبغى ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما فى ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن و يقتصر على اقله قدرا واخسه نوعا و يرد امله الى يومه او الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق الى الكثير اوطول امله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوى الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروآت وقد جبل الادمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) لو كان لابن ادم واديان من ذهب لا بتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب (٢) وعن ابى واقد الليثى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوحى اليه اتيناه يعلمنا مما اوحى اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عزوجل يقول انا انزلنا المال لاقام الصلاة وايتاء الزكاة ولو كان لابن ادم وادمن ذهب لاحب ان يكون له ثان ولو كان الثانى لاحب ان يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف

(١) حديث لو كان لابن ادم واديان من ذهب لا بتغى لهما ثالثا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس وانس
(٢) حديث ابى واقد الليثى ان الله عز وجل يقول انا انزلنا المال لاقام الصلاة وايتاء الزكاة الحديث احمد والبيهقى فى الشعب بسند صحيح

سبحانه وتعالى يسمع ذلك ﴿وقال﴾ أيضا و يكون معه من الخشية ما يكاد يذوب به ﴿قال﴾ السراج اذا أخذ العبد فى التلاوة فالادب فى ذلك أن يشاهد و يسمع قلبه كانه يسمع من الله تعالى أو كانه يقرأ على الله تعالى وقال السراج أيضا من أدبهم قبل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والعوارض ونفى كل شيء غير الله تعالى فاذا قاموا الى الصلاة بحضور القلب فكانهم قاموا من الصلاة الى الصلاة فيكون مع النفس والعقل اللذين دخلوا فى الصلاة بهما فاذا اخرجوا من الصلاة رجعوا الى حالهم من حضور القلب فكانهم أبدا فى

ابن آدم الا التراب و يتوب الله على من تاب (١) وقال أبو موسى الاشعرى نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو ان لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب و يتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه وسلم (٢) منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وسلم (٣) يهرم ابن آدم و يشب معه اثنتان الامل وحب المال أو كما قال ولما كانت هذه جبلة للادمى مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم (٤) طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم (٥) مامن أحد فقير ولا غنى الا ود يوم القيامة أنه كان أوتى قوتا فى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم (٦) ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة فى الطلب فقال (٧) ألا أيها الناس أجملوا فى الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهى راغمة وروى ان موسى عليه السلام سال ربه تعالى فقال أى عبادك أغنى قال أقنعهم بما أعطيته قال فأيهم أعدل قال من أنصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) ان روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب وقال أبو هريرة قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٩) كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الانصارى ان اعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله عظنى وأوجز فقال (١٠) اذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا وأجمع اليأس مما فى أيدى الناس وقال عوف بن مالك الاشجعى كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (١١) تسعة أو ثمانية اوسبعة فقال ألا تبايعون رسول الله قلنا اوليس قد بايعناك يارسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتصلوا الخمس وان تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيأ قال

(١) حديث أبى موسى نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم لو أن لابن آدم واديين من مال الحديث مسلم مع اختلاف دون قوله ان الله يؤيد هذا الدين ورواه بهذه الزيادة الطبرانى وفيه على بن زيد متكلم فيه (٢) حديث منهومان لا يشبعان الحديث الطبرانى من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٣) حديث يهرم ابن آدم و يشب معه اثنتان الحديث متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به الترمذى وصححه والنسائى فى الكبرى من حديث فضالة بن عبيد ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو قد أفلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه (٥) حديث مامن احد غنى ولا فقير الا ود يوم القيامة انه كان أوتى فى الدنيا قوتا ابن ماجه من رواية نفيع بن الحارث عن أنس ونفيع ضعيف (٦) حديث ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس متفق عليه من حديث أبى هريرة (٧) حديث ألا أيها الناس أجملوا فى الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له الحاكم من صحيح جابر بنحوه وصحح اسناده وقد تقدم فى آداب الكسب والمعاش (٨) حديث ابن مسعود ان روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الحديث ابن أبى الدنيا فى القناعة والحاكم مع اختلاف وقد تقدم فيه (٩) حديث ابى هريرة كن ورعا تكن اعبد الناس الحديث ابن ماجه وقد تقدم (١٠) حديث ابى ايوب اذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه واجمع اليأس مما فى ايدى الناس ابن ماجه وتقدم فى الصلاة وللحاكم نحوه من حديث سعد بن ابى وقاص وقال صحيح الاسناد (١١) حديث عوف بن مالك كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة او ثمانية او تسعة فقال الا تبايعون الحديث وفيه ولا تسألوا الناس مسلم من حديثه ولم يقل فقال قائل ولا قال تسمعوا او قال سوط احدهم وهى عند ابى داود وابن ماجه كما ذكرها المصنف

الصلاة فهذا هو ادب الصلاة وقيل كان بعضهم لا يتهيأ له حفظ العدد من كمال استغراقه وكان يجلس واحد من أصحابه يعدد عليه كم ركعة صلى (وقيل) للصلاة أربع شعب حضور القلب فى المحراب وشهود العقل عند الملك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخضوع الاركان بلا ارتقاب لان عند حضور القلب رفع الحجاب وعند شهود العقل رفع العتاب وعند حضور النفس فتح الابواب وعند خضوع الاركان وجود الثواب فمن أتى الصلاة بلا حضور القلب فهو مصل لاه ومن أتاها بلا شهود العقل فهو مصل ساه ومن أتاها بلا

فلقدكان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فلايسأل احدا ان يناوله اياه (الآثار) قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر وان الياس غنى وانه من يياس عما في ايدي الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفي ذلك قيل

العيش ساعات تمر * وخطوب ايام تكر * اقنع بعيشك ترضه
واترك هواك تعيش حر * فلرب حتف ساقه * ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى احد وقال سفيان خير دنياكم مالم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ماخرج من ايديكم وقال ابن مسعود مامن يوم الا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان انما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس ويروى ان الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت واذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما يأتيه ما قسم له من الرزق أو ما رزق وكتب بعض بني امية الى ابي حازم يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه فكتب اليه قد رفعت حوائجي الى مولاي فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني قنعت وقيل لبعض الحكماء اي شئ اسر للعاقل وايما شئ اعون على دفع الحزن فقال اسرها اليه ماقدم من صالح العمل واعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس غما الحسود واهناهم عيشا القنوع واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وفي ذلك قيل

أرفه ببال فتى امسى على ثقة * ان الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لايدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق في دهره شيئا يؤرقه

وقد قيل ايضا

حتى متى انا في حل وترحال * وطول سعي وادبار واقبال
ونازح الدار لاانفك مغتربا * عن الاحبة لايدرون ماحالي
بمشرق الارض طورا ثم مغربها * لايخطر الموت من حرصي على بالي
ولو قنعت أتاني الرزق في دعة * ان القنوع الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضي الله عنه ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى حلتان لشتائي وقيظي وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم ولا باوضعهم فوالله ما ادري ايحل ذلك أم لا كأنه شك في أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها وعاتب أعرابي أخاه على الحرص فقال يا أخي أنت طالب ومطلوب يطلبك من لاتفوته وتطلب انت ما قد كفيته وكأن ماغاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه كأنك يا أخي لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وفي ذلك قيل

اراك يزيدك الاثراء حرصا * على الدنيا كأنك لاتموت
فهل لك غاية ان صرت يوما * اليها قلت حسبي قد رضيت

وقال الشعبي حكي أن رجلا صاد قنبرة فقالت ماتريد ان تصنع بي قال اذبحك وآكلك قالت والله ما اشفي من قرم ولا اشبع من جوع ولكن اعلمك ثلاث خصال هي خير لك من اكلي اما واحدة فاعلمك وانا في يدك واما الثانية فاذا صرت على الشجرة واما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لاتلهفن على مافاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لاتصدقن بما لايكون انه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت ياشقي لوذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فعض على شفته وتلهف وقال هات

خضوع النفس فهو مصل خاطئ ومن أتاها بلا خشوع الاركان فهو مصل جاف ومن أتاها كما وصف فهو مصل واف (وقد ورد) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام العبد الى الصلاة المكتوبة مقبلا على الله بقلبه وسمعه وبصره انصرف من صلاته وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وان الله ليغفر بغسل الوجه خطيئة أصابها وبغسل يديه خطيئة أصابها وبغسل رجليه خطيئة أصابها حتى يدخل في صلاته وليس عليه وزر (وذكرت) السرقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي السرقة أقبح فقالوا الله ورسوله أعلم

الثالثة قالت أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على مافاتك ولا تصدقن بما لا يكون انا لحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر مالا يكون انه يكون وقال ابن السماك ان الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فاخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال ابو محمد اليزيدي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآني تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتها وقد أضفت اليهما ثالثا وأنشدني

اذا سد باب عنك من دون حاجة * فدعه لاخرى ينفتح لك بابها

فان قراب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوآت الامور اجتنابها

ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب * ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب مايذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه واما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب ان يفوتها شيء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم انفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان قال بعض الحكماء من عجيب امر الانسان انه لو نودي بدوام البقاء في ايام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له من اين تأكل قال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحا يأتيها بالطحين وأومأ بيده الى رحا اضراسه فسبحان القدير الخبير

﴿ بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة ﴾

اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلاثة اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة امور * الاول وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه ابواب الخرج ما امكنه ويرد نفسه الى مالا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع باي طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فيرد كل واحد الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الاصل في القناعة ونعني به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ان الله يحب الرفق في الامر كله وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ماعال من اقتصد وقال صلى الله عليه وسلم (٣) ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب وروى ان رجلا ابصر ابا الدرداء يلتقط حبا من الارض وهو يقول ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم (٤) الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزأ من النبوة وفي الخبر

(١) حديث ان الله يحب الرفق في الامر كله متفق عليه من حديث عائشة وتقدم (٢) حديث ماعال من اقتصد احمد والطبراني من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس بلفظ مقتصد (٣) حديث ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب البزار والطبراني وابو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث ابن عباس الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزء من النبوة ابو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتاخير وقال السمت الصالح وقال من خمسة وعشرين ورواه الترمذي وحسنه وحديث عبد الله بن سرجس وقال التؤدة بدل

فقال ان اقبح السرقة ان يسرق الرجل من صلاته قالوا كيف يسرق الرجل من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها ولا القراءة فيها (وروى) عن ابي عمرو بن العلاء انه قدم للامامة فقال لا اصلح فلما ألحوا عليه كبر فغشي عليه فقدموا اماما آخر فلما أفاق سئل فقال لما قلت استووا هتف بي هاتف هل استويت انت مع الله قط (وقال) عليه السلام ان العبد اذا احسن الوضوء وصلى الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك الله كما حفظتني ثم صعدت ولها نور حتى تنتهي الى السماء وحتى تصل الى الله

(١) التدبير نصف المعيشة وقال صلى الله عليه وسلم (٢) من اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله وقال صلى الله عليه وسلم (٣) اذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتؤدة فى الانفاق من أهم الامور * الثانى انه اذا تيسر له فى الحال ما يكفيه فلا ينبغى أن يكون شديد الاضطراب لاجل المستقبل و يعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذى قدر له لابد وأن يأتيه وان لم يشتد حرصه فان شدة الحرص ليست هى السبب لوصول الارزاق بل ينبغى أن يكون واثقا بوعد الله تعالى اذ قال عز وجل ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء و يقول ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض ور بما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل فى السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه فى الطلب خوفا من التعب و يضحك عليه فى احتماله التعب نقدا مع الغفلة عن الله لتوهم تعب فى ثانى الحال ور بما لا يكون وفى مثله قيل

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما (٤) لا تيأسا من الرزق ماتهزهزت رؤوسكما فان الانسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له (٥) لا تكثر همك مايقدر يكن وماترزق يأتك وقال صلى الله عليه وسلم (٦) ألا أيها الناس أجملوا فى الطلب فانه ليس لعبد الاما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهى راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى فى تقدير أرزاق العباد وان ذلك يحصل لامحالة مع الاجمال فى الطلب بل ينبغى أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب فان انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغى أن يضطرب قلبه لاجله وقال صلى الله عليه وسلم (٧) أبى الله أن يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب وقال سفيان اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا أى لا يترك التقى فاقدا لضرورته بل يلقى الله فى قلوب المسلمين أن يوصلوا اليه رزقه وقال المفضل الضبي قلت لاعرابى من أين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا اصدروا فبكى وقال لولم نعش الامن حيث ندرى لم نعش وقال أبو حازم رضى الله عنه وجدت الدنيا شيئين شيأ منهما هو لى فلن اعجله قبل وقته ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيأ منهما هو لغيرى فلذلك لم أناله فيما مضى فلا ارجوه فيما بقى يمنع الذى لغيرى منى كما يمنع الذى لى من غيرى ففى أى هذين أفنى عمرى فهذا دواء من جهة المعرفة لابد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر * الثالث أن يعرف مافى القناعة من عز الاستغناء ومافى الحرص والطمع من الذل فاذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته الى القناعة لانه فى الحرص لا يخلو من تعب وفى الطمع لا يخلو من ذل وليس فى القناعة الا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا

الهدى الصالح وقال من أربعة (١) حديث التدبير نصف المعيشة رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس وفيه خلاد بن عيسى جهله العقيلى ووثقه ابن معين (٢) حديث من اقتصد أغناه الله الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله ومن ذكر الله أحبه الله وشيخه فيه عمران بن هارون البصرى قال الذهبي شيخ لا يعرف حاله أتى بخبر منكر أى هذا الحديث ولاحمد وأبى يعلى فى حديث لابى سعيد ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله (٣) حديث اذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله فيه فرجا ومخرجا رواه ابن المبارك فى البر والصلة وقد تقدم (٤) حديث لا تيأسا من الرزق ماتهزهزت رؤوسكما الحديث ابن ماجه من حديث حبة وسواء ابنى خالد وقد تقدم (٥) حديث لا تكثر همك ماقدر يكن وماترزق يأتك قاله لابن مسعود أبو نعيم من حديث خالد بن رافع وقد اختلف فى صحبته ورواه الاصفهانى فى الترغيب والترهيب من رواية مالك بن عمرو المغافرى مرسلا (٦) حديث ألا أيها الناس أجملوا فى الطلب الحديث تقدم قبل هذا بثلاثة عشر حديثا (٧) حديث أبى الله أن يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب ابن حبان فى الضعفاء من حديث على باسناد واه ورواه ابن الجوزى فى

فتشفع لصاحبها واذا أضاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتنى ثم صعدت ولها ظلمة حتى تنتهى الى أبواب السماء فتغلق دونها ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها (وقال أبو سليمان الدارانى) اذا وقف العبد فى الصلاة يقول الله تعالى ارفعوا الحجب فيما بينى و بين عبدى فاذا التفت يقول الله ارخوها فيما بينى و بينه وخلوا عبدى وما اختار لنفسه (وقال أبو بكر الوراق) ربما أصلى ركعتين فانصرف منهما وأنا أستحى من الله حياء رجل انصرف من الزنا قوله هذا لعظيم الادب عنده ومعرفة كل انسان بادب

ألم لا يطلع عليه احد الا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان قال صلى الله عليه وسلم [١] عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن اسيره واحسن الى من شئت تكن أميره * الرابع ان يكثر تامله في تنعيم اليهود والنصارى واراذل الناس والحمقى من الاكراد والاعراب الاجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى احوال الانبياء والاولياء والى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع احاديثهم ويطالع احوالهم ويخير عقله بين ان يكون على مشابهة أرذال الناس أو على الاقتداء بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير فانه ان تنعم في البطن فالحمار اكثر أكلا منه وان تنعم في الوقاع فالخنزير اعلى رتبة منه وأن تزين في الملبس والخيل ففي اليهود من هو اعلى زينة منه وان قنع بالقليل ورضى به لم يساهمه في رتبته الا الانبياء والاولياء * الخامس ان يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرناه في آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الامن والفراغ ويتأمل ما ذكرنا في آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه ألحق بزمرة الاغنياء واخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بان ينظر ابدا الى من دونه في الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان أبدا يصرف نظره في الدنيا الا من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين الى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولين بالتنعم فلم تريد ان يتميز عنهم قال ابو ذر [٢] اوصاني خليلي صلوات الله عليه ان انظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقي اي في الدنيا وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الامل وأن يعلم ان غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتع دهرا طويلا فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء

بيان فضيلة السخاء

اعلم ان المال ان كان مفقودا فينبغي ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغي أن يكون حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من اخلاق الانبياء عليهم السلام وهو اصل من اصول النجاة وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم [٤] حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية الى الارض فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الموضوعات (١) حديث عز المؤمن استغناؤه عن الناس الطبراني في الاوسط والحاكم وصحح اسناده وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن سعد ان جبريل قاله للنبي صلى الله عليه وسلم في أثناء حديث وفيه زافر بن سليمان عن محمد بن عيينة وكلاهما مختلف فيه وجعله القضاعي في مسند الشهاب من قول النبي صلى الله عليه وسلم (٢) حديث ابي ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم ان انظر الى من هو دوني ولا انظر لمن هو فوقي أحمد وابن حبان في أثناء حديث وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة اذا نظر أحدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل منه ممن فضل عليه متفق عليه وقد تقدم (٤) حديث السخاء شجرة في الجنة الحديث ابن حبان في الضعفاء من حديث عائشة وابن عدي والدارقطني في المستجاد من حديث ابي هريرة وسيأتي بعده وابو نعيم من حديث جابر وكلاهما ضعيف ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديثهم ومن حديث الحسين وابي سعيد

الصلاة على قدر حظه من القرب (وقيل) لموسى ابن جعفر ان الناس افسدوا عليك الصلاة بممرهم بين يديك قال ان الذي أصلي له اقرب الى من الذي يمشي بين يدي (وقيل) كان زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما اذا اراد أن يخرج الى الصلاة لا يعرف من تغير لونه فيقال له ذلك فيقول أتدرون بين يدي من اريد ان أقف (وروى) عمار بن يسار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يكتب للعبد من صلاته الا ما يعقل وقد ورد في لفظ آخر منكم من يصلي الصلاة كاملة ومنكم من يصلي النصف

وسلم (١) قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عائشة الصديقية رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ما جبل الله تعالى وليا له الا على حسن الخلق والسخاء وعن جابر قال قيل يارسول الله اي الاعمال أفضل (٣) قال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فاما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل واذا أراد الله بعبد خيرا استعمله في قضاء حوائج الناس وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده (٥) قالت قلت يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيا أخذ بغصن منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن كان شحيحا اخذ بغصن من اغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم (٧) يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) تجافوا عن ذنب السخي فان الله آخذ

---

(١) حديث جابر مرفوعا حكاية عن جبريل عن الله تعالى ان هذا دين رضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق والدارقطني في المستجاد وقد تقدم (٢) حديث عائشة ما جبل الله وليا له الا على السخاء وحسن الخلق والدارقطني في المستجاد دون قوله وحسن الخلق بسند ضعيف ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات وذكره بهذه الزيادة ابن عدي من رواية بقية عن يوسف ابن ابي السفر عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة ويوسف ضعيف جدا (٣) حديث جابر اي الايمان افضل قال الصبر والسماحة ابو يعلى وابن حبان في الضعفاء بلفظ سئل عن الايمان وفيه يوسف بن المنكدر ضعفه الجمهور ورواه احمد من حديث عائشة وعمرو بن عنبسة بلفظ ما الايمان قال الصبر والسماحة وفيه شهر بن حوشب ورواه البيهقي في الزهد بلفظ اي الأعمال افضل قال الصبر والسماحة وحسن الخلق واسناده صحيح (٤) حديث عبد الله بن عمرو خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فاما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء الحديث ابو منصور الديلمي دون قوله في آخره واذا اراد الله بعبد خيرا وقال فيه الشجاعة بدل حسن الخلق وفيه محمد بن يونس الكديمي كذبه ابو داود وموسى بن هارون وغيرهما ووثقه الخطيب وروى الاصفهاني جميع الحديث موقوفا على عبد الله بن عمرو وروى الديلمي ايضا من حديث انس اذا اراد الله بعبد خيرا صير حوائج الناس اليه وفيه يحيى بن شبيب ضعفه ابن حبان (٥) حديث المقدام بن شريح عن ابيه عن جده ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام الطبراني بلفظ بذل السلام وحسن الكلام وفي رواية له يوجب الجنة اطعام الطعام وافشاء السلام وفي رواية له عليك بحسن الكلام و بذل الطعام (٦) حديث ابي هريرة السخاء شجرة في الجنة الحديث وفيه والشح شجرة في النار الحديث الدارقطني في المستجاد وفيه عبد العزيز بن عمران الزهري ضعيف جدا (٧) حديث ابي سعيد يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم الحديث ابن حبان في الضعفاء والخرائطي في مكارم الاخلاق والطبراني في الاوسط وفيه محمد بن مروان السدي الصغير ضعيف ورواه العقيلي في الضعفاء فجعله عبد الرحمن السدي وقال انه مجهول وتابع محمد بن مروان السدي عليه عبد الملك بن الخطاب وقد غمزه ابن القطان وتابعه عليه عبد الغفار بن الحسن بن دينار قال فيه ابو حاتم لا بأس بحديثه وتكلم فيه الجوزجاني والازدي ورواه الحاكم من حديث علي وقال انه صحيح الاسناد وليس كما قال (٨) حديث ابن عباس تجافوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر الطبراني في الأوسط والخرائطي في مكارم الاخلاق وقال الخرائطي اقيلوا السخي زلته وفيه ليث بن ابي سليم مختلف فيه ورواه الطبراني فيه وابو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه باسناد ضعيف

والثلث والربع والخمس حتى يبلغ العشر قال الخواص ينبغي للرجل أن ينوي نوافله لنقصان فرائضه فان لم ينوها لم يحسب له منها شيء بلغنا ان الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضة يقول الله تعالى مثلكم كمثل العبد السوء بدأ بالهدية قبل قضاء الدين (وقال) أيضا انقطع الخلق عن الله تعالى بخصلتين احداهما انهم طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض والثانية انهم عملوا أعمالا بالظواهر ولم يأخذوا أنفسهم بالصدق فيها والنصح لها وأبى الله تعالى أن يقبل من عامل عملا الا بالصدق واصابة الحق وفتح العين في الصلاة أولى من

بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم (١) الرزق الى مطعم الطعام أسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة عليهم السلام وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ان الله جواد يحب الجواد ويحب مكارم الاخلاق ويكره سفسافها وقال أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) لم يسأل على الاسلام شيئا الا اعطاه واتاه رجل فساله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال ياقوم أسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لايخاف الفاقة وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم (٤) ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وعن الهلالى قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) بأسرى من بني العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال على ابن ابى طالب كرم الله وجهه يارسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال صلى الله عليه وسلم نزل على جبريل فقال أقتل هؤلاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاء فيه وقال صلى الله عليه وسلم (٦) ان لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال صلى الله عليه وسلم (٨) من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شيء لاتأكله النار قيل وماهو قال المعروف وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٩) الجنة دار الاسخياء وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٠) ان السخى

---

(١) حديث ابن مسعود الرزق الى مطعم الطعام أسرع من السكين الى ذروة البعير الحديث لم أجده من حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس بلفظ الخير اسرع الى البيت الذى يغشى وفى حديث ابن عباس يؤكل فيه من الشفرة الى سنام البعير ولأبى الشيخ فى كتاب الثواب من حديث جابر الرزق الى اهل البيت الذى فيه السخاء الحديث وكلها ضعيفة ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات من طريق الدارقطنى (٢) حديث ان الله جواد يحب الجواد ويحب معالى الامور ويكره سفسافها الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز وهذا مرسل وللطبرانى فى الكبير والاوسط والحاكم والبيهقى من حديث سهل ابن سعد ان الله كريم يحب الكرم ويحب معالى الامور وفى الكبير والبيهقى معالى الاخلاق الحديث واسناده صحيح وتقدم آخر الحديث فى اخلاق النبوة (٣) حديث أنس لم يسأل على الاسلام شيئا الا اعطاه فأتاه رجل فساله فامر له بشاء كثير بين جبلين الحديث مسلم وتقدم فى اخلاق النبوة (٤) حديث ابن عمر ان لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد الحديث الطبرانى فى الكبير والاوسط وابو نعيم وفيه محمد بن حسان السمتى وفيه لين ووثقه ابن معين يرويه عن ابى عثمان عبد الله بن زيد الحمصى ضعفه الازدى (٥) حديث الهلالى اتى النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى من بنى العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا الحديث وفيه فان الله شكر له سخاء فيه لم اجد له اصلا (٦) حديث ان لكل شىء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح لم اقف له على اصل (٧) حديث نافع عن ابن عمر طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء ابن عدى والدارقطنى فى غرائب مالك وابو على الصدفى فى عواليه وقال رجاله ثقات أئمة قال ابن القطان وانهم لمشاهير ثقات الا المقدام بن داود فان اهل مصر تكلموا فيه (٨) حديث من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس عليه ابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث معاذ بلفظ ماعظمت نعمة الله على عبد الا فذكره وفيه احمد بن مهران قال ابو حاتم مجهول والحديث باطل ورواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث عمر باسناد منقطع وفيه جليس بن محمد احد المتروكين ورواه العقيلى من حديث ابن عباس قال ابن عدى يروى من وجوه كلها غير محفوظة (٩) حديث عائشة الجنة دار الاسخياء ابن عدى والدارقطنى فى المستجاد والخرائطى قال الدارقطنى لايصح ومن طريقه رواه ابن الجوزى فى الموضوعات وقال الذهبي حديث منكر ما آفته سوى حجدر قلت رواه الدارقطنى فيه من طريق آخر وفيه محمد بن الوليد الموقرى وهو ضعيف جدا (١٠) حديث ابى هريرة ان السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة الحديث الترمذى وقال غريب

تغميض العين الا ان يتشتت همه بتفريق النظر فيغمض العين للاستعانة على الخشوع وأن تثاءب فى الصلاة يضم شفتيه بقدر الامكان ولايلزق ذقنه بصدره ولا يزاحم فى الصلاة غيره ﴿قيل﴾ ذهب المزحون بصلاة المزاحم (وقيل) من ترك الصف الاول مخافة أن يضيق على اهله فقام فى الثانى اعطاه الله مثل ثواب الصف الاول من غير ان ينقص من أجورهم شىء ﴿وقيل﴾ ان ابراهيم الخليل عليه السلام كان اذاقام الى الصلاة يسمع خفقان قلبه من ميل (وروت) عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي أحب الى الله من عالم بخيل وأدوأ الدواء البخل وقال صلى الله عليه سلم [١] اصنع المعروف الى من هو أهله والى من ليس باهله فان أصبت أهله فقد أصبت أهله وان لم تصب أهله فانت من أهله وقال صلى الله عليه وسلم [٢] ان بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم و يسر عليهم اعطاءه كما يسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها و يحيي بها أهلها وقال صلى الله عليه وسلم [٤] كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها وقال صلى الله عليه وسلم [٥] كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال صلى الله عليه وسلم [٦] كل معروف فعلته الى غني أو فقير صدقة وروى ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم [٧] بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم ان الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت (الآثار) قال علي كرم الله وجهه اذا أقبلت عليك الدنيا فانفق منها فانها لا تفنى واذا أدبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى وأنشد

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف

وان تولت فأحرى أن تجود بها * فالحمد منها اذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهم عن المروءة والنجدة والكرم فقال أما المروءة فحفظ الرجل دينه وحذره نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية * واما النجدة فالذب عن الجار والصبر

ولم يذكر فيه وأدوأ الدواء البخل ورواه بهذه الزيادة الدارقطني فيه (١) حديث اصنع المعروف الى اهله والى من ليس من اهله الحديث الدارقطني في المستجاد من رواية جعفر بن محمد عن ابيه عن جده مرسلا وتقدم في آداب المعيشة (٢) حديث ان بدلاء امتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسماحة الانفس الحديث الدارقطني في المستجاد وابو بكر بن لال في مكارم الاخلاق من حديث انس وفيه محمد بن عبد العزيز بن المبارك الدينوري اورد ابن عدي له مناكير وفي الميزان انه ضعيف منكر الحديث ورواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث ابي سعيد نحوه وفيه صالح المري متكلم فيه (٣) حديث ابي سعيد ان الله جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف الحديث الدارقطني في المستجاد من رواية ابي هرون العبدي عنه وابو هرون ضعيف ورواه الحاكم من حديث علي وصححه (٤) حديث كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة الحديث ابن عدي والدارقطني في المستجاد والخرائطي والبيهقي في الشعب من حديث جابر وفيه عبد الحميد بن الحسن الهلالي وثقه ابن معين وضعفه الجمهور والجملة الاولى منه عند البخاري من حديث جابر وعند مسلم من حديث حذيفة (٥) حديث كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان الدارقطني في المستجاد من رواية الحجاج بن ارطاة عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده والحجاج ضعيف وقد جاء مفرقا فالجملة الاولى تقدمت قبله والجملة الثانية تقدمت في العلم من حديث انس وغيره والجملة الثالثة رواها ابو يعلى من حديث انس ايضا وفيه زياد النميري ضعيف (٦) حديث كل معروف فعلته الى غني او فقير صدقة الدارقطني فيه من حديث ابي سعيد وجابر والطبراني والخرائطي كلاهما في مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود وابن منيع من حديث ابن عمر باسنادين ضعيفين (٧) حديث جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا عليهم قيس ابن سعد ابن عبادة فجهدوا فنحر لهم الحديث وفيه فقال ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت الدارقطني فيه من رواية ابي حمزة الحميري عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حاله

كان يسمع من صدره ازيز كازيز الرجل حتى كان يسمع في بعض سكك المدينة (وسئل) الجنيد ما فريضة الصلاة قال قطع العلائق وجمع الهم والحضور بين يدي الله وقال الحسن ماذا يعز عليك من أمر دينك اذا هانت عليك صلاتك (وقيل) أوحى الله تعالى الى بعض الانبياء فقال اذا دخلت الصلاة فهب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع فاني قريب (وقال) أبو الخير الاقطع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يارسول الله أوصني فقال ياأبا الخير عليك بالصلاة فاني

في المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل *ورفع رجل الى الحسن بن على رضي الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسالني الله عزوجل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأ رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه وسئل بعض الاعراب من سيدكم فقال من احتمل شتمنا وأعطى سائلنا وأغضى عن جاهلنا وقال على بن الحسين رضي الله عنهما من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يبتدئ بحقوق الله تعالى في اهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقينه بثواب الله تاما وقيل للحسن البصري ما السخاء فقال ان تجود بمالك في الله عز وجل وقيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق رحمة الله عليه لا مال أعون من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاورة الاوان الله عزوجل يقول اني جواد كريم لا يجاورني لئيم واللؤم من الكفر وأهل الكفر في النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنة وقال حذيفة رضي الله عنه رب فاجر في دينه أخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته وروي ان الاحنف بن قيس رأى رجلا في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال أما انه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي معناه قيل

أنت للمال اذا امسكته * فاذا انفقته فالمال لك

وسمي واصل بن عطاء الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا رأى امرأة ضعيفة أعطاها شيأ وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى الحسين بن علي رضوان الله عليهم يعتب عليه في اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقي به العرض وقيل لسفيان بن عيينه ما السخاء قال السخاء البر بالاخوان والجود بالمال قال وورث أبي خمسين الف درهم فبعث بها صرارا الى اخوانه وقال قد كنت اسال الله تعالى لاخواني الجنة في صلاتي أفأبخل عليهم بالمال وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت أيادي عنده وقال عبد العزيز بن مروان اذا الرجل امكنني من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده وقال المهدي لشبيب بن شبة كيف رأيت الناس في داري فقال يا امير المؤمنين ان الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر قال

ان الصنيعة لا تكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها * لله او لذوي القرابة اودع

فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له أهلا وان اصاب اللئام كنت له اهلا

حكايات الاسخياء

عن محمد بن المنكدر عن ام درة وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها قالت ان معاوية بعث اليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة الف درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام درة ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتني لفعلت * وعن ابان بن عثمان قال اراد رجل ان يضار عبيد الله بن عباس فاتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبيد الله تغدوا عندي اليوم فاتوه حتى ملؤا عليه الدار فقال ماهذا فاخبر الخبر فأمر عبيد الله بشراء فاكهة وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت المائدة فاكلوا حتى صدروا فقال عبيد الله لوكلائه أموجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد عندنا هؤلاء في كل يوم *وقال مصعب بن الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن علي لاخيه الحسن لا تلقه ولا تسلم عليه فلما خرج معاوية

قال

استوصيت ربي فاوصاني بالصلاة وقال لي ان اقرب ما اكون منك وانت تصلي (وقال ابن عباس) رضي الله عنهما ركعتان في تفكر خير من قيام ليلة (وقيل) ان محمد ابن يوسف الفرغاني راى حاتما الاصم واقفا يعظ الناس فقال له يا حاتم اراك تعظ الناس افتحسن ان تصلي قال نعم قال كيف تصلي قال اقوم بالامر وامشي بالخشية وادخل بالهيبة واكبر بالعظمة واقرأ بالترتيل واركع بالخشوع واسجد بالتواضع واقعد للتشهد بالتمام واسلم على السنة واسلمها الى ربي واحفظها ايام حياتي وارجع باللوم على نفسي واخاف ان لا تقبل مني وارجو

قال الحسن ان علينا دينا فلابدلنا من اتيانه فركب فى أثره ولحقه فسلم عليه وأخبره بدينه فروا عليه يبختى عليه ثمانون ألف دينار وقد أعيا وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معاوية ماهذا فذكر له فقال اصرفوه بما عليه الى أبى محمد * وعن أبى محمد بن الواقدى قال حدثنى أبى انه رفع رقعة الى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المأمون على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان السخاء والحياء فاما السخاء فهو الذى أطلق مافى يديك وأما الحياء فهو الذى يمنعك عن تبليغنا ماأنت عليه وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فان كنت قد اصبت فازدد فى بسط يدك وان لم أكن قد أصبت فجنايتك على نفسك وأنت حدثتنى وكنت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحق عن الزهرى عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم (1) قال للزبير ابن العوام يازبير اعلم ان مفاتيح ارزاق العباد بازاء العرش يبعث الله عزوجل الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وأنت اعلم قال الواقدى فوالله لمذاكرة المأمون اياى بالحديث احب الى من الجائزة وهى مائة الف درهم * وسأل رجل الحسن بن على رضى الله عنهما حاجة فقال له ياهذا حق سؤالك اياى يعظم لدى ومعرفتي بما يجب لك تكبر على ويدى تعجز عن نيلك بما أنت اهله والكثير فى ذات الله تعالى قليل ومافى ملكى وفاء لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتيال والاهتمام لما أتكلفه من واجب حقك فعلت فقال يا ابن رسول الله اقبل وأشكر العطية وأعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفضل من الثلثمائة الف درهم فاحضر خمسين الف قال فما فعلت بالخمسمائة دينار قال هى عندى قال احضرها فاحضرها فدفع الدنانير والدراهم الى الرجل وقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع اليه الحسن رداءه لكراء الحمالين فقال له مواليه والله ماعندنا درهم فقال ارجو ان يكون لى عند الله اجراً عظيما * واجتمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا ان يكون مثله وقد زوج بنته من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده مايجهزها به فقام عبد الله بن عباس فاخذ بايديهم وادخلهم داره وفتح صندوقا فاخرج منه ست بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ماانصفناه اعطيناه مايشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر مايشغل مؤمنا عن عبادة ربه ومابنا من الكبر مالانخدم اولياء الله تعالى ففعل وفعلوا * وحكى انه لما اجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد اميرهم فقال والله لاعلمن الشيطان انى عدوه فعال محاويجهم الى ان رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه الف الف درهم فرهنهم بها حلى نسائه وقيمتها خمسمائة الف الف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم يبيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم الى من لم تنله صلاته * وكان ابو طاهر بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق على بن أبى طالب لماوهبت لى نخلتك بموضع كذا وكذا فقال فعلت وحقه لاعطينك مايليها وكان ذلك اضعاف ماطلب الرجل وكان ابو مرثد احد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ماعندى مااعطيك ولكن قدمنى الى القاضى وادع على بعشرة آلاف درهم حتى اقرلك بها ثم احبسنى فان اهلى لايتركونى محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة الاف درهم واخرج ابو مرثد من الحبس * وكان معن بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة وأراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يوما لبعض خدام معن اذا دخل الامير البستان فعرفنى فلما دخل الامير البستان اعلمه فكتب الشاعر بيتا على خشبة والقاها فى الماء الذى يدخل البستان وكان معن على راس الماء فلما بصر بالخشبة اخذها وقراها فاذا مكتوب عليها

ايا جود معن ناج معنا بحاجتى * فـالى الى معن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له بعشر بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة

(1) حديث انس يازبير اعلم ان مفاتيح ارزاق العباد بازاء العرش الحديث وفى اوله قصة مع المأمون الدارقطنى فيه وفى اسناده الواقدى عن محمد بن اسحاق عن الزهرى بالعنعنة ولايصح

ان تقبل منى وأنا بين الخوف والرجاء وأشكر من علمنى وأعلمها من سألنى وأحمد ربى اذ هدانى فقال محمد بن يوسف مثلك يصلح ان يكون واعظا وقوله تعالى لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى قيل من حب الدنيا وقيل من الاهتمام وقال عليه السلام من صلى ركعتين ولم يحدث نفسه بشىء من الدنيا غفر الله له ماتقدم من ذنبه وقال أيضا ان الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتنادم وترفع يديك وتقول اللهم اللهم فمن لايفعل ذلك فهى خداج اى ناقصة *وقد ورد ان المؤمن اذا توضأ للصلاة تباعد عنه الشيطان فى أقطار الارض خوفا

تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى اخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع اليه مائة ألف درهم فلما اخذها الرجل تفكر وخاف ان يا خذمنه ماأعطاه فخرج فلما كان فى اليوم الثالث قرأمافيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال ممن حق على ان اعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى درهم ولا دينار* وقال ابو الحسن المدائنى خرج الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر حجاجا ففاتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز فى خباءها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة فى كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم ما تأكلون فقام اليها احدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمى بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتى لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم بعد مدة الجأتهما الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعل ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن بن على جالس على باب داره فعرف العجوز وهى له منكرة فبعث غلامه فدعا بالعجوز وقال لها يا امة الله أتعرفينى قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بابى انت وامى انت هو قال نعم ثم امر الحسن فاشتروا لها من شياه الصدقة الف شاة وأمر لها معها بالف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك اخى قالت بالف شاة والف دينار فامر لها الحسين ايضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبدالله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفى شاة والفى دينار فامر لها عبد الله بالفى شاة والفى دينار وقال لها لو بدات بى لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة آلاف شاة واربعة آلاف دينار* وخرج عبدالله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة ياغلام قال صلاحك وفلاحك رايتك تمشى وحدك فقلت افيك بنفسى واعوذ بالله ان طار بجنابك مكروه فاخذ عبدالله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا بالف دينار فدفعها الى الغلام وقال استنفق هذه فنعم ما ادبك اهلك * وحكى ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض اسخيائهم للزيارة فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاؤا من سفر بعيد فراى رجل منهم فى النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك ان تبادل بعيرك بنجيبى وكان السخى الميت قد خلف نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بعير سمين فقال له فى النوم نعم فباعه فى النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره فى اليوم فانتبه الرجل من نومه فاذا الدم يثج من نحر بعيره فقام الرجل فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال انا فقال هل بعت من فلان بن فلان شيا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيرى بنجيبه فى النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هوابى وقد رايته فى النوم وهو يقول ان كنت ابنى فادفع نجيبى الى فلان ابن فلان وسماه* وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضر به المرض فقال يا هذا اعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقى معك من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام فى حجر الاعرابى اربعة آلاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ماتا كل الارض من كرمك فابكانى * واشترى عبدالله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابى معيط داره التى فى السوق بتسعين الف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لاهله مالهؤلاء قالوا يبكون لدارهم فقال ياغلام ائتهم فاعلمهم ان المال والدار لهم جميعا* وقيل بعث هرون الرشيد الى مالك بن انس رحمه الله بخمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه ألف دينار فغضب هرون وقال اعطيته خمسمائة وتعطيه الفا وانت من رعيتى فقال ياامير المؤمنين ان لى من غلتى كل يوم الف دينار فاستحييت ان اعطى مثله اقل من دخل يوم وحكى انه لم تجب

منه لانه تأهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس قيل بضرب بينه و بينه سرادق لا ينظر اليه وواجه الجبار بوجهه فاذا قال الله اكبر اطلع الملك فى قلبه فاذا لم يكن فى قلبه اكبر من الله تعالى يقول صدقت الله فى قلبك كما تقول وتشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش و يكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض و يكتب له حشو ذلك النور حسنات وان الجاهل الغافل اذا قام الى الصلاة احتوشته الشياطين كما تحتوش الذباب على نقطة العسل فاذا كبر اطلع الله على قلبه فاذا كان شئ فى قلبه

عليه الزكاة مع ان دخله كل يوم ألف دينار * وحكى ان امرأة سألت الليث بن سعد رحمة الله عليه شيأ من عسل فأمر لها بزق من عسل فقيل له انها كانت تقنع بدون هذا فقال انها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا * وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكت شاة عندى فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشى و يسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتى لبد أجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الى فى علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرأ وقال عبد الملك بن مروان لاسماء بن خارجة بلغنى عنك خصال فحدثنى بها فقال هى من غيرى أحسن منها منى فقال عزمت عليك الا حدثتنى بها فقال يا أمير المؤمنين ما مددت رجلى بين يدى جليس لى قط ولا صنعت طعاما قط فدعوت عليه قوما الا كانوا أمن على منى عليهم ولا نصب لى رجل وجهه قط يسألنى شيأ فاستكثرت شيأ اعطيته اياه ودخل سعيد بن سالم على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيأ كتب لمن سأله صكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر اليه سليمان تمثل بهذا البيت فقال

انى سمعت مع الصباح مناديا * يامن يعين على الفتى المعوان

ثم قال ما حاجتك قال دينى قال وكم هو قال ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومثله وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ اخوانه فقيل لهم انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم أمر مناديا فنادى من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه برئ قال فانكسرت درجته بالعشى لكثرة من زاره وعاده * وعن ابى اسحق قال صليت الفجر فى مسجد الاشعث بالكوفة أطلب غريما لى فلما صليت وضع بين يدى حلة ونعلان فقلت لست من أهل هذا المسجد فقالوا ان الاشعث بن قيس الكندى قدم البارحة من مكة فأمر لكل من صلى فى المسجد بحلة ونعلين وقال الشيخ أبو سعد الحركوشى النيسابورى رحمه الله سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعى المجاور بمكة يقول كان بمصر رجل عرف بان يجمع للفقراء شيأ فولد لبعضهم مولود قال فجئت اليه وقلت ولد لى مولود وليس معى شئ فقام معى ودخل على جماعة فلم يفتح بشئ فجاء الى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع وانى درت اليوم على جماعة فكلفتهم دفع شئ لمولود فلم يتفق لى شئ قال ثم قام وأخرج دينارا وقسمه نصفين وناولنى نصفه وقال هذا دين عليك الى ان يفتح عليك بشئ قال فاخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لى به قال فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص فى منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا أذن فى الجواب ولكن أحضر منزلى وقل لاولادى يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها الى هذا الرجل فلما كان من الغد تقدم الى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع واخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياى حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ولا نتسخى نحن احياء فلما ألحوا عليه حمل الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فاخذ منها دينارا فكسره نصفين فاعطاه النصف الذى أقرضه وحمل النصف الاخر وقال يكفينى هذا وتصدق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا ادرى أى هؤلاء اسخى * وروى ان الشافعى رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مروا فلانا يغسلنى فلما توفى بلغه خبر وفاته فحضر وقال ائتونى بتذكرته فاتى بها فنظر فيها فاذا على الشافعى سبعون ألف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلى اياه اى اراده بهذا وقال أبو سعيد الواعظ الحركوشى لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلونى عليه فرأيت جماعة من أحفاده وزرتهم فرأيت فيهم سيما الخير وآثار الفضل فقلت بلغ أثره فى الخير اليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى وكان أبوهما صالحا وقال الشافعى رحمه الله لا ازال احب حماد بن ابى سليمان لشئ بلغنى عنه انه كان ذات يوم راكبا حماره فحركه فانقطع زره فمر على خياط فأراد ان ينزل اليه ليسوى زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط اليه

أكبر من الله تعالى عنده يقول له كذبت ليس الله تعالى أكبر فى قلبك كما تقول فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه من الملكوت فيزداد ذلك الحجاب صلابة ويلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس اليه ويزين حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما كان فيه * وفى الخبر لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء والقلوب الصافية التى كمل أدبها لكمال أدب قوالبها تصير سماوية تدخل بالتكبير فى السماء كما تدخل فى

فسوى زره فأخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه من قلتها وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه

يالهف قلبي على مال أجود به * على المقلين من أهل المروآت
ان اعتذاري الى من جاء يسألني * ماليس عندي لمن احدى المصيبات .

وعن الربيع بن سليمان قال اخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال ياربيع أعطه أربعة دنانير واعتذر اليه عني وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعاء الى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباءه في موضع خارج عن مكة ونثرها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض له قبضة و يعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء * وعن ابي ثور قال اراد الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيأ من سماحته فقلت له ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسالته عن ذلك المال فقال ماوجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقف أكثرها ولكني بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا ان ينزلوا فيه وانشد الشافعي رحمه الله لنفسه يقول

أرى نفسي تتوق الى أمور * يقصر دون مبلغهن مالي
فنفسي لاتطاوعني ببخل * ومالي لا يبلغني فعالي

وقال محمد بن عباد المهلبي دخل أبي على المامون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فاخبر بذلك المامون فلما عاد اليه عاتبه المأمون في ذلك فقال ياأمير المؤمنين منع الموجود سوء ظن بالمعبود فوصله بمائة ألف أخرى * وقام رجل الى سعيد بن العاص فساله فامرله بمائة ألف درهم فبكى فقال له سعيد مايبكيك قال أبكي على الارض ان تأكل مثلك فامرله بمائة ألف أخرى * ودخل أبو تمام على ابراهيم بن شكلة بابيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل منه المدحة وامر حاجبه بنيله مايصلحه وقال عسى أن اقوم من مرضي فاكافئه فاقام شهرين فاوحشه طول المقام فكتب اليه يقول

ان حراما قبول مدحتنا * وترك مانرتجي من الصفد
كما الدراهم والدنانير في البيـ * ـع حرام الايدا بيد

فلما وصل البيتان الى ابراهيم قال لحاجبه كم اقام بالباب قال شهرين قال اعطه ثلاثين الفا وجئني بدواة فكتب اليه

اعجلتنا فاتاك عاجل برنا * قلا ولو أمهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كانك لم تقل * ونقول نحن كاننا لم نفعل

وروى انه كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون ألف درهم فخرج عثمان يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيا مالك فاقبضه فقال هولك يااباا محمد معونة لك على مروءتك * وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرأيت منه ثقلا فقلت له مالك فقال اجتمع عندي مال وقد غمني فقلت ما يغمك ادع قومك فقال ياغلام علي بقومي فقسمه فيهم فسالت الخادم كم كان قال اربعمائة الف * وجاء اعرابي الى طلحة فسأله وتقرب اليه برحم فقال ان هذا الرحم ماسالني بها احد قبلك ان لي ارضا قداعطاني بها عثمان ثلثمائة الف فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمان ودفعت اليك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع اليه الثمن * وقيل بكى علي كرم الله وجهه يوما فقيل مايبكيك فقال لم ياتني ضيف منذ سبعة أيام أخاف ان يكون الله قد أهانني * وأتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ماجاء بك قال علي اربعمائة درهم دين فوزن أربعمائة درهم واخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امرأته لم اعطيته اذ شق عليك فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم اجمعين

﴿ بيان ذم البخل ﴾

قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من

الصلاة والله تعالى حرس السماء من تصرف الشياطين فالقلب السماوي لاسبيل للشيطان اليه فتبقى هواجس نفسانية عند ذلك لاتنقطع بالتحصن بالسماء كانقطاع تصرف الشيطان والقلوب المرادة بالقرب تدرج بالتقريب وتعرج في طبقات السموات وفي كل طبقة من اطباق السماء يتخلف شيء من ظلمة النفس وبقدر ذلك يقل الهاجس الى ان يتجاوز السموات ويقف امام العرش فعند ذلك يذهب بالكلية هاجس النفس بساطع نور العرش وتندرج ظلمات النفس في نور القلب اندراج

فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى الذين يبخلون و يامرون الناس بالبخل و يكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم (١) اياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال صلى الله عليه وسلم (٢) اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم وقال صلى الله عليه وسلم (٣) لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة وفى رواية ولا جبار وفى رواية ولا منان وقال صلى الله عليه وسلم (٤) ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وسلم (٥) ان الله يبغض ثلاثة الشيخ الزانى والبخيل المنان والمعيل المختال وقال صلى الله عليه وسلم (٦) مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق شيأ الا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وأما البخيل فلا يريد ان ينفق شيأ الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع وقال صلى الله عليه وسلم (٧) خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم (٨) اللهم انى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان اردالى ارذل العمر وقال صلى الله عليه وسلم (٩) اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش ان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم والشح فانما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وقال صلى الله عليه وسلم (١٠) شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع * وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال صلى الله عليه وسلم (١١) وما يدريك أنه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم

---

(١) حديث اياكم والشح الحديث مسلم من حديث جابر بلفظ واتقوا الشح فان الشح الحديث ولابى داود والنسائى فى الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر واياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا (٢) حديث اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم الحاكم من حديث أبى هريرة بلفظ حرماتهم مكان أرحامهم وقال صحيح على شرط مسلم (٣) حديث لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة وفى رواية ولا منان أحمد والترمذى وحسنه من حديث ابى بكر واللفظ لاحمد دون قوله ولا منان فهى عند الترمذى وله ولابن ماجه لا يدخل الجنة سيئ الملكة (٤) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم فى العلم (٥) حديث ان الله يبغض ثلاثا الشيخ الزانى والبخيل المنان والفقير المختال الترمذى والنسائى من حديث ابى ذر دون قوله البخيل المنان وقال فيه الغنى الظلوم وقد تقدم وللطبرانى فى الاوسط من حديث على ان الله ليبغض الغنى الظلوم والشيخ الجهول والعائل المختال وسنده ضعيف (٦) حديث مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبة من حديد الحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة (٧) حديث خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق الترمذى من حديث ابى سعيد وقال غريب (٨) حديث اللهم انى اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن الحديث البخارى من حديث سعد وتقدم فى الاذكار (٩) حديث اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة الحديث الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا وقال عوضا عنهما و بالبخل فبخلوا و بالفجور ففجروا وكذا رواه ابوداود مقتصرا على ذكر الشح وقد تقدم قبله بسبعة احاديث ولمسلم من حديث جابر اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فذكره بلفظ آخر ولم يذكر الفحش (١٠) حديث شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع ابوداود من حديث جابر بسند جيد (١١) حديث وما يدريك انه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا ينقصه ابو يعلى من حديث ابى هريرة بسند ضعيف وللبيهقى فى الشعب من حديث انس ان امه قالت ليهنك الشهادة وهو عند الترمذى الا ان رجلا قال له ابشر بالجنة

الليل فى النهار وتتأدى حينئذ حقوق الآداب على وجه الصواب (وما ذكرنا) من أدب الصلاة يسير من كثير وشأن الصلاة أكبر من وصفنا وأكمل من ذكرنا وقد غلط أقوام وظنوا أن المقصود من الصلاة ذكر الله تعالى واذا حصل الذكر فاى حاجة الى الصلاة وسلكوا طرقا من الضلال وركنوا الى أباطيل الخيال ومحوا الرسوم والاحكام ورفضوا الحلال والحرام وقوم آخرون سلكوا فى ذلك طريقا أدتهم الى نقصان الحال حيث سلموا من الضلال لانهم اعترفوا بالفرائض وأنكروا فضل النوافل واغتروا

(١) بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من خيبر اذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسالونه حتى اضطروه الى سمرة فخطف رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال أعطونى ردائي فوالذى نفسى بيده لو كان لى عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لاتجدونى بخيلا ولا كذابا ولاجبانا وقال عمر رضى الله عنه (٢) قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هؤلاء كانوا أحق به منهم فقال انهم يخيرونى بين أن يسألونى بالفحش أو يبخلونى ولست بباخل وقال أبوسعيد الخدرى (٣) دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ماصنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالا فقال صلى الله عليه وسلم لكن فلان أعطيته مابين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان أحدكم ليسالنى فينطلق فى مسالته متأبطها وهى نار فقال عمر فلم تعطيهم ماهو نار فقال يأبون الا أن يسالونى ويابى الله لى البخل وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم الا ان الله عز وجل خلق الجود فجعله فى صورة رجل وجعل رأسه راسخا فى أصل شجرة طوبى وشد أغصانها باغصان سدرة المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة الا ان السخاء من الايمان والايمان فى الجنة وخلق البخل من مقته وجعل رأسه راسخا فى أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله النار ألا ان البخل من الكفر والكفر فى النار وقال صلى الله عليه وسلم (٥) السخاء شجرة تنبت فى الجنة فلا يلج الجنة الا سخى والبخل شجرة تنبت فى النار فلا يلج النار الا بخيل وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) لوفد بنى حيان من سيدكم يابنى لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفى رواية انهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه أكثرنا مالا وانا على ذلك لنرى منه البخل فقال عليه السلام وأى داء أدوأ من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يارسول الله قال سيدكم بشر بن البراء وقال على رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) ان الله يبغض البخيل فى حياته السخى عند موته وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) السخى الجهول احب الى الله من العابد البخيل وقال أيضا قال صلى الله عليه وسلم (٩) الشح

(١) حديث جبير بن مطعم بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من حنين علقت الاعراب به الحديث البخارى وتقدم فى اخلاق النبوة (٢) حديث عمر قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما الحديث وفيه لست بباخل مسلم (٣) حديث أبى سعيد فى الرجلين اللذين أعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارين فلقيهما عمر فاثنيا وقالا معروفا الحديث وفيه ويأبى الله لى البخل رواه احمد وأبو يعلى والبزار نحوه ولم يقل احمد انهما سالاه ثمن بعير ورواه البزار من رواية ابى سعيد عن عمر ورجال اسانيدهم ثقات (٤) حديث ابن عباس الجود من جود الله فجودوا يجد الله لكم الحديث بطوله ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده فى مسنده ولم اقف له على اسناد (٥) حديث السخاء شجرة تنبت فى الجنة فلايلج فى الجنة الا سخى الحديث تقدم دون قوله فلايلج فى الجنة الى آخره وذكره بهذه الزيادة صاحب الفردوس من حديث على ولم يخرجه ولده فى مسنده (٦) حديث ابى هريرة من سيدكم يابنى لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الحديث الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم بلفظ يابنى سلمة وقال سيدكم بشر بن البراء وأما الرواية التى قال فيها سيدكم عمرو بن الجموح فرواها الطبرانى فى الصغير من حديث كعب بن مالك باسناد حسن (٧) حديث على ان الله ليبغض البخيل فى حياته السخى عند موته ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده فى مسنده ولم اجد له اسنادا (٨) حديث ابى هريرة السخى الجهول احب الى الله من العابد البخيل الترمذى بلفظ ولجاهل سخى وهو بقية حديث ان السخى قريب من الله وقد تقدم (٩) حديث ابى هريرة لايجتمع الشح والايمان فى قلب عند النسائى

يسعد روح الحال وأهملوا فضل الاعمال ولم يعلموا ان لله فى كل هيئة من الهيآت وكل حركة من الحركات أسرارا وحكما لاتوجد فى شئ من الاذكار فالاحوال والاعمال روح وجسمان ومادام العبد فى دار الدنيا إعراضه عن الاعمال عين الطغيان فالاعمال تزكو بالاحوال والاحوال تنمو بالاعمال

(الباب التاسع والثلاثون فى فضل الصوم وحسن أثره)

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر نصف الايمان والصوم نصف الصبر وقيل مافى عمل ابن آدم شئ الا ويذهب يرد المظالم الا الصوم فانه لايدخله

والايمان لايجتمعان فى قلب عبد وقال ايضا[1] خصلتان لايجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم[2] لا ينبغى لمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم[3] يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم واى ظلم اظلم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لايدخل الجنة شحيح ولابخيل وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الاغفرت لى ذنبي فقال صلى الله عليه وسلم وماذنبك صفه لى فقال هو أعظم من ان اصفه لك فقال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون فقال بل ذنبي اعظم يارسول الله قال فذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي اعظم يارسول الله قال فذنبك اعظم ام البحار قال بل ذنبي اعظم يارسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي اعظم يارسول الله قال فذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبي اعظم يارسول الله قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى قال ويحك فصف لى ذنبك قال يارسول الله انى رجل ذو ثروة من المال وان السائل ليأتينى يسالنى فكأنما يستقبلنى بشعلة من نار فقال صلى الله عليه وسلم اليك عنى لاتحرقنى بنارك فوالذى بعثنى بالهداية والكرامة لوقمت بين الركن والمقام ثم صليت ألفى الف عام ثم بكيت حتى تجرى من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله فى النار ويحك اماعلمت ان البخل كفر وان الكفر فى النار ويحك اماعلمت ان الله تعالى يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ﴿الآثار﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لما خلق الله جنة عدن قال لها تزينى فتزينت ثم قال لها اظهرى انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها فى الجنان انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها اظهرى سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمى فقالت طوبى لمن دخلنى فقال الله تعالى وعزتى لاأسكنك بخيلا وقالت أم البنين اخت عمر بن عبد العزيز أف للبخيل لوكان البخل قميصا مالبسته ولوكان طريقا ماسلكته وقال طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه انا لنجد باموالنا مايجد البخلاء لكننا نتصبر وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدى بخلائهم وقال على كرم الله وجهه فى خطبته انه سياتى على الناس زمان عضوض يعض الموسر على مافى يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمرو الشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذى يشح على مافى يد غيره حتى ياخذه ويشح بما فى يده فيحبسه والبخيل هو الذى يبخل بما فى يده وقال الشعبي لاادرى ايهما ابعد غورا فى نار جهنم البخل او الكذب وقيل ورد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من الفى سخيا وعند الغضب وقورا وفى القول متانيا وفى الرفعة متواضعا وعلى كل ذى رحم مشفقا وقام الرومى فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال الضحاك فى قوله تعالى انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا قال البخل امسك الله تعالى ايديهم عن النفقة فى سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب مامن صباح الا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لممسك تلفا وعجل لمنفق خلفا وقال الاصمعى سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان فى عينى لعظم الدنيا فى عينه وكانما يرى السائل ملك الموت اذا اتاه وقال ابو حنيفة رحمه الله لا ارى ان اعدل بخيلا لان البخل يحمله على الاستقصاء فياخذ فوق حقه خيفة من ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مامون الامانة وقال على كرم الله

قصاص ويقول الله تعالى يوم القيامة هذا لى فلا يقتص احد منه شيأ (وفى الخبر) الصوم لى وانا اجزى به قيل اضافه الى نفسه لان فيه خلقا من اخلاق الصمدية وايضا لانه من اعمال السر من قبيل التروك لايطلع عليه احد الا الله وقيل فى تفسير قوله تعالى السائحون الصائمون لانهم ساحوا الى الله تعالى بجوعهم وعطشهم وقيل فى قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب هم الصائمون لان الصبر اسم من اسماء الصوم ويفرغ للصائم افراغا ويجازف له مجازفة وقيل احد الوجوه فى قوله تعالى فلا

وفى اسناده اختلاف (١) حديث خصلتان لاتجتمعان فى مؤمن الحديث الترمذى من حديث أبى سعيد وقد تقدم (٢) حديث لا ينبغى لمؤمن ان يكون جبانا ولا بخيلا لم اره بهذا اللفظ (٣) حديث يقول قائلكم الشحيح اعذر من الظالم واى ظلم اظلم من الشح الحديث وفيه لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل لم اجده بتمامه وللترمذى من حديث ابى بكر لايدخل الجنة بخيل وقد تقدم (٤) حديث كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الاغفرت لى الحديث فى ذم البخل وفيه قال اليك عنى لا تحرقنى

وجهه والله ما استقصى كريم قطحقه قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال الجاحظ مابقى من اللذات الاثلاث ذم البخلاء وأكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحرث البخيل لاغيبة له قال النبي صلى الله عليه وسلم (١) انك اذا البخيل ومدحت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذا وقال بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال يحيى بن معاذ مافى القلب للاسخياء الاحب ولو كانوا فجارا وللبخلاء الابغض ولو كانوا أبرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه ولقى يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس فى صورته فقال له ياابليس اخبرنى باحب الناس اليك وابغض الناس اليك قال احب الناس الى المؤمن البخيل وابغض الناس الى الفاسق السخى قال له لم قال لان البخيل قد كفانى بخله والفاسق السخى اتخوف ان يطلع الله عليه فى سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما اخبرتك

﴿ حكايات البخلاء ﴾

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فاكل منه وأكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما جهد به الامر وصف حاله للطبيب فقال لابأس عليك تقيأ ما اكلت فقال هاه أتقيأ طباهجة ببيض الموت ولاذلك * وقيل اقبل اعرابى يطلب رجل و بين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابى فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيأ قال نعم فقرأ والزيتون وطورسينين فقال واين التين قال هو تحت كسائك * ودعا بعضهم اخاله ولم يطعمه شيا فحبسه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال بحياتى أى صوت تشتهى ان اسمعك قال صوت المقلى * و يحكى ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه عنه فقال له قائل صف لى مائدته فقال هى فتر فى فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فمايا كل معه احد قال بلى الذباب فقال سوأتك بدت وانت خاص به وثوبك مخرق قال انا والله ما اقدر على ابرة اخيطه بها ولوملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوا ابرا ثم جاءه جبرائيل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يطلبون منه ابرة و يسالونه اعارتهم اياها ليخيط بها قميص يوسف الذى قد من دبر مافعل * و يقال كان مروان بن ابى حفصة لايا كل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم اليه ارسل غلامه فاشترى له رأسا فاكله فقيل له نراك لاتا كل الاالرؤوس فى الصيف والشتاء فلم تختار ذلك قال نعم الرأس اعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبننى فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدران يا كل منه ان مس عينا أواذنا اوخدا وقفت على ذلك وآكل منه الوانا عينه لونا واذنه لونا ولسانه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا واكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لى فيه مرافق وخرج يوما يريد الخليفه المهدى فقالت له امرأة من اهله مالى عليك ان رجعت بالجائزة فقال ان اعطيت مائة الف أعطيتك درهما فاعطى ستين الفا فاعطاها اربعة دوانق واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف * وكان للاعمش جار وكان لايزال يعرض عليه المنزل ويقول لودخلت فاكلت كسرة وملحا فيابى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سربنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا فجاء سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسالة فقال له بورك فيك فلما سال الثالثة قال اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش وقال اذهب ويحك فلا والله مارأيت احدا اصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعونى على كسرة وملح فلا والله مازادنى عليها

﴿ بيان الايثار وفضله ﴾

اعلم ان السخاء والبخل كل منهما ينقسم الى درجات فارفع درجة السخاء الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل مايحتاج اليه لمحتاج اولغير محتاج والبذل مع الحاجة اشد وكما ان السخاوة قد تنتهى

تعلم نفس مااخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون كان عملهم الصوم (وقال) يحيى بن معاذ اذا ابتلى المريد بكثرة الاكل بكت عليه الملائكة رحمة له ومن ابتلى بحرص الاكل فقد احرق بنار الشهوة وفى نفس ابن آدم الف عضو من الشر كلها فى كف الشيطان متعلق بها فاذا جوع بطنه واخذ حلقه وراض نفسه يبس كل عضو او احترق بنار الجوع وفر الشيطان من غلله واذا أشبع بطنه وترك حلقه فى لذائذ الشهوات فقد رطب اعضاءه وامكن الشيطان والشبع نهر فى النفس ترده الشياطين والجوع نهر فى

بنارك الحديث بطوله وهو باطل لااصل له (١) حديث انك لبخيل ٧ (٢) حديث مدحت امرأة عند النبي
٧ قول العراقى انك لبخيل هكذا بالنسخ من غير ذكر راوولم يخرجه الشارح ايضا فلينظر اه مصححه

الى ان يسخو الانسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهى الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال و يمرض فلا يتداوى و يشتهى الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجانا لا كلها فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع انه محتاج اليه فانظر مابين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الايثار درجة فى السخاء وقد أثنى الله على الصحابة رضى الله عنهم به فقال و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال النبي صلى الله عليه وسلم (١) أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وقالت عائشة رضى الله عنها ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا (٣) ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيأ فدخل عليه رجل من الانصار فذهب بالضيف الى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف الطعام فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من صنيعكم الليلة الى ضيفكم ونزلت و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى والايثار أعلى درجات السخاء وكان ذلك من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله التسترى قال موسى عليه السلام يارب أرنى بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وامته فقال ياموسى انك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقى قال فكشف له عن ملكوت السموات فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى فقال يارب بماذا بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار ياموسى لا يأتينى أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته و بوأته من جنتى حيث يشاء وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه اذ أتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم رمى اليه الثانى والثالث فاكله وعبد الله ينظر اليه فقال ياغلام كم قوتك كل يوم قال مارأيت قال فلم آثرت به هذا الكلب قال ماهى بارض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أشبع وهو جائع قال فما أنت صانع اليوم قال أطوى يومى هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء ان هذا الغلام لاسخى منى فاشترى الحائط والغلام ومافيه من الآلات فاعتق الغلام ووهبه منه وقال عمر رضى الله عنه أهدى الى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال ان أخى كان أحوج منى اليه فبعث به اليه فلم يزل كل واحد يبعث به الى آخر حتى تداوله سبعة أبيات ورجع الى الاول و بات على كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) فاوحى الله

صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة الا أن فيها بخلا الحديث تقدم فى آفات اللسان (١) حديث أيما رجل اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له ابن حبان فى الضعفاء وأبو الشيخ فى الثواب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد تقدم (٢) حديث عائشة ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية ولو شئنا لشبعنا ولكنا نؤثر على أنفسنا البيهقى فى الشعب بلفظه ولكنه كان يؤثر على نفسه وأول الحديث عند مسلم بلفظ ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وللشيخين ماشبع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاثة ليال تباعا حتى قبض زاد مسلم من طعام (٣) حديث نزل به ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب به الى اهله الحديث فى نزول قوله تعالى و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة متفق عليه من حديث أبى هريرة (٤) حديث بات على على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله الى جبريل وميكائيل انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما اطول من الآخر الحديث فى نزول قوله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله احمد مختصرا من حديث ابن عباس شرى على نفسه فلبس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم نام مكانه الحديث وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل ولم اقف لهذه الزيادة على اصل وفيه ابو بلج مختلف فيه والحديث منكر

الروح ترده الملائكة و ينهزم الشيطان من جائع نائم فكيف اذا كان قائما و يعانق الشيطان شبعانا قائما فكيف اذا كان نائما فقلب المريد الصادق يصرخ الى الله تعالى من طلب النفس الطعام والشراب * دخل رجل الى الطيالسى. وهو يأكل خبزا يابسا قد بله بالماء مع ملح جريش فقال له كيف تشتهى هذا قال أدعه حتى أشتهيه (وقيل) من أسرف فى مطعمه ومشربه يعجل الصغار والذل اليه فى دنياه قبل آخرته (وقال) بعضهم الباب العظيم الذى يدخل منه الى الله تعالى قطع الغذاء (وقال بشر) ان الجوع

تعالى الى جبريل وميكائيل عليهما السلام انى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة وأحباها فاوحى الله عز وجل اليهما أفلا كنتما مثل على بن أبى طالب آخيت بينه و بين نبيي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه و يؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام يقول بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب والله تعالى يباهى بك الملائكة فانزل الله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد وعن أبى الحسن الانطاكى انه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسا وكانوا فى قرية بقرب الرى ولهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم يأكل احد منه شيأ ايثارا لصاحبه على نفسه وروى ان شعبة جاءه سائل وليس عنده شئ فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه ثم اعتذر اليه وقال حذيفة العدوى انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لى ومعى شئ من ماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار الى ان نعم فاذا رجل يقول آه فاشار ابن عمى الى ان انطلق به اليه فجئته فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع به آخر فقال آه فاشار هشام انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات رحمة الله عليهم اجمعين وقال عباس بن دهقان ماخرج احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحرث فانه اتاه رجل فى مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه واعطاه اياه واستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع عال وقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب فى الميتة فمازالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر اليها حتى اكلت الميتة و بقى العظم ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجاء الى تلك العظام فاكل مما بقى عليها قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من اخبار الايثار واحوال الاولياء فى كتاب الفقر والزهد فلا حاجة الى الاعادة ههنا وبالله التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل

﴿ بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما ﴾

لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ماحد البخل و بماذا يصير الانسان بخيلا ومامن انسان الا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل و يقول آخرون ليس هذا من البخل ومامن انسان الا و يجد من نفسه حبا للمال ولاجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك احد عن البخل واذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذى يوجب الهلاك وماحد السخاء الذى يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من ادى مايجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا الى القصاب والخبز للخباز بنقصان حبة او نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذى يفرضه القاضى ثم يضايقهم فى لقمة ازدادوها عليه او تمرة اكلوها من ماله يعد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن انه يأكل معه فاخفاه عنه عد بخيلا وقال قائلون البخيل هو الذى يستصعب العطية وهو ايضا قاصر فانه ان اريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة ومايقرب منها و يستصعب مافوق ذلك وان اريد به انه يستصعب بعض العطايا فامن جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو مايستغرق جميع ماله او المال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا فى الجود فقيل الجود عطاء بلامن واسعاف من غير روية وقيل الجود عطاء من غير مسئلة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما امكن وقيل الجود عطاء على رؤية ان المال لله تعالى والعبد لله عز وجل

يصفى الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق وقال ذو النون ما اكلت حتى شبعت ولا شربت حتى رويت الا عصيت الله او هممت بمعصية وروى القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت كان يأتى علينا الشهر ونصف شهر ماتدخل بيتنا نار لالمصباح ولا لغيره قال قلت سبحان الله فباى شئ كنتم تعيشون قالت بالتمر والماء وكان لنا جيران من الانصار جزاهم الله خيرا كانت لهم منائح فربما واسونا بشئ (وروى) ان حفصة بنت عمر رضى الله عنهما قالت لابيها ان الله قد اوسع الرزق فلو

فيعطي عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيأ فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيأ فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذلم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخاء وقد قيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجو ارحه مالم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه اليه فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فاقول ان الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع ابخل كالذي يمنع اداء الزكاة ويمنع عياله واهله النفقة او يؤديها ولكنه يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف او الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب قلبه ان يعطي من اطيب ماله اومن وسطه فهذا كله بخل * واما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله استقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الاجانب ويستقبح من الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح في المعاملة فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة في ضيافة او معاملة وبما به المضايقة من طعام او ثوب اذ يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلا او شراء الاضحية او شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك بمن معه المضايقة من صديق واخ او قريب او زوجة او ولد او اجنبي وبمن منه المضايقة من صبي او امراة او شيخ او شاب او عالم او جاهل او موسر او فقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي ان لا يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروءة وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ المال فان صيانة الدين اهم من حفظ المال فمانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المروءة اهم من حفظ المال والمضايق في الدقائق مع من لا تحسن معه المضايقة هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة اخرى وهو ان يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الآخرة وامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس ببخل عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام ايضا سمة البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت الزكاة الواجبة وليس على غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن ادى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه اليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل او كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس اجود من بعض فاصطناع

أكلت طعاما أكثر من طعامك ولبست ثيابا ألين من ثيابك فقال اني أخاصمك الى نفسك ألم يكن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا يقول مرارا فبكت فقال قد اخبرتك والله لاشاركنه في عيشه الشديد لعلي أصيب عيشة الرخاء وقال بعضهم ما نخلت لعمر دقيقا الا وانا له عاص (وقالت) عائشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام من خبز بر حتى مضى لسبيله وقالت عائشة رضي الله عنها أديموا قرع باب الملكوت يفتح لكم قالوا كيف نديم قالت بالجوع والعطش والظمأ (وقيل) ظهر ابليس

المعروف وراءماتوجبه العادة والمروءة هوالجود ولكن بشرط ان يكون عن طيب نفس ولايكون عن طمع ورجاء خدمة اومكافأة أوشكر أوثناء فان من طمع فى الشكر والثناءفهو بياع وليس بجواد فانه يشترى المدح بماله والمدح لذيذوهومقصودفى نفسه والجودهو بذل الشيء من غيرعوض هذاهو الحقيقة ولا يتصور ذلك الامن الله تعالى وأماالآدمى فاسم الجود عليه مجاز اذلا يبذل الشيء الا لغرض ولكنه اذالم يكن غرضه الاالثواب فى الآخرةاوا كتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادافان كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلاأومن ملامة الخلق اومايتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهى اعواض معجلةله عليه فهو معتاض لاجوادكاروى عن بعض المتعبدات انها وقفت على خبان بن هلال وهوجالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اساله عن مسالة فقالوا لهاسلى عما شئت واشاروا الى حبان بن هلال فقالت ماالسخاء عندكم قالواالعطاء والبذل والايثار قالت هذاالسخاء فى الدنيا فما السخاء فى الدين قالواان نعبد الله سبحانه سخية بها انفسنا غيرمكرهة قالت فتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله تعالى وعدنابالحسنة عشر امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدةوأخذتم عشرة فباى شىء تسخيتم عليه قالوالها فماالسخاء عندك يرحمك الله قالت السخـاء عندى ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غيركارهين لاتر يدون على ذلك اجراحتى يكون مولاكم يفعل بكم مايشاء ألا تستحيون من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيابشيء ان هذافى الدنيالقبيح وقالت بعض المتعبـدات اتحسبون ان السخاء فى الدرهم والدينار فقط قيل ففيم قالت السخاء عندى فى المهج وقال المحاسبي السخاء فى الدين ان تسخو بنفسك تتلفها لله عزوجل و يسخوقلبك ببذل مهجتك واهراق دمك لله تعالى بسماحة من غيرا كراه ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلاوان كنت غيرمستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك مالاتحسن ان تختاره لنفسك

﴿بيان علاج البخل﴾

اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان * احدهما حب الشهوات التى لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لوعلم أنه يموت بعد يوم ربما انه كان لا يبخل بماله اذ القدر الذى يحتاج اليه فى يوم اوفى شهر اوفى سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له اولاد اقام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك قال عليه السلام (١) الولد مبخنة مجبنة مجهلة فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة * السبب الثانى ان يحب عين المال فمن الناس من معه مايكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ماجرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلاولد ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها فى يده و بقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فتضيع أو ياخذها اعداؤه ومع هذافلاتسمح نفسه بان ياكل او يتصدق منها بحبة واحدة وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لاسيمافى كبر السن وهومرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصافاحب رسوله لنفسه ثم نسى محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول يبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد تنسى الحاجات و يصير الذهب عنده كانه محبوب فى نفسه وهو غاية الضلال بل من راى بينه و بين الحجر فرقا فهوجاهل الا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المـال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير و بالصبر وتعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر فى موت الاقران وطول تعبهم فى جمع المال وضياعه بعدهم وتعالج التفات القلب الى الولد بان خالقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله احسن ممن

ليحي بن زكريا عليهما السلام وعليه معاليق فقال ماهذه قال الشهوات التى اصيب بها ابن آدم قال هل تجد لى فيها شهوة قال لا غيرانك شبعت ليلة فثقلناك عن الصلاة والذكر فقال لاجرم انى لا اشبع ابدا فقال ابليس لاجرم انى لا انصح احدا ابدا * (وقال) شقيق العبادة حرفة و حانوتها الخلوة وآلاتها الجوع وقال لقمان لابنه اذا ملئت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة (وقال) الحسن لاتجمعوا بين الادمين فانه من طعام المنافقين وقال بعضهم اعوذ بالله من زاهد قدافسدت

(١) حديث الولد مبخلة زاد فى رواية محزنة ابن ماجه من حديث يعلى ابن مرة دون قوله محزنة رواه بهذه الزيادة ابو يعلى والبزار من حديث ابي سعيد والحاكم من حديث الاسود بن خلف واسناده صحيح

ورثه بان يعلم انه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير و ينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا فالله
كافيه وان كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته اليه و يعالج أيضا قلبه بكثرة التامل فى الاخبار
الواردة فى ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التامل
فى أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له فانه مامن بخيل الا و يستقبح البخل من غيره و يستثقل كل
بخيل من أصحابه فيعلم أنه مستثقل ومستقذر فى قلوب الناس مثل سائر البخلاء فى قلبه و يعالج أيضا قلبه بان يتفكر
فى مقاصد المال وانه لماذا خلق ولا يحفظ من المال الا بقدر حاجته اليه والباقى يدخره لنفسه فى الآخرة بان يحصل
له ثواب بذله فهذه الادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الامساك فى الدنيا
والآخرة هاجت رغبته فى البذل ان كان عاقلا فان تحركت الشهوة فينبغى أن يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف فان
الشيطان يعده الفقر و يخوفه و يصده عنه * حكى أن أبا الحسن البوشنجى كان ذات يوم فى الخلاء فدعا تلميذا
له وقال انزع عنى القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسى أن تتغير وكان قد
خطر لى بذله ولا تزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى
اذا سافر وفارق تكلفا وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذى يريد علاج البخل ينبغى أن يفارق المال تكلفا
بان يبذله بل لو رماه فى الماء كان أولى به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه أن يخدع نفسه بحسن
الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا فى حشمة الجود فيكون قد أزال
عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء و يزيله بعلاجه و يكون طلب
الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى
واللعب ولكن لينفك عن الثدى اليه ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغى أن يسلط بعضها
على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها و يسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعونتها به الا ان
هذا مفيد فى حق من كان البخل اغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه محبوبا
عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقلع من علة و يزيد فى أخرى مثلها الا ان علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل لاجل
الرياء فبذلك يتبين ان الرياء اغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغى ان يبذل فان ذلك يدل على ان
مرض البخل اغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال ان الميت تستحيل جميع اجزائه دودا ثم
يا كل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها ثم يا كل بعضها بعضا حتى ترجع الى اثنتين قويتين عظيمتين ثم
لا تزالان تتقاتلان الى ان تغلب احدهما الاخرى فتا كلها وتسمن بها ثم لا تزال تبقى جائعة وحدها الى ان تموت
فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها و يجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان
لا يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات ان لا يعمل
بمقتضاها فانها تقتضى لا محالة اعمالا واذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضى امساك المال فاذا
منع مقتضاه و بذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب فيه فان علاج
البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع الى الجود والبذل على سبيل التكلف
ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمى و يصم فيمنع تحقق المعرفة فيه واذا لم يتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر
العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذى يمنع معرفة الدواء وامكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت
وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية فى معالجة علة البخل فى المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزواياهم وكان
اذا توهم فى مريد فرحه بزاويته ومافيها نقله الى زاوية غيرها ونقل زاوية غيره اليه واخرجه عن جميع ماملكه واذا
رآه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه اوسجادة يفرح بها يامره بتسليمها الى غيره و يلبسه ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه
فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل انس بالدنيا وأحبها فان كان له الف متاع كان له الف

معدته ألوان الاغذية فيكره للمريد أن يوالى فى الافطار أكثر من أربعة أيام فان النفس عند ذلك تركن الى العادة وتتسع بالشهوة (وقيل) الدنيا بطنك فعلى قدر زهدك فى بطنك زهدك فى الدنيا وقال عليه السلام ماملا ادمى وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لامحالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقال فتح الموصلى صحبت ثلاثين شيخا كل يوصينى عند مفارقتى اياه بترك عشرة الاحداث وقلة الا كل

(الباب الاربعون فى اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والافطار)

جمع من المشايخ

محبوب ولذلك اذا سرق كل واحد منه ألمت به مصيبة بقدر حبه له فاذا مات نزل به الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك * حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم يرله نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة او فقرا قال كيف قال ان كسر كان مصيبة لاجبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك في أمن من المصيبة والفقر ثم اتفق يوما ان كسر او سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شان جميع اسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار وعدوة اولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة الله اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فانها تاكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزائن والحراس والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال ياكل نفسه و يضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يانس به ولم يفرح به ولم يؤخذ منه الا بقدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما امسكه لحاجته فليس ببخل وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شط الدجلة اذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة

﴿ بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله ﴾

اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية ياخذها الراقي و يستخرج منها الترياق و ياخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو أحد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس وظائف ﴿ الاولى ﴾ أن يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى يكتسب ولا يحفظ الا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه ﴿الثانية﴾ ان يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلطان و يجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذي فيه الذلة وهتك المروءة وما يجري مجراه ﴿الثالثة﴾ في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات أدنى واوسط واعلى ومادام مائلا الى جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة كان محقا و يجيء من جملة المحققين وان جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد ﴿الرابعة﴾ ان يراعي جهة المخرج و يقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرنا فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء ﴿ الخامسة ﴾ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فياخذ ما ياخذ ليستعين به على العبادة و يترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له اذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي رضي الله عنه لو ان رجلا أخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة او ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة في حقك وكذلك ينبغي ان تكون نيتك في كل ما يحفظك من قميص وازار وفراش وآنية لان كل ذلك مما يحتاج اليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي ان يقصد به ان ينتفع به عبد من عباد الله ولا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا تضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك الا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم انه يشبه اغنياء الصحابة شابه الصبي الذي يرى المعزم الحاذق ياخذ الحية و يتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدي به و يظن انه اخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فياخذها اقتداء به فتقتله في الحال الا ان قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية فقيل

هي دنيا كحية تنفث السم وان كانت المجسة لانت

الصوفية كانوا يديمون الصوم في السفر والحضر على الدوام حتى لحقوا بالله تعالى وكان أبو عبد الله بن جابار قد صام نيفا وخمسين سنة لا يفطر في السفر والحضر فجهد به اصحابه يوما فافطر فاعتل من ذلك اياما فاذا رأى المريد صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دائما و يدع للافطار جانبا فهو عون حسن له على ما يريد ﴿ روى ﴾ ابو موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام الدهر ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين اي لم يكن له فيها موضع وكره قوم صوم الدهر وقد ورد في ذلك ما رواه ابو قتادة

وكما يستحيل كما ان يتشبه الاعمى بالبصير فى تخطى قلل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة فمحال ان يتشبه العامى بالعالم الكامل فى تناول المال

﴿ بيان ذم الغنى ومدح الفقر ﴾

اعلم ان الناس قد اختلفوا فى تفضيل الغنى الشاكر على الفقير الصابر وقد اوردنا ذلك فى كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا فى هذا الكتاب ندل على ان الفقر افضل واعلى من الغنى على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحرث المحاسبي رضى الله عنه فى بعض كتبه فى الرد على بعض العلماء من الاغنياء حيث احتج باغنياء الصحابة و بكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر الامة فى علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات وكلامه جدير بان يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له فى الرد على علماء السوء بلغنا ان عيسى بن مريم عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والامانى وتعملون بالهوى وما يغنى عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل فى صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكى من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فاى الناس اخسر منكم لو تعلمون، ويلكم حتام تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون فى محل المتحيرين كأنكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغنى عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغنى عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم وأجوافكم منه وحشة متعطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم ثم قال الحرث رحمه الله اخوانى فهؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا فى عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة واذلوا الدين للدنيا فهم فى العاجل عار وشين وفى الآخرة هم الخاسرون او يعفو الكريم بفضله و بعد فانى رأيت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فيتفجر عنه انواع الهموم وفنون المعاصى والى البوار والتلف مصيره فرح الهالك برجاء فلم تبق له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين فيا لها من مصيبة ما افظعها ورزية ما اجلها الا فراقبوا الله اخوانى ولا يغرنكم الشيطان وأولياؤه من الآنسين بالحجج الداحضة عند الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج و يزعمون ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم اموال فيتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك ايها المفتون ان احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك فتهلك لانك متى زعمت ان اخيار الصحابة ارادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم الى أمر عظيم ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى وافضل من تركه فقد ازدريت محمدا والمرسلين ونسبتهم الى قلة الرغبة والزهد فى هذا الخير الذى رغبت فيه انت واصحابك من جمع المال ونسبتهم الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى من تركه فقد زعمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح للامة اذ نهاهم (١) عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا و بهم رؤفا ومتى زعمت ان جمع

قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا أفطر واول قوم ان صوم الدهر هو ان لا يفطر العيدين وايام التشريق فهو الذى يكره واذا افطر هذه الايام فليس هو الصوم الذى كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان يصوم يوما ويفطر يوما وقد ورد افضل الصيام صوم أخى داود عليه السلام كان يصوم يوما و يفطر يوما واستحسن ذلك قوم من الصالحين ليكون بين حال الصبر وحال الشكر * ومنهم من كان يصوم يومين و يفطر يوما او يصوم يوما و يفطر يومين

(١) حديث النهى عن جمع المال ابن عدى من حديث ابن مسعود ما اوحى الله الى ان اجمع المال وا كون من التاجرين الحديث ولابى نعيم والخطيب فى التاريخ والبيهقى فى الزهد من حديث الحارث بن سويد فى اثناء الحديث لا تجمعوا

المال أفضل فقد زعمت ان الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير لهم أو زعمت أن الله تعالى لم يعلم ان الفضل فى الجمع فلذلك نهاهم عنه وأنت علم بما فى المال من الخير والفضل فلذلك رغبت فى الاستكثار كانك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون تدبر بعقلك مادهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك ماينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ود عبد الرحمن بن عوف فى القيامة انه لم يؤت من الدنيا الا قوتا ولقد بلغنى انه لما توفى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وأنفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بعظم لحى بعير فأخذه بيده ثم انطلق يريد كعبا فقيل لكعب ان ابا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به واخبره الخبر واقبل ابو ذر يقص الاثر فى طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من أبى ذر فقال له ابو ذر هيه ياابن اليهودية تزعم ان لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ولقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو احد وانا معه فقال ياابا ذر فقلت لبيك يارسول الله فقال[1] الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ماهم ثم قال ياابا ذر قلت نعم يارسول الله بأبى انت وامى قال مايسرنى ان لى مثل احد انفقه فى سبيل الله اموت يوم اموت واترك منه قيراطين قلت اوقنطارين يارسول الله قال بل قيراطان ثم قال ياابا ذر انت تريد الاكثر وانا اريد الاقل فرسول الله يريد هذا وانت تقول ياابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه حتى خرج * وبلغنا ان عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضى الله عنها ماهذا قيل عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] يقول انى رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم ار احدا من الاغنياء يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن عوف رأيته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن ان العير وماعليها فى سبيل الله وان أرقاءها أحرار لعلى ان أدخلها معهم سعيا وبلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم[3] قال لعبد الرحمن بن عوف اما انك اول من يدخل الجنة من اغنياء امتى وما كدت ان تدخلها الا حبوا * ويحك ايها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن فى فضله وتقواه وصنائعه المعروف وبذله الاموال فى سبيل الله مع صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم[4] وبشراه بالجنة أيضا يوقف فى عرصات القيامة

ومنهم من كان يصوم يوم الاثنين والخميس والجمعة (وقيل) كان سهل بن عبدالله يا كل فى كل خمسة عشر يوما مرة وفى رمضان يا كل اكلة واحدة وكان يفطر بالماء القراح للسنة (وحكى) عن الجنيد انه كان يصوم على الدوام فاذا دخل عليه اخوانه افطر معهم ويقول ليس فضل المساعدة مع الاخوان باقل من فضل الصوم غير ان هذا الافطار يحتاج الى علم فقد يكون الداعى الى ذلك شره النفس لانية الموافقة وتخليص النية لمحض الموافقة مع وجود شره النفس صعب وسمعت شيخنا يقول لى سنين

مالا تأكلون وكلاهما ضعيف (١) حديث ابى ذر الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا الحديث متفق عليه وقد تقدم دون هذه الزيادة التى فى اوله من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف كسب طيبا وترك طيبا وانكار أبى ذر عليه فلم اقف على هذه الزيادة الا فى قول الحارث بن اسد المحاسبي بلغنى كما ذكره المصنف وقد رواها أحمد وأبو يعلى اخصر من هذا ولفظ كعب اذا كان قضى عنه حق الله فلا بأس به فرفع ابو ذر عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما احب لو كان هذا الجبل لى ذهبا الحديث وفيه ابن لهيعة (٢) حديث عائشة رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين شعثا الحديث فى ان عبد الرحمن ابن عوف يدخل الجنة حبوا رواه احمد مختصرا فى كون عبد الرحمن يدخل حبوا دون ذكر فقراء المهاجرين والمسلمين وفيه عمارة بن زاذان مختلف فيه الحديث (٣) حديث انه قال له اما انك اول من يدخل الجنة من اغنياء امتى وما كدت ان تدخلها الا حبوا البزار من حديث انس بسند ضعيف والحاكم من حديث عبد الرحمن ابن عوف ياابن عوف انك من الاغنياء ولن تدخل الجنة الا زحفا وقال صحيح الاسناد قلت بل ضعيف فيه خالد ابن ابى مالك ضعفه الجمهور (٤) حديث بشر النبى صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف بالجنة الترمذى والنسائى فى الكبرى من حديثه ابو بكر فى الجنة الحديث وفيه وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وهو عند الاربعة

واهوالها

وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف وأنفق منه قصدا وأعطى فى سبيل الله سمحا منع من السعى الى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو فى آثارهم حبوا فما ظنك بامثالنا الغرقى فى فتن الدنيا و بعد فالعجب كل العجب لك يامفتون تتمرغ فى تخاليط الشبهات والسحت وتتكالب على أوساخ الناس وتتقلب فى الشهوات والزينة والمباهات وتتقلب فى فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن وتزعم انك ان جمعت المال فقد جمعه الصحابة كانك أشبهت السلف وفعلهم و يحك ان هذا من قياس ابليس ومن فتياه لاوليائه وساصف لك أحوالك واحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة ولعمرى لقد كان لبعض الصحابة اموال ارادوها للتعفف والبذل فى سبيل الله فكسبوا حلالا واكلوا طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا والله باكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفى الشدة آثروا الله على انفسهم كثيرا فبالله اكذلك انت والله انك لبعيد الشبه بالقول و بعد فان أخبار الصحابة كانوا للمسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين و بالله فى أرزاقهم واثقين و بمقادير الله مسرورين وفى البلاء راضين وفى الرخاء شاكرين وفى الضراء صابرين وفى السراء حامدين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم و رضوا بالبلغة منها و زجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها و زهدوا فى نعيمها وزهراتها فبالله أكذلك أنت ولقد بلغنا أنهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله واذا رأوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين و بلغنا أن بعضهم كان اذا أصبح وعند عياله شىء أصبح كئيبا حزينا واذا لم يكن عندهم شىء أصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس اذا لم يكن عندهم شىء حزنوا واذا كان عندهم شىء فرحوا وأنت لست كذلك قال انى اذا أصبحت وليس عند عيالى شىء فرحت اذ كان لى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة واذا كان عند عيالى شىء اغتممت اذ لم يكن لى بآل محمد اسوة و بلغنا انهم كانوا اذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا مالنا وللدنيا ومايراد بها فكأنهم على جناح خوف واذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل اكثر مما وصفنا فبالله اكذلك انت انك لبعيد الشبه بالقول وساصف لك احوالك ايها المفتون ضد الاحوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى وتبطر عند الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل عن شكر ذى النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر وتانف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وأنت تانف من فخرهم وأنت تدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا و زهرتها وشهواتها ولذاتها ولقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) قال شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم فربت عليه أجسامهم و بلغنا أن بعض أهل العلم قال ليجىء يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وانت فى غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فيالها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة فى الدنيا وقد بلغنا انه من طلب الدنيا للتكاثر او للتفاخر لقى الله وهو عليه غضبان وانت غير مكترث بما حل بك من غضب ربك حين اردت التكاثر والعلو نعم وعساك المكث فى الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار الله فانت تكره لقاء الله والله للقائك اكره وانت فى غفلة وعساك تاسف على مافاتك من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اسف على دنياه فاتته اقترب من النار مسيرة شهر وقيل سنة وانت تاسف على مافاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح باقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك بسرورنها وقد بلغنا ان وسول الله صلى

ماأكلت شيأ بشهوة نفس ابتداء واستدعاء بل يقدم الى الشىء فاراه من فضل الله ونعمته وفعله فاوافق الحق فى فعله (وذكر) انه فى ذات يوم اشتهى الطعام ولم يحضر ومن عادته تقديم الطعام اليه قال ففتحت باب البيت الذى فيه الطعام واخذت رمانة لآكلها فدخلت السنور وأخذت دجاجة كانت هناك فقلت هذا عقوبة لى على تصرفى فى أخذ الرمانة (ورايت) الشيخ أبا السعود رحمه الله يتناول الطعام فى اليوم مرات أى وقت أحضر الطعام أكل منه و يرى أن تناوله للطعام موافقة الحق لان حاله مع الله كان ترك الاختيار فى

(١) حديث شرار امتى الذين غذوا بالنعيم من حديث سعيد بن زيد قال البخارى والترمذى وهذا اصح الحديث تقدم ذكره فى اوائل كتاب ذم البخل عند الحديث الرابع منه من اسف على دنياه فاتته اقترب من النار مسيرة سنة.

الله عليه وسلم (١) قال من احب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه و بلغنا ان بعض أهل العلم قال انك تحاسب
على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك فى الدنيا اذا قدرت عليها وانت فرح بدنياك وقد سلبت
الخوف من الله تعالى وعساك تعنى باموردنياك اضعاف ماتعنى بامور آخرتك وعساك ترى مصيبتك فى معاصيك
اهون من مصيبتك فى انتقاص دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل
للناس ماجمعت من الاوساخ كلها للعلو والرفعة فى الدنيا وعساك ترضى المخلوقين مساخطا لله تعالى كيما تكرم
وتعظم ويحك فكان احتقار الله تعالى لك فى القيامة أهون عليك من احتقار الناس اياك وعساك تخفى من
المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكان الفضيحة عند الله اهون عليك من الفضيحة عند
الناس فكان العبيد اعلى عندك قدرا من الله تعالى الله عن جهلك فكيف تنطق عند ذوى الألباب وهذه المثالب
فيك أف لك متلوثا بالاقذار وتحتج بمال الابرار هيهات هيهات ما ابعدك عن السلف الاخيار والله لقد بلغنى انهم
كانوا فيما احل لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذى لا باس به عندكم كان من الموبقات عندهم وكانوا للزلة
الصغيرة اشد استعظاما منكم لكبائر المعاصى فليت اطيب مالك واحله مثل شبهات أموالهم وليتك اشفقت من
سيئاتك كما شفقوا على حسناتهم ان لا تقبل ليت صومك على مثال افطارهم وليت اجتهادك فى العبادة على مثل
فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم وقد بلغنى عن بعض الصحابة انه قال غنيمة
الصديقين مافاتهم من الدنيا ونهمتهم مازوى عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم فى الدنيا ولا معهم فى الآخرة
فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة فى العلو عند الله وفريق امثالكم فى السفالة
او بعفو الله الكريم بفضله و بعد فانك ان زعمت انك متاس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل فى سبيل الله
فتدبر امرك ويحك هل تجد من الحلال فى دهرك كما وجدوا فى دهرهم او تحسب انك محتاط فى طلب الحلال
كما احتاطوا لقد بلغنى ان بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع فى باب من الحرام افتطمع
من نفسك فى مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما احسبك كذلك ويحك كن على يقين ان جمع المال لاعمال
البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر فى اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) قال من اجترأ على الشبهات اوشك ان يقع فى الحرام ايها المغرور أما علمت ان
خوفك من اقتحام الشبهات أعلى وافضل واعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات و بذلها فى سبيل الله
وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تدع درهما واحدا مخافة أن لا يكون حلالا خير لك من أن تتصدق
بالف دينار من شبهة لا تدرى أيحل لك ام لا فان زعمت أنك اتقى واورع من أن تتلبس بالشبهات وانما تجمع المال
بزعمك من الحلال للبذل فى سبيل الله ويحك ان كنت كما زعمت بالغا فى الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار
الصحابة خافوا المسالة و بلغنا ان بعض الصحابة قال ماسرنى ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقها
فى طاعة الله ولم يشغلنى الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمك الله قال لانى غنى عن مقام يوم القيامة فيقول
عبدى من اين اكتسبت وفى اى شئ انفقت فهؤلاء المتقون كانوا فى جدة الاسلام والحلال موجود لديهم
تركوا المال وجدا من الحساب مخافة ان لا يقوم خير المال بشره وانت بغاية الامن والحلال فى دهرك مفقود
تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال و يحك اين الحلال فتجمعه و بعد فلو كان الحلال موجودا
لديك اما تخاف ان يتغير عند الغنى قلبك وقد بلغنا ان بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة ان
يفسد قلبه افتطمع ان يكون قلبك اتقى من قلوب الصحابة فلا يزول عن شئ من الحق فى امرك واحوالك لئن

---

(١) حديث من احب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه لم اجده الا بلاغا للحارث بن اسد المحاسبي كما ذكره المصنف عنه (٢) حديث من اجترأ على الشبهات اوشك ان يقع فى الحرام متفق عليه من حديث النعمان بن بشير نحوه وقد تقدم فى كتاب الحلال والحرام اول الحديث

ماكوله وملبوسه وجميع تصاريفه وكان حاله الوقوف مع فعل الحق وقد كان له فى ذلك بداية يعز مثلها حتى نقل انه كان يبقى اياما لا ياكل ولا يعلم احد بحاله ولا يتصرف هو لنفسه ولا يتسبب الى تناول شئ وينتظر فعل الحق لسياقه الرزق اليه ولم يشعر احد بحاله مدة من الزمان ثم ان الله تعالى اظهر حاله واقام له الاصحاب والتلامذة وكانوا يتكلفون الاطعمة و ياتون بها اليه وهو يرى فى ذلك فضل الحق والموافقة سمعته يقول اصبح كل يوم واحب ما الى الصوم وينقض الحق على محبتى الصوم بفعله فاوافق الحق فى

ظننت ذلك لقد احسنت الظن بنفسك الامارة بالسوء ويحك انى لك ناصح أرى لك أن تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) انه قال من نوقش الحساب عذب وقال عليه السلام يؤتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفقه فى حرام فيقال اذهبوا به الى النار و يؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه فى حرام فيقال اذهبوا به الى النار و يؤتى برجل قد جمع مالا من حرام وأنفقه فى حلال فيقال اذهبوا به الى النار و يؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وأنفقه فى حلال فيقال له قف لعلك قصرت فى طلب هذا بشئ مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت فى شئ من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يارب كسبت من حلال وأنفقت فى حلال ولم اضيع شيأ مما فرضت على فيقال لعلك اختلت فى هذا المال فى شئ من مركب أو ثوب باهيت به فيقول لا يارب لم اختل ولم اباه فى شئ فيقال لعلك منعت حق أحد امرتك ان تعطيه من ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يارب كسبت من حلال وانفقت فى حلال ولم أضيع شيأ مما فرضت على ولم اختل ولم اباه ولم أضيع حق أحد امرتنى ان اعطيه قال فيجئ أولئك فيخاصمونه فيقولون يارب اعطيته وأغنيته وجعلته بين أظهرنا وأمرته ان يعطينا فان كان اعطاهم وماضيع مع ذلك شيأ من الفرائض ولم يختل فى شئ فيقال قف الآن هات شكر كل نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لذة فلا يزال يسئل ويحك فمن ذا الذى يتعرض لهذه المسألة التى كانت لهذا الرجل الذى تقلب فى الحلال وقام بالحقوق كلها وأدى الفرائض بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال امثالنا الغرقى فى فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه المسائل يخاف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الاخيار اسوة فان أبيت ذلك وزعمت انك بالغ فى الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل فى سبيل الله ولم تنفق شيأ من الحلال الا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله فى شئ من سرائرك وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغى لك ان ترضى بالبلغة وتعتزل ذوى الاموال اذا وقفوا للسؤال وتسبق مع الرعيل الاول فى زمرة المصطفى لاحبس عليك للمسألة والحساب فاما سلامة واما عطب فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) قال يدخل صعاليك المهاجرين قبل اغنيائهم الجنة بخمسمائة عام وقال عليه السلام (٤) يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل اغنيائهم فيأكلون و يتمتعون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتى انتم حكام الناس وملوكهم فارونى ماذا صنعتم فيما اعطيتكم و بلغنا ان بعض اهل العلم قال ماسرنى ان لى حمر النعم ولا أكون فى الرعيل الاول مع محمد عليه السلام وحزبه ياقوم فاستبقوا السباق مع المخفين فى زمرة المرسلين عليهم السلام وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل المتقين (٥) لقد بلغنى ان بعض الصحابة وهو ابو بكر رضى الله عنه عطش فاستسقى فاتى بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وابكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد فى البكاء فلما اكثر البكاء قيل له اكل هذا من اجل هذه الشربة قال نعم بينا انا

(١) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث يؤتى بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وانفقه فى حرام فيقال اذهبوا به الى النار بطوله لم اقف له على اصل (٣) حديث يدخل صعاليك المهاجرين قبل اغنيائهم الجنة بخمسمائة عام الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ابى سعيد بلفظ فقراء مكان صعاليك ولهما وللنسائى فى الكبرى من حديث ابى هريرة يدخل الفقراء الجنة الحديث ولمسلم من حديث عبد الله ابن عمر ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء الى الجنة باربعين خريفا (٤) حديث يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل اغنيائهم فيتمتعون و يأكلون الحديث لم اره له اصلا (٥) حديث ان بعض الصحابة عطش فاستسقى فاتى بشربة ماء وعسل الحديث فى دفع النبى صلى الله عليه وسلم الدنيا عن نفسه وقوله اليك عنى الحديث البزار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال كنا عند ابى بكر فدعا بشراب فاتى بماء وعسل الحديث قال الحاكم صحيح الاسناد قلت

فعله (وحكى) عن بعض الصادقين من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس الا فى رمضان (وقال) أبو نصر السراج أنكر قوم هذه المخالفة وان كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون لان صاحبه كان يريد بذلك تاديب النفس بالجوع وان لا يتمتع برؤية الصوم ووقع لى ان هذا ان قصد أن لا يتمتع برؤية الصوم فقد تمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصوم وهذا يتسلسل والاليق بموافقة العلم امضاء الصوم قال الله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم ولكن أهل الصدق لهم نيات فيما يفعلون فلا يعارضون والصدق محمود لعينه كيف

ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومامعه احد فى البيت غيرى فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول اليك
عنى فقلت له فداك أبى وأمى ماأرى بين يديك أحدا فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت الى بعنقها ورأسها
فقالت لى يا محمد خذنى فقلت اليك عنى فقالت ان تنج منى يا محمد فانه لا ينجو منى من بعدك فاخاف ان تكون هذه
قد لحقتنى تقطعنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ياقوم فهؤلاء الاخيار بكوا وجلا ان تقطعهم عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم شربة من حلال و يحك انت فى انواع من النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات
لاتخشى الانقطاع اف لك ما اعظم جهلك و يحك فان تخلفت فى القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد
المصطفى لتنظرن الى اهوال جزعت منها الملائكة والانبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق
ولئن اردت الكثرة لتصيرن الى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن
رضيت باحوال المتخلفين لتقطعن عن اصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين ولئن
خالفت احوال المتقين لتكونن من المحتبسين فى اهوال يوم الدين فتدبر و يحك ماسمعت و بعد فان زعمت انك
فى مثال خيار السلف قنع بالقليل زاهد فى الحلال بذول لماله مؤثر على نفسك لاتخشى الفقر ولا تدخر شيأ لغدك
مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر والبلا فرح بالقلة والمسكنة مسرور بالذل والضعة كاره للعلو والرفعة قوى
فى امرك لايتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك فى الله واحكمت امورك كلها على ماوافق رضوان الله
ولن توقف فى المسالة ولن يحاسب مثلك من المتقين وانما تجمع المال الحلال للبذل فى سبيل الله و يحك ايها المغرور
فتدبر الامر وأمعن النظر اماعلمت ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والتذكار والفكر
والاعتبار اسلم للدين وايسر للحساب واخف للمسالة وآمن من روعات القيامة واجزل للثواب واعلى لقدرك عند
الله اضعافا بلغنا عن بعض الصحابة انه قال لوان رجلا فى حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله لكان الذاكر
افضل * وسئل بعض اهل العلم عن الرجل يجمع المال لاعمال البر قال تركه ابر به و بلغنا ان بعض خيار
التابعين سئل عن رجلين احدهما طلب الدنيا حلالا فاصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه واما الآخر فانه
جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فايهما افضل قال بعيد والله ماينهما الذى جانبها افضل كما بين مشارق الارض
ومغاربها و يحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك فى العاجل ان تركت الاشتغال بالمال ان ذلك
اروح لبدنك واقل لتعبك وانعم لعيشك وارضى لبالك واقل لهمومك فما عذرك فى جمع المال وانت بترك
المال افضل ممن طلب المال لاعمال البر نعم وشغلك بذكر الله افضل من بذل المال فى سبيل الله فاجتمع
لك راحة العاجل مع السلامة والفضل فى الآجل * و بعد فلو كان فى جمع المال فضل عظيم لوجب
عليك فى مكارم الاخلاق ان تتأسى بنبيك اذ هداك الله به وترضى مااختاره لنفسه من مجانبة الدنيا و يحك
تدبر ماسمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز فى مجانبة الدنيا فسر مع لواء المصطفى سابقا الى جنة المأوى فانه
بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (1) قال سادات المؤمنين فى الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا استقرض لم
يجد قرضا وليس له فضل كسوة الا مايواريه ولم يقدر على ان يكتسب مايغنيه يمسى مع ذلك و يصبح راضيا عن ربه
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا الا يا اخى متى
جمعت هذا المال بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت انك للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر
تجمعه وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظم والتكرمة تجمعه ثم تزعم انك لاعمال
البر تجمع المال و يحك راقب الله واستحى من دعواك ايها المغرور و يحك ان كنت مفتونا بحب المال والدنيا
فكن مقرا ان الفضل والخير فى الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول نعم وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا

بل ضعيف وقد تقدم قبل هذا فى هذا الكتاب (1) حديث سادات المؤمنين فى الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء
الحديث عزاه صاحب مسند الفردوس للطبرانى من رواية ابى حازم عن ابى هريرة مختصرا بلفظ سادة الفقراء

كان والصادق فى خفارة صدقة كيف تقلب وقال بعضهم اذا رأيت الصوفى يصوم صوم التطوع فاتهمه فانه قد اجتمع معه شئ من الدنيا وقيل اذا كان جماعة متوافقين اشكالا وفيهم مريد يحثونه على الصيام فان لم يساعدوه يهتموا لافطاره و يتكلفوا له رفقا به ولا يحملوا حاله على حالهم وان كانوا جماعة مع شيخ يصومون لصومه و يفطرون لافطاره الا من يامره الشيخ بغير ذلك * وقيل ان بعضهم صام سنين بسبب شاب كان يصحبه حتى ينظر الشاب اليه فيتأدب به و يصوم بصيامه وحكى عن ابى الحسن المكى انه كان يصوم الدهر وكان مقيما

باساءتك وجلا من الحساب فذلك أنجى لك وأقرب الى الفضل من طلب الحجج لجمع المال * اخوانى اعلموا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من اورع الناس وازهدهم فى المباح لهم ونحن فى دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر العورة فاما جمع المال فى دهرنا فاعاذنا الله واياكم منه وبعد فاين لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم واين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم دهينا ورب السماء بادواء النفوس واهوائها وعن قريب يكون الورود فيا سعادة المخفين يوم النشور وحزن طويل لاهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم ان قبلتم والقابلون لهذا قليل وفقنا الله واياكم لكل خير برحمته آمين * هذا آخر كلامه وفيه كفاية فى اظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه و يشهد لذلك جميع الاخبار التى اوردناها فى كتاب ذم الدنيا وفى كتاب الفقر والزهد و يشهد له ايضا ماروى عن ابى امامة الباهلى (١) ان ثعلبة بن حاطب قال يارسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا قال ياثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه قال يارسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا قال ياثعلبة امالك فى اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبي الله تعالى اما والذى نفسى بيده لوشئت ان تسير معى الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذى بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله ان يرزقنى مالا لاعطين كل ذى حق حقه ولافعلن ولأفعلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى الجماعة و يدع ماسواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة الا الجمعة وهى تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسالهم عن الاخبار فى المدينة وسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال مافعل ثعلبة بن حاطب فقيل يارسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة واخبر بامره كله فقال ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة قال وانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وانزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بنى سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وامرهما ان يخرجا فياخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب و بفلان رجل من بنى سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله وسلم فقال ماهذه الا جزية ماهذه الا جزية ماهذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الى فانطلقا نحو السليمى فسمع بهما فقام الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا لا يجب عليك ذلك وما نريد ناخذ هذا منك قال بلى خذوها نفسى بها طيبة وانما هى لتاخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسالاه الصدقة فقال اورونى كتابكما فنظر فيه فقال هذه اخت الجزية انطلقا حتى ارى رأيى فانطلقا حتى اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال ياويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسليمى فاخبراه بالذى صنع ثعلبة و بالذى صنع السليمى فانزل الله تعالى فى ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ماوعدوه و بما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ما انزل الله فيه فخرج حتى اتى ثعلبة فقال لا ام لك ياثعلبة قد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فساله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعنى ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك امرتك فلم تطعنى فلما ابى ان يقبل منه شيا رجع الى منزله فلما اقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه فابى ان يقبلها منه وجاء بها الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فابى ان يقبلها منه وتوفى ثعلبة بعد فى خلافة عثمان فهذا طغيان المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث ولاجل بركة الفقر وشؤم

بالبصرة وكان لا يأكل الخبز الا ليلة الجمعة وكان قوته فى كل شهر أربع دوانيق يعمل بيده حبال الليف و يبيعها وكان الشيخ أبو الحسن ابن سالم يقول لا أسلم عليه الا أن يفطر ويأكل وكان ابن سالم اتهمه بشهوة خفية له فى ذلك لانه كان مشهورا بين الناس وقال بعضهم ما أخلص لله عبد قط الا أحب ان يكون فى جب لا يعرف ومن أكل فضلا من الطعام أخرج فضلا من الكلام وقيل أقام أبو الحسن التنيسى بالحرم مع أصحابه سبعة أيام لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فاخذه

فى الجنة الحديث ولم اره فى معاجم الطبرانى (١) حديث ابى امامة ان ثعلبة بن حاطب قال يارسول الله ادع الله ان يرزقنى مالا قال ياثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه الحديث بطوله الطبرانى بسند ضعيف

الغنى آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روى عن عمران بن حصين رضى الله عنه انه قال كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) منزلة وجاه فقال ياعمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بابى انت وامى يارسول الله فقام وقمت معه حتى وقفت بباب منزل فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يارسول الله قال اناومن معى قالت ومن معك يارسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذى بعثك بالحق نبيا ما على الاعباءة فقال اصنعى بها هكذ وهكذا واشار بيده فقالت هذا جسدى فقد واريته فكيف برأسى فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدى بها على رأسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليك يابنتاه كيف اصبحت قالت اصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على مابى انى لست اقدر على طعام آكله فقد اجهدنى الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعى يابنتاه فوالله ماذقت طعاما منذ ثلاث وانى لا كرم على الله منك ولو سألت ربى لاطعمنى ولكننى آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشرى فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت فاين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن فى بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعى بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا فى الدنيا سيدا فى الآخرة فانظر الآن الى حال فاطمة رضى الله عنها وهى بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت الفقر وتركت المال ومن راقب أحوال الانبياء والاولياء واقوالهم وما ورد من اخبارهم وآثارهم لم يشك فى ان فقد المال افضل من وجوده وان صرف الى الخيرات اذا قل مافيه مع اداء الحقوق والتوق من الشبهات والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله اذ لا ذكر الا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال وقد روى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم عليه السلام فقال اكون معك واصحبك فانطلقا فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة ارغفة فاكلا رغيفين و بقى رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف فقال لا ادرى قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها قال فدعا احدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل هو وذاك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل اسالك بالذى اراك هذه الآية من اخذ الرغيف فقال لا ادرى ثم انتهيا الى وادى ماء فاخذ عيسى بيده الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال له اسالك بالذى اراك هذه الاية من اخذ الرغيف فقال لا ادرى فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله تعالى فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثلث لى وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف فقال انا الذى اخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان فى المفازة ومعه المال فارادوا ان ياخذاه منه و يقتلاه فقال هو بيننا اثلاثا فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشترى لنا طعاما نا كله قال فبعثوا احدهم فقال الذى بعث لاى شىء أقاسم هؤلاء هذا المال لكنى اضع فى هذا الطعام سما فاقتلهما وآخذ المال وحدى قال ففعل وقال ذانك الرجلان لاى شىء نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا فبقى ذلك المال فى المفازة واولئك الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها * وحكى ان ذا القرنين أتى على امة من الامم ليس بايديهم شىء مما يستمتع به الناس من

واكله فرآه انسان فاتبع أثره وجاء برفق فوضعه بين يدى القوم فقال الشيخ من جنى منكم هذه الجناية فقال الرجل انا وجدت قشر بطيخ فاكلته فقال كن انت مع جنايتك ورفقك فقال انا تائب من جنايتى فقال لا كلام بعد التوبة وكانوا يستحبون صيام ايام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر روى ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض اسود جسده من اثر المعصية فلما تاب الله عليه امره ان يصوم ايام البيض فابيض ثلث جسده بكل يوم صامه حتى ابيض جميع جسده بصيام ايام البيض

(١) حديث عمران بن حصين كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله وفيه لقد زوجتك سيدا فى الدنيا سيدا فى الاخرة لم اجده من حديث عمران ولاحمد والطبرانى من حديث معقل بن يسار وضأت النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل لك فى فاطمة تعودها الحديث وفيه أما ترضين ان زوجتك اقدم امتى سلما واكثرهم علما واعظمهم حلما واسناده صحيح

دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم فى ذلك معايش من نبات الارض وأرسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى اليه حاجة فان كان له حاجة فليأتنى فقال ذو القرنين صدق فاقبل اليه ذو القرنين وقال له أرسلت اليك لتأتينى فأبيت فها أنا قد جئت فقال لو كان لى اليك حاجة لأتيتك فقال له ذو القرنين مالى أراكم على حالة لم أر أحدا من الامم عليها قال وماذاك قال ليس لكم دنيا ولا شىء أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قالوا انما كرهنا هما لان أحدا لم يعط منهما شيأ الا تاقت نفسه ودعته الى ماهو أفضل منه فقال مابالكم قد احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعاهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال وارا كم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها قالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا فى نبات الارض بلاغا وانما يكفى ابن آدم ادنى العيش من الطعام وايما ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال ياذا القرنين اتدرى من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال ياذا القرنين هل تدرى من هذا قال لا أدرى ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى مايصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل فى أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم اهوى الى جمجمة ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر ياذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك فى صحبتى فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما آتانى الله من هذا المال قال ما اصلح انا وانت فى مكان ولا ان نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال ولم قال يعادونك لما فى يديك من الملك والمال والدنيا ولا اجد احدا يعادينى لرفضى لذلك ولما عندى من الحاجة وقلة الشىء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك على آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل وبالله التوفيق تم كتاب ذم المال والبخل بحمد الله تعالى وعونه ويليه كتاب ذم الجاه والرياء

﴿كتاب ذم الجاه والرياء وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما تجنه الضمائر من خفايا العيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذى لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا فانه المنفرد بالملكوت فهو اغنى الاغنياء عن الشرك والصلاة والسلام على محمد وآله واصحابه المبرئين من الخيانة والافك وسلم تسليما كثيرا ﴿اما بعد﴾ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] ان اخوف ما اخاف على امتى الرياء والشهوة الخفية التى هى اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من اواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها وانما يبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع فى المعاصى الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل

ويستحبون صوم النصف الاول من شعبان وافطار نصفه الاخير وان واصل بين شعبان ورمضان فلا بأس به ولكن ان لم يكن صام فلا يستقبل رمضان بيوم أو يومين وكان يكره بعضهم ان يصام رجب جميعه كراهة المضاهاة برمضان ويستحب صوم العشر من ذى الحجة والعشر من المحرم ويستحب الخميس والجمعة والسبت أن يصام من الاشهر الحرم وورد فى الخبر من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت بعد من النار سبعمائة عام (الباب الحادى والاربعون فى آداب الصوم ومهامه) آداب الصوفية فى الصوم ضبط

﴿كتاب ذم الجاه والرياء﴾

(١) حديث ان اخوف ما اخاف على امتى الرياء والشهوة الخفية ابن ماجه والحاكم من حديث شداد بن اوس وقالا الشرك بدل الرياء وفسراه بالرياء قال الحاكم صحيح الاسناد قلت بل ضعيف وهو عند ابن المبارك فى الزهد ومن

والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فسارعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا فى التقريظ والاطراء ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا فى بركة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام وأكرموه فى المحافل غاية الاكرام وسامحوه فى البيع والمعاملات وقدموه فى المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له فى أغراضه موقرين فاصابت النفس فى ذلك لذة هى أعظم اللذات وشهوة هى اغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصى والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها فى الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن أن حياته بالله وبعبادته المرضية وانما حياته بهذه الشهوة الخفية التى تعمى عن دركها العقول النافذة القوية ويرى انه مخلص فى طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزيينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من عند الله من المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها الا الصديقون ومهواة لا يرقى منها الا المقربون ولذلك قيل اخرما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذى هو أعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول فى سببه وحقيقته ودرجاته واقسامه وطرق معالجته والحذر منه ويتضح الغرض منه فى ترتيب الكتاب على شطرين ﴿ الشطر الاول ﴾ فى حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب فى كونه محبوبا أشد من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمى وليس بكمال حقيقى وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب فى حب المدح والثناء وكراهية الذم وبيان العلاج فى حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهة الذم وبيان اختلاف أحوال الناس فى المدح والذم فهى اثناعشر فصلا منها تنشأ معانى الرياء فلابد من تقديمها والله الموفق للصواب بلطفه ومنه وكرمه

﴿ بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت ﴾

اعلم أصلحك الله ان أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال انس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) حسب امرئ من الشر ان يشير الناس اليه بالاصابع فى دينه ودنياه الا من عصمه الله وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) بحسب المرء من الشر الا من عصمه الله من السوء ان يشير الناس اليه بالاصابع فى دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم ولقد ذكر الحسن رحمه الله للحديث تاويلا ولا باس به اذ روى هذا الحديث فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا رأوك أشاروا اليك بالاصابع فقال انه لم يعن هذا وانما عنى به المبتدع فى دينه والفاسق فى دنياه وقال على كرم الله وجهه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم بن ادهم رحمه الله ماصدق الله من احب الشهرة وقال ايوب السختيانى والله ماصدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته

الظاهر والباطن وكف الجوارح عن الآثام كمنع النفس عن الطعام ثم كف النفس عن الاهتمام بالاقسام (سمعت) ان بعض الصالحين بالعراق كان طريقه وطريق أصحابه انهم كانوا يصومون وكلما فتح عليهم قبل وقت الافطار يخرجونه ولا يفطرون الاعلى مافتح لهم وقت الافطار وليس من الادب ان يمسك المريد عن المباح ويفطر بحرام الآثام (قال) أبو الدرداء ياحبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون قيام الحمق وصيامهم ولذرة من ذى يقين وتقوى فضل من أمثال الجبال من أعمال المغترين ومن

طريقه عند البيهقى فى الشعب بلفظ المصنف (١) حديث انس حسب امرئ من الشر الا من عصمه ان يشير الناس اليه بالاصابع فى دينه ودنياه البيهقى فى الشعب بسند ضعيف (٢) حديث جابر بحسب امرئ من الشر الحديث مثله وزاد فى آخره ان الله لا ينظر الى صوركم الحديث هو غير معروف من حديث جابر معروف من حديث ابى هريرة رواه الطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى الشعب بسند ضعيف مقتصرين على أوله ورواه مسلم مقتصرا على الزيادة التى فى آخره وروى الطبرانى والبيهقى فى الشعب أوله من حديث عمران بن حصين بلفظ كفى بالمرء اثما ورواه ابن يونس فى تاريخ الغرباء من حديث ابن عمر بلفظ هلاك بالرجل وفسر دينه بالبدعة ودنياه بالفسق واسنادهما

قام مخافة الشهرة وعن أبى العالية انه كان اذا جلس اليه اكثرمن ثلاثةقام ورأى طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار وقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول أبى بن كعب نمشى خلفه اذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا أمير المؤمنين ماتصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه ناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعونى فوالله لوتعلمون ما أغلق عليه بابى ما اتبعنى منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحمقى وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى ان يبقى هذا من قلب المؤمن وروى ان رجلا صحب ابن محيريز فى سفر فلما فارقه قال أوصنى فقال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشى ولا يمشى اليك وتسال ولا تسئل فافعل وخرج أيوب فى سفر فشيعه ناس كثيرون فقال لولا انى أعلم ان الله يعلم من قلبى انى لهذا كاره لخشيت المقت من الله عز وجل وقال معمر عاتبت أيوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فى تشميره وقال بعضهم كنت مع أبى قلابة اذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال اياكم وهذا الحمار الناهق يشير به الى طالب الشهرة وقال الثورى كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحرث أوصنى فقال أخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكى و يقول بلغ اسمى الجامع وقال بشر ما أعرف رجلا أحب ان يعرف الاذهب دينه وافتضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب ان يعرفه الناس رحمة الله عليه وعليهم أجمعين

﴿ بيان فضيلة الخمول ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) رب اشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وقال ابن مسعود قال النبى صلى الله عليه وسلم (٢) رب ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم انى اسالك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيأ وقال صلى الله عليه وسلم (٣) ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره وأهل النار كل متكبر مستكبر جواظ وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم (٤) ان اهل الجنة كل أشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لقولهم حوائج أحدهم تتخلخل فى صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم (٥) ان من امتى من لو اتى احدكم يساله دينارا لم يعطه اياه ولو ساله درهما لم يعطه اياه ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو سأل الله تعالى الجنة لاعطاه اياها ولو ساله الدنيا لم يعطه اياها وما منعها اياه الا لهوانها عليه رب ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وروى ان عمر رضى الله عنه دخل المسجد فراى معاذ بن جبل يبكى عند

فضيلة الصوم وأدبه أن يقلل الطعام عن الحد الذى كان يأكله وهو مفطر والا فاذا جمع الاكلات بأكلة واحدة فقد أدرك بها ما فوت ومقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها عن الاتساع واخذهم من الطعام قدر الضرورة لعلمهم ان الاقتصار على الضرورة يجذب النفس من سائر الافعال والاقوال الى الضرورة والنفس من طبعها أنها اذا اقهرت لله تعالى فى شئ واحد على الضرورة تأدى ذلك الى سائر أحوالها فيصير بالاكل النوم ضرورة والقول والفعل ضرورة وهذا باب كبير من أبواب الخير لاهل الله تعالى يجب رعايته

ضعيف (١) حديث رب اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك مسلم من حديث ابى هريرة رب اشعث مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره وللحاكم رب اشعث اغبر ذى طمرين تنبو عنه اعين الناس لو اقسم على الله لابره وقال صحيح الاسناد ولابى نعيم فى الحلية من حديث انس بسند ضعيف رب ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك وهو عند الحاكم نحوه بهذه الزيادة وقال صحيح الاسناد قلت بل ضعيفه (٢) حديث ابن مسعود رب ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم انى اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيأ ابن ابى الدنيا ومن طريقه ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف مستضعف الحديث متفق عليه من حديث حارثة بن وهب (٤) حديث ابى هريرة ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم الحديث ٧ (٥) حديث ان من امتى من لو اتى احدكم فساله دينارا لم يعطه اياه الحديث الطبرانى فى الاوسط من حديث ثوبان باسناد صحيح دون قوله ولو ساله الدنيا لم يعطه اياها وما منعها اياه لهوانه عليه

٧ قول العراقى لم يؤذن لهم الحديث هكذا فى النسخ من غير راو وقال الشارح بيض له العراقى فليعلم

وانقياده ولا نخص بعلم الضرورة وفائدتها وطلبها الا عبد يريد الله تعالى ان يقربه ويدنيه ويصطفيه ويربيه ويمتنع فى صومه من ملاعبة الاهل بالملامسة لان ذلك انزه فصوم ويتسحر استعمالا للسنة وهو ادعى الى امضاء الصوم لمعنيين احدهما عود بركة السنة عليه والثانى التقوية بالطعام على الصيام (روى) أنس ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تسحروا فان فى السحور بركة ويعجل الفطر عملا بالسنة فان لم يرد تناول الطعام الا بعد العشاء ويريد احياء ما بين العشاءين يفطر بالماء او على أعداد من الزبيب أو التمر

قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مايبكيك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سو يد قحط أهل المدينة وكان بها رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هم فى دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين أوجزفيهما ثم بسط يديه فقال يارب أقسمت عليك الا أمطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغمام وأمطروا حتى صاح اهل المدينة من مخافة الغرق فقال يارب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل صاحبه الذى استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج اليه فقال انى أتيتك فى حاجة فقال ماهى قال تخصنى بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتسألنى أن أخصك بدعوة ثم قال ماالذى بلغك مارأيت قال اطعت الله فيما امرنى ونهانى فسألت الله فاعطانى وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون فى اهل السماء وتخفون فى اهل الارض وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] يقول الله تعالى ان اغبط اوليائى عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة احسن عبادة ربه واطاعه فى السر وكان غامضا فى الناس لا يشار اليه بالاصابع ثم صبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما احب عباد الله الى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة الى المسيح عليه السلام وقال الفضيل بن عياض بلغنى ان الله تعالى يقول فى بعض مايمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل ابن احمد يقول اللهم اجعلنى عندك من ارفع خلقك واجعلنى عند نفسى من اوضع خلقك واجعلنى عند الناس من اوسط خلقك وقال الثورى وجدت قلبى يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء اصحاب قوت وعناء وقال ابراهيم بن ادهم ماقرت عينى يوما فى الدنيا قط الامرة بت ليلة فى بعض مساجد قرى الشام وكان بى البطن فجرنى المؤذن برجلى حتى اخرجنى من المسجد وقال الفضيل ان قدرت على ان لا تعرف فافعل وما عليك ان لا تعرف وما عليك ان لا يثنى عليك وما عليك ان تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الآثار والاخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة فى القلوب وحب الجاه هو منشا كل فساد فان قلت فاى شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخمول فاعلم ان المذموم طلب الشهرة فاما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهم كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه احد منهم فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوى فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك

﴿ بيان ذم حب الجاه ﴾

قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الآخرة للخالى عن الارادتين جميعا وقال عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا ايضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه اعظم لذة من لذات الحياة الدنيا واكثر زينة من زينتها وقال

(١) حديث معاذ بن جبل ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الحديث الطبرانى والحاكم واللفظ له وقال صحيح الاسناد قلت بل ضعيفه فيه عيسى بن عبد الرحمن وهو الزرقى متروك (٢) حديث ابى امامة ان اغبط اوليائى عندى مؤمن خفيف الحاذ الحديث الترمذى وابن ماجه باسنادين ضعيفين

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) حب المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ماذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم بأسرع افسادا من حب الشرف والمال فى دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه (٣) انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء نسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه

﴿ بيان معنى الجاه وحقيقته ﴾

اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما أن الغنى هو الذى يملك الدراهم والدنانير أى يقدر عليهما ليتوصل بهما الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذى يملك قلوب الناس أى يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها فى أغراضه ومآربه وكما أنه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط أن يكون الوصف كمالا فى نفسه بل يكفى أن يكون كمالا عنده وفى اعتقاده وقد يعتقد ماليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما أن محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذى يطلبه صاحب الجاه أعظم لان المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلى ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغى أن تكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق مايطلبه مالك الرق بكثير فاذا معنى الجاه قيام المنزلة فى قلوب الناس أى اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر مايعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر مايعتقده فيثنى عليه وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه فى طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبد فى أغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر فى المحافل والتقديم فى جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه فى القلب ومعنى قيام الجاه فى القلب اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال فى الشخص اما بعلم أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية أو جمال فى صورة أو قوة فى بدن أو شىء مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم محله فى القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى اعلم

﴿ بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشديد المجاهدة ﴾

اعلم أن السبب الذى يقتضى كون الذهب والفضة وسائر أنواع الاموال محبوبا هو بعينه يقتضى كون الجاه محبوبا بل يقتضى أن يكون أحب من المال كما يقتضى ان يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساويا فى المقدار وهو أنك تعلم أن الدراهم والدنانير لا غرض فى أعيانهما اذ لا تصلح لمطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس وانما هى والحصباء بمثابة واحدة ولكنهما محبوبان لانهما وسيلة الى جميع المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى سائر أغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل الى جميع الاغراض فالاشتراك فى السبب

أو يأكل لقيمات ان كانت النفس تنازع ليصفو له الوقت بين العشاءين فاحياء ذلك له فضل كثير والا فيقتصر على الماء لاجل السنة (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال ثنا اسحق بن موسى الانصارى قال ثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعى عن قرة عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه قال الله عز وجل

(١) حديث المال والجاه ينبتان النفاق الحديث تقدم فى أول هذا الباب ولم أجده (٢) حديث ماذئبان ضاريان أرسلا فى زريبة غنم الحديث تقدم أيضا هناك (٣) حديث انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء لم أره بهذا اللفظ وقد تقدم فى العلم من حديث أنس ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع الحديث ولابى منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس بسند ضعيف حب الثناء من الناس يعمى ويصم

اقتضى الاشتراك فى المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال وملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه * الاول أن التوصل بالجاه الى المال أيسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم أو الزاهد الذى تقرر له جاه فى القلوب لوقصد اكتساب المال تيسر له فان أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال وأما الرجل الخسيس الذى لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله وأراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذا الجاه آلة ووسيلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه أحب * الثانى هو أن المال معرض للبلوى والتلف بان يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظة والحراس والخزائن ويتطرق اليه أخطار كثيرة وأما القلوب اذا ملكت فلا تتعرض لهذه الآفات فهى على التحقيق خزائن عتيدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدى النهاب والغصاب وأثبت الاموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغنى عن المراقبة والحفظ واما خزائن القلوب فهى محفوظة محروسة بأنفسها والجاه فى أمن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله * الثالث ان ملك القلوب يسرى وينمى ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب اذا أذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم أو عمل أو غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب أيضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا استطار فى الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسرى من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين وأما المال فمن ملك منه شيأ فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة والجاه ابدا فى النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال فى مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال واذا فصلت كثرت وجوه الترجيح * فان قلت فالاشكال قائم فى المال والجاه جميعا فلا ينبغى ان يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذى يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم أو كالمبتلى بمرض او بعقوبة اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال او جاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفى الطباع امر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الاموال وكنز الكنوز وادخار الدخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لا بتغى لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصى البلاد التى يعلم قطعا انه لا يطؤها ولا يشاهد اصحابها ليعظموه أو ليبروه بمال او ليعينوه على غرض من اغراضه ومع اليأس من ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت فى الطبع ويكاد يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب وله سببان احدهما جلى تدركه الكافة والآخر خفى وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما وابعدهما عن افهام الاذكياء فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفى فى النفس وطبيعة مستكنة فى الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون فاما السبب الاول فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكفيا فى الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذى فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جائحة فهو ابدا لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع ما فى الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] منهومان لا يشبعان

احب عبادى الى أعجلهم فطرا وقال عليه السلام لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر * والافطار قبل الصلاة سنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جرعة من ماء اومذقة من لبن اوتمرات (وفى الخبر) كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش قيل هو الذى يجوع بالنهار ويفطر على الحرام وقيل هو الذى يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر على لحوم الناس بالغيبة (قال) سفيان من اغتاب فسد صومه * وعن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب قال الشيخ أبو طالب

(١) حديث منهومان لا يشبعان الحديث الطبرانى من حديث ابى مسعود بسند ضعيف والبزار والطبرانى فى الاوسط

منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة تطرد فى حبه قيام المنزلة والجاه فى قلوب الاباعد عن وطنه و بلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن أو يزعج أولئك عن أوطانهم الى وطنه و يحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه فى قلوبهم لما فيه من الامن من هذا الخوف * وأما السبب الثانى وهو الاقوى أن الروح أمر ربانى به وصفه الله تعالى اذ قال سبحانه و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ومعنى كونه ربانيا انه من اسرار علوم المكاشفة ولا رخصة فى اظهاره[1] اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالأكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من أصول مختلفة يطول شرحها وتفصيلها فهو لما فيه من الأمر الربانى يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الالهية فصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال بالتفرد بالوجود فان المشاركة فى الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس فى أنها موجودة وحدها فلو كان معها شمس اخرى لكان ذلك نقصا فى حقها اذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس معه موجود سواه فان ماسواه اثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة فى الرتبة والمساواة فى الرتبة نقصان فى الكمال بل الكامل من لا نظير له فى رتبته وكما ان اشراق نور الشمس فى اقطار الآفاق ليس نقصانا فى الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها فى الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل مافى العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبعا فاذا معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية مامن انسان الا وفى باطنه ماصرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التى اومأ اليها قوله تعالى قل الروح من امر ربى ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهى محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذى هو عدم ذاته اوعدم صفات الكمال من ذاته وانما الكمال بعد ان يسلم التفرد بالوجود فى الاستيلاء على كل الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته و يحب كمال ذاته و يلتذ به الا ان الاستيلاء على الشىء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء فاحب الانسان ان يكون له استيلاء على كل الاشياء الموجودة معه الا ان الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغيير فى نفسه كذات الله تعالى وصفاته والى مايقبل التغيير ولكن لا يستولى عليه قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى مايقبل التغيير بقدرة العبد كالارض واجزائها وماعليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتاثير والتغيير مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى مايقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى مالا يقدر عليه كذات الله تعالى والملائكة والسموات احب الانسان ان يستولى على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذا المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولى عليه فلذلك احب ان يعرف الله تعالى والملائكة والافلاك

المكى قرن الله الاستماع الى الباطل والقول بالاثم بأكل الحرام فقال سماعون للكذب أكالون للسحت (وورد) فى الخبر ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تهلكا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذنانه فى الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قولوا لهما قيئا فيه ما أكلتما فقاءت أحدهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا

من حديث ابن عباس بسندلين وقد تقدم (١) حديث انه صلى الله عليه وسلم لم يظهر سر الروح البخارى من حديث ابن مسعود وقد تقدم

والكواكب وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها الان ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهي استياق من عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي ان يعرف اللعب به وانه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة او الشعبذة او جر الثقيل او غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والقصور عنه ولكنه يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متألم ببعض العجز متلذذ بكمال العلم ان علمه واما القسم الثاني وهو الارضيات التي يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان اجساد وارواح اما الاجساد فهي الدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها مايشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك احب الاموال وان كان لايحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الاشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبا لها وانما يقوم القهر منزلته فيها فان الحشمة القهرية ايضا لذيذة لما فيها من القدرة * القسم الثاني نفوس الآدميين وقلوبهم وهي انفس ماعلى وجه الارض فهو يحب ان يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب انما تتسخر بالحب ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان وهو الذي لايبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيا كله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله تعالى والساعي اليه فاذا معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخرت له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من اوصاف الربوبية فاذا محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من اسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات ومادام يبقى معلوم اومقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان فاذا مطلوب القلوب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل انسان ولذته بقدر مايدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم مالا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب والمشكلات لان في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا ان في حب كمال العلم والقدرة اغاليط لابد من بيانها ان شاء الله تعالى

بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لاحقيقة له

قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه ان كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة اوجه * احدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد اكثر كان اقرب الى الله تعالى * الثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ماهو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة لله تعالى باتم انواع الكشف على ماهي عليه فلذلك مهما كان علم العبد اوضح وايقن واصدق واوفق للمعلوم في تفاصيل صفات العلوم كان اقرب الى الله تعالى * الثالث من حيث بقاء العلم ابد الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور ان يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لايقبل التغيير والانقلاب كان اقرب الى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وازليات (اما المتغيرات) فمثالها العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم ولكنه يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدت اعتقادا

موافقا

وافطرنا على ما حرم الله عليهما وقال عليه الصلاة والسلام اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه فليقل اني صائم (وفي الخبر) ان الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته (والصوفي) الذي لا يرجع الى معلوم ولا يدري متى يساق اليه الرزق فاذا ساق الله اليه الرزق تناوله الادب وهو دائم المراقبة لوقته وهو في افطاره افضل من الذي له معلوم معد فان كان مع ذلك يصوم فقد اكمل الفضل (حكي) عن رويم قال اجتزت في الهاجرة ببعض سكك بغداد فعطشت فتقدمت الى باب دار فاستسقيت فاذا جارية قد

موافقا وتصور أن ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد أن ينقلب كمالك نقصا و يعود علمك جهلا و يلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة أرض و بعدد البلاد وتباعد ما بينهما من الاميال والفراسخ وسائر مايذكر فى المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التى هى اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق تتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا فى الحال ولا يبقى كمالا فى القلب ﴿ القسم الثانى ﴾ هو المعلومات الازلية وهو جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات أزلية أبدية اذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا فكل هذه الاقسام داخلة فى معرفة الله ومايجب له وما يستحيل فى صفاته و يجوز فى افعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وحكمته فى ملكوت السموات والارض وترتيب الدنيا والآخرة ومايتعلق به هو الكمال الحقيقى الذى يقرب من يتصف به من الله تعالى و يبقى كمالا للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى بين ايديهم و بايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اى تكون هذه المعرفة رأس مال يوصل الى كشف مالم ينكشف فى الدنيا كما ان من معه سراج خفى فانه يجوز ان يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفى على سبيل الاستتمام ومن ليس معه اصل السراج فلا مطمع له فى ذلك فمن ليس معه اصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع فى هذا النور فيبقى كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاذا لاسعادة الا فى معرفة الله تعالى واما ماعداها من المعارف فمنها مالا فائدة له اصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيرهما ومنها ماله منفعة فى الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة مافى القرآن من كيفية العبادات والاعمال التى تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى قد افلح من زكاها وقال عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل الى تحقيق معرفة الله تعالى وانما الكمال فى معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله و ينطوى فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هى فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهى من تكملة معرفة الله تعالى هذا حكم كمال العلم ذكرناه وان لم يكن لائقا باحكام الجاه والرياء ولكن اوردناه لاستيفاء اقسام الكمال * واما القدرة فليس فيها كمال حقيقى للعبد بل للعبد علم حقيقى وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته وحركته فهى حادثة باحداث الله كما قررناه فى كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفى مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت و يوصله الى الله تعالى فاما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهى وسيلة له الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشى وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج فى استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والمشرب والملبس والمسكن وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة جلال الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التى تنقضى على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل فالخلق اكثرهم هالكون فى غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقى الذى يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية اما العلم فما ذكرناه من معرفة الله تعالى واما الحرية فالخلاص من اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الشهوة والغضب عن

خرجت ومعها كوز جديد ملآن من الماء المبرد فلما أردت أن أتناول من يدها قالت صوفى و يشرب بالنهار وضربت بالكوز على الارض وانصرفت قال رويم فاستحييت من ذلك ونذرت أن لا أفطر ابدا * والجماعة الذين كرهوا دوام الصوم كرهوه لمكان ان النفس اذا ألفت الصوم وتعودته اشتد عليها الافطار وهكذا بتعودها الافطار تكره الصوم فيرون الفضل فى ان لا تركن النفس الى عادة ورأوا ان افطار يوم وصوم يوم أشد على النفس * ومن أدب الفقراء ان الواحد اذا كان بين جمع وفى

النفس من الكمال الذى هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله استحالة التغير والتاثر عليه فمن كان عن التغير والتاثر بالعوارض ابعد كان الى الله تعالى اقرب و بالملائكة اشبه ومنزلته عند الله اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده فى اقسام الكمال لان حقيقته ترجع الى عدم ونقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها والهلاك نقص فى الذات وفى صفات الكمال فاذا الكمالات ثلاثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا ككمال العلم وكمال الحرية واعنى به عدم العبودية للشهوات وارادة الاسباب الدنيوية وكمال القدرة للعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا ينعدمان بالموت بل يبقيان كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذى لا يسلم وان سلم فلا بقاء له واعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذى اذا حصل كان ابدا بالا انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا فالعلم والحرية هى الباقيات الصالحات التى تبقى كمالا فى النفس والمال والجاه هو الذى ينقضى على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الآية وقال تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء الى قوله فاصبح هشيما تذروه الرياح وكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظنى لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل واليه اشار ابو الطيب بقوله ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر الا قدر البلغة منهما الى الكمال الحقيقى اللهم اجعلنا ممن وفقته للخير وهديته بلطفك

(بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم)

مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الاموال فانه عرض من اعراض الحياة الدنيا و ينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق فى الدنيا فيمكن ان يتزود منه للآخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والمشرب والملبس فلا بد من ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام او المال الذى يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه واستاذ يرشده وسلطان يحرسه و يدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له فى قلب خادمه من المحل ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وحبه لان يكون له فى قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون له فى قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل فى قلب سلطانه ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق فى هذا يفضى الى ان لا يكون المال والجاه باعيانهما محبوبين له بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون له فى داره بيت ماء لانه مضطر اليه لقضاء حاجته و يود ان لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس محبا لبيت الماء فكل ما يراد للتوصل به الى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل اليه وتدرك التفرقة بمثال آخر وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفى مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما ان لو كفى قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب الانسان زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفى الشهوة بقى مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول وكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين

صحبة جماعة لا يصوم الا باذنهم وانما كان ذلك لان قلوب الجمع متعلقة بفطوره وهم على غير معلوم فان صام باذن الجمع وفتح عليهم بشئ لا يلزمهم ادخاره للصائم مع العلم بان الجمع المفطرين يحتاجون الى ذلك فان الله تعالى يأتى للصائم برزقه الا ان يكون الصائم يحتاج الى الرفق لضعف حاله او ضعف بنيته لشيخوخة او غير ذلك وهكذا الصائم لا يليق ان يأخذ نصيبه فيدخره لان ذلك من ضعف الحال فان كان ضعيفا يعترف بحاله وضعفه فيدخره والذى ذكرناه لاقوام هم على غير معلوم

الوجهين فحبهما لاجل التوصل بهما الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان مالم يحمله الحب على مباشرة معصية ومالم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور ومالم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سياتى فان قلت طلبه المنزلة والجاه فى قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الاطلاق كيفما كان أو يباح الى حد مخصوص على وجه مخصوص فاقول يطلب ذلك على ثلاثة أوجه وجهان منه مباحان ووجه محظور أما الوجه المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة فى قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوى اوعالم او ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لانه كذب وتلبيس امابالقول او بالمعاملة * واما احد المباحين فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عنه الرب تعالى اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم فانه طلب المنزلة فى قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه * والثانى ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جائز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة فى العلم به كالذى يخفى عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقى اليه انه ورع فان قوله انى ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجرى مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له ان يتملك مال غيره بتلبيس فى عوض اوفى غيره فلا يجوز له ان يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال

﴿ بيان السبب فى حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع اليه و بغضها للذم ونفرتها منه ﴾

اعلم ان لحب المدح والتذاذ القلب به اربعة أسباب ﴿ السبب الاول ﴾ وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذى به مدح لا يخلوا ما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به اقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بانه طويل القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه اعظم كالثناء عليه بكمال العلم او كمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا فى كمال حسنه وفى كمال علمه وكمال ورعه و يكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير مستيقنا لكونه عديم النظير فى هذه الامور اذ تطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمانينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف فى القول الاعن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه فى غاية اللذة وان صدر ممن يجازف فى الكلام اولا يكون بصيرا بذلك الوصف ضعفت اللذة و بهذه العلة يبغض الذم ايضا و يكرهه لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه فى المدح ﴿ السبب الثانى ﴾ ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ و بهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته و ينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر و يضعف مهما كان المادح ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شئ فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على

فأما الصوفية المقيمون فى رباط على معلوم فلا ليق بحالهم الصيام ولا يلزمهم موافقة لجمع فى الافطار وهذا يظهر فى جمع منهم لهم معلوم يقدم لهم بالنهار فاما اذا كانوا على غير معلوم فقد قيل مساعدة الصوام للمفطرين أحسن من استدعاء الموافقة من المفطرين للصوام وأمر القوم مبناه على الصدق . ومن الصدق افتقاد النية وأحوال النفس فكل ماصحت النية فيه من الصوم والافطار والموافقة وترك الموافقة فهو الافضل فاما من حيث السنة فمن يوافق له وجه اذا كان صائما وأفطر للموافقة وان صام ولم يوافق فله وجه * فاما وجه من يفطر

أمر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة و بهذه العلة ايضا يكره الذم و يتالم به القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته اعظم لان الفائت به اعظم ﴿السبب الثالث﴾ أن ثناء المثنى ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله و يعتد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملا فلاجرم كلما كان الجمع أكثر والمثنى اجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح ألذ والذم اشد على النفس ﴿السبب الرابع﴾ أن المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء على الممدوح اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن مامدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلاجرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فتكون لذة ثناء القوى الممتنع عن التواضع بالثناء أشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة بها اما العلة الاولى وهى استشعار الكمال فتندفع بان يعلم الممدوح انه غير صادق في قوله كما اذا مدح بانه نسيب اوسخى اوعالم بعلم اومتورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التى سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه و بقية اللذات فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد مايقوله و يعلم خلوه عن هذه الصفة بطلب اللذة الثانية وهى استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه اصلا لذة لفوات الاسباب الثلاثة فهذا مايكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتالمها بسبب الذم وانما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان مالا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض والله الموفق بكرمه ولطفه وصلى الله على كل عبد مصطفى

﴿بيان علاج حب الجاه﴾

اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصورا لهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراآة لاجلهم ولا يزال فى اقواله وافعاله ملتفتا الى مايعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد و يجر ذلك لامحالة الى التساهل فى العبادات والمراآة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال عليه السلام انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول او الفعل وكل من طلب المنزلة فى قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك هو عين النفاق فحب الجاه اذن من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم ان السبب الذى لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له و يكون حالك كحال من مات قبلك من ذوى الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغى ان يترك به الدين الذى هو الحياة الابدية التى لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقى والكمال الوهمى كما سبق صغر الجاه فى عينه الا ان ذلك انما يصغر فى عين من ينظر الى الآخرة كانه يشاهدها و يستحقر العاجلة و يكون الموت كالحاصل عنده و يكون حاله كحال الحسن البصرى حين كتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكانك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب فى جوابه اما بعد فكانك بالدنيا لم تكن وكانك بالاخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين فاستحقروا الجاه والمال فى الدنيا وابصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى وقال عزوجل كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة فمن هذا حده

و يوافق فهو مااخبرنا به ابو زرعة طاهر عن ابيه ابى الفضل الحافظ المقدسى قال انا ابو الفضل محمد بن عبد الله قال انا السيد ابو الحسن محمد بن الحسين العلوى قال انا ابو بكر محمد بن حمدويه قال ثنا عبد الله ابن حماد قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى عطاء ابن خالد عن حماد ابن حميد عن محمد بن المنكدر عن ابى سعيد الخدرى قال اصطنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه طعاما فلما قدم اليهم قال رجل من القوم انى صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا كم اخوكم وتكلف

فينبغى

فينبغي ان يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهة ومحترز من ان تتغير منزلته في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر في غليانها وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لاثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي ان تعالج البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلا يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم * واما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى سقط من اعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويانس بالخمول ورد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية اذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا انفسهم من اعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له أن يعمل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من أعين الناس وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فانه ربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه فذموه اونسبوه الى أمر غير لائق به جزعت نفسه وتالمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين بعد انه محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمن احب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس مادام يطمع في الناس فاذا احرز قوته من كسبه اومن جهة اخرى وقطع طمعه عن الناس رأسا اصبح الناس كلهم عنده كالارذال فلا يبالي ا كان له منزلة في قلوبهم ام لم يكن كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذي مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة اوعلة وينظر في احوال السلف وايثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة رضي الله عنهم اجمعين

﴿ بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم ﴾

اعلم ان اكثر الناس انما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لأجلها يحب المدح ويكره الذم ﴿اما السبب الاول﴾ فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا بها فهي اما صفة تستحق بها المدح كالعلم والورع واما صفة لا تستحق المدح كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فان كانت من

لكم ثم تقول اني صائم افطروا قض يوما مكانه * وأما وجه من لا يوافق فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلوا وبلال صائم فقال رسول الله نأكل رزقنا ورزق بلال في الجنة فاذا علم أن هنا لك قلبا يتاذى أو فضلا يرجى من موافقة من يفتم موافقته يفطر بحسن النية لا بحكم الطبع وتقاضيه فاذا لم يجد هذا المعنى لا ينبغي أن يتلبس عليه الشره وداعية النفس بالنية فليتم صومه وقد تكون الاجابة لداعية النفس لا لقضاء حق أخيه * ومن احسن آداب

الاعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض الذى يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال المتنبي

أشد الغم عندى فى سرور* تيقن عنه صاحبه انتقالا

فلاينبغى أن يفرح الانسان بعروض الدنيا وان فرح فلاينبغى أن يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغى ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضى الفرح لانه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففى الخوف من سوء الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما فى الدنيا بل الدنيا دار أحزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغى أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة فى استشمار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلاينبغي أن تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التى مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزأ به انسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذى فى أحشائه وما أطيب الروائح التى تفوح منه اذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه أمعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح بذلك فكذلك اذا اثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التى هى من فضل الله عليك وان كذب فينبغي أن يغمك ذلك ولا تفرح به ﴿وأما السبب الثانى﴾ وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة فى القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله و بان تعلم أن طلبك المنزلة فى قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به ﴿وأما السبب الثالث﴾ وهو الحشمة التى اضطرت المادح الى المدح فهو أيضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغى أن يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لان آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه فى كتاب آفات اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل فى بطنه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب اليك من أن يقال لك بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل وروى فى بعض الاخبار فان صح فهو قاصم للظهور[1] أن رجلا أثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت فمات على ذلك دخل النار وقال صلى الله عليه وسلم[2] مرة للمادح ويحك قصمت ظهره لو سمعك ما أفلح الى يوم القيامة وقال عليه السلام[3] ألا لا تمادحوا واذا رأيتم المادحين فاحثوا فى وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شىء فقال أنت يا أمير المؤمنين خير منى وأعلم فغضب وقال انى لم آمرك بان تزكينى وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله فغضب وقال انى لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الى بمقتك فاشهدك على مقته وانما كره المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب عند الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى فى النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من أهل الجنة فلاينبغى أن يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس أمره بيد الخلق ومهما علم أن الارزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه والله الموفق للصواب برحمته

الفقير الطالب انه اذا افطر وتناول الطعام ربما يجده باطنه متغيرا عن هيئته ونفسه متثبطة عن اداء وظائف العبادة فيعالج مزاج القلب المتغير باذهاب التغير عنه ويذيب الطعام بركعات يصليها او بآيات يتلوها او باذكار واستغفار يأتى به فقد ورد فى الخبر اذيبوا طعامكم بالذكر * ومن مهام آداب الصوم كتمانه مهما امكن الا ان يكون متمكنا من الاخلاص فلايبالى ظهر ام بطن

﴿الباب الثانى والاربعون فى ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة﴾

الصوفى بحسن نيته وصحة مقصده

(١) حديث أن رجلا اثنى على رجل خيرا فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذى قلت ومات على ذلك دخل النار لم اجد له اصلا (٢) حديث ويحك قطعت ظهره الحديث قاله للمادح تقدم (٣) حديث الا

ووفور علمه واتيانه بآدابه تصير عاداته عبادة والصوفى موهوب وقته لله ويريد حياته لله كما قال الله تعالى لنبيه آمرا له قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين فتدخل على الصوفى أمور العادة لوضع حاجته وضرورة بشريته ويحف بعاداته نور يقظته وحسن نيته فتتنور العادات وتتشكل بالعبادات ولهذا ورد نور العالم عبادة ونفسه تسبيح هذا مع كون النوم عين الغفلة ولكن كل مايستعان به على العبادة يكون عبادة فتناول الطعام أصل كبير

﴿ بيان علاج كراهة الذم ﴾

قدسبق أن العلة فى كراهة الذم هو ضد العلة فى حب المدح فعلاجه أيضا يفهم منه والقول الوجيز فيه أن من ذمك لايخلو من ثلاثة أحوال اما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة واما أن يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت واما أن يكون كاذبا فان كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغى أن تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغى ان تتقلد منته فان من أهدى اليك عيوبك فقد أرشدك الى المهلك حتى تتقيه فينبغى أن تفرح به وتشتغل بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فانه غاية الجهل وان كان قصده التعنت فانت قد انتفعت بقوله اذ أرشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به أو ذكرك عيبك ان كنت غافلا عنه أو قبحه فى عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح لك أسبابها بسبب ماسمعته من المذمة فهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وأنت لاتدرى ولو دخلت عليه كذلك لخفت أن يحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل أيها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغى أن تفرح به لان تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوى الاخلاق مهلكة فى الآخرة والانسان انما يعرفها من قول أعدائه فينبغى أن تغتنمه وأما قصد العدو التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به انت وتضرر هو به * الحالة الثالثة أن يفترى عليك بما انت برىء منه عند الله تعالى فينبغى ان لاتكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر فى ثلاثة امور احدها انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن امثاله واشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر فاشكر الله تعالى اذلم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت برىء عنه والثانى ان ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بعيب أنت برىء منه وطهرك من ذنوب انت ملوث بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التى تقربك الى الله تعالى وانت تزعم انك تحب القرب من الله واما الثالث فهو ان المسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغى ان تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول اللهم اهلكه بل ينبغى ان تقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم [1] اللهم اغفر لقومى اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون لما ان كسر وا ثنيته وشجوا وجهه وقتلوا عمه حمزة يوم احد ودعا ابراهيم بن ادهم لمن شج رأسه بالمغفرة فقيل له فى ذلك فقال علمت انى مأجور بسببه ومانالنى منه الاخير فلا أرضى ان يكون هو معاقبا بسببى ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك فى قلبك واصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن المال والجاه ومادام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح فى قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزلة فى قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغى ان يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم فى سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا

﴿ بيان اختلاف احوال الناس فى المدح والذم ﴾

اعلم ان للناس أربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح * الحالة الاولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافئه او يحب مكافأته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية فى هذا الباب * الحالة الثانية ان يمتعض فى الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ماقبله كمال * الحالة الثالثة وهى اول درجات الكمال ان يستوى عنده ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض

لاتمادحوا واذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب تقدم دون قوله الا لاتمادحوا (١) حديث اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون قاله لما ضربه قومه البيهقى فى دلائل النبوة وقد تقدم والحديث فى الصحيح انه

العباد بنفسه و يكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته أن لا يجد في نفسه استثقالا للذام عند تطويله الجلوس عنده أكثر مما يجده في المادح وأن لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام وأن لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه أهون عليه من انقطاع المادح وأن لا يكون موت المادح المطرى له اشد نكاية في قلبه من موت الذام وأن لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الذام وأن لا تكون زلة المادح أخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون أنفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك و يقول الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد أطاع الله بمدحك فكيف تسوى بينهما وانما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم أن في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي أكثر مما ارتكب الذام في مذمته ثم أنه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم و يعلم ان المادح الذى مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه بمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم أو غيره فإذا العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم أن الشيطان يخيل اليه أنه من الدين حتى يعتل على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع يفوت عليه الدنيا و يخسره في الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا * الحالة الرابعة وهى الصدق في العبادة ان يكره المدح و يمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له في الدين و يحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه عيبه ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته فقد قال صلى الله عليه وسلم (١) رأس التواضع ان تكره أن تذكر بالبر والتقوى وقد روى في بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور أمثالنا ان صح اذ روى أنه صلى الله عليه وسلم (٢) قال ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا من فقيل يارسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وأبغض المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية أمثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو أن يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فاما الحالة الثالثة وهى التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها ثم ان طالبنا انفسنا بعلامة الحالة الثانية فانها لا نفى بها لانها لا بد وأن تتسارع الى أكرام المادح وقضاء حاجاته وتتثاقل على أكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا نقدر على ان نسوى بينهما في الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين المادح والذام في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان ان وجد فانه الكبريت الاحمر يتحدث الناس به ولا يرى فكيف بما بعده من المرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب أيضا فيها درجات اما الدرجات في المدح فهو ان من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرائى بالعبادات ولا يبالى بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك و يطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذى يستميل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهية فهو قريب من ان يستجره فرط السرور

صلى الله عليه وسلم قاله حكاية عن نبي من الانبياء حين ضربه قومه (١) حديث رأس التواضع أن يكره ان يذكر بالبر والتقوى لم أجد له أصلا (٢) حديث ويل للصائم ويل للنائم و يل لصاحب الصوف الحديث لم أجده هكذا وذكر صاحب الفردوس من حديث أنس و يل لمن لبس الصوف فخالف فعله قوله ولم يخرجه ولده في مسنده

يحتاج الى علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية وتعلق أثره بالقلب والقالب و به قوام البدن باجراء سنة الله تعالى بذلك والقالب مركب القلب و بهما عمارة الدنيا والآخرة (وقد ورد) ارض الجنة قيعان ثباتها التسبيح والتقديس والقالب بمفرده على طبيعة الحيوانات يستعان به على عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة الملائكة يستعان بهما على عمارة الاخرة و باجتماعهما صلحا لعمارة الدارين والله تعالى ركب الادمى بلطيف حكمته من أخص

الى الرتبة التى قبلها وان جاهد نفسه فى ذلك وكلف قلبه الكراهية و بغض السرور اليه بالتفكر فى آفات المدح فهو فى خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم به ولم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقى عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهى به الى ان يغضب على المادح و ينكر عليه واقصى درجاته ان يكره و يغضب و يظهر الغضب وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال فى حق الذام واول درجاته اظهار الغضب وآخرها اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره الاممن فى قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام على ذلك و يعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفى له من نفسه و يكون غنيمة عنده اذا صار بالذمة اوضع فى اعين الناس حتى لا يبتلى بفتنة الناس واذا سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون خيرا لعيوبه التى هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره فى هذه الخصلة الواحدة وهو ان يستوى عنده ذامه ومادحه لكان لهشغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره و بينه و بين السعادة عقبات كثيرة هذه احداها ولا يقطع شيأ منها الا بالمجاهدة الشديدة فى العمر الطويل

﴿ الشطر الثانى من الكتاب فى طلب الجاه والمنزلة بالعبادات ﴾

وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء و بيان حقيقة الرياء وما يرائى به و بيان درجات الرياء و بيان الرياء الخفى و بيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط و بيان دواء الرياء وعلاجه و بيان الرخصة فى اظهار الطاعات و بيان الرخصة فى كتمان الذنوب و بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات و بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادات بسبب رؤية الخلق و بيان ما يجب على المريد ان يلزمه قلبه قبل الطاعة و بعدها وهى عشرة فصول و بالله التوفيق

﴿ بيان ذم الرياء ﴾

اعلم ان الرياء حرام والمرائى عند الله ممقوت وقد شهدت لذلك الآيات والاخبار والآثار ﴿اما الآيات﴾ فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن وقوله عزوجل والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور قال مجاهد هم اهل الرياء وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفى كل ارادة سوى وجه الله والرياء ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا [1] نزل ذلك فيمن يطلب الاجر والحمد بعبادته واعماله ﴿واما الاخبار﴾ فقد قال صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل فقال يارسول الله فيم النجاة فقال ان لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس [2] وقال ابو هريرة فى حديث الثلاثة المقتول فى سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله كما اوردناه فى كتاب الاخلاص وان الله عزوجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع كذبت بل اردت ان يقال فلان قارئ فاخبر صلى الله عليه وسلم انهم لم يثابوا وان رياءهم هو الذى احبط اعمالهم وقال ابن عمر رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم [3] من راءى راءى الله به ومن سمع

---

(١) حديث نزول قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه الآية فيمن يطلب الآخرة والحمد بعبادته واعماله الحاكم من حديث طاوس قال رجل انى اقف الموقف ابتغى وجه الله واحب ان يرى موطنى فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية هكذا فى نسختى من المستدرك ولعله سقط منه ابن عباس او ابو هريرة وللبزار من حديث معاذ بسند ضعيف من صام رياء فقد اشرك الحديث وفيه انه صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية (٢) حديث ابى هريرة فى الثلاثة المقتول فى سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتابه فان الله يقول لكل واحد منهم كذبت رواه مسلم وسيأتى فى كتاب الاخلاص (٣) حديث ابن عمر من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله واما حديث

جواهر الجسمانيات والروحانيات وجعله مستودع خلاصة الارضين والسموات وجعل عالم الشهادة وما فيها من النبات والحيوان لقوام بدن الآدمى قال الله تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا فكون الطبائع وهى الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وكون بواسطتها النبات وجعل النبات قواما للحيوانات وجعل الحيوانات مسخرة للآدمى يستعين بها على أمر معاشه لقوام بدنه فالطعام يصل الى المعدة وفى المعدة طباع اربع وفى الطعام طباع اربع فاذا اراد الله اعتدال

سمع الله به وفى حديث آخر طويل (١) ان الله تعالى يقول للملائكته ان هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه فى سجين وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ان اخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء يقول الله عزوجل يوم القيامة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال صلى الله عليه وسلم (٣) استعيذوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وما هو يارسول الله قال واد فى جهنم اعد للقراء المرائين وقال صلى الله عليه وسلم (٤) يقول الله عز وجل من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله وانا منه برئ وانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال عيسى المسيح صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس أنه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وسلم (٥) لا يقبل الله عزوجل عملا فيه مثقال ذرة من رياء وقال عمر لمعاذ بن جبل حين رآه يبكى ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعنى النبي صلى الله عليه وسلم (٦) يقول ان ادنى الرياء شرك وقال صلى الله عليه وسلم (٧) اخوف ما اخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهى ايضا ترجع الى خطايا الرياء ودقائقه وقال صلى الله عليه وسلم (٨) ان فى ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد يخفيها عن شماله ولذلك ورد (٩) ان فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا وقال صلى الله عليه وسلم (١٠) ان المرائى ينادى عليه يوم القيامة يافاجر ياغادر يامرائى ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له (١١) وقال شداد بن اوس رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكى فقلت ما يبكيك يارسول الله قال انى تخوفت على امتى الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن باعمالهم وقال صلى الله عليه

ابن عمر فرواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من رواية شيخ يكنى ابا يزيد عنه بلفظ من سمع الناس سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره وفى الزهد لابن المبارك ومسند احمد وابن منيع انه من حديث عبدالله بن عمرو (١) حديث ان الله يقول للملائكة ان هذا لم يردنى بعمله فاجعلوه فى سجين ابن المبارك فى الزهد من طريقها ابن ابى الدنيا فى الاخلاص وابو الشيخ فى كتاب العظمة من رواية حمزة بن حبيب مرسلا ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات (٢) حديث ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر الحديث احمد والبيهقى فى الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رواية ورجاله ثقات ورواه الطبرانى من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج (٣) حديث استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو قال واد فى جهنم اعد للقراء المرائين الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث ابى هريرة وضعفه بن عدى (٤) حديث يقول الله من عمل لى عملا اشرك فيه غيرى فهو له كله الحديث مالك واللفظ له من حديث ابى هريرة دون قوله وانا منه برئ ومسلم مع تقديم وتاخير دونها ايضا وهى عند ابن ماجه بسند صحيح (٥) حديث لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء لم اجده هكذا (٦) حديث معاذ ان ادنى الرياء شرك الطبرانى هكذا والحاكم بلفظ ان اليسير من الرياء شرك وقد تقدم قبل هذه الورقة (٧) حديث اخوف ما اخاف عليكم الرياء الحديث تقدم فى اول هذا الكتاب (٨) حديث ان فى ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد ان يخفيها عن شماله متفق عليه من حديث ابى هريرة بنحوه فى حديث سبعة يظلهم الله فى ظله (٩) حديث تفضيل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا البيهقى فى الشعب من حديث ابى الدرداء ان الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول به فى السر يضعف اجره سبعين ضعفا قال البيهقى هذا من افراد بقية عن شيوخه المجهولين وروى ابن ابى الدنيا فى كتاب الاخلاص من حديث عائشة بسند ضعيف يفضل الذكر الخفى الذى لا تسمعه الحفظة على الذكر الذى تسمعه الحفظة سبعين درجة (١٠) حديث ان المرائى ينادى يوم القيامة يا فاجر ياغادر يامرائى ضل عملك وحبط اجرك الحديث ابن ابى الدنيا من رواية جبلة اليحصبي عن صحابى لم يسم وزاد يا كافر ياخاسر ولم يقل يامرائى واسناده ضعيف (١١) حديث شداد بن اوس انى

وسلم

مزاج البدن أخذ كل طبع من طباع المعدة ضده من الطعام فتأخذ الحرارة للبرودة والرطوبة لليبوسة فيعدل المزاج ويامن الاعوجاج واذا اراد الله تعالى افناء قالب وتخريب بنية أخذت كل طبيعة جنسها من الماكول فتميل الطبائع ويضطرب المزاج ويسقم البدن ذلك تقدير العزيز العليم (روى) عن وهب بن منبه قال وجدت فى التوراة صفة آدم عليه السلام انى خلقت آدم وركبت جسده من اربعة اشياء من رطب ويابس وبارد وسخن وذلك لانى خلقته من التراب وهو

وسلم (١) لما خلق الله الارض مادت باهلها فخلق الجبال فصيرها أوتادا للارض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقا هو أشد من الجبال فخلق الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله الماء باطفاء النار وأمر الريح فكدرت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نسال الله تعالى قالوا يارب ما أشد ماخلقت من خلقك قال الله تعالى لم أخلق خلقا هو اشد على من قلب ابن آدم حين يتصدق بصدقة بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا أشد خلق خلقته وروى عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل انه قال لمعاذ بن جبل حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لى يامعاذ قلت لبيك بابى أنت وأمى يارسول الله قال انى محدثك حديثا ان أنت حفظته نفعك وان أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يامعاذ (٢) ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح الى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى اذا صعدت به الى السماء الدنيا زكته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة أمرنى ربى ان لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزنى الى غيرى قال ثم تأتى الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتمر به فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرنى ربى ان لا ادع عمله يجاوزنى الى غيرى انه كان يفتخر به على الناس فى مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر أمرنى ربى ان لا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى انه كان يتكبر على الناس فى مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدرى له دوى من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره و بطنه أنا صاحب العجب أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى انه كان اذا عمل عملا أدخل العجب فى عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة الى أهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم و يعمل بمثل عمله وكل من كان ياخذ فضلا من العبادة يحسدهم و يقع فيهم أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أوضر به بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرنى ربى ان لا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى قال وتصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة وزكاة واجتهاد وورع له دوى كدوى الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة الاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه اقفلوا به على قلبه انى أحجب عن ربى كل عمل لم يرد به وجه ربى انه أراد به بعمله غير الله تعالى انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء

تخوفت على امتى الشرك الحديث ابن ماجه والحاكم نحوه وقد تقدم قريبا (١) حديث لما خلق الله الارض مادت باهلها الحديث وفيه لم أخلق خلقا هو أشد من ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله الترمذى من حديث أنس مع اختلاف وقال غريب (٢) حديث معاذ الطويل ان الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل ان يخلق السموات والارض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها الحديث بطوله فى صعود الحفظة بعمل العبد ورد الملائكة له من كل سماء ورد الله تعالى ما بعد ذلك عزاه المصنف الى رواية عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل عن معاذ وهو كما قال رواه فى الزهد وفى اسناده كما ذكر من لم يسم ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات

يابس ورطوبته من الماء وحرارته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح وخلقت فى الجسد بعد هذا الخلق الاول اربعة انواع من الخلق هن ملاك الجسم باذنى وبهن قوامه فلا يقوم الجسم الا بهن ولا تقوم منهن واحدة الا باخرى منهن المرة السوداء والمرة الصفراء والدم والبلغم ثم اسكنت بعض هذا الخلق فى بعض فجعلت مسكن اليبوسة فى المرة السوداء ومسكن الرطوبة فى المرة الصفراء ومسكن الحرارة فى الدم ومسكن البرودة فى البلغم فأيما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الاربع التى

وصيتا في المدائن أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها الى الله عز وجل فيقفون بين يديه و يشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع والارض ومن فيهن قال معاذ قلت يارسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اقتد بي وان كان في عملك نقص يامعاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار قال تعالى والناشطات نشطا أتدري من هن يامعاذ قلت ماهن بابي أنت وأمي يارسول الله قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم قلت بابي أنت وأمي يارسول الله فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يامعاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث (وأما الآثار) فيروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلا يطأطئ رقبته فقال ياصاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب انما الخشوع في القلوب ورأى أبو امامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا في بيتك وقال علي كرم الله وجهه للمرائي ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده و ينشط اذا كان في الناس و يزيد في العمل اذا أثني عليه و ينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة ابن الصامت أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجه الله تعالى ومحمدة الناس قال لا شئ لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شئ لك ثم قال في الثالثة ان الله يقول أنا أغنى الاغنياء عن الشرك الحديث وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال ان احدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمد و يؤجر فقال له أتحب ان تمقت قال لا قال فاذا عملت لله عملا فاخلصه وقال الضحاك لا يقولن احدكم هذا الوجه لله ولوجهك ولا يقولن هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال له اقتص مني فقال لا بل أدعها لله ولك فقال له عمر ماصنعت شيأ اما ان تدعها لي فاعرف ذلك او تدعها لله وحده فقال ودعتها لله وحده فقال فنعم اذن وقال الحسن لقد صحبت اقواما ان كان أحدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر فيرى الاذى في الطريق فما يمنعه ان ينحيه الا مخافة الشهرة و يقال ان المرائي ينادي يوم القيامة باربعة أسماء يامرائي ياغادر ياخاسر يافاجر اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال الفضيل بن عياض كانوا يراؤن بما يعملون وصاروا اليوم يراؤن بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله يعطي العبد على نيته مالا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن رضي الله عنه المرائي يريد ان يغلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد ان يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الارديا فلا بد لقلوب المؤمنين ان تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال مالك بن دينار القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء الملوك وان محمد بن واسع من قراء الرحمن وقال الفضيل من أراد أن ينظر الى مراء فلينظر الي وقال محمد بن المبارك الصوري أظهر السمت بالليل فانه أشرف من سمتك بالنهار لان السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين وقال أبو سليمان التوقي عن العمل أشد من العمل وقال ابن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان فقيل له وكيف ذاك قال يحب ان يذكر انه مجاور بمكة وقال ابراهيم بن ادهم ماصدق الله من اراد ان يشتهر

﴿ بيان حقيقة الرياء ومايراءى به ﴾

جملتها ملائكة وقوامه فكانت كل واحدة منهن ربعا لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدلت بنيته فان زادت منهن واحدة عليهن هزمتهن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غلبتها حتى يضعف عن طاقتهن ويعجز عن مقدارهن فاهم الامور في الطعام ان يكون حلالا وكل مالا يذمه الشرع حلال وخصة ورحمة من الله لعباده ولولا رخصة الشرع كبر الامر وأتعب طلب الحلال * ومن ادب الصوفية رؤية المنعم على النعمة وان يبتدئ بغسل اليد قبل الطعام قال رسول الله صلى الله عليه

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وانما الرياء أصله طلب المنزلة فى قلوب الناس بإرائهم خصال الخير الا أن الجاه والمنزلة تطلب فى القلب باعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة فى القلوب بالعبادات واظهارها فحد الرياء هو ارادة العباد بطاعة الله فالمرائى هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة فى قلوبهم والمرائى به هو الخصال التى قصد المرائى اظهارها والرياء هو قصده اظهار ذلك والمراءى به كثير وتجمعه خمسة أقسام وهى مجامع مايتزين به العبد للناس وهو البدن والزى والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة وكذلك أهل الدنيا يراؤن بهذه الاسباب الخمسة الا أن طلب الجاه وقصد الرياء باعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء ﴿ القسم الاول الرياء فى الدين بالبدن ﴾ وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يرائى بتشعيث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الأسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور فارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعوه النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم وان وقار الشرع هو الذى خفض من صوته أوضعف الجوع هو الذى ضعف من قوته وعن هذا قال المسيح عليه السلام اذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك روى عن أبى هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا صياما مدهنين فهذه مراآة أهل الدين بالبدن فاما أهل الدنيا فيراؤن باظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء وتناسبها ﴿ الثانى الرياء بالهيئة والزى ﴾ أما الهيئة فبتشعيث شعر الرأس وحلق الشارب واطراق الرأس فى المشى والهدء فى الحركة وابقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب من الساق وتقصير الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائى به ليظهر من نفسه أنه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومن ذلك لبس المرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس من حقائق التصوف فى الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة واسبال الرداء على العينين ليرى به انه قد انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم انه من اهل العلم والمراؤن بالزى على طبقات فنهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائى بغلظها ووسخها وقصرها وتخرقها أنه غير مكترث بالدنيا ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه ان يقول الناس قد بداله من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب فى الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم اعين الملوك والاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقة والاكسية الرقيقة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها ولعل قيمة ثوب احدهم قيمة ثوب احد الاغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء ان كلفوا لبس ثوب خشن او وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط من اعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس الديبق والكتان الدقيق الابيض والمقصب المعلم وان كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفا من ان يقول اهل الصلاح قد رغبوا فى زى اهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته فى زى مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى مادونه او الى مافوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة واما اهل الدنيا فمراآتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وانواع التوسع والتجمل فى الملبس والمسكن واثاث البيت وفره

وسلم الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر وانما كان موجبا لنفى الفقر لان غسل اليد قبل الطعام استقبال النعمة بالادب وذلك من شكر النعمة والشكر يستوجب المزيد فصار غسل اليد مستجلبا للنعمة مذهبا للفقر وقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ اذا حضر غداؤه ثم يسمى الله تعالى فقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه تفسيره تسمية الله تعالى عند ذبح الحيوان واختلف الشافعى وأبو حنيفة رحمهما الله فى

الخيول و بالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون فى بيوتهم الثياب الخشنة و يشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة مالم يبلغوا فى الزينة ﴿ الثالث الرياء بالقول ﴾ ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاجل الاستعمال فى المحاورة واظهار الغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر فى محضر الناس والامر بالمعروف والنهى عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس للمعاصى وتضعيف الصوت فى الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من روى الحديث ببيان خلل فى لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى أن الحديث صحيح أوغير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته فى علم الدين والرياء بالقول كثير وانواعه لاتنحصر وأما أهل الدنيا فمرا آتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح فى العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب على أهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب ﴿ الرابع الرياء بالعمل ﴾ كمرا آة المصلى بطول القيام ومد الظهر وطول السجود والركوع واطراق الرأس وترك الالتفات واظهار الهدء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وباطعام الطعام وبالاخبات فى المشى عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار فى الكلام حتى ان المرائى قد يسرع فى المشى الى حاجته فاذا اطلع عليه احد من أهل الدين رجع الى الوقار واطراق الرأس خوفا من أن ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا رآه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى أن لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء ومنهم من اذا سمع هذا استحيا من أن تخالف مشيته فى الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة فى الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى التغيير و يظن أنه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه فانه صار فى خلوته ايضا مرائيا فانه انما يحسن مشيته فى الخلوة ليكون كذلك فى الملا لا لخوف من الله وحياء منه وأما أهل الدنيا فمرا آتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والاخذ بأطراف الذيل وادارة المعطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة ﴿ الخامس المرا آة بالاصحاب والزائرين والمخالطين ﴾ كالذى يتكلف ان يستزير عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا أو عابداً من العباد ليقال ان أهل الدين يتبركون بزيارته و يترددون اليه أو ملكا من الملوك او عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته فى الدين وكالذى يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقى شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيباهى بشيوخه ومباهاته ومرا آته تترشح منه عند مخاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ وانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ ومايجرى مجراه فهذه مجامع مايرائى به المراؤون كلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة فى قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه فى قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة فى ديره أوصومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه و يسعى بكل حيلة فى ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قد قطع طمعه من اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه فى أسبابه فانه نوع قدرة وكمال فى الحال وان كان سريع الزوال لايغتر به الا الجهال ولكن أكثر الناس جهال ومن المرائين من لايقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثناء والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت فى البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراؤون بالاسباب التى ذكرناها فهذه حقيقة الرياء ومابه يقع الرياء فان قلت فالرياء حرام أومكروه أومباح او فيه تفصيل فاقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما أن

يكون

وجوب ذلك وفهم الصوفى من ذلك بعد القيام بظاهر التفسير أن لا يأكل الطعام الامقرونا بالذكر فقرونه فريضة وقته وأدبه ويرى ان تناول الطعام والماء ينتج من اقامة النفس ومتابعة هواها ويرى ذكر الله تعالى دواءه وترياقه (روت) عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام فى ستة نفر من أصحابه فجاء اعرابى فأكله بلقمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه لو كان يسمى الله لكفاكم فاذا أكل احدكم طعاما فليقل

يكون بالعبادات او بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة فى قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات واسباب محظورات فكذلك الجاه وكما ان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات ايضا محمود وهو الذى طلبه يوسف عليه السلام حيث قال انى حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم ناقع ودر ياق نافع فكذلك الجاه وكما ان كثير المال يلهى و يطغى و ينسى ذكر الله والدار الاخرة فكذلك كثير الجاه بل اشد وفتنة الجاه اعظم من فتنه المال وكما انا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدأ الشر وكانصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصى القلب واللسان وغيرها واما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان فى الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذى يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراآة وهو ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] اراد ان يخرج يوما الى الصحابة فكان ينظر فى حب الماء و يسوى عمامته وشعره فقالت اوتفعل ذلك يارسول الله قال نعم ان الله تعالى يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لانه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم فى الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط من اعينهم لم يرغبوا فى اتباعه فكان يجب عليه ان يظهر لهم محاسن احواله لئلا تزدريه اعينهم فان اعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد به ان يحسن نفسه فى اعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد امرا مباحا اذ للانسان ان يحترز من ألم المذمة و يطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنس بهم فاذا المراآة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الغرض المطلوب بها ولذلك نقول الرجل اذا انفق ماله على جماعة من الاغنياء لا فى معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخى فهذا مراآة وليس بحرام وكذلك امثاله اما العبادات كالصدقة والصلاة والصيام والغزو والحج فللمرائى فيه حالتان احدهما ان لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا ليس يقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصى بذلك و يأثم كما دلت عليه الاخبار والآيات والمعنى فيه أمران أحدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من أهل الدين وليس كذلك والتلبيس فى أمر الدنيا حرام أيضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته أثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر * والثانى يتعلق بالله وهو انه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله للملائكة انظروا اليه كيف يستهزئ بى ومثاله ان يتمثل بين يدى ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وانما وقوفه لملاحظة جارية من جوارى الملك أو غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فاى استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراآة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه يظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله وانه اولى بالتقرب اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته وأى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله

بسم الله فان نسى ان يقول بسم الله فيقل بسم الله اوله وآخره ويستحب ان يقول فى اول لقمة بسم الله وفى الثانية بسم الله الرحمن وفى الثالثة يتم و يشرب الماء بثلاثة انفاس يقول فى اول نفس الحمد لله اذا شرب وفى الثانية الحمد لله رب العالمين وفى الثالثة الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وكما ان للمعدة طباعا تتقدر كما ذكرناه بموافقة طباع الطعام فللقلب أيضا مزاج وطباع لأرباب التفقد والرعايا واليقظة يعرف انحراف مزاج القلب من اللقمة المتناولة تارة تحدث

(١) حديث عائشة اراد ان يخرج على اصحابه وكان ينظر فى حب الماء و يسوى عمامته وشعره الحديث ابن عدى فى الكامل وقد تقدم فى الطهارة

عليه وسلم (١) الشرك الاصغر نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض كما سيأتي بيانه في درجات الرياء ان شاء الله تعالى ولا يخلو شيء منه عن اثم غليظ أو خفيف بحسب ما به المراآة ولو لم يكن في الرياء الا أنه يسجد و يركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه وان لم يقصد التقرب الى الله فقد قصد غير الله ولعمري لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا أن الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة أن يسجد و يركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا أنه ان قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فمن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العباد يملكون من ضره ونفعه ورزقه وأجله ومصالح حاله ومآله أكثر مما يملكه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه عن الله اليهم وأقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى اليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف يملكون لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جازعن والده شيأ بل تقول الانبياء فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي أن نشك في أن المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر فأما اذا قصد الاجر والحمد جميعا في صدقته أو صلاته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص و يدل على ما نقلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت انه لا أجر له فيه أصلا

﴿ بيان درجات الرياء ﴾

اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات فيه وأركانه ثلاثة المراءى به والمراءى لاجله ونفس قصد الرياء ﴿ الركن الاول ﴾ نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو اما ان يكون مجردا دون ارادة عبادة الله تعالى والثواب واما أن يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان تكون ارادة الثواب أقوى واغلب او اضعف اومساوية لارادة العبادة فتكون الدرجات أربعا * الاولى وهي أغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذي يصلي بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا اجرد قصده الى الرياء فهو الممقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما اداها فهذه الدرجة العليا من الرياء * الثانية ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله ومافيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم * الثالثة ان يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة او كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فنرجو ان يسلم رأسا برأس لا له ولا عليه او يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار تدل على أنه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص * الرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذي نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء و يثاب على مقدار قصد الثواب واما قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا أغنى الاغنياء عن الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان او كان

(١) حديث سمي الرياء الشرك الاصغر احمد من حديث محمود بن لبيد وقد تقدم ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج بجمله في مسند رافع وتقدم قريبا والحاكم وصحح اسناده من حديث شداد بن أوس كنا نعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرياء الشرك الأصغر

من اللقمة حرارة الطيش بالنهوض الى الفضول وتارة تحدث في القلب برودة الكسل بالتقاعد عن وظيفة الوقت وتارة تحدث رطوبة السهو والغفلة وتارة يبوسة الهم والحزن بسبب الحظوظ العاجلة فهذه كلها عوارض يتفطن لها المتيقظ و يرى تغير القالب بهذه العوارض تغير مزاج القلب عن الاعتدال والاعتدال كما هو مهم طلبه للقالب فللقلب اهم واولى وتطرق الانحراف الى القلب اسرع منه الى القالب ومن الانحراف ما يسقم به القلب فيموت لموت القالب

قصد الرياء أرجح ﴿ الركن الثانى ﴾ المراءى به وهو مطاعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء بأوصافها * القسم الاول وهو الاغلظ الرياء بالاصول وهو على ثلاث درجات * الاولى الرياء بأصل الايمان وهذا اغلظ ابواب الرياء وصاحبه مخلد فى النار وهو الذى يظهر كلمتى الشهادة و باطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائى بظاهر الاسلام وهو الذى ذكره الله تعالى فى كتابه فى مواضع شتى كقوله عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اى فى دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا و يشهد الله على مافى قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها الآية وقال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقال تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر فى ابتداء الاسلام ممن يدخل فى ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك مما يقل فى زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا الى قول الملحدة او يعتقد طى بساط الشرع والاحكام ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين فى النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء اشد حالا من الكفار المجاهرين فانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر * الثانية الرياء بأصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله ان يكون مال الرجل فى يد غيره فيامره باخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه انه لو كان فى يده لما أخرجها او يدخل وقت الصلاة وهو فى جمع وعادته ترك الصلاة فى الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهى خلوة من الخلق ليفطر و كذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها او يصل رحمه او يبر والديه لا عن رغبة ولكن خوفا من الناس او يغزو او يحج كذلك فهذا مراء معه اصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل و ينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته فى محمدتهم اشد من رغبته فى ثواب الله وهذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن اصل الايمان من حيث الاعتقاد * الثالثة ان لا يرائى بالايمان ولا بالفرائض ولكنه يرائى بالنوافل والسنن التى لو تركها لا يعصى ولكنه يكسل عنها فى الخلوة لفتور رغبته فى ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يراجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة فى الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائى جملة ذلك خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة و يعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه لما زاد على اداء الفرائض فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذى قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق اعظم عنده من عقاب الله واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكأنه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء باصول العبادات * القسم الثانى الرياء باوصاف العبادات لا باصولها وهو ايضا على ثلاث درجات * الاولى ان يرائى بفعل ما فى تركه نقصان العبادة كالذى غرضه ان يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا رآه الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل اى انه ليس يبالى باطلاع الله عليه فى الخلوة فاذا اطلع عليه آدمى احسن الصلاة ومن جلس بين يدى انسان متربعا او متكئا فدخل غلامه فاستوى واحسن الجلسة كان ذلك منه تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائى بتحسين الصلاة فى الملأ دون الخلوة وكذلك الذى يعتاد اخراج الزكاة من الدنانير الرديئة او من الحب الردىء فاذا اطلع عليه غيره اخرجها من الجيد خوفا من مذمته و كذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث

واسم الله تعالى دواء نافع مجرب يقى الاسواء و يذهب الداء و يجلب الشفاء * حكى ان الشيخ محمدا الغزالى لما رجع الى طوس وصف له فى بعض القرى عبد صالح فقصده زائرا فصادفه وهو فى صحراء له يبذر الحنطة فى الارض فلما رأى الشيخ محمدا جاء اليه وأقبل عليه فجاء رجل من أصحابه وطلب منه البذر لينوب عن الشيخ فى ذلك وقت اشتغاله بالغزالى فامتنع ولم يعطه البذر فسأله الغزالى عن سبب امتناعه فقال لانى ابذر هذا البذر بقلب حاضر ولسان ذاكر ارجو

لاجل الخلق لا كالا لعبادة الصوم خوفا من المذمة فهذا ايضا من الرياء المحظور لان فيه تقديما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء باصول التطوعات فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والغيبة وانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصيه فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبيس وليس الامر كذلك فان ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولاك أعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان على نفسك أكثر وما أنت في هذا الا كمن يهدى وصيفة الى ملك لينال منه فضلا وولاية يتقلدها فيهديها اليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك ينبغي ان تكون مراقبته للملك أكثر نعم للمرائي فيه حالتان احداهما أن يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا والثانية ان يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بذمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا ارجوا عليه ثوابا فهو خير من ان اترك الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص فان لم تحضره النيه فينبغي ان يستمر على عادته في الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراآة بطاعة الله فان ذلك استهزاء كما سبق ※ الدرجة الثانية أن يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القرآة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في الزكاة واعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه الثالثة أن يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل أيضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ومتى يحرم بالصلاة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يرائي به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم ※ الركن الثالث ※ المرائي لاجله فان للمرائي مقصودا لا محالة وانما يرائي لادراك مال اوجاه او غرض من الاغراض لا محالة وله ايضا ثلاث درجات ※ الاولى وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضاء او الاوقاف او الوصايا او مال الايتام فيأخذها او يسلم اليه تفرقة الزكاة او الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها او يودع الودائع فيأخذها ويجحدها اوتسلم اليه الاموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها اوكلها اويتوصل بها الى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امرأة اوغلام لاجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القران يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء والصبيان الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امرأة اوغلام وهؤلاء ابغض المرائين الى الله تعالى لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هؤلاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحيل مال غيره وكذلك من ينسب الى فجور بامرأة اوغلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال اونكاح امرأة جميلة اوشريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد اما امرأة بعينها لينكحها او امرأة شريفة على الجملة وكالذي يرغب في ان يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم

البركة فيه لكل من يتناول منه شيأ فلا احب ان اسلمه الى هذا فيبذره بلسان غير ذاكر وقلب غير حاضر (وكان) بعض الفقراء عند الاكل يشرع في تلاوة سورة من القرآن تحضر الوقت بذلك حتى تنغمر أجزاء الطعام بانوار الذكر ولا يعقب الطعام مكروه ويتغير مزاج القلب وقد كان شيخنا ابو النجيب السهروردي يقول انا آكل وانا اصلي يشير الى حضور القلب في الطعام وربما كان يوقف من يمنع عنه الشواغل وقت اكله لئلا يتفرق همه وقت الاكل ويرى للذكر وحضور

والعبادة ليرغب فى تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح فى نفسه * الثالثة أن لا يقصد نيل حظ وادراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد و يعتقد أنه من جملة العامة كالذى يمشى مستعجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشى و يترك العجلة كيلا يقال انه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار وكذلك ان سبق الى الضحك او بدا منه المزاح فيخاف أن ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن و يقول ما أعظم غفلة الآدمى عن نفسه والله يعلم منه أنه لو كان فى خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف أن ينظر اليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير وكالذى يرى جماعة يصلون التراويح أو يتهجدون او يصومون الخميس والاثنين أو يتصدقون فيوافقهم خيفة أن ينسب الى الكسل و يلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيأ من ذلك وكالذى يعطش يوم عرفة أو عاشوراء أو فى الاشهر الحرام فلا يشرب خوفا من أن يعلم الناس انه غير صائم فاذا ظنوا به الصوام امتنع عن الاكل لاجله أن يدعى الى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم وقد لا يصرح بانى صائم ولكن يقول لى عذر وهو جمع بين خبيثين فانه يرى أنه صائم ثم يرى أنه مخلص ليس بمراء وانه يحترز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد أن يقال انه ساتر لعبادته ثم ان اضطر الى شرب لم يصبر عن أن يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا أو تعريضا بان يتعلل بمرض يقتضى فرط العطش و يمنع من الصوم او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كى لا يظن به انه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره فى معرض حكاية عرضا مثل ان يقول ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة فى ان ياكل الانسان من طعامه وقد الح على اليوم ولم اجد بدا من تطييب قلبه ومثل ان يقول ان امى ضعيفة القلب مشفقة على تظن انى لو صمت يوما مرضت فلا تدعنى اصوم فهذا وما يجرى مجراه من آفات الرياء فلا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء فى الباطن اما المخلص فانه لا يبالى كيف نظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة فى الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد ان يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبسا وان كان له رغبة فى الصوم لله قنع بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان فى اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسيأتى شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب اصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من اشد المهلكات وان من شدته ان فيه شوائب هى اخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر يزيل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد الجهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب والله اعلم

(بيان الرياء الخفى الذى هو اخفى من دبيب النمل)

اعلم ان الرياء جلى وخفى فالجلى هو الذى يبعث على العمل و يحمل عليه ولو قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا هو ما لا يحمل على العمل بمجرده الا أنه يخفف العمل الذى يريد به وجه الله كالذى يعتاد التهجد كل ليلة و يثقل عليه فاذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم انه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلى لمجرد رياء الضيفان واخفى من ذلك ما لا يؤثر فى العمل ولا بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن فى القلب ومهما لم يؤثر فى الدعاء الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص فى عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه و يرده و يتمم العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفى منه يرشح السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا فى القلب استكنان النار فى الحجر فاظهر عنه اطلاع الخلق اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفى من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفيفة فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعرض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار

القلب فى الاكل أثرا كبيرا لا يسعه الاهمال له ومن الذكر عند الاكل الفكر فيما هيا الله تعالى من الاسنان المعينة على الاكل فمنها الكاسرة ومنها القاطعة ومنها الطاحنة وما جعل الله تعالى من الماء الحلو فى الفم حتى لا يتغير الذوق كما جعل ماء العين مالحا لما كان شحما حتى لا يفسد وكيف جعل النداوة تنبع من أرجاء اللسان والفم ليعين ذلك على المضغ والسوغ وكيف جعل القوة الهاضمة مسلطة على الطعام تفصله وتجزئه متعلقا مددها بالكبد والكبد بمثابة النار والمعدة بمثابة القدر وعلى

بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد وأخفى من ذلك أن يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا رأى الناس أحب أن يبدؤه بالسلام وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه وأن ينشطوا في قضاء حوائجه وأن يسامحوه في البيع والشراء وان يوسعوا له في المكان فان قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي أخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب خفي من الرياء [1] أخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك أن يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روى عن علي كرم الله وجهه انه قال ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة ألم يكن يرخص عليكم السعر ألم تكونوا تبتدؤن بالسلام ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب ابن منبه انه قال ان رجلا من السواح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف أن نكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر مادخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقى احب ان يعظم لمكان دينه وان سال حاجة احب ان تقضى له لمكان دينه وان اشترى شيأ احب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس فقال السائح ماهذا قيل هذا الملك قد اظلك فقال للغلام ائتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه ويأكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم فقالوا هذا قال كيف انت قال كالناس وفي حديث آخر بخير فقال الملك ماعند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة يحرصون على اخفائها اعظم مما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء ان تخلص اعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة باخلاصهم على ملا من الخلق اذا علموا ان الله لا يقبل في القيامة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيامة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزى والد عن ولده ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع انفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم بان ارباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والنبهرج والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص من النقد فكذا يشاهد ارباب القلوب يوم القيامة والزاد الذي يتزودونه له من التقوى فاذا شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما ادرك من نفسه تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضره البهائم او الصبيان الرضع ام غابوا اطلعوا على حركته ام لم يطلعوا فلو كان خالصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا اجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس كل شوب محبطا للاجر مفسدا للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعاته فالسرور مذموم كله او بعضه محمود وبعضه مذموم فنقول اولا كل فليس بمذموم بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فاما المحمود فاربعة اقسام الاول ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم واظهر الجميل من احواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره اليه والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة

قد رفساد الكبد تقل الهاضمة ولا يفسد الطعام ولا ينفصل ولا يصل الى كل عضو نصيبه وهكذا تاثير الاعضاء كلها من الكبد والطحال والكليتين ويطول شرح ذلك فمن اراد الاعتبار فليطالع تشريح الاعضاء ليرى العجب من قدرة الله تعالى من تعاضد الاعضاء وتعاونها وتعلق بعضها بالبعض في اصلاح الغذاء واستجذاب القوة منه للاعضاء وانقسامه الى الدم والثفل واللبن لتغذية المولود من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فتبارك الله احسن الخالقين فالفكر

[1] حديث في الرياء شوائب اخفى من دبيب النمل احمد والطبراني من حديث ابي موسى الاشعري اتقوا هذا الشرك فانه اخفى من دبيب النمل ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابي بكر الصديق وضعفه هو والدارقطني

ولا لطف أعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة فى قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا فكأنه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به * الثانى ان يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه فى الدنيا انه كذلك يفعل فى الآخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] ماستر الله على عبد ذنبا فى الدنيا الا ستره عليه فى الآخرة فيكون الاول فرحا بالقبول فى الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا التفات الى المستقبل * الثالث أن يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به فى الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العلانية بما أظهر آخرا وأجر السر بما قصده أولا ومن اقتدى به فى طاعة فله مثل أجر أعمال المقتدين به من غير ان ينقص من أجورهم شئ وتوقع ذلك جدير بان يكون سبب السرور فان ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لامحالة * الرابع ان يحمد المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله فى مدحهم و بحبهم للمطيع و بميل قلوبهم الى الطاعة اذ من اهل الايمان من يرى أهل الطاعة فيمقته و يحسده او يذمه و يهزأ به او ينسبه الى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله وعلامة الاخلاص فى هذا النوع أن يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه * واما المذموم وهو الخامس فهو ان يكون فرحه لقيام منزلته فى قلوب الناس حتى يمدحوه و يعظموه و يقوموا بقضاء حوائجه و يقابلوه بالاكرام فى مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى أعلم

﴿ بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفى والجلى ومالايحبط ﴾

فنقول فيه اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو اما أن يرد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور بمجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يفسد العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء فما يطرأ بعده فنرجو أن لا ينعطف عليه أثره لاسيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمن اظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه الا ماداخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة فى الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف وفى الآثار والاخبار مايدل على أنه يحبط فقد روى عن ابن مسعود انه سمع رجلا يقول قرأت البارحة البقرة فقال ذلك حظه منها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] انه قال لرجل قال له صمت الدهر يارسول الله فقال له ماصمت ولا أفطرت فقال بعضهم انما قال ذلك لانه أظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما أن ظهر منه التحدث به اذ يبعد أن يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذى مضى ومعاقب على مرا آته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف مالو تغير عقده الى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فان ذلك قد يبطل الصلاة و يحبط العمل وأما اذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد فى أثنائها وارد الرياء فلا يخلو اما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر فى العمل واما أن يكون رياء باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط اجره ومثاله أن يكون فى تطوع فتجددت له نظارة او حضر ملك من الملوك وهو يشتهى ان ينظر اليه او يذكر شيا نسيه من ماله وهو يريد ان يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط

(١) حديث ما ستر الله على عبد فى الدنيا الاستر عليه فى الآخرة مسلم من حديث ابى هريرة (٢) حديث قال لرجل قال صمت الدهر ماصمت ولا افطرت مسلم من حديث ابى قتادة قال عمر يارسول الله كيف بمن يصوم الدهر قال لاصام ولا افطر وللطبرانى من حديث اسماء بنت يزيد فى اثناء حديث فيه فقال رجل انى صائم قال بعض القوم انه لايفطر انه يصوم كل يوم قال النبى صلى الله عليه وسلم لاصام ولا افطر من صام الابد ولم اجده بلفظ الخطاب

فى ذلك وقت الطعام وتصرف لطيف الحكم والقدر فيه من الذكر ومما يذهب داء الطعام المغير لمزاج القلب أن يدعو فى أول الطعام و يسأل الله تعالى ان يجعله عونا على الطاعة و يكون من دعائه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وما رزقتنا مما تحب اجعله عونا لنا على ما تحب وما زويت عنا مما تحب اجعله فراغا لنا فيما تحب

﴿ الباب الثالث والاربعون فى آداب الاكل ﴾ فمن ذلك أن يبتدى بالملح و يختم به روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعلى رضى الله عنه ياعلى ابدأ طعامك بالملح واختم بالملح فان الملح شفاء

اجره وعليه الاعادة ان كان فى فريضة وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب أوله أى النظر الى خاتمته وروى انه (٢) من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذى كان قبله وهذا منزل على الصلاة فى هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء من ذلك مفرد فما يطرأ يفسد الباقى دون الماضى والصوم والحج من قبيل الصلاة واما اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة فى أثناء الصلاة ففرح بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لاجل نظارهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضا فهذا رياء قد أثر فى العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا أيضا ينبغى ان يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفى بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرأ عليها ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا يفسد العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء قصد اصل الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه ولقد ذهب الحرث المحاسبى رحمه الله تعالى الى الاحباط فى امر هو اهون من هذا وقال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعنى سرورا هو كحب المنزلة والجاه قال قد اختلف الناس فى هذا فصارت فرقة الى انه محبط لانه نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط وان لم يتزيد فى العمل ولا آمن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس والاغلب على قلبى انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى انهما حالتان فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانية وقد روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله (٣) اسر العمل لا احب أن يطلع عليه فيطلع عليه فيسرنى قال لك اجران اجر السر واجر العلانية ثم تكلم على الخبر والاثر فقال اما الحسن فانه اراد بقوله لا يضره اى لا يدع العمل ولا تضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا عقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة اوجه * احدها انه يحتمل انه اراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس فى الحديث انه قبل الفراغ * الثانى انه اراد ان يسر به للاقتداء به أولسرور آخر محمود مما ذكرناه قبل لا سرورا بسبب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به اجرا ولا ذاهب من الامة الى ان للسرور بالمحمدة اجرا وغايته ان يعفى عنه فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائى اجران * والثالث انه قال اكثر من روى الحديث يرويه غير متصل الى ابى هريرة بل اكثرهم يوقفه على ابى صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة فى الرياء اولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل اظهر ميلا الى الاحباط والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره فى العمل بل بقى العمل صادرا عن باعث الدين وانما انضاف اليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به اصل نيته و بقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام واما الاخبار التى وردت فى الرياء فهى محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد فى الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب او اغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الاعمال ولا ينبغى ان يفسد الصلاة ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذى اوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله والخالص ما لا يشوبه شئ فلا يكون مؤديا للواجب

---

(١) حديث العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب اوله ابن ماجه من حديث معاوية بن ابى سفيان بلفظ اذا طاب اسفله طاب اعلاه وقد تقدم (٢) حديث من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذى كان قبله لم اجده بهذا اللفظ وللشيخين من حديث جندب من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به ورواه مسلم من حديث ابن عباس (٣) حديث ان رجلا قال اسر العمل لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرنى فقال لك اجران الحديث البيهقى فى شعب الايمان من رواية ذكوان عن ابن مسعود ورواه الترمذى وابن حبان من رواية ذكوان عن ابى هريرة الرجل يعمل العمل فيسره فاذا اطلع عليه اعجبه قال له اجر السر والعلانية قال الترمذى غريب وقال انه روى عن ابى صالح وهو ذكوان مرسل

من سبعين داء منها الجنون والجذام والبرص ووجع البطن ووجع الاضراس وروت عائشة رضى الله عنها قالت لدغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ابهامه من رجله اليسرى لدغة فقال على بذلك الابيض الذى يكون فى العجين فجئنا بالملح فوضعه فى كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه ويستحب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية فى الربط وغيرها ﴿ روى جابر ﴾ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من احب الطعام الى الله تعالى ما كثرت عليه الايدى وروى انه قيل يا رسول

مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما أوفى مما أوردناه الآن فليرجع اليه فهذا حكم الرياء الطارىء بعد عقد العبادة أما قبل الفراغ أو بعد الفراغ ﴿القسم الثالث﴾ الذي يقارن حال العقد بان يبتدى الصلاة على قصد الرياء فان استمر عليه حتى سلم فلا خلاف في انه يقضي ولا يعتد بصلاته وان ندم عليه في اثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة اوجه قالت فرقة لم تنعقد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة تلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد افعاله دون تحريمة الصلاة لان التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ بالاخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا ازيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا تكون الا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت افعالا زائدة في الصلاة فتفسد الصلاة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو ايضا ضعيف لان الرياء يقدح في النية وأولى الاوقات بمراعاة أحكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا أيضا كان يصلي لاجل الناس فهذه صلاة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهر له الرغبة في المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم او في عقد صلاة وحج فان كان في صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء واطاع باجابة باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الآخر وان كان في صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلو اما ان تكون فرضا او نفلا فان كانت نفلا فحكمها ايضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذ اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والاقتداء به باطل حتى ان من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا في بيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب أيضا بتطوعه فتصح باعتبار ذلك القصد صلاته و يصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر هو به عاص فاما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لادى الفرائض ولو لم يكن باعث الفرض لانشأ صلاة تطوعا لاجل الرياء فهذا محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل ان يقال ان الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص و يحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلاة في الدار المغصوبة فانه مطيع باصل الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في أصل الصلاة اما اذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون أصل الصلاة مثل من بادر الى الصلاة في اول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلاة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لان باعث اصل الصلاة من حيث انها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا أبعد عن القدح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه وأما مجرد السرور باطلاع الناس عليه اذا لم يبلغ أثره الى حيث يؤثر في العمل فبعيد أن يفسد الصلاة فهذا ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسالة

الله انا نأكل ولا نشبع قال لعلكم تفترقون على طعامكم اجتمعوا واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه ومن عادة الصوفية الاكل على السفر وهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخبرنا) الشيخ أبو زرعة عن المقومي باسناده الى ابن ماجه الحافظ القزويني قال أنا محمد ابن المثنى قال ثنا معاذ ابن هشام قال ثنا أبي عن يونس ابن الفرات عن قتادة عن أنس ابن مالك قال ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة قال فعلام كانوا يأكلون قال على السفر و يصغر اللقمة ويجود الاكل

غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بأدنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقتصاد فيما نراه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم الغيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم

﴿ بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه ﴾

قد عرفت مما سبق أن الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وانه من كبائر المهلكات وماهذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء الا في شرب الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبي يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة و يرسخ ذلك في نفسه وانما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك أحد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق أولا وتخف آخرا وفي علاجه مقامان احدهما قلع عروقه واصوله التي منها انشعابه والثاني دفع مايخطر منه في الحال ﴿ المقام الاول ﴾ في قلع عروقه واستئصال اصوله واصله حب المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى ثلاثة اصول وهي لذة المحمدة والفرار من ألم الذم والطمع فيما في ايدي الناس و يشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائي ماروى ابوموسى ان اعرابيا سال النبي صلى الله عليه وسلم (١) فقال يارسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يانف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب وقال الرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملأ دفتي رحلته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم (٢) من غزا لا يبغي الا عقالا فله مانوى فهذا اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كي لا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا أيس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل و يفتي بغير علم و يدعي العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذر من الذم فهذه الامور الثلاثة هي التي تحرك المرائي الى الرياء وعلاجه ماذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الان مايخص الرياء وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشيء و يرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المآل فان علم انه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة ان يعلم مافيه من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء ومايفوته من صلاح قلبه ومايحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله ومايتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى على رؤوس الخلائق يافاجر ياغادر يامرائي أما استحييت اذا اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا وراقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت

بالمضغ و ينظر بين يديه ولا يطالع وجوه الآكلين و يقعد على رجله اليسرى و ينصب اليمنى ويجلس جلسة التواضع غير متكىء ولا متعزز نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأكل الرجل متكئا (وروى) انه اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فجثا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه يأكل فقال أعرابي ماهذه الجلسة يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلقني عبدا ولم يجعلني جبارا عنيدا * ولا يبتدىء بالطعام حتى يبدأ المقدم او الشيخ روى حذيفة قال كنا اذا حضرنا مع رسول الله صلى

(١) حديث ابي موسى ان اعرابيا قال يارسول الله الرجل يقاتل حمية الحديث متفق عليه (٢) حديث من غزا لا ينوي الا عقالا فله مانوى النسائي وقد تقدم

اليهم بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا افسد بالرياء حول الى كفة السيئات فترجح به ويهوي الى النار فلو لم يكن في الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد الى صف النعال من مراتب الاولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضا عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله لاجل حمدهم ولا يزيدهم حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة واما الطمع فيما في أيديهم فبأن يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطىء واذا أصاب فلا تفي لذته بألم منته ومذلته وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيا مالم يكتبه عليه الله ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة ولا يبغضه الى الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه آفة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته وأقبل على الله قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره و يقل نفعه و يكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه الى الناس و يعرفهم انه مراء وممقوت عند الله ولو أخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه مع انه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم (١) ان مدحي زين وان ذمي شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ذاك الله الذي لا اله الا هو اذ لا زين الا في مدحه ولا شين الا في ذمه فاي خير لك في مدح الناس وانت عند الله مذموم ومن اهل النار وأي شر لك من ذم الناس وانت عند الله محمود في زمرة المقربين فمن احضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من اخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره و ينفتح بها له من لطائف المكاشفات ما يزيد به انسه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الاول هي الادوية العلمية القالعة مغارس الرياء ﴿وأما الدواء العملي﴾ فهو أن يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وقد روي ان بعض أصحاب أبي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال أظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعد هذا فلم يرخص في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل الطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتاييد والتسديد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع أجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما ﴿المقام الثاني﴾ في دفع العارض منه في اثناء العبادة وذلك

(١) حديث قال شاعر من بني تميم ان مدحي زين وان ذمي شين فقال كذبت ذاك الله حم من حديث الاقرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات الا أني لا أعرف لابي سلمة بن عبد الرحمن سماعا من الاقرع ورواه الترمذي من حديث البراء وحسنه بلفظ فقال رجل ان حمدي.

الله صلى الله عليه وسلم طعاما لم يضع احدنا يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم و يأكل باليمين روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليأكل احدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله و يشرب بشماله و يأخذ بشماله و يعطي بشماله وان كان المأكول تمرا أو ماله عجم لا يجمع من ذلك ما يرمي وما يؤكل على الطبق ولا في كفه بل يضع ذلك على ظهر كفه من فيه و يرميه ولا يأكل من ذروة الثريد روى عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه

لابد من تعلمه أيضافان من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه من أعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه فى اثناء العبادات بل يعارضه بخطرات الرياء ولا تنقطع عنه نزعاته وهوى النفس وميلها لا ينمحى بالكلية فلابد وأن يتشمر لدفع مايعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج فالاول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس فى حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه هيجان الرغبة فى قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثانى حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة فى دفع الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه الثانى فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أورجاء اطلاعهم دفع ذلك بان قال مالك وللخلق علموا أولم يعلموا والله عالم بحالك فاى فائدة فى علم غيره فان هاجت الرغبة الى لذة الحمد بذكر مارسخ فى قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله فى القيامة وخيبته فى أحوج أوقاته الى أعماله فكما ان معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة فى الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة اذ يتفكر فى تعرضه لمقت الله وعقابه الاليم والشهوة تدعوه الى القبول والكراهة تدعوه الى الاباء والنفس تطاوع لامحالة أقواهما وأغلبهما فاذا لابد فى رد الرياء من ثلاثة أمور المعرفة والكراهة والاباء وقد يشرع العبد فى العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التى كان الضمير منطويا عليها وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى فى القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وشؤم عاقبته اذ لم يبق موضع فى القلب خال عن شهوة الحمد أوخوف الذم وهو كالذى يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب و يعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجرى من الأسباب مايشتد به غضبه فينسى سابقة عزمه و يمتلئ قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب و يشغل قلبه عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب واليه أشار جابر بقوله(١) بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت فانسيناها يوم حنين حتى نودى يا أصحاب الشجرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا وأكثروا الشهوات التى تهجم فجأة هكذا تكون اذ تنسى معرفة مضرته الداخلة فى عقد الايمان ومهما نسى المعرفة لم تظهر الكراهة فالكراهة ثمرة المعرفة وقد يتذكر الانسان فيعلم ان الخاطر الذى خطر له هو خاطر الرياء الذى يعرضه لسخط الله ولكن يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة أو يتشاغل عن التفكر فى ذلك لشدة الشهوة فكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه الى فعله الا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون الحجة عليه أوكد اذ قبل داعى الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله ولا تنفعه معرفته اذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهه ولكن مع ذلك يقبل داعى الرياء و يعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا أيضا لا ينتفع بكراهته اذ الغرض من الكراهة ان تصرف عن الفعل فاذا لا فائدة الا فى اجتماع الثلاث وهى المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التامل فى آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة و بعض ذلك ينتج بعضا و يثمره وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هى التى تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه و بين التفكر فى العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وانوار العلوم فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الاباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل

(١) حديث جابر بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على ان لا نفر الحديث مسلم مختصرا دون ذكر يوم حنين فرواه مسلم من حديث العباس

قال اذا وضع الطعام فخذوا من حاشيته وذروا وسطه فان البركة تنزل فى وسطه * ولا يعيب الطعام روى أبو هريرة رضى الله عنه قال ماعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه واذا سقطت اللقمة يأكلها فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الاذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان ويلعق أصابعه فقد روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أكل أحدكم الطعام فليمتص أصابعه فانه لايدرى فى اى طعامه تكون

الطبع اليه وحبه له ومنازعته إياه الا أنه كاره لحبه ولميله اليه وغير محبب اليه فهل يكون فى زمرة المرائين فاعلم ان الله لم يكلف العباد الا ما تطيق وليس فى طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينزع اليها وانما غايته أن يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الايمان بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية فى أداء ما كلف به ويدل على ذلك من الاخبار ماروى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) شكوا اليه وقالوا تمرض لقلوبنا أشياء لأن نخر من السماء فتخطفنا الطير أو تهوى بنا الريح فى مكان سحيق احب الينا من أن نتكلم بها فقال عليه السلام أوقد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وان كان عظيما فهو دون الوسوسة فى حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبأن يندفع بها ضرر الاصغر أولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث ابن عباس أنه قال (٢) الحمد لله الذى رد كيد الشيطان الى الوسوسة وقال أبو حازم ما كان من نفسك وكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ماهو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادهما بالاباء والكراهة والخواطر التى هى العلوم والتذكرات والتخيلات للاسباب المهيجة للرياء هى من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الايمان ومن آثار العقل الا أن للشيطان ههنا مكيدة وهى أنه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه أن صلاح قلبه فى الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته فى الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله فيوجب ذلك نقصانا فى منزلته عند الله * والمتخلصون عن الرياء فى دفع خواطر الرياء على أربع مراتب * الاولى أن يرده على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته و يطيل الجدال معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذى هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان فى السلوك * الثانية أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان فى السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته * الثالثة أن لا يشتغل بتكذيبه أيضا لان ذلك وقفة وان قلت بل يكون قد قرر فى عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة * الرابعة ان يكون قد علم ان الشيطان سيحده عند جريان اسباب الرياء فيكون قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفاء الصدقة والعبادة غيظا للشيطان وذلك هو الذى يغيظ الشيطان و يقمعه و يوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع * يروى عن الفضيل بن غزوان انه قيل له ان فلانا يذكرك فقال والله لاغيظن من امره قيل ومن امره قال الشيطان اللهم اغفر له اى لأغيظنه بان اطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من ان يزيد فى حسناته * وقال ابراهيم التيمى ان الشيطان ليدعو العبد الى الباب من الاثم فلا يطعه وليحدث عند ذلك خيرا فاذا رآه كذلك تركه وقال ايضا اذا رآك الشيطان مترددا طمع فيك واذا رآك مداوما ملك وقلاك وضرب الحرث المحاسبي رحمه الله لهذه الاربعة مثالا احسن فيه فقال مثالهم كاربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف ان يعرفوا الحق فتقدم الى واحد فمنعه وصرفه عن ذلك ودعاه الى مجلس ضلال فأبى فلما عرف اباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن ان ذلك مصلحة وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تاخره فلما مر الثانى عليه نهاه

السبركة وهكذا أمر عليه السلام باسلات القصعة وهو مسحها من الطعام قال أنس رضي الله عنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلات القصعة ولا ينفخ فى الطعام فقد روت عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال النفخ فى الطعام يذهب بالبركة وروى عبد الله بن عباس أنه قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ فى طعام ولا فى شراب ولا يتنفس فى الاناء فليس من الادب ذلك والخل والبقل على السفرة من السنة قيل ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل روت

(١) حديث شكوى الصحابة مايعرض فى قلوبهم وقوله ذلك صريح الايمان مسلم من حديث ابن مسعود مختصر اسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقال ذلك محض الايمان و النسائى فى اليوم والليلة وابن حبان فى صحيحه ورواه النسائى فيه من حديث عائشة (٢) حديث ابن عباس الحمد لله الذى رد كيد

واستوقفه فوقف فدفع فى نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه وضربه الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه بالكلية فمر الرابع فلم يتوقف له وأراد أن يغيظه فزاد فى عجلته وترك التأنى فى المشى فيوشك ان عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يعاود الجميع الا هذا الاخير فانه لا يعاوده خيفة من أن يزداد فائدة باستعجاله فان قلت فاذا كان الشيطان لا تؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظار الوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له أو يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه فذهبت فرقة من أهل البصرة الى أن الاقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله واشتغلوا بحبه فاعتزلهم الشيطان وأيس منهم وخنس عنهم كما أيس من ضعفاء العباد فى الدعوة الى الخمر والزنا فصارت ملاذ الدنيا عندهم وان كانت مباحة كالخمر والخنزير فارتحلوا من حبها بالكلية فلم يبق للشيطان اليهم سبيل فلاحاجة بهم الى الحذر وذهبت فرقة من أهل الشام الى أن الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه ونقص توكله فمن أيقن بان لا شريك لله فى تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون الا ما أراده الله فهو الضار والنافع والعارف يستحيي منه ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الاقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا اذ الانبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل فى صفات الله تعالى واسمائه وفى تحسين البدع والضلال وغير ذلك ولا ينجو احد من الخطر فيه ولذلك قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته وقال النبي صلى الله عليه وسلم [1] انه ليغان على قلبي [2] مع ان شيطانه قد اسلم ولا يامره الا بخير فمن ظن ان اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء فى الجنة التى هى دار الامن والسرور بعد ان قال الله لهما ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى ومع انه لم ينه الا عن شجرة واحدة واطلق له وراء ذلك ما اراد فاذا لم يامن نبي من الانبياء وهو فى الجنة دار الامن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره ان يامن فى دار الدنيا وهى منبع المحن والفتن ومعدن الملاذ والشهوات المنهى عنها وقال موسى عليه السلام فيما اخبر عنه تعالى هذا من عمل الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة وقال عز وجل انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقرآن من اوله الى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدعى الامن منه واخذ الحذر من حيث امر الله به لا ينافى الاشتغال بحب الله فان من الحب له امتثال امره وقد امر بالحذر من العدو كما امر بالحذر من الكفار فقال تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فذا لزمك بامر الله الحذر من العدو الكافر وانت تراه فبان يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه اولى ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه ولا يراك يوشك ان تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك ان يظفر بك فاشار الى الشيطان فكيف وليس فى الغفلة عن عداوة الكافر الا قتل هو شهادة وفى اهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية فى ظنهم ان ذلك قادح فى التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح فى توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقدح فى التوكل الخوف مما خوف الله به

ام سعد رضى الله عنها قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة رضى الله عنها وانا عندها فقال هل من غداء فقالت عندنا خبز وتمر وخل فقال عليه السلام نعم الادام الخل اللهم بارك فى الخل فانه كان ادام الانبياء قبلى ولم يفقر بيت فيه خل ولا يصست على الطعام فهو من سيرة الاعاجم ولا يقطع اللحم والخبز بالسكين ففيه نهى ولا يكف يده عن الطعام حتى يفرغ الجمع فقد ورد عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وضعت المائدة فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة

الشيطان الى الوسوسة ابو داود والنسائى فى اليوم والليلة بلفظ كيده (١) حديث انه ليغان على قلبي تقدم (٢) حديث ان شيطانه اسلم فلا يامر الا بخير تقدم ايضا .

والحذر

والحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من زعم أن معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل لا يناقض امتثال التوكل مهما اعتقد القلب أن الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان و يعتقد أن الهادي والمضل هو الله ويرى الاسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه في التوكل وهذا ما اختاره الحرث المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لم يغزر علمهم و يظنون أن ما يهجم عليهم من الاحوال في بعض الاوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاثة أوجه في كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغي أن يكون شيء أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدي الى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله تعالى ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر منه فنجمع بين الامرين فانا ان نسيناه ربما تعرض من حيث لا نحتسب وان تجردنا لذكره كنا قد أهملنا ذكر الله فالجمع أولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان أما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر الله فلا يخفى غلطه وانما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الاشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدي ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فاذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره وأما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذا جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان و بقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره فالحق أن يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان و يقرر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله و يكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله أمر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من ان يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر و ينام على ان يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليل مرات قبل اوانه لما اسكن في قلبه من الحذر مع انه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو اذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد امات منه الهوى واحيا فيه نور العقل والعلم واماط عنه ظلمة الشهوات فاهل البصيرة اشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده وألزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاؤا بنور الذكر حتى صرفوا خواطر العدو فمثال القلب مثال بئر اريد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منها الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزح الماء القذر من جانب ولكنه تركه جاريا اليها من جانب آخر فيطول تعبه ولا تجف البئر من الماء القذر والبصير هو الذي جعل لمجرى الماء القذر سدا وملأها بالماء الصافي فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب

﴿بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات﴾

اعلم ان في الاسرار للاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون ان السر أحرز العملين ولكن في الاظهار ايضا فائدة ولذلك اثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاظهار قسمان احدهما في نفس العمل والآخر بالتحدث بما عمل ﴿القسم الاول﴾ اظهار نفس العمل كالصدقة في الملا لترغيب الناس فيها كما روي عن الانصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال

ولا يرفع يده وان شبع حتى يفرغ القوم وليتملل فان الرجل يخجل جليسه فيقبض يده وعسى أن يكون له في الطعام حاجة * واذا وضع الخبز لا ينتظر غيره فقد روى أبو موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الخبز فان الله تعالى سخر لكم بركات السماء والارض والحديد والبقر وابن آدم ومن أحسن الادب وأهمه أن لا يأكل الا بعد الجوع ويمسك عن الطعام قبل الشبع فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه ومن عادة

النبي صلى الله عليه وسلم (١) من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها واجر من اتبعه وتجرى سائر الاعمال هذا المجرى من الصلاة والصيام والحج والغزو وغيرها ولكن الاقتداء في الصدقة على الطباع أغلب نعم الغازى اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك افضل له لان الغزو في اصله من أعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليست من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في الصلاة بالليل لينبه جيرانه واهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء وأما ما يمكن اسراره كالصدقة والصلاة فان كان اظهار الصدقة يؤذى المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لان الايذاء حرام فان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر أفضل من العلانية وان كان في العلانية قدوة وقال قوم السر أفضل من علانية لا قدوة فيها اما العلانية للقدوة فافضل من السر ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الانبياء باظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله عليه السلام له أجرها وأجر من عمل بها وقد روى في الحديث (٢) ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن بعمله على عمل السر سبعين ضعفا وهذا لا وجه للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يقتدى به أفضل لا محالة وانما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في أن السر افضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان احداهما أن يظهر حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به أهله دون جيرانه وربما يقتدى به جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدى به اهل محلته وانما العالم المعروف هو الذى يقتدى به الناس كافة فغير العالم اذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به والثانية أن يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتداء وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا الاقوياء المخلصين وقليل ماهم فلا ينبغى أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال الغريق الذى يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالماء في الدنيا ألمه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزلة أقدام العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط أجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدى الناس بعابد آخر من أقرانك ويكون لك في السر مثل أجر الاعلام فان مال قلبه الى ان يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر الى غيره وأجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار لولا ملاحظته لاعين الخلق ومراآتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه

---

(١) حديث من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها واجر من اتبعه وفي أوله قصة مسلم من حديث جرير ابن عبد الله البجلى (٢) حديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية بسبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن به على عمل السر سبعين ضعفا البيهقى في الشعب من حديث أبي الدرداء مقتصرا على الشطر الاول بنحوه وقال هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين وقد تقدم قبل هذا بنحو ورقتين وله من حديث ابن عمر عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل لمن اراد الاقتداء وقال تفرد به بقية عن عبد الملك بن مهران وله من حديث عائشة يفضل أو يضاعف الذكر الخفى الذى لا يسمعه الحفظة على الذى تسمعه بسبعين ضعفا وقال تفرد به معاوية ابن يحيى الصدفى وهو ضعيف

الصوفية ان يلقم الخادم اذا لم يجلس مع القوم وهو سنة روى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم اذا جاء احدكم خادمه بطعام فان لم يجلسه معه فليناوله أكلة او اكلتين فانه ولى حره ودخانه واذا فرغ من الطعام تحمد الله تعالى روى أبو سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اكل طعاما قال الحمد لله الذى اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اكل طعاما فقال الحمد لله الذى اطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة

على القلب غالب وقلما تسلم الاعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي ان يعدل بالسلامة شيأ والسلامة في الاخفاء وفي الاظهار من الاخطار مالا يقوى عليه امثالنا فالحذر من الاظهار اولى بنا وبجميع الضعفاء ﴿ القسم الثاني ﴾ ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر في هذا اشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد تجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في اظهار الدعاوى عظيمة الا انه لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر في افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه اهون والحكم فيه ان من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب اليه ان صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لانه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الاقوياء قال سعد بن معاذ ماصليت صلاة منذ اسلمت فحدثت نفسي بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ماهي قائلة وماهو مقول لها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولا قط الا علمت انه حق وقال عمر رضي الله عنه ماابالي اصبحت على عسر او يسر لاني لاادري ايهما خير لي وقال ابن مسعود مااصبحت على حال فتمنيت ان اكون على غيرها وقال عثمان رضي الله عنه (١) ماتغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال شداد بن اوس ماتكلمت بكلمة منذ اسلمت حتى ازمها واخطمها غير هذه وكان قد قال لغلامه ائتنا بالسفرة لنبعث بها حتى ندرك الغداء وقال ابو سفيان لاهله حين حضره الموت لاتبكوا علي فاني ما احدثت ذنبا منذ اسلمت وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ماقضى الله في بقضاء قط فسرني ان يكون قضى لي بغيره ومااصبح لي هوى الا في مواقع قدر الله فهذا كله اظهار لاحوال شريفة وفيها غاية المراآة اذا صدرت ممن يرائي بها وفيها غاية الترغيب اذا صدرت ممن يقتدي به فذلك على قصد الاقتداء جائز للاقوياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي ان يسد باب اظهار الاعمال والطباع مجبولة على حب التشبه والاقتداء بل اظهار المرائي للعبادة اذا لم يعلم الناس انه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله وقد روي انه كان يجتاز الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقرآن من البيوت فصنف بعضهم كتابا في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائي فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه (٢) وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لاخلاق لهم كما ورد في الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم والله تعالى اعلم

﴿ بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له ﴾

اعلم ان الاصل في الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضي الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية قال يا امير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك لم تستحي منه وقال ابو مسلم الخولاني ماعملت عملا ابالي ان يطلع الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغائط الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها كل واحد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لاسيما ماتختلج به الخواطر في الشهوات والاماني والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائها عن العبيد ربما يظن انه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور انه يستر ذلك ليرى الناس انه ورع خائف من الله تعالى مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي واما الصادق الذي لا يرائي فله ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية اوجه ﴿ الاول ﴾ ان

(١) حديث عثمان قوله ماتغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو يعلى الموصلي في معجمه باسناد ضعيف من رواية انس عنه في اثناء حديث وان عثمان قال يارسول الله فذكره بلفظ منذ بايعتك قال هو ذاك ياعثمان (٢) حديث ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لاخلاق لهم هما حديثان فالاول متفق عليه من حديث ابي هريرة وقد تقدم في العلم والثاني رواه النسائي من حديث انس بسند صحيح وتقدم

غفر له ماتقدم من ذنبه ويتخلل فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تخللوا فانه نظافة والنظافة تدعو الى الايمان والايمان مع صاحبه في الجنة ويغسل يديه فقد روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بات وفي يده غمر لم يغسل فاصابه شيء فلا يلومن الا نفسه ومن السنة غسل الايدي في طست واحد روى ابن عمر رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترعوا الطسوس وخالفوا المجوس ويستحب مسح العين ببلل اليد (وروى) ابو هريرة قال قال رسول الله صلى

يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره فى القيامة اذ ورد فى الخبر [1] ان من ستر الله عليه فى الدنيا اذنبا ستره الله عليه فى الآخرة وهذا غم ينشأ من قوة الايمان ﴿ الثانى ﴾ انه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعاصى و يحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم [2] من ارتكب شيأ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وان عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما أحبه الله وهذا ينشأ من قوة الايمان بكراهة الله لظهور المعاصى وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنب من غيره أيضا و يغتم بسببه ﴿ الثالث ﴾ أن يكره ذم الناس له به من حيث ان ذلك يغمه و يشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فان الطبع يتأذى بالذم و ينازع العقل و يشتغل عن الطاعة و بهذه العلة أيضا ينبغى أن يكره الحمد الذى يشغله عن ذكر الله تعالى و يستغرق قلبه و يصرفه عن الذكر وهذا أيضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة فى فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان ﴿ الرابع ﴾ أن يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصى اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى مالا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به نعم كمال الصدق فى أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوى عنده ذامه ومادحه لعلمه أن الضار والنافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا وأكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود اذا كان الذام من أهل البصيرة فى الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان فى الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو أن يغتم لفوات الحمد بالورع كانه يحب أن يحمد بالورع ولا يجوز أن يحب أن يحمد بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك فى نفسه وجب عليه أن يقابله بالكراهة والرد وأما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك و يتصور أن يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده أن يتركه الناس حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على ألم الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم واما الذم فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة فى الحال وأما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه الا أمر واحد وهو أن يشغله غمه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان فى الدين بل ينبغى أن يكون غمه باطلاع الله وذمه له أكثر ﴿ الخامس ﴾ أن يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله تعالى به وهذا من الايمان وعلامته أن يكره ذمه لغيره أيضا فهذا التوجع لا يفرق بينه و بين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع ﴿ السادس ﴾ ان يستر ذلك كيلا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم الذم فان الذم مؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وان كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب فله أن يستر ذلك حذرا منه ﴿ السابع ﴾ مجرد الحياء فانه نوع ألم وراء ألم الذم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث فى اول الصبا مهما أشرق عليه نور العقل فيستحيى من القبائح اذ شوهدت منه وهو وصف محمود اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [3] الحياء خير كله وقال صلى الله عليه وسلم [4] الحياء شعبة من الايمان وقال صلى الله عليه وسلم [5] الحياء لا ياتى الا بخير وقال صلى الله عليه وسلم [6] ان الله يحب الحيى الحليم فالذى يفسق ولا يبالى ان يظهر فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء فهو أشد حالا ممن يستتر و يستحيى الا ان الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه أيضا

(١) حديث ان من ستر عليه فى الدنيا يستر عليه فى الآخرة تقدم قبل هذا بورقة (٢) حديث من ارتكب من هذه القاذورات شيأ فليستتر بستر الله الحاكم فى المستدرك وقد تقدم (٣) حديث الحياء خير كله مسلم من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٤) حديث الحياء شعبة من الايمان متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد تقدم (٥) حديث الحياء لا ياتى الا بخير متفق عليه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٦) حديث ان الله يحب الحيى الحليم الطبرانى من حديث فاطمة وللبزار من حديث أبى هريرة ان الله يحب الغنى الحليم المتعفف وفيه ليث ابن أبى سليم مختلف فيه

الله عليه وسلم اذا توضأتم فاشربوا اعينكم الماء ولا تنفضوا ايديكم فانها مراوح الشياطين قيل لابى هريرة فى الوضوء وغيره قال نعم فى الوضوء وغيره وفى غسل اليد ياخذ الاشنان باليمين وفى الخلال لا يزدرد مايخرج بالخلال من الاسنان واما مايلوكه باللسان فلا بأس به و يجتنب التصنع فى اكل الطعام و يكون اكله بين الجمع كما كله منفردا فان الرياء يدخل على العبد فى كل شئ وصف لبعض العلماء بعض العباد فلم يثن عليه قيل له تعلم به بأسا قال نعم رأيته يتصنع فى الاكل ومن تصنع فى الاكل

به اشتباها عظيما قل من يتفطن له و يدعى كل مراء انه مستحى وان سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الاخلاص و يتصور أن يخلص معه و يتصور أن يرائى معه و بيانه أن الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا أنه يستحى من رده وعلم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحى ولا يقرض رياء ولا لطلب الثواب فله عند ذلك أحوال أحدها أن يشافهه بالرد الصريح ولا يبالى فينسب الى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فان المستحى اما أن يتعلل أو يقرض فان أعطى فيتصور له ثلاثة أحوال أحدها أن يمزج الرياء بالحياء بان يهيج الحياء فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الرياء و يقول ينبغى أن تعطى حتى يثنى عليك و يحمدك و ينشر اسمك بالسخاء أو ينبغى أن تعطى حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء * الثانى ان يتعذر عليه الرد بالحياء و يبقى فى نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج داعى الاخلاص و يقول له أن الصدقة بواحدة والقرض بثمان عشرة ففيه أجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسخو النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء اخلاصه * الثالث أن لا يكون له رغبة فى الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لانه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده فى قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحى منه من الاجانب أو الاراذل لكان يرده وان كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا الا فى القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائى يستحى من المباحات أيضا حتى أنه يرى مستعجلا فى المشى فيعود الى الهدو أوضاحكا فيرجع الى الانقباض و يزعم ان ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل أن بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وامامة الناس فى الصلاة وهو فى الصبيان والنساء محمود وفى العقلاء غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحى من شيبته أن تنكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذى الشيبة المسلم وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن تستحى من الله فلا تضيع الامر بالمعروف فالقوى يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هى الاسباب التى يجوز لاجلها ستر القبائح والذنوب ﴿الثامن﴾ ان يخاف من ظهور ذنبه أن يستجرئ عليه غيره و يقتدى به وهذه العلة الواحدة فقط هى الجارية فى اظهار الطاعة وهو القدوة و يختص ذلك بالأئمة أو بمن يقتدى به و بهذه العلة ينبغى أيضا أن يخفى العاصى أيضا معصيته من أهله وولده لانهم يتعلمون منه ففى ستر الذنوب هذه الاعذار الثمانية وليس فى اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية أن يخيل الى الناس أنه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم (١) دلنى على ما يحبنى الله عليه و يحبنى الناس قال ازهد فى الدنيا يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود أن تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه تعالى اذا أحب عبدا حببه فى قلوب عباده والمذموم أن تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله والمباح أن تحب أن يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة المعينة فحبك ذلك كحبك المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال فلا فرق بينهما

﴿بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات﴾

اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة فى عينه كالصلاة والصوم

لا يؤمن عليه التصنع فى العمل وان كان الطعام حلالا فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد اللهم أطعمنا طيبا واستعملنا صالحا وان كان شبهة يقول الحمد لله على كل حال اللهم صلى على محمد ولا تجعله عونا على معصيتك وليكثر الاستغفار والحزن ويبكى على أكل الشبهة ولا يضحك فليس من يأكل وهو يبكى كمن يأكل وهو يضحك و يقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولايلاف قريش و يجتنب الدخول على قوم فى وقت أكلهم فقد ورد من مشى الى

(١) حديث قال رجل دلنى على ما يحبنى الله عليه و يحبنى الناس قال ازهد فى الدنيا يحبك الله الحديث ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بلفظ وازهد فيما فى ايدى الناس وقد تقدم

والحج والغزو فانها مقاساة ومجاهدات انما تصير لذيذة من حيث أنها توصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ماهو لذيذ وهو أكثر مالا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وامامة الصلاة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة ﴿القسم﴾ الاول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصوم والصلاة والحج فخطرات الرياء فيها ثلاث احداها مايدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما ينبغي أن يترك لانه معصية لاطاعة فيه فانه تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها ألا تستحيين من مولاك لاتسخين بالعمل لاجله وتسخين بالعمل لاجل عباده حتى يندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل بالعمل الثانية أن ينبعث لاجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة وأولها فلا ينبغي أن يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحسين الاخلاص بالمعالجات التي ذكرناها من الزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول الثالثة أن يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي أن يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك الى الرياء فاذا لم تجب ودفعت بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص وأنت مراء وتعبك ضائع فاي فائدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لخوفه أن يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها زؤان وقال خلصها من الزؤان ونقها منه تنقية بالغة فيترك أصل العمل ويقول أخاف ان اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا نقيا فترك العمل من أجله هو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل أن يترك العمل خوفا على الناس أن يقولوا انه مراء فيعصون الله به فهذا من مكايد الشيطان لانه اولا أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم أنه مراء هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فماله ولقولهم قالوا انه مراء أو قالوا انه مخلص وأي فرق بين أن يترك العمل خوفا من ان يقال انه مراء وبين ان يحسن العمل خوفا من أن يقال أنه غافل مقصر بل ترك العمل أشد من ذلك فهذه كلها مكايد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع في أن يتخلص من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لايخليه بل يقول له الآن يقول الناس انك تركت العمل ليقال انه مخلص لايشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى أن تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الارض ألقى في قلبك حلاوة معرفة الناس لتزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لانجاة منه الا بان تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو انه ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا لتلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وان نزغ العدو ونازع الطبع فان ذلك لاينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فمادمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء وألزم قلبك الحياء من الله اذا دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانك تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان أنت مراء فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وابائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى وان لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل لله فلا بد أن يبقى معه اصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن اقوام ترك العمل مخافة الشهرة روى ان ابراهيم النخعي دخل عليه انسان وهو يقرأ فاطبق المصحف وترك القراءة وقال لايرى هذا انا نقرأ كل ساعة وقال ابراهيم التيمي اذا أعجبك الكلام فاسكت واذا اعجبك السكوت فتكلم وقال الحسن

طعام لم يدع اليه مشى فاسقا وأكل حراما وسمعنا لفظا آخر دخل سارقا وخرج مغيرا الا أن يتفق دخوله على قوم يعلم منهم فرحهم بموافقته. ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه الى باب الدار ولا يخرج الضيف بغير اذن صاحب الدار ويجتنب الضيف التكلف الا ان يكون له نية فيه من كثرة الانفاق ولا يفعل ذلك حياء وتكلفا واذا اكل عند قوم طعاما فليقل عند فراغه ان كان بعد المغرب افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة (وروى) ايضا عليكم صلاة قوم ابرار ليسوا

ان كان احدهم ليمر بالاذى ما يمنعه من دفعه الا كراهة الشهرة وكان احدهم يأتيه البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد وردفى ذلك آثار كثيرة قلنا هذا يعارضه ماورد من اظهار الطاعة ممن لا يحصى واظهار الحسن البصري هذا الكلام فى معرض الوعظ اقرب الى خوف الشهرة من البكاء واماطة الاذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام فى الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقوياء دون الضعفاء فالافضل ان يتمم العمل ويجتهد فى الاخلاص ولا يتركه وارباب الاعمال قد يعالجون انفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف فالاقتداء ينبغي ان يكون بالاقوياء واما اطباق ابراهيم النخعي المصحف فيمكن ان يكون لعلمه بانه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله واستئنافه بعد خروجه للاشتغال بمكالمته فرأى ان لا يراه فى القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد ذلك واما ترك دفع الاذى فذلك مما يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم اياه عن عبادات هى اكبر من رفع خشبة من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هى أكبر منها لا بمجرد خوف الرياء واما قول التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت فيجوز ان يكون قد اراد به مباحات الكلام كالفصاحة فى الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول عن مباح الى مباح حذرا من العجب فاما الكلام الحق المندوب اليه فلم ينص عليه على ان الآفة مما تعظم فى الكلام فهو واقع فى القسم الثانى وانما كلامنا فى العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن فى تركهم البكاء واماطة الاذى لخوف الشهرة ربما كانت حكاية احوال الضعفاء الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقائق وانما ذكره تخويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها ﴿ القسم الثانى ﴾ ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار واعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق المال اما الخلافة والامارة فهى من افضل العبادات اذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (١) ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما فاعظم بعبادة يوازى يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم (٢) اول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط احدهم وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم (٣) ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل احدهم وقال صلى الله عليه السلام (٤) اقرب الناس منى مجلسا يوم القيامة امام عادل رواه ابو سعيد الخدرى فالامارة والخلافة من اعظم العبادات ولم يزل المتقون يتركونها ويحترزون منها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من عظيم الخطر اذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا فاذا صارت الولاية محبوبة كان الوالى ساعيا فى حظ نفسه ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح فى جاهه وولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد فى مكانته وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذى ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضى الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (٥) ما من والى عشرة الا جاء يوم القيامة مغلولة يده الى عنقه اطلقه عدله او أوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يا أمير المؤمنين أشر على قال اجلس واكتم على وروى

(١) حديث ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما الطبرانى والبيهقى من حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث اول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط مسلم من حديث عياض بن حمار اهل الجنة ثلاث ذو سلطان مقسط الحديث ولم ار فيه ذكر الاولية (٣) حديث ابى هريرة ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل تقدم (٤) حديث ابى سعيد الخدري اقرب الناس منى مجلسا يوم القيامة امام عادل الاصبهانى فى الترغيب والترهيب من رواية عطية العوفى وهو ضعيف عنه وفيه أيضا اسحاق بن ابراهيم الديباجى ضعيف أيضا (٥) حديث ما من والى عشرة الا جاء يوم القيامة يده مغلولة الى عنقه لا يفكها الا عدله أحمد من حديث عبادة بن الصامت ورواه أحمد والبزار من رواية رجل لم يسم عن سعد بن عبادة وفيهما يزيد بن ابى زياد متكلم فيه ورواه أحمد والبزار

بآثمين ولا فجار يصلون بالليل ويصومون بالنهار كان بعض الصحابة يقول ذلك * ومن الادب ان لا يستحقر ما يقدم له من طعام وكان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ندرى أيهم اعظم وزرا الذى يحتقر ما يقدم اليه او الذى يحتقر ما عنده ان يقدمه ويكره أكل طعام المباهاة وما تكلف للاعراس والتعازى فما عمل للنوائح لا يؤكل وما عمل لاهل العزاء لا بأس به وما يجرى مجراه واذا علم الرجل من حال اخيه انه يفرح بالانبساط اليه فى التصرف فى شىء من طعامه فلا حرج ان

الحسن ان رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم (١) فقال للنبي خرلي قال اجلس و كذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم (٢) يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اوتيتها من غير مسألة أعنت عليها وان اوتيتها عن مسألة وكلت اليها وقال ابو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر لا تامر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع ألم تقل لي لا تامر على اثنين وانت قد وليت أمر امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وانا اقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعني لعنه الله ولعل القليل البصيرة يرى ماورد من فضل الامارة مع ماورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه ان الخواص الاقوياء في الدين لا ينبغي ان يمتنعوا من تقلد الولايات وان الضعفاء لا ينبغي ان يدوروا بها فيهلكوا واعني بالقوى الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا تاخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن اعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا انفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان فأيس منهم فهؤلاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت فيه ارواحهم فهم اهل نيل الفضل في الامارة والخلافة ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرآها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولايات ولكن خاف عليها ان تتغير اذا ذاقت لذة الولاية وان تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الامر فتكره العزل فيداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لان هذا خوف امر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه الا قوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها ان تتغير عند الولاية فكيف اذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية اهون من العزل بعد الشروع فالعزل مؤلم وهو كما قيل العزل طلاق الرجال فاذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة واهمال الحق وتهوى به قعر جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى الموت الا ان يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية ومهما مالت النفس الى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو امارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (٣) انا لا نولي أمرنا من سالنا فاذا فهمت اختلاف حكم القوى والضعيف علمت ان نهي أبي بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض * واما القضاء فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو في معناهما فان كل ذي ولاية أمير أي له امر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه ايضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال صلى الله عليه وسلم (٤) القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة وقال عليه السلام (٥) من استقضي فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الامارة ينبغي ان يتركه الضعفاء و كل من للدنيا ولذاتها وزن في عينيه وليتقلده الاقوياء الذين لا تاخذهم في الله لومة لائم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم

يأكل من طعامه بغير اذنه قال الله تعالى اوصديقكم (قيل) دخل قوم على سفيان الثورى فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة واكلوا فدخل سفيان ففرح وقال ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا ومن دعي الى طعام فالاجابة من السنة واوكد ذلك الوليمة وقد يتخلف بعض الناس عن الدعوة تكبرا وذلك خطا وان عمل ذلك تصنعا ورياء فهو أقل من التكبر (روى) ان الحسن بن علي مر بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على الطرق وقد نثروا كسرا على الارض وهو على

وابو يعلى والطبراني في الاوسط من حديث ابي هريرة ورواه البزار والطبراني من حديث بريدة والطبراني في الاوسط من حديث ابن عباس وثوبان وله من حديث ابي الدرداء مامن والي ثلاثة الالقى الله مغلولة يمينه الحديث وقد عزى المصنف هذا الحديث لرواية معقل بن يسار والمعروف من حديث معقل بن يسار مامن عبد يسترعيه الله رعيه لم يحطها بنصيحة الالم يرح رائحة الجنة متفق عليه (١) حديث الحسن ان رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم خرلي قال اجلس الطبراني موصولا من حديث عصمة هو ابن مالك وفيه الفضل بن المختار واحاديثه منكرة يحدث بالاباطيل قاله ابو حاتم ورواه ايضا من حديث ابن عمر بلفظ الزم بيتك وفيه الغراب ابن ابي الغراب ضعفه ابن معين وابن عدي وقال ابو حاتم صدوق (٢) حديث عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الامارة الحديث متفق عليه (٣) حديث انا لا نولي امرنا من سالناه متفق عليه من حديث ابي موسى (٤) حديث القضاة ثلاثة الحديث اصحاب السنن من حديث بريدة وتقدم في العلم واسناده صحيح (٥) حديث من استقضي فقد ذبح بغير سكين اصحاب السنن من حديث ابي هريرة بلفظ من جعل قاضيا وفي رواية من ولي القضاء

اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه او لم يطيعوه فليس له ان يتقلد القضاء وان تقلده فعليه ان يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا له فى الاهمال اصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغى أن يفرح بالعزل ان كان يقضى لله فان لم تسمح نفسه بذلك فهو اذا يقضى لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة فى الدرك الاسفل من النار * واما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه و يعظم به القدر فآفته ايضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لى ودفن بشر كذ وكذا قمطرة من الحديث وقال يمنعنى من الحديث أنى اشتهى ان احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت والواعظ يجد فى وعظه وتاثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا ويفر عن كل كلام يستثقله العوام وان كان حقا و يصير مصروف الهمة بالكلية الى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته فى قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة الا و يكون فرحه به من حيث انه يصلح لان يذكره على رأس المنبر وكان ينبغى ان يكون فرحه به من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به اولا ثم يقول اذا انعم الله على بهذه النعمة ونفعنى بهذه الحكمة فاقصها ليشاركنى فى نفعها اخوانى المسلمون فهذا ايضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له الا طلب الجاه والمنزلة والا كل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغى ان يتركه و يخالف الهوى فيه الا ان ترتاض نفسه وتقوى فى الدين همته و يامن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه فان قلت مهما حكم بذلك على اهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى قال [2] انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة وندامة يوم القيامة الا من اخذها بحقها وقال [3] نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم ان السلطنة والامارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك وضرب عمر رضى الله عنه أبى ابن كعب حين رأى قوما يتبعونه وهو فى ذلك يقول ابى سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فمنع من ان يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب و يعظ ولا يمتنع منه واستاذن رجل عمر ان يعظ الناس اذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال تمنعنى من نصح الناس فقال اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ رأى فيه مخايل الرغبة فى جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس اليه فى دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفى كل واحد منها فتنة ولذة فلا فرق بينهما فاما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدى الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم [4] عن القضاء لم يؤد الى تعطل القضاء بل الرياسة وحبها يضطر الخلق الى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلاسل والاغلال عن طلب العلوم التى فيها القبول والرياسة لافلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله ان يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بامر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم انى اقول مع هذا اذا كان فى البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس فى النهى عنه الا امتناع بعضهم والا فيعلم ان كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن

بغلته فلما مر بهم سلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا هلم الغداء يا ابن رسول الله فقال نعم ان الله لا يحب المتكبرين ثم ثنى وركه فنزل عن دابته وقعد معهم على الارض واقبل يا كل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الا كل مع الاخوان افضل من الا كل مع العيال (وروى) ان هرون الرشيد دعا ابا معاوية الضرير وامر ان يقدم له طعام فلما اكل صب الرشيد على يده فى الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدرى من صب على يدك قال لا قال امير المؤمنين قال يا أمير المؤمنين انما أكرمت

---

(١) حديث النهى عن طلب الامارة هو حديث عبد الرحمن بن سمرة لا تسئل الامارة وقد تقدم واسناده صحيح قبله بثلاثة أحاديث (٢) حديث انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيامة وندامة الا من أخذها بحقها البخارى من حديث ابى هريرة دون قوله الا من اخذها بحقها وزاد فى آخره فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة ودون قوله حسرة وهى فى صحيح ابن حبان (٣) حديث نعمت المرضعة وبئست الفاطمة البخارى من حديث ابى هريرة وهو بقية الحديث الذى قبله ورواه ابن حبان بلفظ فبئست المرضعة وبئست الفاطمة (٤) حديث النهى عن القضاء مسلم من حديث ابى ذر لا تامرن على اثنين ولا تلين مال يتيم

فى البلد الا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته فى الظاهر وتخيله الى العوام انه انما يريد الله بوعظه وانه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك فان قال لست أقدر على نفسى فنقول اشتغل وجاهد لا نا نعلم انه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم اذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع أحب عندنا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا هو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ثم الواعظ هو الذى يرغب فى الآخرة ويزهد فى الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فاما ما أحدثه الوعاظ فى هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة بالاشعار مما ليس فيه تعظيم لامر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصى بطيارات النكت فيجب اخلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وانما كلامنا فى واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن فى نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما أوردناه فى كتاب العلم من الوعيد الوارد فى حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ولهذا قال المسيح عليه السلام يا علماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تامرون وتدرسون مالا تعملون فياسوء ما تحكمون تتوبون بالقول والامانى وتعملون بالهوى وما يغنى عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل فى صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم ان قلوبكم تبكى من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا أحب اليكم من صلاح الآخرة فاى ناس أخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون فى محلة المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغنى عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغنى عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان حفاة عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم وقد روى الحرث المحاسبي هذا الحديث فى بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا فى عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم فى العاجل عار وشين وفى الآخرة هم الخاسرون فان قلت فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد فى العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) لان يهدى الله بك رجلا خير لك من الدنيا ومافيها وقال صلى الله عليه وسلم (٣) أيما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له أجره واجر من اتبعه الى غير ذلك من فضائل العلم فينبغى أن يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراآة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء فى الصلاة لا تترك العمل ولكن أتمم العمل وجاهد نفسك فاعلم ان فضل العلم كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول لاحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس فى نفس العلم آفة وانما الآفة فى اظهاره بالتصدى للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا نقول له ايضا اتركه مادام يجد فى نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء أما اذا لم يحركه الا الرياء فترك الاظهار انفع له واسلم وكذلك نوافل الصلوات اذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما اذا خطر له وساوس الرياء فى اثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لان آفة الرياء فى العبادات ضعيفة وانما تعظم فى الولايات وفى التصدى للمناصب

---

(١) حديث ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم النسائى وقد تقدم قريبا (٢) حديث لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا ومافيها متفق عليه من حديث سهل بن سعد بلفظ خير لك من حمر النعم وقد تقدم فى العلم (٣) حديث ايما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له اجره واجر من اتبعه ابن ماجه من حديث أنس بزيادة فى اوله ولمسلم من حديث ابى هريرة من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه الحديث

العلم وأجللته فاجلك الله تعالى وأكرمك كما أكرمت العلم

﴿الباب الرابع والاربعون فى ذكر أدبهم فى اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه﴾

اللباس من حاجات النفس وضرورتها لدفع الحر والبرد كما ان الطعام من حاجات النفس لدفع الجوع وكما ان النفس غير قانعة بقدر الحاجة من الطعام بل تطلب الزيادات والشهوات فهكذا فى اللباس تتفنن فيه ولها فيه أهوية متنوعة ومآرب مختلفة فالصوفى يرد النفس فى اللباس الى متابعة صريح العلم (قيل) لبعض الصوفية ثوبك ممزق قال ولكنه

الكبيرة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلاث * الاولى الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة * الثانية الصوم والصلاة والحج والغزو وقد تعرض لها أقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع اتمام العمل لله بادنى قوة * الثالثة وهي متوسطة بين الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلاة فالصلاة ينبغي أن لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي أن يتركها الضعفاء رأسا دون الاقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم انه بالولاة أشبه وان الحذر منه في حق الضعيف أسلم والله اعلم وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال واخذه للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق واظهار السخاء استجلابا للثناء وفي ادخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها أيضا كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد افضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وان من الزهد تركها قربة الى الله تعالى وقال ابو الدرداء مايسرني انني اقمت على درج مسجد دمشق اصيب كل يوم خمسين دينارا اتصدق بها اما اني لا احرم البيع والشراء ولكني اريد ان اكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد اختلف العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات والنوافل وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله افضل والاخذ والعطاء يشغل عن الله وقد قال المسيح عليه السلام ياطالب الدنيا ليبر بها تركك لها ابر وقال اقل مافيه ان يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله اكبر وافضل وهذا فيمن سلم من الآفات فأما من يتعرض لآفة الرياء فتركه لها ابر والاشتغال بالذكر لا خلاف في انه افضل وبالجملة مايتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات والاحب ان يعمل ويدفع الآفات فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن مافيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل مايدل عليه نور العلم دون مايميل اليه الطبع وبالجملة مايجده اخف على قلبه فهو في الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل اليه وان كان لا يبعد ذلك ايضا في بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات فهو موكول الى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع مايريبه الى مالا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في ان تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات افضل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب ان الافضل الكسب والانفاق او التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات فاما المال الحاصل من الحلال فتفرقته افضل من امساكه بكل حال فان قلت فبأي علامة تعرف العالم والواعظ انه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس فاعلم ان لذلك علامات احداها انه لو ظهر من هو احسن منه وعظا واغزر منه علما والناس له أشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالغبطة وهو ان يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى ان الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى أن لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الاسواق ولذلك علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روى عن سعيد بن ابي مروان قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من بعض ابواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون اصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة احفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثني وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت له ايضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت في نفسي لابلون الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد في كلامه يتقرب اليه او يحمل الحسن هيبة الحجاج ان ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال

من وجه حلال وقيل له وهو وسخ قال ولكنه طاهر فنظر الصادق في ثوبه أن يكون من وجه حلال لانه ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا أي لا فريضة ولا نافلة ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا لان طهارة الثوب شرط في صحة الصلاة وما عدا هذين النظرين فنظره في كونه يدفع الحر والبرد لان ذلك مصلحة النفس وبعد ذلك ماتدعو النفس اليه فكأنه

صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس واشباهها فاتخذوها حلقا وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) أن مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من امر الناس ماغبيتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم افترالحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام فجاء رجل من اهل الشام الى مجلس الحسن حين قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين ألا تعجبون أني رجل شيخ كبير واني اغزو فا كاف فرسا و بغلا وأ كاف فسطاطا وان لي ثلثمائة درهم من العطاء وان لي سبع بنات من العيال فشكا من حاله حتى رق الحسن له واصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال مالهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة واذا أغزى اخاه اغزاه طاويا راجلا فلما فتر الحسن حتى ذكرهم باقبح العيب واشده فقام رجل من اهل الشام كان جالسا الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن ان أتته رسل الحجاج فقالوا اجب الامير فقام الحسن واشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن ان رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقلما رايته فاغرا فاه يضحك انما كان يتبسم فاقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الامانة وقال انما تجالسون بالامانة كأنكم تظنون ان الخيانة ليست الا في الدينار والدرهم ان الخيانة اشد الخيانة ان يجالسنا الرجل فنطمئن الى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار اني اتيت هذا الرجل فقال اقصر عليك من لسانك وقولك اذا اغزا عدو الله كذا وكذا واذا اغزى اخاه أغزاه كذا لا ابالك تحرض علينا الناس اما انا على ذلك لا نتهم نصيحتك فاقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عني وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذا التفت فراى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة او تسالون عن شيء والا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد فبهذه العلامات وامثالها تتبين سريرة الباطن ومهما رايت العلماء يتغايرون و يتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم انهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك يا ارحم الراحمين

﴿ بيان مايصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح ﴾

اعلم ان الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد او يقوم بعضهم فيصلون الليل كله او بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده او يصلي مع انه كان لا يعتاد الصلاة بالليل اصلا وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه اهل الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تعوقه العوائق ويمنعه الاشتغال و يغلبه التمكن من الشهوات او تستهويه الغفلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة او تندفع العوائق والاشتغال في بعض المواضع فينبعث له النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير او تمكنه من التمتع بزوجته او المحادثة مع اهله واقاربه او الاشتغال باولاده او مطالعة حساب له مع معامليه فاذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفتر رغبته عن الخير وحصلت له اسباب باعثة على الخير كشاهدته اياهم وقد اقبلوا على الله واعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم و يشق عليه ان يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء او ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع او سبب آخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما ينضاف اليه انه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه اطايب الاطعمة و يشق عليه الصبر عنها فاذا اعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم منها قوي

فضول وزيادة ونظر الى الخلق والصادق لا ينبغي ان يلبس الثوب الا لله وهو ستر العورة او لنفسه لدفع الحر والبرد ﴿ وحكى ﴾ ان سفيان الثوري رضي الله عنه خرج ذات يوم وعليه ثوب قد لبسه مقلوبا فقيل له ولم يعلم بذلك فهم ان يخلعه و يغيره ثم تركه وقال حيث لبسته نويت اني البسه لله الآن فما اغيره الا لنظر الخلق فلا انقض النية الاولى بهذم والصوفية خصوا بطهارة الاخلاق وما رزقوا طهارة الاخلاق الا بالصلاحية والاهلية والاستعداد الذي هيأ الله تعالى لنفوسهم

(١) حديث ان مجالس الذكر رياض الجنة تقدم في الاذكار والدعوات

الباعث فهذا وأمثاله من الاسباب يتصوروقوعه يكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل و يقول لا تعمل فانك تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل فى بيتك ولا تزد على صلاتك المعتادة وقدتكون رغبته فى الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفامن ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لاسيما اذا كانوا يظنون به انه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلى لاجلهم بل لله وانما كنت لا تصلى كل ليلة لكثرة العوائق وانما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشتبه الا على ذوى البصائر فاذا عرف ان المحرك هو الرياء فلا ينبغى أن يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لانه يعصى الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله وان كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو فى ذلك الموضع بعينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه فان سخت نفسه فليصل فان باعثه الحق وان كان ذلك يثقل على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك فان باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الانسان يوم الجمعة فى الجامع من نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم و يمكن أن يكون ذلك لحب حمدهم و يمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين و يقارنه نزوع النفس الى حب الحمد فمهما علم ان الغالب على قلبه ارادة الدين فلا ينبغى أن يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغى أن يرد ذلك على نفسه بالكراهية و يشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكى جماعة فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله تعالى لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن بكاء الناس يؤثر فى ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة مع الصدق اذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه أن يعرض على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى أم لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فانما خوفه من أن يقال انه قاسى القلب فينبغى أن يترك التباكى قال لقمان عليه السلام لابنه لا ترى الناس أنك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والانين عند القرآن أو الذكر أو بعض مجارى الاحوال تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتاسف وتارة تكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والانين و يتحازن وذلك محمود وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجردت هذه الداعية فهى الرياء وان اقترنت بداعية الحزن فان أباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله تعالى وقد يكون أصل الانين عن الحزن ولكن يمده و يزيد فى رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور لانها فى حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبقه خاطر الرياء فيقبله فيدعوا الى زيادة تحزين للصوت أو رفع له أو حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد ان استرسلت لخشية الله ولكن يحفظ اثرها على الوجه لاجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحيى ان يقال له انه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق و يتواجد تكلفا ليرى انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا فتجزع نفسه ان يقال حالته غير ثابتة وانما هى كبرق خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع ان يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كان لدوام ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكىء على غيره يرى انه يضعف عن القيام و يتمايل فى المشى و يقرب الخطا ليظهر انه ضعيف عن سرعة المشى فهذه كلها مكايد الشيطان ونزغات النفس فاذا خطرت فعلاجها أن يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه فى الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله مطلع على ضميره وهو له اشد مقتا كما روى عن ذى النون رحمه الله انه قام وزعق فقام معه شيخ آخر راى فيه اثر

وفى طهارة الاخلاق و تعاضدها تناسب واقع لوجود تناسب هيئة النفس وتناسب هيئة النفس هو المشار اليه بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فالتناسب هو التسوية فمن المناسب أن يكون لباسهم مشاكلا لطعامهم وطعامهم مشاكلا لكلامهم وكلامهم مشاكلا لمقامهم لان التناسب الواقع فى النفس مقيد بالعلم والتشابه والتماثل فى الاحوال يحكم به العلم ومتصوفة الزمان ملتزمون بشىء من التناسب مع مزج الهوى وما عندهم من التطلع الى التناسب رشح حال سلفهم فى وجود التناسب

التكاف فقال ياشيخ الذى يراك حين تقوم فجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال المنافقين وقد جاء فى الخبر تعوذوا (١) بالله من خشوع النفاق وانما خشوع النفاق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراآة فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهى مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك فى كل ما يخطر لك وانظر ماهو ومن أين هو فان كان لله فامضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفى عليك شئ من الرياء الذى هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك أهى مقبولة أم لا لخوفك على الاخلاص فيها واحذر أن يتجدد لك خاطر الركون الى حمدهم بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا خطر لك فتفكر فى اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام اذ قال يا أيوب أما علمت أن العبد تضل عنه علانيته التى كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم أعوذ بك ان يرى الناس انى اخشاك وأنت لى ماقت وكان من دعاء على بن الحسين رضى الله عنهما اللهم انى أعوذ بك أن تحسن فى لامعة العيون علانيتى وتقبح لك فيما اخلو سريرتى محافظا على رياء الناس من نفسى ومضيعا لما أنت مطلع عليه منى أبدى للناس أحسن أمرى وأفضى اليك باسوأ عملى تقربا الى الناس بحسناتى وفرارا منهم اليك بسيآتى فيحل بى مقتك ويجب على غضبك أعذنى من ذلك يارب العالمين وقد قال أحد الثلاثة نفر لايوب عليه السلام ياايوب الم تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم وأضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوههم فهذه جمل آفات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليها ففى الخبر (٢) ان للرياء سبعين بابا وقد عرفت أن بعضه أغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل وبعضه أخفى من دبيب النمل وكيف يدرك ماهو أخفى من دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته أدرك ببذل المجهود فكيف يطمع فى ادراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها نسأل الله تعالى العافية بمنه وكرمه واحسانه

قال أبو سليمان الدارانى يلبس احدهم عباءة بثلاثة دراهم وشهوته فى بطنه بخمسة دراهم انكر ذلك لعدم التناسب فمن خشن ثوبه ينبغى ان يكون مأكوله من جنسه واذا اختلف الثوب والمأكول يدل على وجود انحراف لوجود هوى كامن فى احد الطرفين اما فى طرف الثوب لموضع نظر الخلق واما فى طرف المأكول لفرط الشره وكلا الوصفين مرض يحتاج الى المداواة ليعود الى حد الاعتدال لبس ابو سليمان الدارانى ثوبا غسيلا فقال له احمد لو لبست ثوبا اجود من

﴿ بيان ماينبغى للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه ﴾

اعلم ان أولى مايلزم المريد قلبه فى سائر أوقاته القناعة بعلم الله فى جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله الا من لا يخاف الا الله ولا يرجوا الا الله فامامن خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن احواله فان كان فى هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التى لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلى حرصا على الافشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فانى الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك ففى مثل هذا الامر ينبغى ان يثبت قدمه ويتذكر فى مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبد الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم ان اظهاره لغيره محبب اليه وسقوط عند الله واحباط للعمل العظيم فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون لى على رزق ولا اجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغى

(١) حديث تعوذوا بالله من خشوع النفاق البيهقى فى الشعب من حديث أبى بكر الصديق وفيه الحارث بن عبيد الايادى ضعفه أحمد وابن معين (٢) حديث الرياء سبعون بابا هكذا ذكر المصنف هذا الحديث هنا وكانه تصحف عليه أو على من نقله من كلامه انه الرياء بالمثناة وانما هو الربا بالموحدة والمرسوم كتابته بالواو والحديث رواه ابن ماجه من حديث أبى هريرة بلفظ الربا سبعون حوبا أيسرها ان ينكح الرجل أمه وفى اسناده أبو معشر واسمه نجيح مختلف فيه وروى ابن ماجه ايضا من حديث ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الربا ثلاثة وسبعون بابا واسناده صحيح هكذا ذكر ابن ماجه الحديثين فى أبواب التجارات وقد روى البزار حديث ابن مسعود بلفظ الربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك وهذه الزيادة قد يستدل بها على انه الرياء

أن

ان ييأس عنه فيقول انما يقدر على الاخلاص الاقوياء فاما المخلطون فليس ذلك من شانهم فيترك المجاهدة فى الاخلاص لان المخلط الى ذلك احوج من المتقى لان المتقى ان فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة والمخلط لاتخلو فرائضه عن النقصان والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم تسلم صار ماخوذا بالفرائض وهلك به فالمخلط الى الاخلاص احوج * وقد روى تميم الدارى عن النبي صلى الله عليه وسلم (1) أنه قال يحاسب العبد يوم القيامة فان نقص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع أكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقى فى النار فياتى المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده فى جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل واما المتقى فجهده فى زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقى من حسناته مايترجح على السيئات فيدخل الجنة فاذاً ينبغى ان يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به واذا فعل جميع ذلك فينبغى ان يكون وجلا من عمله خائفا انه ربما داخله من الرياء الخفى مالم يقف عليه فيكون شاكا فى قبوله ورده مجوزا ان يكون الله قد احصى عليه من نيته الخفية مامقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف فى دوام عمله وبعده الا فى ابتداء العقد بل ينبغى ان يكون متيقنا فى الابتداء انه مخلص مايريد بعمله الا الله حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية أحبطت عمله من رياء او عجب اولى به ولكن يكون رجاؤه اغلب من خوفه لانه استيقن انه دخل بالاخلاص وشك فى انه هل افسده برياء فيكون رجاء القبول اغلب وبذلك تعظم لذته فى المناجاة والطاعات فالاخلاص يقين والرياء شك وخوفه لذلك الشك جدير بان يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل عنه والذى يتقرب الى الله بالسعى فى حوائج الناس وافادة العلم ينبغى ان يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافأة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فمهما توقع من المتعلم مساعدة فى شغل وخدمة او مرافقة فى المشى فى الطريق ليستكثر باستتباعه او ترددا منه فى حاجة فقد اخذ اجره فلا ثواب له غيره نعم ان لم يتوقع هو ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل اجره ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته فنرجو ان لا يحبط ذلك اجره اذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون هذا حتى ان بعضهم وقع فى بئر فجاء قوم فادلوا حبلا ليرفعوه فحلف عليهم ان لا يقف معهم من قرأ عليه آية من القرآن اوسمع منه حديثا خيفة ان يحبط اجره وقال شقيق البلخى اهديت لسفيان الثورى ثوبا فرده على فقلت له يا اباعبدالله لست انا ممن يسمع الحديث حتى ترده على قال علمت ذاك ولكن اخوك يسمع منى الحديث فاخاف ان يلين قلبى لاخيك اكثر مما يلين لغيره وجاء رجل الى سفيان ببدرة او بدرتين وكان ابوه صديقا لسفيان وكان سفيان ياتيه كثيرا فقال له يا اباعبدالله فى نفسك من ابى شىء فقال يرحم الله اباك كان وكان واثنى عليه فقال يا اباعبد الله قد عرفت كيف صار هذا المال الى فاحب ان تاخذ هذه تستعين بها على عيالك قال فقبل سفيان ذلك قال فلما خرج قال لولده يامبارك الحقه فرده على فرجع فقال احب ان تاخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه وكأنه كانت اخوته مع ابيه فى الله تعالى فكره ان ياخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم املك نفسى ان جئت اليه فقلت ويلك اى شىء قلبك هذا حجارة عدانه ليس لك عيال اما ترحمنى اما ترحم اخوتك اما ترحم عيالنا فأكثرت عليه فقال لى يا مبارك تاكلها انت هنيا مريا واسال عنها انا فاذا يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله فى اهتداء الناس به فقط ويجب على المتعلم ان يلزم قلبه حمد الله وطلب ثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند المعلم وعند الخلق وربما يظن ان له ان يرائى بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطا لان ارادته

بالمثناة لاقترانه مع الشرك والله اعلم (1) حديث تميم الدارى فى اكمال فريضة الصلاة بالتطوع ابوداود وابن ماجه وتقدم فى الصلاة

هذا فقالت ليت قلبي فى القلوب مثل قميص فى الثياب فكان الفقراء يلبسون المرقع وربما كانوا يأخذون الخرق من المزابل ويرقعون بها ثوبهم وقد فعل ذلك طائفة من اهل الصلاح وهؤلاء ما كان لهم معلوم يرجعون اليه فكما كانت رقاعهم من المزابل كانت لقمهم من الابواب (وكان) ابو عبد الله الرفاعى مثابرا على الفقر والتوكل ثلاثين سنة وكان اذا حضر للفقراء طعام لا ياكل معهم فيقال له فى ذلك فيقول انتم تأكلون بحق التوكل وانا آكل بحق

بطاعته غير الله خسران فى الحال والعلم ورد بما يفيد ربما لا يفيد فكيف يخسر فى الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغي ان يتعلم لله و يعبد لله و يخدم العلم لله لا ليكون له فى قلبه منزلة ان كان يريد ان يكون تعلمه طاعة فان العباد امروا أن لا يعبدوا الا الله ولا يريد بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم أبو يه لا ينبغي ان يخدمهما لطلب المنزلة عندهما الا من حيث ان رضا الله عنه فى رضا الوالدين ولا يجوز له ان يرائى بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية فى الحال وسيكشف الله عن ريائه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضا واما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي له ان يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله فان ذلك يغرس الرياء فى صدره حتى تتيسر عليه العبادات فى خلوته به وانما سكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا يدرى انه المخفف للعمل عليه قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه فى صومعته فقلت ياسمعان منذ كم انت فى صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال ياحنيفي ومادعاك الى هذا قلت احببت ان أعلم قال فى كل ليلة حمصة قلت فما الذى يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير الذى بحذائك قلت نعم قال انهم يأتونى فى كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي و يطوفون حولها و يعظمونى فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل ياحنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر فى قلبي المعرفة فقال حسبك أو أزيدك قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلى لى ركوة فيها عشرون حمصة فقال لى ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت اليك فلما دخل الدير اجتمع على النصارى فقالوا ياحنيفي ما الذى ادلى اليك الشيخ قلت من قوته قالوا فما تصنع به ونحن احق به ثم قالوا ساوم قلت عشرون دينارا فاعطونى عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ فقال ياحنيفي ما الذى صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال اخطأت لو ساومتهم بعشرين الف دينار لاعطوك هذا عز من لا تعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده ياحنيفي اقبل على ربك ودع الذهاب والجيئة والمقصود ان استشعار النفس عز العظمة فى القلوب يكون باعثا فى الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي ان يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته ان يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهة ضعيفة ان وجدها فى قلبه فيردها فى الحال بعقله وايمانه فانه لو كان فى عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان و بادر الى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون اليه فيرجي له ان لا يخيب سعيه الا ان يزيد عند مشاهدتهم فى الخشوع والانقباض كى لا ينبسطوا اليه فذلك لا باس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد تكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتعلل بطلب الانقباض فيطالبها فى دعواها قصد الانقباض بموثق من الله غليظ وهو انه لو علم ان انقباضهم عنه انما حصل بان يعدو كثيرا أو يضحك كثيرا او يا كل كثيرا فتسمح نفسه بذلك فاذا لم تسمح وسمحت بالعبادة فيشبه ان يكون مرادها المنزلة عندهم ولا ينجو من ذلك الا من تقرر فى قلبه انه ليس فى الوجود احد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا خطرات ضعيفة لا يشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه انه لو كان له صاحبان احدهما غنى والآخر فقير فلا يجد عند اقبال الغنى زيادة هزة فى نفسه لاكرامه الا اذا كان فى الغنى زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه الى مشاهدة الاغنياء أكثر فهو مراء او طماع والا فالنظر الى الفقراء يزيد فى الرغبة الى الآخرة و يحبب الى القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه فكيف استروح بالنظر الى الغني اكثر مما يسترو ح الى الفقير وقد حكى انه لم ير الاغنياء فى مجلس اذل منهم فيه فى مجلس سفيان الثورى كان يجلسهم وراء الصف و يقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون أنهم فقراء فى مجلسه نعم لك زيادة اكرام للغنى اذا كان اقرب اليك

المسكنة ثم يخرج بين العشاءين بطلب الكسر من الابواب وهذا شان من لا يرجع الى معلوم ولا يدخل تحت منة ﴿ وحكى ﴾ ان جماعة من اصحاب المرقعات دخلوا على بشر ابن الحرث فقال لهم ياقوم اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزى فانكم تعرفون به وتكرمون له فسكتوا كلهم فقال له غلام منهم الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به و يكرم له والله ليظهرن هذا الزى حتى يكون الدين كله لله فقال له بشر أحسنت ياغلام مثلك من يلبس المرقعة فكان احدهم يبقى زمانه لا يطوى له ثوب ولا يملك غير ثوبه الذى عليه

او كان بينك و بينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة فى فقير لكنت لا تقدم الغنى عليه فى اكرام وتوقير البتة فان الفقير اكرم على الله من الغنى فايثارك له لا يكون الا طمعا فى غناه ورياء له ثم اذا سويت بينهما فى المجالسة فيخشى عليك ان تظهر الحكمة والخشوع للغنى أكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك رياء خفى واطمع خفى كما قال ابن السماك لجارية له مالى اذا أتيت بغداد فتحت لى الحكمة فقالت الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطلق عند الغنى بما لا ينطلق به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده مالا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخفاياها فى هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها الا ان تخرج ماسوى الله من قلبك وتتجرد بالشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة فى ايام متقاربة وتكون فى الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد امكنته الشهوات وساعات اللذات ولكن فى بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه فى كل ساعة لو اتسع فى الشهوات وعلم انه لو احتمى وجاهد شهواته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الادوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة اكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصانا لشدة احتمائه فهما نازعت نفسه الى شهوة تفكر فى توالى الاوجاع والالام عليه واداء ذلك الى الموت المفرق بينه و بين مملكته الموجب لشماتة الاعداء به ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيد منه من الشفاء الذى هو سبب التمتع بملكه ونعيمه فى عيش هنى و بدن صحيح وقلب رخى وأمر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات فكذلك المؤمن المريد للملك الآخرة احتمى عن كل مهلك له فى آخرته وهى لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من ان يحل عليه غضب من الله فيهلك ورجاء ان ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وايمانه بعاقبة امره و بما أعدله من النعيم المقيم فى رضوان الله أبد الآباد ثم علم ان الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا و بهم رؤفا وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم من التعب والنصب ولكن اراد ان يبلوهم و يعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا تحمل التعب فى بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة مايلهيه من سائر اللذات و يقويه على اماتة الشهوات و يتولى سياسته وتقويته وامده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعى الراجى ولا يخيب أمل المحب وهو الذى يقول من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا و يقول تعالى لقد طال شوق الابرار الى لقائى وانى الى لقائهم اشد شوقا فليظهر العبد فى البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ماهو اللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته تم كتاب ذم الجاه والرياء والحمد لله وحده

﴿ كتاب ذم الكبر والعجب وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلى الذى لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذى كل جبار له ذليل خاضع و كل متكبر فى جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذى لا يدفعه عن مراده دافع الغنى الذى ليس له شريك ولا منازع القادر الذى بهر أبصار الخلائق جلاله و بهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر ألسن الانبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وانبياؤه وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه وقصر أيدى القياصرة عظمته وكبرياؤه فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فاعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست أسماؤه والصلاة على محمد الذى أنزل عليه النور المنتشر ضياؤه حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وارجاؤه وعلى آله

(وروى) ان أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه لبس قميصا اشتراه بثلاثة دراهم ثم قطع كمه من رؤس اصابعه وروى عنه انه قال لعمر ابن الخطاب ان اردت ان تلقى صاحبك فرقع قميصك واخصف نعلك وقصر أملك وكل دون الشبع (وحكى) عن الجريرى قال كان فى جامع بغداد رجل لا تكاد تجده الا فى ثوب واحد فى الشتاء والصيف فسئل عن ذلك فقال قد كنت ولعت بكثرة لبس الثياب ليلة فيما يرى فرأيت النائم كأنى دخلت الجنة فرأيت جماعة من اصحابنا من الفقراء على

وأصحابه الذين هم أحباء الله وأولياؤه وخيرته وأصفياؤه وسلم تسليما كثيرا ﴿ أما بعد ﴾ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داآن مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان واذا كان القصد في هذا الربع من كتاب احياء علوم الدين شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبائح المرديات ونحن نستقصي بيانهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب ﴿ الشطر الاول ﴾ من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة التكبر وآفته وبيان من يتكبر عليه ودرجات التكبر وبيان مابه التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان اخلاق المتواضعين وما فيه يظهر التكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه

﴿ بيان ذم الكبر ﴾

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال عز وجل كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال تعالى لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم ولا ابالي وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله ابن عمرو وعبد الله ابن عمر على الصفا فتواقفا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكي فقالوا مايبكيك ياأبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والانس والجن والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي الف من الانس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست اقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم (٧) يخرج من النار عنق له اذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول

---

(١) حديث قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته الحاكم في المستدرك دون ذكر العظمة وقال صحيح على شرط مسلم وتقدم في العلم وسيأتي بعد حديثين بلفظ اخر (٢) حديث ثلاث مهلكات الحديث البزار والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وتقدم فيه ايضا (٣) حديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة من ايمان مسلم من حديث ابن مسعود (٤) حديث ابي هريرة يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم مسلم وابو داود وابن ماجه واللفظ له وقال ابو داود وقذفته في النار وقال مسلم عذبته وقال رداؤه وازاره بالغيبة وزاد مع أبي هريرة ابا سعيد أيضا (٥) حديث عبد الله بن عمرو من كان في قلبه مثقال حبة من كبر كبه الله في النار على وجهه أحمد والبيهقي في شعب الايمان من طريقه باسناد صحيح (٦) حديث لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين الحديث الترمذي وحسنه من حديث سلمة بن الاكوع دون قوله من العذاب (٧) حديث يخرج من النار عنق له أذنان الحديث الترمذي من حديث ابي هريرة وقال حسن صحيح غريب

مائدة فاردت أن أجلس معهم فاذا بجماعة من الملائكة أخذوا بيدي وأقاموني وقالوا لي هؤلاء اصحاب ثوب واحد وانت لك قميصان فلا تجلس معهم فانتبهت ونذرت ان لا ألبس الا ثوبا واحدا الى أن ألقى الله تعالى (وقيل) مات ابو يزيد ولم يترك الا قميصه الذي كان عليه وكان عارية فردوه الى صاحبه (وحكى) لنا عن الشيخ حماد شيخ شيخنا انه بقي زمانا لا يلبس الثوب الا مستاجرا حتى انه لم يلبس على ملك نفسه شيا (وقال أبو حفص الحداد) اذا رأيت وضاءة الفقير في ثوبه فلا ترجو خيره

وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد و بكل من دعا مع الله الها آخر و بالمصورين وقال صلى الله عليه وسلم (١) لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيء الملكة وقال صلى الله عليه وسلم (٢) تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالي لا يدخلني الا الضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله للجنة انما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار انما انت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال صلى الله عليه وسلم (٣) بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد غفل وسها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا و بغى ونسي المبدأ والمنتهى وعن ثابت أنه قال (٤) بلغنا انه قيل يارسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال انى آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والاراضين ومافيهن لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله فى الكفة الاخرى كانت ارجح منهما ولو أن السموات والاراضين ومافيهن كانتا حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتهما وآمركما بسبحان الله و بحمده فانها صلاة كل شيء و بها يرزق كل شيء وقال المسيح عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال صلى الله عليه وسلم (٦) اهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع واهل الجنة الضعفاء المقلون وقال صلى الله عليه وسلم (٧) ان أحبكم الينا واقربكم منا فى الآخرة أحاسنكم أخلاقا وان ابغضكم الينا وابعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه وسلم (٨) يحشر المتكبرون يوم القيامة فى مثل صور الذر تطؤهم الناس ذرا فى مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجن فى جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طين الخبال عصارة اهل النار وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم (٩) يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صور الذر تطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له يا بلال ان اباك حدثني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم (١٠) أنه قال ان فى جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله ان يسكنه كل جبار

وقيل مات ابن الكرنبي وكان أستاذ الجنيدي وعليه مرقعته قيل كان وزن فردكمه وتخاريصه ثلاثة عشر رطلا فقد يكون جمع من الصالحين على هذا الزى والتخشن وقد يكون جمع من الصالحين يتكلفون لبس غير المرقع وزى الفقراء ويكون نيتهم فى ذلك ستر الحال أو خوف عدم النهوض بواجب حق المرقعة (وقيل) كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرش فيه الرمل لعله كان ينام عليه بلا وطاء وقد كان قوم من أصحاب الصفة يكرهون أن يجعلوا بينهم و بين التراب

(١) حديث لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيء الملكة تقدم فى اسباب الكسب والمعاش والمعروف خائن مكان جبار (٢) حديث تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين الحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة (٣) حديث بئس العبد عبد تجبر واعتدى الحديث الترمذى من حديث أسماء بنت عميس بزيادة فيه مع تقديم وتأخير وقال غريب وليس اسناده بالقوى ورواه الحاكم فى المستدرك وصححه ورواه البيهقى فى الشعب من حديث نعيم ابن همار وضعفه (٤) حديث ثابت بلغنا انه قيل يارسول الله ما اعظم كبر فلان فقال اليس بعده الموت البيهقى فى الشعب هكذا مرسلا بلفظ تجبر (٥) حديث عبد الله بن عمرو ان نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال انى آمركما باثنتين وانهاكما عن اثنتين انهاكما عن الشرك والكبر الحديث احمد والبخارى فى كتاب الادب والحاكم بزيادة فى نقله قال صحيح الاسناد (٦) حديث اهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وهذه الزيادة عندهما من حديث عبد الله بن عمرو وفى الصحيحين من حديث حارثة بن وهب الخزاعى الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ مستكبر (٧) حديث ان احبكم الينا واقربكم منا فى الآخرة احاسنكم اخلاقا الحديث احمد من حديث ابى ثعلبة الخشنى بلفظ الى ومنى وفيه انقطاع ومكحول لم يسمع من ابى ثعلبة وقد تقدم فى رياضة النفس اول الحديث (٨) حديث يحشر المتكبرون يوم القيامة ذرا فى صور الرجال الحديث الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وقال حسن غريب (٩) حديث ابى هريرة يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صور الذر الحديث البزار هكذا مختصرا دون قوله الجبارون واسناده حسن (١٠) حديث ابى موسى ان فى جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله ان يسكنه كل جبار ابو يعلى والطبرانى والحاكم وقال صحيح الاسناد قلت فيه ازهر بن سنان ضعفه ابن معين وابن حبان واورده له فى الضعفاء هذا الحديث

فاياك يابلال ان تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وسلم (١) ان فى النار قصرا يجعل فيه المتكبرون و يطبق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم (٢) اللهم انى اعوذبك من نفخة الكبرياء وقال (٣) من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول (الآثار) قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لا يحقرن احد احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال انت حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب مادرجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى اثر ذلك فى وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب من بن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة او مرتين ثم يعارض جبار السموات وقد قيل فى وفى انفسكم افلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن الحسين بن على مادخل قلب امرىء شىء من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر مادخل من ذلك قل او كثر وسئل سلمان عن السيئة التى لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان ابن بشير على المنبر ان للشيطان مصالى وفخوخا وان من مصالى الشيطان وفخوخه البطر بانعم الله والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى فى غير ذات الله نسال الله تعالى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه

﴿ بيان ذم الاختيال واظهار آثار الكبر فى المشى وجر الثياب ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه وسلم (٥) بينما رجل يتبختر فى بردته اذ اعجبته نفسه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله له يوم القيامة وقال زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول أى بنى ارفع ازارك فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) بصق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن آدم أتعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت أتصدق وانى أوان الصدقة وقال صلى الله عليه وسلم (٨) اذا مشت امتى المطيطاء وخدمتهم فارس

(١) حديث ان فى النار قصرا يجعل فيه المتكبرون و يطبق عليهم البيهقى فى الشعب من حديث أنس وقال توابيت مكان قصرا وقال فيقفل مكان يطبق وفيه أبان بن ابى عياش وهو ضعيف (٢) حديث اللهم انى اعوذ بك من نفخة الكبرياء لم اره بهذا اللفظ وروى أبو داود وبن ماجه من حديث جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم فى اثناء حديث اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة ولاصحاب السنن من حديث ابن سعيد الخدرى نحوه تكلم فيه ابو داود وقال الترمذى وهو اشهر حديث فى هذا الباب (٣) حديث من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاثة دخل الجنة الكبر والدين والغلول الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ثوبان وذكر المصنف لهذا الحديث هنا موافق المشهور فى الرواية انه الكبر بالموحدة والراء لكن ذكر ابن الجوزى فى جامع المسانيد عن الدارقطنى قال انما هو الكنز بالنون والزاى وكذلك ايضا ذكر ابن مردويه الحديث فى تفسير والذين يكنزون الذهب والفضة (٤) حديث لا ينظر الله الى من جر ازاره بطرا متفق عليه من حديث ابى هريرة (٥) حديث بينما رجل يتبختر فى برديه قد اعجبته نفسه الحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة (٦) حديث ابن عمر لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء رواه مسلم مقتصرا على المرفوع دون ذكر مرور عبد الله بن واقد على عمر وهو رواية لمسلم ان المار رجل من بنى ليث غير مسمى (٧) حديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع أصبعه عليها وقال يقول الله ابن آدم ايعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه الحديث ابن ماجه والحاكم وصحح اسناده من حديث بشر بن حجاش (٨) حديث اذا مشت امتى المطيطاء الحديث الترمذى ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن عمر المطيطاء بضم الميم وفتح الطاء بن المهملتين بينهما مثناة من تحت مصغرا ولم يستعمل مكبرا

حائلا ويكون لبس ابى حفص الناعم يعلم ونية يلقى الله تعالى بصحتها وهكذا الصادقون ان لبسوا غير الخشن من الثوب لنية تكون لهم فى ذلك فلا يعرض عليهم غير ان لبس الخشن والمرقع يصلح لسائر الفقراء بنية التقلل من الدنيا وزهرتها وبهجتها وقد ورد من ترك ثوب جمال وهو قادر على لبسه البسه الله تعالى من حلل الجنة واما لبس الناعم فلا يصلح الا لعالم بحاله بصير بصفات نفسه متفقد خفى شهوات النفس يلقى الله تعالى بحسن النية فى ذلك فلحسن نية فى ذلك

والروم سلط الله بعضهم على بعض قال ابن الاعرابى هى مشية فيها اختيال وقال صلى الله عليه وسلم [١] من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله وهو عليه غضبان (الآثار) عن أبى بكر الهذلى قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشى يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال أف أف شامخ بانفه ثانى عطفه مصعر خده ينظر فى عطفيه أى حميق أنت تنظر فى عطفيك فى نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير الماخوذ بامر الله فيها ولا المؤدى حق الله منها والله ان يمشى احد طبيعته يتخلج تخلج المجنون فى كل عضو من أعضائه لله نعمة وللشيطان به لفتة فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الى وتب الى ربك اما سمعت قول الله تعالى ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال له ابن آدم معجب بشبابه محب لشمائله كان القبر قد وارى بدنك وكانك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم * وروى ان عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال فى مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من فى بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر ياعم لقد ضرب كل عضو منى على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد ابن واسع ولده يختال فدعاه وقال اتدرى من أنت اما أمك فاشتريتها بمائتى درهم واما ابوك فلا اكثر الله فى المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا كررها مرتين أو ثلاثا ويروى ان مطرف بن عبد الله ابن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر فى جبة خز فقال ياعبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اما تعرفنى فقال بلى أعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد فى قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اى يتبختر واذ قد ذكرنا الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع والله تعالى اعلم

﴿ بيان فضيلة التواضع ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] مازاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال صلى الله عليه وسلم [٣] مامن احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قال اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وسلم [٤] طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة وانفق مالا جمعه فى غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة وعن ابى سلمة المدينى عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] عندنا بقباء وكان صائما فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل فقال ماهذا قلنا يارسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال اما انى لا احرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وروى ان النبى صلى

وجوه متعددة يطول شرحها ومن الناس من لا يقصد لبس ثوب بعينه لا لخشونته ولا لنعومته بل يلبس مايدخله الحق عليه فيكون بحكم الوقت وهذا حسن وأحسن من ذلك أنه يتفقد نفسه فيه فان رأى للنفس شرها وشهوة خفية أو جلية فى الثوب الذى أدخله الله عليه يخرجه الا أن يكون حاله مع الله ترك الاختيار فمنذ ذلك لا يسعه الا أن يلبس الثوب الذى ساقه الله اليه وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردى رحمه الله لا يتقيد بهيئة من الملبوس بل كان يلبس

---

(١) حديث من تعظم فى نفسه واختال فى مشيه لقى الله وهو عليه غضبان احمد والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر (٢) حديث مازاد الله عبدا بعفو الا عزا الحديث مسلم من حديث ابى هريرة وقد تقدم (٣) حديث مامن احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها الحديث العقيلى فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث ابى هريرة والبيهقى ايضا من حديث ابن عباس وكلاهما ضعيف (٤) حديث طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة الحديث البغوى وابن قانع والطبرانى من حديث ركب المصرى والبزار من حديث انس وقد تقدم بعضه فى العلم وبعضه فى آفات اللسان (٥) حديث ابى سلمة المدينى عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء وكان صائما الحديث وفيه من تواضع رفعه الله الحديث رواه البزار من رواية طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن ابيه عن جده طلحة فذكر نحوه دون قوله ومن اكثر من ذكر الله احبه الله ولم يقل بقبا وقال الذهبى فى الميزان انه خبر منكر وقد تقدم ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث عائشة قالت اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فيه لبن وعسل الحديث وفيه اما انى لا ازعم انه حرام الحديث وفيه ومن اكثر ذكر الموت احبه الله وروى المرفوع منه احمد وابو يعلى من حديث ابى سعيد دون قوله ومن بذر افقره الله وذكر افيه قوله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وتقدم فى ذم الدنيا

الله عليه وسلم (١) كان في نفر من اصحابه في بيته يا كلون فقام سائل على الباب و به زمانة يتكره منها فاذن له فلما دخل اجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكان رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال صلى الله عليه وسلم (٢) خيرني ربي بين امرين ان اكون عبدا رسولا أو ملكا نبيا فلم ادر أيهما اختار وكان صفيي من الملائكة جبريل فرفعت رأسي اليه فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما اقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال صلى الله عليه وسلم (٣) الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال المسيح عليه السلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيامة وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم (٤) قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال صلى الله عليه وسلم (٥) أربع لا يعطيهن الله الا من احب الصمت وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦) اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال صلى الله عليه وسلم (٧) التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله و يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) كان يطعم فجاء رجل أسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه وسلم (٩) انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال النبي صلى الله عليه وسلم (١٠) لاصحابه يوما مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال صلى الله عليه وسلم (١١) اذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم

(١) حديث السائل الذي كان به زمانة منكرة وانه صلى الله عليه وسلم اجلسه على فخذه ثم قال اطعم الحديث لم أجد له أصلا والموجود حديث اكله مع مجذوم رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جابر وقال الترمذي غريب (٢) حديث خيرني ربي بين امرين عبدا رسولا وملكا نبيا الحديث ابو يعلى من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن عباس وكلا الحديثين ضعيف (٣) حديث الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى ابن ابي الدنيا في كتاب اليقين مرسلا واسند الحاكم اوله من رواية الحسن عن سمرة وقال صحيح الاسناد (٤) حديث اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته الحديث الطبراني موقوفا على ابن مسعود نحوه وفيه المسعودي مختلف فيه (٥) حديث اربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا الطبراني والحاكم من حديث انس اربع لا يصبن الا بعجب الصمت وهو اول العبادة والتواضع وذكر الله وقلة الشيء قال الحاكم صحيح الاسناد قلت فيه العوام بن جويرية قال ابن حبان روى الموضوعات ثم روى له هذا الحديث (٦) حديث ابن عباس اذا تواضع العبد رفع الله رأسه الى السماء السابعة البيهقي في الشعب نحوه وفيه زمعة بن صالح ضعفه الجمهور (٧) حديث ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة الحديث الاصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث انس وفيه بشر بن الحسين وهو ضعيف جدا ورواه ابن عدي من حديث بن عمر وفيه الحسن بن عبد الرحمن الاحتياصي وخارجة ابن مصعب وكلاهما ضعيف (٨) حديث كان يطعم فجاءه رجل اسود به جدري فجعل لا يجلس الى احد الا قام من جنبه فأجلسه صلى الله عليه وسلم الى جنبه لم اجده هكذا و المعروف أكله مع مجذوم رواه ابوداود والترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث جابر كما تقدم (٩) حديث انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه غريب (١٠) حديث مالي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع غريب ايضا (١١) حديث اذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار غريب أيضا

ما يتفق من غير تعمد تكلف واختيار وقد كان يلبس العمامة بعشرة دنانير و يلبس العمامة بدانق وقد كان الشيخ عبد القادر رحمه الله يلبس هيئة مخصوصة و يتطيلس وكان الشيخ على بن الهيتي يلبس لبس فقراء السواد وكان ابو بكر الفراء بزنجان يلبس فرواخشنا كآحاد العوام ولكن في لبسه وهيئته نية صالحة وشرح تفاوت الاقدام في ذلك يطول (وكان) الشيخ ابو السعود رحمه الله حاله مع الله ترك الاختيار وقد يساق اليه الثوب الناعم فيلبسه وكان يقال له ربما يسبق الى

وصغار

وصغار (الآثار) قال عمر رضي الله عنه ان العبد اذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش رفعك الله واذا تكبر وعدا طوره رهصه الله في الارض وقال اخسأ اخسأك الله فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى انه لا حقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله انتهيت مرة الى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم أن الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة يا جرير أتدري ما ظلمة النار يوم القيامة قلت لا قال انه ظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا وقالت عائشة رضي الله عنها انكم لتغفلون عن أفضل العبادات التواضع وقال يوسف بن أسباط يجزى قليل الورع من كثير العمل ويجزى قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع ما هو فقال أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته ولو سمعته من أجهل الناس قبلته وقال ابن المبارك رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من أعطى مالا أو جمالا أو ثيابا أو علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة وقيل أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتممها عليك وقال كعب ما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله الا اعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة وما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله الا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه ان شاء او يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان اي الرجال افضل قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصرة عن قوة ودخل ابن السماك على هرون فقال يا امير المؤمنين ان تواضعك في شرفك اشرف لك من شرفك فقال ما احسن ما قلت فقال يا امير المؤمنين ان امرأ آتاه الله جمالا في خلقته وموضعا في حسبه وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى من ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله فدعا هرون بدواة وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمان بن داود عليهما السلام اذا أصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره ان يراك الاغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقراء في الثياب المرتفعة وروى انه خرج يونس وايوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن اتدرون ما التواضع التواضع ان تخرج من منزلك ولا تلقى مسلما الا رأيت له عليك فضلا وقال مجاهد ان الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال ابو سليمان ان الله عز وجل اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلبا اشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فخصه من بينهم بالكلام وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم اشك في الرحمة لولا انى كنت معهم انى اخشى انهم حرموا بسببي ويقال ارفع ما يكون المؤمن عند الله اوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون عند الله ارفع ما يكون عند نفسه وقال زياد النميري الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر وقال مالك بن دينار لو ان مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان احد يسبقني الى الباب الا رجل بفضل قوة اوسعي قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكا وقال الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا وقال موسى بن القاسم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا أبا عبد الله انت امامنا فادع الله عز وجل لنا فبكى ثم قال ليتني لم اكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ان الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل الى الشبلي رحمه الله فقال له ما انت وكان هذا دأبه وعادته فقال انا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي اباداك الله شاهدك او تجعل لنفسك موضعا وقال الشبلي في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود ويقال من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وعن ابي الفتح بن شخرف قال رأيت علي بن ابي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا أبا الحسن عظني فقال لي ما احسن التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله عز وجل وقال ابو سليمان لا يتواضع العبد حتى

بواطن بعض الناس الانكار عليك في لبسك هذا الثوب فيقول لا نلتقي الأحد رجلين رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع فنقول له هل ترى ان ثوبنا يكرهه الشرع أو يحرمه فيقول لا ورجل يطالبنا بحقائق القوم من أرباب العزيمة فنقول له هل ترى لنا فيها لبسنا اختيارا أو ترى عند نافيه شهوة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقدر على لبس الناعم ولبس الخشن ولكن يحب أن يختار الله له هيئة مخصوصة فيكثر اللجأ الى الله والافتقار اليه ويسأله أن يريه أحب الزي الى الله تعالى وأصلحه.

يعرف نفسه وقال ابو يزيد مادام العبد يظن أن فى الخلق من هوشر منه فهومتكبر فقيل له فمتى يكون متواضعا قال اذالم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه عزوجل ومعرفته بنفسه وقال ابو سليمان لواجتمع الخلق على ان يضعونى كاتضاعى عند نفسى ماقدروا عليه وقال عروة بن الورد التواضع احد مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكى الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ التكبر على ذوى التكبر عليك بماله تواضع ويقال التواضع فى الخلق كلهم حسن وفى الاغنياء احسن. والتكبر فى الخلق كلهم قبيح وفى الفقراء اقبح ويقال لاعز الا لمن تذلل لله عزوجل ولا رفعة الا لمن تواضع لله عزوجل ولا امن الا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله عزوجل وقال ابو على الجوزجانى النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا اراد الله تعالى به خيرا لطف به فى ذلك فاذا هاجت فى نفسه نار الكبر ادركها التواضع مع نصرة الله تعالى واذا هاجت نار الحسد فى نفسه ادركتها النصيحة مع توفيق الله عزوجل واذا هاجت فى نفسه نار الحرص ادركتها القناعة مع عون الله عز وجل * وعن الجنيد رحمه الله انه كان يقول يوم الجمعة فى مجلسه لولا انه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم [1] انه قال يكون فى آخر الزمان زعيم القوم ارذلهم ماتكلمت عليكم وقال الجنيد ايضا التواضع عند اهل التوحيد تكبر ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيأ حتى يضعها أو يرفعها وعن عمر بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرايت رجلا راكبا بغلة و بين يديه غلمان واذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت انظر اليه واتامله فقال لى مالك تنظر الى فقلت له شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة فقال له انا ذلك الرجل فقلت مافعل الله بك فقال انى ترفعت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى الله حيث يترفع الناس وقال المغيرة كنا نهاب ابراهيم النخعى هيبة الامير وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلمى اذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذه بطنه كانه امرأة ماخض وقال هذا من اجلى يصيبكم لو مات عطاء لاستراح الناس وكان بشر الحافى يقول سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال اعطاك الله ماترجوه فقال ان الرجاء يكون بعد المعرفة فاين المعرفة وتفاخرت قريش عند سلمان الفارسى رضى الله عنه يوما فقال سلمان لكننى خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم اتى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه وجدنا الكرم فى التقوى والغنى فى اليقين والشرف فى التواضع نسال الله الكريم حسن التوفيق

﴿ بيان حقيقة الكبر وآفته ﴾

اعلم ان الكبر ينقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق فى النفس والظاهر هو اعمال تصدر عن الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال فى نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذى فى النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعى متكبرا عليه ومتكبرا به و به ينفصل الكبر عن العجب كماسيأتى فان العجب لا يستدعى غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير فى صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفى ان يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه او مثل نفسه

(١) حديث يكون فى آخر الزمان زعيم القوم ارذلهم الترمذى من حديث ابى هريرة اذا اتخذ الفىء دولا الحديث وفيه كان زعيم القوم ارذلهم الحديث وقال غريب وله من حديث على بن ابى طالب اذا فعلت امتى خمس عشرة خصلة حصل بها البلاء فذكر منها وكان زعيم القوم ارذلهم ولابى نعيم فى الحلية من حديث حذيفة من اقتراب

لدينه ودنياه لكونه غير صاحب غرض وهوى فى زى يعينه فالله تعالى يفتح عليه و يعرفه زيا مخصوصا فيلتزم بذلك الزى فيكون لبسه بالله ويكون هذا اتم واكمل ممن يكون لبسه لله ومن الناس من يتوفر حظه من العلم و ينبسط بما بسطه الله فيلبس الثوب عن علم و يقان ولا يبالى بما لبسه ناعما لبس اوخشنا ور بما لبس ناعما ولنفسه فيه اختيار وحظ وذلك الحظ فيه يكون مكفرا له مردودا عليه موهو باله يوافقه الله تعالى فى ارادة نفسه ويكون هذا الشخص تام التزكية تام

فلا يتكبر عليه ولا يكفي أن يستحقر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لأن هذه الرؤية تنفي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم[1] أعوذ بك من نفخة الكبرياء وكذلك قال عمر أخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استاذنه ان يعظ بعد صلاة الصبح فكأن الانسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى أيضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه وأقصاه عن نفسه وأبعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان أشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيأنف من مساواته وتقدم عليه من مضايق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر ان يبدأه بالسلام واستبعد تقصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج أو ناظر أنف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كأنه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا والاعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي اكثر من أن تحصى فلا حاجة الى تعدادها فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم[2] لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا دون الجنة لانه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو رأس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر ان يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والمتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطو أيديهم الى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون ثم قال ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان أشد اهل النار عذابا اشدهم عتيا على الله تعالى فقال ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا وقال تعالى فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال عز وجل يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير ساحجب قلوبهم عن الملكوت وقال ابن جريج ساصرفهم عن ان يتفكروا فيها و يعتبروا بها ولذلك قال المسيح عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت

الساعة اثنان وسبعون خصلة فذكرها منها وفيهما فرج بن فضالة ضعيف (١) حديث أعوذ بك من نفخة الكبرياء تقدم فيه (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم فيه

الطهارة محبوبا مرادا يسارع الله تعالى الى مراده ومحابه غير ان ههنا مزلة قدم لكثير من المدعين ﴿حكي﴾ عن يحيى بن معاذ الرازي انه كان يلبس الصوف والخلقان في ابتداء أمره ثم صار في آخر عمره يلبس الناعم فقيل لابي يزيد ذلك فقال مسكين يحيى لم يصبر على الدون فكيف يصبر على التحف ومن الناس من يسبق اليه علم ما سوف يدخل عليه من الملبوس فيلبسه محمودا فيه وكل أحوال الصادقين على اختلاف تنوعها مستحسنة قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو

على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر الا ترون ان من شمخ برأسه الى السقف شجه ومن طأطأ أظله وا كنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال (١) من سفه الحق وغمص الناس

﴿ بيان المتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه ﴾

اعلم أن المتكبر عليه هو الله تعالى أو رسله او سائر خلقه وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذاً التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة أقسام * الاول التكبر على الله وذلك هو افحش انواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمروذ فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال أنا ربكم الاعلى اذ استنكف ان يكون عبد الله ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الآية وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا * القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله عن قولهم أنؤمن لبشرين مثلنا وقولهم ان انتم الا بشر مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذاً لخاسرون وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة اونرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقالوا لولا أنزل عليه ملك وقال فرعون فيما اخبر الله عنه او جاء معه الملائكة مقترنين وقال الله تعالى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعا قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك قال حتى اشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما انت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما اخبر الله تعالى عنهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وابو مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى أهم يقسمون رحمة ربك وقال الله تعالى ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي استحقارا لهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء اشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم باعينهم لفقرهم وتكبروا عن مجالستهم فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الى قوله ماعليك من حسابهم وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ثم اخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذلم يروا الذين ازدروهم فقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل يعنون عمارا و بلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى مخبرا عنهم فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول امر الله والتواضع

(١) حديث الكبر من سفه الحق وغمص الناس مسلم من حديث ابن مسعود في اثناء حديث وقال بطر الحق وغمط الناس ورواه الترمذي فقال من بطر الحق وغمص الناس وقال حسن صحيح ورواه احمد من حديث عقبة بن عامر بلفظ المصنف ورواه البيهقي في الشعب من حديث ابي ريحانة هكذا (٢) حديث قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء الحديث في نزول قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم مسلم من حديث سعد بن ابي وقاص الا انه قال فقال المشركون وقال ابن ماجه قالت قريش

أهدى سبيلا ولبس الخشن من الثياب هو الاحب والاولى والاسلم للعبد والابعد من الآفات (قال مسلمة بن عبد الملك) دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه فرأيت قميصه وسخا فقلت لامرأته فاطمة اغسلوا ثياب امير المؤمنين فقالت نفعل ان شاء الله قال ثم عدته فاذا القميص على حاله فقلت يا فاطمة ألم آمركم ان تغسلوه قالت والله ماله قميص غير هذا ﴿وقال﴾ سالم كان عمر بن عبد العزيز من ألين الناس لباسا من قبل ان يسلم اليه الخلافة فلما سلم اليه الخلافة ضرب رأسه بين

لرسوله * القسم الثالث التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه و يستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم و يستصغرهم و يأنف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثانى فهو أيضا عظيم من وجهين * أحدهما أن الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق الا بالملك القادر فاما العبد المملوك الضعيف العاجز الذى لا يقدر على شئ فمن أين يليق بحاله الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى فى صفة لا تليق الا بجلاله ومثاله أن يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه و يجلس على سريره فما أعظم استحقاقه للمقت وما أعظم تهدفه للخزى والنكال وما أشد استجراءه على مولاه وما أقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته اى انه خاص صفتى ولا يليق الا بى والمنازع فيه منازع فى صفة من صفاتى واذا كان الكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذى يسترذل خواص غلمان الملك و يستخدمهم و يترفع عليهم و يستأثر بما حق الملك ان يستأثر به منهم فهو منازع له فى بعض أمره وان لم تبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله فى حقه نعم الفرق بين هذه المنازعة و بين منازعة نمروذ وفرعون ماهو الفرق بين منازعة الملك فى استصغار بعض عبيده واستخدامهم و بين منازعته فى أصل الملك * الوجه الثانى الذى تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو الى مخالفة الله تعالى فى اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين فى مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم فى هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم وروى عن عمر رضى الله عنه انه قرأها فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فقتل المتكبر الذى خالفه والذى امره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه وسلم [(١)] لرجل كل بيمينك قال لا أستطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه الا كبره قال فما رفعها بعد ذلك اى اعتلت يده فاذا تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على امر الله وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكاه من احواله الا ليعتبر به فانه قال انا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذى امره الله تعالى به وكان مبدؤه الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك الى التكبر على امر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبد الآباد فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين اذ ساله ثابت بن قيس بن شماس فقال يارسول الله [(٢)] انى امرؤ قد حبب الى من الجمال ماترى أفمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفى حديث آخر [(٣)] من سفه الحق وقوله وغمص الناس اى ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله امثاله او خير منه وهذه الآفة الاولى وسفه الحق هو رده وهى الآفة الثانية فكل من رأى انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار اورد الحق

(١) حديث قال لرجل كل بيمينك قال لا استطيع فقال لا استطعت الحديث مسلم من حديث سلمة بن الاكوع (٢) حديث قول ثابت بن قيس بن شماس انى امرؤ قد حبب الى من الجمال ماترى الحديث وفيه الكبر من بطر الحق وغمص الناس مسلم والترمذي وقد تقدم قبله بحديثين (٣) حديث الكبر من سفه الحق وغمص الناس تقدم معه

ركبتيه و بكى ثم دعا باطمار له رثة فلبسها (وقيل) لما مات أبو الدرداء وجد فى ثوبه أربعون رقعة وكان عطاؤه أربعة آلاف (وقال زيد بن وهب) لبس على ابن أبى طالب قميصا رازيا وكان اذا مد كمه بلغ أطراف أصابعه فعابه الخوارج بذلك فقال أتعيبونى على لباس هو أبعد من الكبر وأجدر ان يقتدى بى المسلم (وقيل) كان عمر رضي الله عنه اذا رأى على رجل ثوبين رقيقين علاه بالدرة وقال دعوا هذه البراقات للنساء (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نوروا قلوبكم بلباس الصوف

وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه و بين الخلق ومن أنف من أن يخضع لله تعالى و يتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه و بين الله تعالى ورسله

﴿ بيان مابه التكبر ﴾

اعلم أنه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع الى كمال ديني أو دنيوي فالديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة أسباب ﴿الاول﴾ العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [1] آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم أن يتعزز بعزة العلم و يستشعر في نفسه جمال العلم وكماله و يستعظم نفسه و يستحقر الناس و ينظر اليهم نظره الى البهائم و يستجهلهم و يتوقع أن يبدؤه بالسلام فان بدأ واحد منهم بالسلام أورد عليه يبشر أوقام له أو اجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده و يدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه أكرمهم وفعل بهم مالا يستحقون من مثله وأنه ينبغي أن يرقوا له و يخدموه شكرا له على صنيعه بل الغالب أنهم يبرونه فلا يبرهم و يزورونه فلا يزورهم و يعودونه فلا يعودهم و يستخدم من خالطه منهم و يستسخره في حوائجه فان قصر فيه استنكره كأنهم عبيده أو اجراؤه وكان تعليمه العلم صنيعة منه اليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا أما في أمر الآخرة فتكبره عليهم بان يرى نفسه عند الله تعالى اعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه و يرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بان يسمى جاهلا أولى من أن يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه و ربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذا العلم يزيد خوفا وتواضعا وتخشعا و يقتضي ان يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال * فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وأمنا فاعلم ان لذلك سببين * أحدهما أن يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس علما حقيقيا وانما العلم الحقيقي مايعرف به العبد ربه ونفسه وخطر أمره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فاما ماوراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ منها امتلأ بها كبرا ونفاقا وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوما بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالبا * السبب الثاني أن يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة رديء النفس سيء الاخلاق فانه لم يشتغل أولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم أي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها وأهوائها فيزداد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد مايتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم ان الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من أعظم مايتكبر به ولذلك قال تعالى لنبيه عليه السلام واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال عز وجل ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف أولياءه

فانه مذلة في الدنيا ونور في الآخرة واياكم أن تفسدوا دينكم بحمد الناس وثنائهم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احتذى نعلين فلما نظر اليهما أعجبه حسنهما فسجد لله تعالى فقيل له في ذلك فقال خشيت ان يعرض عني ربي فتواضعت له لاجرم لايبيتان في منزلي لما تخوفت المقت من الله تعالى من أجلهما فاخرجهما فدفعهما الى أول مسكين لقيه ثم أمر فاشترى له نعلان مخصوفتان وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس الصوف واحتذى المخصوف واكل مع العبيد واذا كانت النفس محل

---

(١) حديث آفة العلم الخيلاء قلت هكذا ذكره المصنف والمعروف آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخيلاء هكذا رواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث علي بسند ضعيف وروى عنه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس آفة الجمال الخيلاء وفيه الحسن بن عبد الحميد الكوفي لايدرى من هو حدث عن أبيه بحديث موضوع قاله صاحب الميزان

أولياءه فقال اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضى الله عنه (1) يكون قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم التفت الى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الامة أولئك هم وقود النار ولذلك قال عمر رضى الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفى علمكم بجهلكم ولذلك استاذن تميم الدارى عمر رضى الله عنه فى القصص فابى ان يأذن له وقال انه الذبح واستأذنه رجل كان امام قوم أنه اذا سلم من صلاته ذكرهم فقال انى أخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم من صلاته قال لتلتمسن اماما غيرى أو لتصلن وحدانا فانى رأيت فى نفسى انه ليس فى القوم أفضل منى فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متاخرى هذه الامة فما أعز على بسيط الارض عالما يستحق ان يقال له عالم ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغى ان يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو فى أقصى الصين لسعينا اليه رجاء ان تشملنا بركته وتسرى الينا سيرته وسجيته وهيهات فانى يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم أرباب الاقبال وأصحاب الدول قد انقرضوا فى القرن الاول ومن يليهم بل يعز فى زماننا عالم يختلج فى نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك أيضا اما معدوم واما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (2) سيأتى على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما أنتم عليه نجا لكان جديرا بنا ان نقتحم والعياذ بالله تعالى ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا ومن لنا أيضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره فنسأل الله تعالى ان يعاملنا بما هو اهله ويستر علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله ﴿ الثانى ﴾ العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم فى الدين والدنيا اما فى الدنيا فهو انهم يرون غيرهم بزيارتهم اولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم فى المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس فى الحظوظ الى جميع ما ذكرناه فى حق العلماء وكانهم يرون عبادتهم منة على الخلق واما فى الدين فهو ان يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم (3) اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول منه يدل على أنه مزدر بخلق الله مغتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال صلى الله عليه وسلم (4) كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله فهم يتقربون الى الله تعالى بالدنو منه وهو يتمقت الى الله بالتنزه والتباعد منهم كانه مترفع عن مجالستهم فما اجدرهم اذا احبوه لصلاحه ان ينقلهم الله الى درجته فى العمل وما اجدره اذا ازدراهم بعينه أن ينقله الله الى حد الاهمال كما روى ان رجلا فى بنى اسرائيل كان يقال له خليع بنى اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بنى اسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به فقال الخليع فى نفسه انا خليع بنى اسرائيل وهذا عابد بنى اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمنى فجلس اليه فقال العابد انا عابد بنى اسرائيل وهذا خليع بنى اسرائيل فكيف يجلس الى فانف منه وقال له قم عنى فاوحى الله الى نبى ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفى رواية اخرى فتحولت الغمامة الى راس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل

(1) حديث العباس يكون قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا الحديث ابن المبارك فى الزهد والرقائق (2) حديث سيأتى على الناس زمان من تمسك بعشر ما انتم عليه نجا احمد من رواية رجل عن ابى ذر (3) حديث اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم مسلم من حديث ابى هريرة (4) حديث كفى بالمرء شرا ان يحقر اخاه المسلم مسلم من حديث ابى هريرة بلفظ امرؤ من الشر

لآفات فالوقوف على دسائسها وخفى شهواتها وكامن هواها عسر جدا فالاليق والاجدر والاولى الاخذ بالاحوط وترك ما يريب الى ما لا يريب ولا يجوز للعبد الدخول فى السعة الا بعد اتقان علم السعة وكمال تزكية النفس وذلك اذا غابت النفس بغيبة هواها المتبع وتخلصت النية وتسدد التصرف بعلم صريح واضح وللعزيمة أقوام يركبونها ويراعونها لا يرون النزول الى الرخص خوفا من فوت فضيلة الزهد فى الدنيا واللباس الناعم من الدنيا (وقد قيل) من رق ثوبه رق دينه وقد يرخص

العاصي اذا تواضع هيبة لله وذل خوفا منه فقد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روى أن رجلا في بني اسرائيل أتى عابدا من بني اسرائيل (١) فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله اليه أيها المتالى على بل أنت لا يغفر الله لك وكذلك قال الحسن وحتى أن صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب المطرز الخز أى ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف و يرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة أيضا قلما ينفك عنها كثير من العباد وهو انه لو استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبعد أن يغفر الله له ولا يشك في انه صار ممقوتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين الكبر والعجب والاغترار بالله وقد ينتهى الحمق والغباوة ببعضهم الى أن يتحدى و يقول سترون ما يجرى عليه واذا أصيب بنكبة زعم ان ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به الاشفاء غليله والانتقام له منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الانبياء صلوات الله عليهم فنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم ان الله أمهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل المغرور يظن انه أكرم على الله من انبيائه وانه قد انتقم له بما لا ينتقم لانبيائه به ولعله في مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين وأما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمى حين كان تهب ريح أو تقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر بعد انصرافه من عرفات كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كونى فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقى الله ظاهرا و باطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذاك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان به ثم انه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما أنه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط بجهله جميع عمله فان الجهل أفحش المعاصى وأعظم شئ يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بانه خير من غيره جهل محض وأمن من مكر الله ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روى ان رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم (٢) فاقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذى ذكرناه لك فقال انى أرى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أسالك بالله حدثتك نفسك ان ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات * الدرجة الاولى ان يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا أنه يجتهد و يتواضع و يفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية * الثانية ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر في حقه وأدنى ذلك في العالم ان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وفى العابد ان يعبس وجهه و يقطب جبينه كانه متنزه عن الناس مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى تطأطأ ولا في الذيل حتى يضم انما الورع في القلوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) التقوى ههنا واشار الى صدره فقد كان رسول الله صلى الله

---

(١) حديث الرجل من بنى اسرائيل الذى وطئ على رقبة عابد من بنى اسرائيل وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك الحديث ابوداود والحاكم من حديث ابى هريرة في قصة العابد الذى قال للعاصى والله لا يغفر الله لك ابدا وهو بغير هذه السياقة واسناده حسن (٢) حديث ان رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يارسول الله هذا الذى ذكرناه لك فقال انى ارى في وجهه سفعة من الشيطان الحديث احمد والبزار والدارقطنى من حديث أنس (٣) حديث التقوى ههنا وأشار الى صدره مسلم من حديث أبى هريرة وقد تقدم

في ذلك لمن لا يلتزم بالزهد و يقف على رخصة الشرع (روى) علقمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال النبي عليه السلام أن الله جميل يحب الجمال فتكون هذه الرخصة في حق من يلبسه لا يهوى نفسه في ذلك غير مفتخر به ومختال فاما من لبس الثوب للتفاخر بالدنيا والتكاثر بها فقد ورد فيه وعيد (روى) ابو هريرة أن رسول الله صلى

عليه وسلم(١) أكرم الخلق واتقاهم وكان اوسعهم خلقا وا كثرهم بشراوتبسماوانبساطاولذلك قال الحرث بن جزء الزبيدى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبنى من القراء كل طليق مضحاك فاما الذى تلقاه ببشر و يلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا أكثرالله فى المسلمين مثله ولوكان الله سبحانه وتعالى يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وهؤلاء الدين يظهر أثر الكبر على شمائلهم فاحوالهم اخف حالا ممن هوفى الرتبة الثالثة وهوالذى يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكايات الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير فى العلم والعمل اما العابد فانه يقول فى معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وماعمله ومن اين زهده فيطول اللسان فيهم بالتنقص ثم يثنى على نفسه و يقول انى لم افطر منذ كذا وكذا ولا انام الليل واختم القرآن فى كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة ومايجرى مجراه وقد يزكى نفسه ضمنا فيقول قصدنى فلان بسوء فهلك ولده واخذماله اومرض اوما يجرى مجراه يدعى الكرامة لنفسه واما مباهاته فهوانه لووقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى اكثر مما كان يصلى وان كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم و يظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد فى العبادة خوفا من ان يقال غيره أعبد منه واقوى منه فى دين الله واما العالم فانه يتفاخر و يقول انا متفنن فى العلوم ومطلع على الحقائق ورايت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن انت ومافضلك ومن لقيت وما الذى سمعت من الحديث كل ذلك ليصغره و يعظم نفسه واما مباهاته فهوانه يجتهد فى المناظرة ان يغلب ولا يغلب و يسهر طول الليل والنهار فى تحصيل علوم يتجمل بها فى المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران و يتعظم عليهم و يحفظ الاحاديث ألفاظها واسانيدها حتى يرد على من اخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه و يفرح مهما اخطا واحد منهم ليرد عليه و يسوءه اذا اصاب واحسن خيفة من ان يرى انه اعظم منه فهذا كله اخلاق الكبر وآثاره التى يثمرها التعزز بالعلم والعمل واين من يخلو عن جميع ذلك اوعن بعضه فليت شعرى من الذى عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه و يتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه من اهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذى فهم ان الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا مالم تر لنفسك قدرا فان رايت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل

﴿الثالث﴾ التكبر بالحسب والنسب فالذى له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى ان الناس له موال وعبيد و يانف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يانبطى و ياهندى و ياارمنى من أنت ومن أبوك فانا فلان بن فلان واين لمثلك ان يكلمنى او ينظر الى ومع مثلى تتكلم ومايجرى مجراه وذلك عرق دفين فى النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا وعاقلا الا انه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب اطفأ ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن ابى ذر انه قال قاولت رجلا عن النبى صلى الله عليه وسلم(٣) فقلت له يا ابن السوداء فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياباذر طف الصاع طف الصاع ليس لا بن البيضاء على ابن السوداء فضل فقال ابوذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدى فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطأ وجهل فانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف

الله عليه وسلم قال ازرة المؤمن الى نصف الساق فيما بينه و بين الكعبين وما كان اسفل من الكعبين فهو فى النار من جر ازاره بطرا لم ينظر الله اليه يوم القيامة فبينما رجل ممن كان قبلكم يتبختر فى ردائه اذ اعجبه رداؤه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة والاحوال تختلف ومن صح حاله بصحة علمه صحت نيته فى ماكوله وملبوسه وسائر تصاريفه وفى كل الاحوال يستقيم و يتسدد باستقامة الباطن مع الله تعالى و بقدر ذلك تستقيم تصاريف العبد كلها بحسن توفيق الله تعالى

﴿الباب الخامس

---

(١) حديث كان اكرم الخلق واتقاهم الحديث تقدم فى كتاب اخلاق النبوة (٢) حديث لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر تقدم (٣) حديث ابى ذر قاولت رجلا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء الحديث ابن المبارك فى البر والصلة مع اختلاف ولأحمد من حديثه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له

أن العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ماروى أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم (١) فقال أحدهما للآخر أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل للذى افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما فى جهنم اوليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدوف بآنافها القذر ﴿ الرابع ﴾ التفاخر بالجمال وذلك أكثر مايجرى بين النساء ويدعو ذلك الى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ماروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم (٣) فقلت بيدى هكذا اى انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتها وهذا منشؤه خفاء الكبر لانها لو كانت أيضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكأنها اعجبت بقامتها واستقصرت المرأة فى جنب نفسها فقالت ماقالت ﴿ الخامس ﴾ الكبر بالمال وذلك يجرى بين الملوك فى خزائنهم و بين التجار فى بضائعهم و بين الدهاقين فى اراضيهم و بين المتجملين فى لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغنى الفقير و يتكبر عليه و يقول له انت مكد ومسكين وانا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت ومامعك واثاث بيتى يساوى اكثر من جميع مالك وانا انفق فى اليوم مالا تأكله فى سنة وكل ذلك لاستعظامه للغنى واستحقاره للفقر وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة الغنى واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه فقال ان ترنى انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربى ان يؤتين خيرا من جنتك و يرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة امره بقوله ياليتنى لم اشرك بربى احدا ومن ذلك تكبر قارون اذقال تعالى اخبارا عن تكبره فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم ﴿ السادس ﴾ الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف ﴿ السابع ﴾ التكبر بالاتباع والانصار والتلامذة والغلمان و بالعشيرة والاقارب والبنين و يجرى ذلك بين الملوك فى المكاثرة بالجنود و بين العلماء فى المكاثرة بالمستفيدين و بالجملة فكل ماهو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن فى نفسه كمالا امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث ليتكبر على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته فى صنعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان و يتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطئا فيه فهذه مجامع مايتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلى بشئ منه على من لايدلى به او على من يدلى بما هو دونه فى اعتقاده وربما كان مثله اوفوقه عند الله تعالى كالعالم الذى يتكبر بعلمه على من هو اعلم منه لظنه انه هو الاعلم ولحسن اعتقاده فى نفسه نسال الله العون بلطفه ورحمته انه على كل شئ قدير

﴿ بيان البواعث على التكبر واسبابه المهيجة له ﴾

اعلم ان الكبر خلق باطن واما مايظهر من الاخلاق والافعال فهى ثمرة ونتيجة و ينبغى ان تسمى تكبرا و يخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذى هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد

انظر فانك لست بخير من احمر ولا اسود الا ان تفضله بتقوى (١) حديث ان رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال احدهما للآخر انا فلان بن فلان فمن انت لا اب لك الحديث عبد الله بن احمد فى زوائد المسند من حديث ابى بن كعب باسناد صحيح ورواه احمد موقوفا على معاذ بقصة موسى فقط (٢) حديث ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما فى جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان الحديث ابو داود والترمذى وحسنه وابن حبان من حديث ابى هريرة (٣) حديث عائشة دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدى هكذا اى انها قصيرة الحديث تقدم فى آفات اللسان

والاربعون فى ذكر فضل قيام الليل ﴾ قال الله تعالى اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان نزلت هذه الآية فى المسلمين يوم بدر حيث نزلوا على كثيب من الرمل تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر العظمى وغلبوهم عليها واصبح المسلمون بين محدث وجنب واصابهم الظما فوسوس لهم الشيطان انكم تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وقد غلب المشركون على المياه وانتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف

وهو العجب الذى يتعلق بالمتكبر كما سيأتى معناه فانه اذا اعجب بنفسه و بعلمه و بعمله أو بشىء من اسبابه استعظم نفسه وتكبر واما الكبر الظاهر فاسبابه ثلاثة سبب فى المتكبر وسبب فى المتكبر عليه وسبب فيما يتعلق بغيرهما أما السبب الذى فى المتكبر فهو العجب والذى يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذى يتعلق بغيرهما هو الرياء فتصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والحقد والحسد والرياء * اما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر فى الاعمال والاقوال والاحوال * واما الحقد فانه يحمل على التكبر من غير عجب كالذى يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فاورثه الغضب حقدا ورسخ فى قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه او بغضه له ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد فى التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحله وان ظلمه فلا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به واما الحسد فانه ايضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضى الغضب والحقد ويدعو الحسد ايضا الى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقى فى رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد من اهل بلده او اقاربه حسدا و بغيا عليه فهو يعرض عنه و يتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق المتكبرين وان كان فى باطنه ليس يرى نفسه فوقه * واما الرياء فهو ايضا يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه افضل منه وليس بينه و بينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له فى الاستفادة خيفة من ان يقول الناس انه افضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه واما الذى يتكبر بالعجب او الحسد او الحقد فانه يتكبر ايضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمى الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب و يرفع عليه فى المجالس و يتقدم عليه فى الطرق ولا يرضى بمساواته فى الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر فى باطنه لمعرفته بانه كاذب فى دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على افعال المتكبرين وكان اسم المتكبر انما يطلق فى الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر فى الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاحتقار وهو ان سمى متكبرا فلاجل التشبه بافعال الكبر نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى اعلم

* بيان اخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه اثر التواضع والتكبر *

اعلم ان التكبر يظهر فى شمائل الرجل كصعر فى وجهه ونظره شزرا واطراقه راسه وجلوسه متربعا او متكئا وفى اقواله حتى فى صوته ونغمته وصيغته فى الايراد و يظهر فى مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته وفى تعاطيه لافعاله وفى سائر تقلباته فى احواله واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر فى بعض و يتواضع فى بعض فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال على كرم الله وجهه من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد و بين يديه قوم قيام وقال انس (١) لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك * ومنها ان لا يمشى الا ومعه غيره يمشى خلفه قال ابو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم فى صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصرى فمنعهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فى بعض الاوقات يمشى مع بعض الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشى فى

ترجون الظفر عليهم فأنزل الله تعالى مطرا من السماء سال منه الوادى فشرب المسلمون منه واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الدواب وملؤا الاسقية ولبد الارض حتى ثبت به الاقدام قال الله تعالى و يثبت به الاقدام اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم أمدهم الله تعالى بالملائكة حتى غلبوا المشركين ولكل اية من القران ظهر وبطن وحد ومطلع والله تعالى كما جعل الناس رحمة وأمنة للصحابة خاصة فى تلك الواقعة والحادثة فهو رحمة تعم المؤمنين والناس قسم صالح من الاقسام العاجلة للمريدين وهو أمنة لقلوبهم

(١) حديث انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا له الحديث تقدم فى آداب الصحبة وفى اخلاق النبوة (٢) حديث كان فى بعض الاوقات يمشى مع الاصحاب

غمارهم امالتعلم غيره أولينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب (١) كما أخرج الثوب الجديد فى الصلاة وأبدله بالخليع لأحد هذين المعنيين * ومنها أن لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره فى الدين وهو ضد التواضع روي ان سفيان الثورى قدم الرملة فبعث اليه ابراهيم بن أدهم ان تعال فحدثنا فجاء سفيان فقيل له يا أبا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال أردت ان أنظر كيف تواضعه ومنها أن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست الى عبد العزيز بن أبى رواد فمس فخذى فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ ثيابى فجرنى الى نفسه وقال لى لم تفعلون بى ما تفعلون بالجبابرة وانى لا أعرف رجلا منكم شرا منى وقال أنس (٢) كانت الوليدة من ولائد المدينة تاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها ان يتوقى من مجالسة المرضى والمعلولين و يتحاشى عنهم وهو من الكبر (٣) دخل رجل وعليه جدرى قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ناس من أصحابه يا كلون فما جلس الى أحد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا أبرص ولا مبتلى الا أقعدهم على مائدته * ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا فى بيته والتواضع خلافه روى ان عمر ابن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف أقوم الى المصباح فاصلحه فقال ليس من كرم الرجل ان يستخدم ضيفه قال افانبه الغلام فقال هى اول نومة نامها فقام واخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف قمت انت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهبت وأنا عمر ورجعت وانا عمر ما نقص منى شئ وخير الناس من كان عند الله متواضعا * ومنها ان لا يأخذ متاعه (٤) و يحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك وقال على كرم الله وجهه لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شئ الى عياله وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وقال ثابت بن أبى مالك رأيت أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال أوسع الطريق للامير يا ابن ابى مالك وعن الاصبغ ابن نباتة قال كأنى انظر الى عمر رضى الله عنه معلقا لحما فى يده اليسرى وفى يده اليمنى الدرة يدور فى الاسواق حتى دخل رحله وقال بعضهم رأيت عليا رضى الله عنه قد اشترى لحما بدرهم فحمله فى ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المؤمنين فقال لا ابو العيال احق ان يحمل * ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (٥) البذاذة من الايمان فقال هرون سألت معنا عن البذاذة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج الى السوق و بيده الدرة وعليه ازار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من أدم وعوتب على كرم الله وجهه فى ازار مرقوع فقال يقتدى به المؤمن و يخشع له القلب وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء فى القلب وقال طاوس انى لأغسل ثوبى هذين فانكر قلبي ماداما نقيين و يروى ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل ان يستخلف تشترى له الحلة بالف دينار فيقول ما اجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما اجوده لولا لينه فقيل له أين لباسك ومركبك وعطرك يا امير المؤمنين

عن منازعات النفس لان النفس بالنوم تستريح ولا تشكو الكلال والتعب اذ فى شكايتها وتعبها تكدير القلب و باحترامها بالنوم بشرط العلم والاعتدال راحة القلب لما بين القلب والنفس من المواطاة عند طمأنينتها للمريدين السالكين فقد قيل ينبغى ان يكون ثلث الليل والنهار نوما حتى لا يضطرب الجسد فيكون ثمان ساعات للنوم ساعتين من ذلك يجعلهما المريد بالنهار وست ساعات بالليل ويزيد فى أحدهما و ينقص من الآخر على قدر طول الليل وقصره فى الشتاء والصيف وقد يكون بحسن

فيا مرهم بالتقدم ابو منصور الديلمي فى مسند الفردوس من حديث ابى امامة بسند ضعيف جدا انه خرج يمشى الى البقيع فتبعه اصحابه فوقف فامرهم ان يتقدموا ومشى خلفهم فسئل عن ذلك فقال انى سمعت خفق نعالكم فاشفقت ان يقع فى نفسي شئ من الكبر وهو منكر فيه جماعة ضعفاء (١) حديث اخراجه الثوب الجديد فى الصلاة وابداله بالخليع قلت المعروف نزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق اونزع الخميصة ولبس الانبجانية وكلاهما تقدم فى الصلاة (٢) حديث انس كانت الوليدة من ولائد المدينة تاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث تقدم فى آداب المعيشة (٣) حديث الرجل الذى به جدري واجلاسه الى جنبه تقدم قريبا (٤) حديث حمله متاعه الى بيته ابو يعلى من حديث ابى هريرة فى شرائه للسراويل وحمله وتقدم (٥) حديث البذاذة من الايمان ابو داود وابن ماجه من حديث أبى امامة بن ثعلبة وقد تقدم

فقال ان لى نفسا ذواقة تواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى الطبقة التى فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهى أرفع الطباق تاقت الى ماعند الله عز وجل وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه. فقال له رجل يا أمير المؤمنين ان الله قد أعطاك فلو لبست فنكس رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال ان افضل القصد عند الجدة وان افضل العفو عند القدرة وقال صلى الله عليه وسلم (١) من ترك زينة الله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء لمرضاته كان حقا على الله ان يدخره عبقرى الجنة فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم (٢) عن الجمال فى الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجديد ليس من ضرورته ان يكون من التكبر فى حق كل أحد فى كل حال وهو الذى اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) من حال ثابت بن قيس اذ قال انى امرؤ حبب الى من الجمال ماترى فعرف ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر أن يطلب التجمل اذا رآه الناس ولا يبالى اذا انفرد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجمال ان يحب الجمال فى كل شىء ولو فى خلوته وحتى فى ستور داره فذلك ليس من التكبر فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على ان قوله خيلاء القلب يعنى قد تورث خيلاء فى القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليس من الكبر يعنى ان الكبر لا يوجبه و يجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر و بالجملة فالاحوال تختلف فى مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذى لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة وقد قال صلى الله عليه وسلم (٤) كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير سرف ولا مخيلة (٥) ان الله يحب ان يرى أثر نعمته على عبده وقال بكر بن عبد الله المزنى البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون التكبر بثياب اهل الصلاح وقد قال عيسى عليه السلام مالكم تاتونى وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضوارى البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا سب وأوذى واخذ حقه فذلك هو الاصل وقد اوردنا ما نقل عن السلف من احتمال الاذى فى كتاب الغضب والحسد و بالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فيه فينبغى ان يقتدى به ومنه ينبغى ان يتعلم وقد قال ابو سلمة قلت لابى سعيد الخدرى ماترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن أخى كل لله واشرب لله والبس لله وكل شىء من ذلك زهو أو مباهاة او رياء او سمعة فهو معصية وسرف وعالج فى بيتك من الخدمة (٦) ما كان يعالج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته كان يعلف الناضح و يعقل البعير و يقم البيت و يحلب الشاة و يخصف النعل و يرقع الثوب و يأكل مع خادمه و يطحن عنه اذا أعيا و يشترى الشىء من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده أو يجعله فى طرف ثوبه و ينقلب الى اهله يصافح الغنى والفقير

---

(١) حديث من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله الحديث أبو سعيد الماليني فى مسند الصوفية وابو نعيم فى الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة لله الحديث وفى اسناده نظر (٢) حديث سئل عن الجمال فى الثياب هل هو من الكبر فقال لا الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث ان ثابت بن قيس قال للنبي صلى الله عليه وسلم انى امرؤ حبب الى الجمال الحديث هو الذى قبله سمى فيه السائل وقد تقدم (٤) حديث كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير اسراف ولا مخيلة النسائى وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث ان الله يحب ان يرى أثر نعمته على عبده الترمذى وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ايضا وقد جعلهما المصنف حديثا واحدا (٦) حديث ابى سعيد الخدرى وعائشة قال الخدرى لابى سلمة عالج فى بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج فى بيته كان يعلف الناضح الحديث وفيه قال ابو سلمة فدخلت على عائشة فحدثتها بذلك عن ابى سعيد فقالت ما أخطأ ولقد قصر أوما اخبرك انه لم يمتلئ قط شبعا الحديث بطوله لم اقف لهما على اسناد

الارادة وصدق الطلب ينقص النوم عن قدر الثلث ولا يضر ذلك اذا صار بالتدريج عادة وقد يحمل ثقل السهر وقلة النوم وجود الروح والانس فان النوم طبعه بارد رطب ينفع الجسد والدماغ و يسكن من الحرارة واليبس الحادث فى المزاج فان نقص عن الثلث يضر الدماغ ويخشى منه اضطراب الجسم فاذا ناب عن النوم روح القلب وأنسه لا يضر نقصانه لان طبيعة الروح والانس بادرة رطبة كطبيعة النوم وقد تقصر مدة طول الليل بوجود الروح فتصير بالروح أوقات الليل

والكبير والصغير و يسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير أو كبيراسود أواحمر حر أوعبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحي من ان يجيب اذا دعي وان كان أشعث أغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الاحشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يبشم قط من شبع ولم يمد يده من طمع قال أبو سلمة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتها بما قال أبو سعيد في زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما أخطا منه حرفا ولقد قصر اذ ما أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعا ولم يبث الى أحد شكوى وان كانت الفاقة لاحب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جائعا يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولوشاء ان يسال ربه فيؤتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارق الارض ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما أوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول ياعائشة اخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم وقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر أياما يسيرة احب الى من ان ينقص حظي غدا في الآخرة ومامن شيء أحب الى من اللحوق باخواني واخلائي قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل فما نقل من احواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما أشد جهله فلقد كان أعظم خلق الله منصبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم أعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام وقال أبو الدرداء اعلم ان لله عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم أوتاد الارض فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم قوما من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تجبن وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم أربعون صديقا أو ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه واعلم يا أخي أنهم لا يلعنون شيئا ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يطاولون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرصون على الدنيا هم اطيب الناس خيرا وألينهم عريكة وأسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم و بين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله واشتياقا اليه وقدما في استباق الخيرات أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوي فقلت يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد على من تلك الصفة وكيف لي ان ابلغها فقال ما بينك و بين أن تكون في أوسعها الا ان تكون تبغض الدنيا فانك اذا أبغضت الدنيا اقبلت على حب الآخرة و بقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا و بقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن أخي ان ذلك في كتاب الله تعالى المنزل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته اللهم اجعلنا من محبي المحبين لك يارب العالمين فانه لا يصلح لحبك الا من ارتضيته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له ﴾

اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان أحدهما استئصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب

الطويلة كالقصيرة كما يقال سنة الوصل سنة وسنة الهجر سنة فيقصر الليل لاهل الروح (نقل) عن علي ابن بكار أنه قال منذ أربعين سنة ما أحزنني الا طلوع الفجر وقيل لبعضهم كيف أنت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تاملته وقال ابو سليمان الداراني أهل الليل في ليلهم اشد لذة من اهل اللهو في لهوهم وقال بعضهم ليس في الدنيا شيء يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة فحلاوة المناجاة ثواب عاجل لاهل الليل (وقال) بعض

الثانى دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التى بها يتكبر الانسان على غيره (المقام الاول) فى استئصال اصله وعلاجه
علمى وعملى ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما اما العلمى فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك فى ازالة
الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة
والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا تليق العظمة والكبرياء الا بالله اما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول
وهو منتهى علم المكاشفة واما معرفته نفسه فهو ايضا يطول ولكنا نذكر من ذلك ما ينفع فى اثارة التواضع والمذلة
ويكفيه أن يعرف معنى آية واحدة فى كتاب الله فان فى القرآن علم الاولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى
قتل الانسان ما اكفره من اى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره فقد
اشارت الآية الى اول خلق الانسان والى آخر امره والى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الاية اما اول
الانسان فهو انه لم يكن شيا مذكورا وقد كان فى حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه اول واى شئ اخس واقل من
المحو والعدم وقد كان كذلك فى القدم ثم خلقه الله من اذل الاشياء ثم من اقذرها اذ قد خلقه من تراب ثم من نطفة ثم
من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيأ مذكورا فما صار شيأ
مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق فى ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر
ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه
وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وبكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته
فهذا معنى قوله من اى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا
مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه كذلك خلقه اولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره وهذا
اشارة الى ما تيسر له فى مدة حياته الى الموت وكذلك قال من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل
اما شاكرا واما كفورا ومعناه انه احياه بعد ان كان جمادا ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا واسمعه بعدما كان اصم وبصره
بعدما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من العجائب والايات بعد الفقد
لها واغناه بعد الفقر واشبعه بعد الجوع وكساه بعد العرى وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل
كيف يسره والى طغيان الانسان ما اكفره والى جهل الانسان كيف اظهره فقال اولم ير الانسان انا خلقناه من
نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله عليه كيف
نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد الموت وناطقا
بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وعالما بعد الجهل ومهديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد
الفقر فكان فى ذاته لاشئ واى شئ اخس من لاشئ واى قلة اقل من العدم المحض ثم صار بالله شيأ وانما خلقه من
التراب الذليل الذى يوطأ بالاقدام والنطفة القذرة بعد العدم المحض أيضا ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه
وانما اكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به جل وعلا ولذلك امتن
عليه فقال الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين وعرف خسته اولا فقال الم يك نطفة من منى يمنى
ثم كان علقة ثم ذكر منته عليه فقال فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل
كما حصل وجوده اولا بالاختراع فمن كان هذا بدأه وهذه احواله فمن اين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو
على التحقيق اخس الاخساء واضعف الضعفاء ولكن هذه عادة الخسيس اذا رفع من خسته شمخ بانفه وتعظم
وذلك لدلالة خسة اوله ولا حول ولا قوة الا بالله نعم لو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى
وينسى المبدأ والمنتهى ولكنه سلط عليه فى دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والافات المختلفة
والطباع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من اجزائه البعض شاء ام ابى رضى ام سخط فيجوع
كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشئ

العارفين ان الله تعالى يطلع على قلوب المستيقظين فى الاسحار فيملؤها نورا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم الفوائد الى قلوب الغافلين وقد ورد ان الله تعالى اوحى فى بعض ما اوحى الى بعض انبيائه ان لى عبادا يحبونى وأحبهم ويشتاقون الى واشتاق اليهم ويذكرونى واذكرهم وينظرون الى وانظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عن ذلك مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى

فيجهله و يريد ان يذكر الشيء فينساه و يريد ان ينسى الشيء و يغفل عنه فلا يغفل عنه و يريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول فى اودية الوساوس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه ولا نفسه نفسه و يشتهى الشيء ور بما يكون هلاكه فيه و يكره الشيء ور بما تكون حياته فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه وترديه و يستبشع الادوية وهى تنفعه وتحييه ولا يامن فى لحظة من ليله او نهاره ان يسلب سمعه و بصره وتفلج اعضاؤه و يختلس عقله و يختطف روحه و يسلب جميع ما يهواه فى دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقى وان اختطف فنى عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا شيء من غيره فاي شيء اذل منه لو عرف نفسه وانى يليق الكبر به لولا جهله فهذا اوسط احواله فليتامله واما آخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه و بصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان اول مرة لا يبقى الاشكل اعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع فى التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان فى الاول نطفة مذرة ثم تبلى اعضاؤه وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه و يصير رميما رفاتا و ياكل الدود اجزاءه فيبتدئ بحدقتيه فيقلعهما و بخديه فيقطعهما و بسائر اجزائه فيصير روثا فى اجواف الديدان و يكون جيفة يهرب منه الحيوان و يستقذره كل انسان و يهرب منه لشدة الانتان واحسن احواله ان يعود الى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان و يعمر منه البنيان فيصير مفقودا بعدما كان موجودا وصار كان لم يغن بالامس حصيدا كما كان فى اول امره امدا مديدا وليته بقى كذلك فما احسنه لو ترك ترابا لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسى شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة و يخرج الى اهوال القيامة فينظر الى قيامة قائمة وسماء مشققة ممزقة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجهنم تزفر وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسر و يرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك فى حياتك التى كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما كنت تنطق به او تعمله من قليل و كثير ونقير وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك واحصاه الله عليك فهلم الى الحساب واستعد للجواب او تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل ان تنتشر الصحيفة و يشاهد ما فيها من مخاز به فاذا شاهد قالوا يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهذا آخر امره وهو معنى قوله تعالى ثم اذا شاء انشره فما لمن هذا حاله والتكبر والتعظم بل ماله وللفرح فى لحظة واحدة فضلا عن البطر والاشر فقد ظهر له اول حاله ووسطه ولو ظهر اخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار ان يكون كلبا او خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا او يلقى عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير اشرف منه واطيب وارفع اذ اوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو رأى اهل الدنيا العبد المذنب فى النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذى يسقى منه فى بحار الدنيا لصارت انتن من الجيفة فمن هذا حاله فى العاقبة الا ان يعفو الله عنه وهو على شك من العفو كيف يفرح و يبطر وكيف يتكبر و يتجبر وكيف يرى نفسه شيأ حتى يعتقد له فضلا واى عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا ان يعفو الله الكريم بفضله و يجبر الكسر بمنه والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به ولا قوة الا بالله ارأيت من جنى على بعض الملوك فاستحق بجنايته ضرب الف سوط فحبس فى السجن وهو ينتظر ان يخرج الى العرض وتقام عليه العقوبة على ملا من الخلق وليس يدرى ايعفى عنه ام لا كيف يكون ذله فى السجن افترى انه يتكبر على من فى السجن وما من عبد مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدرى كيف يكون اخر امره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمى القامع لاصل الكبر واما العلاج العملى فهو التواضع لله بالفعل ولسائر الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفنا وحكيناه من احوال الصالحين ومن احوال رسول الله

أوكارها فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لى اقدامهم وافترشوا لى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا الى بانعامى فبين صارخ و باك و بين متاوه وشاك بعينى ما يتحملون من اجلى و بسمعى ما يشتكون من حبى اول ما أعطيهم ان اقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما اخبر عنهم والثانى لو كانت السموات السبع والارضون وما فيهما فى موازينهم لاستقللتها لهم والثالث اقبل بوجهى عليهم أفترى من اقبلت بوجهى عليه ايعلم احد ما اريد ان اعطيه

صلى الله عليه وسلم (١) حتى أنه كان يأكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال انما انا عبد فاذا أعتقت يوما لبست جديدا أشار به الى العتق فى الآخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالايمان وبالصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفى الصلاة اسرار لاجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحنى لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لاصلاحه حتى (٢) قال حكيم بن حزام بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا اخر الا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه وسلم عليه ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة أمروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع فى قلوبهم وبه امر سائر الخلق فان الركوع والسجود والمثول قائما هو العمل الذى يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفاء العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذى بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت ﴿المقام الثانى﴾ فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا فى كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقى هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمى فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل فى جميع الاسباب السبعة * الاول النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل

لئن فخرت بآباء ذوى شرف * لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا فى صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذى ينسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لى ومن انت وانما انت دودة خلقت من بولى افترى ان الدودة التى خلقت من بول انسان اشرف من الدودة التى من بول فرس هيهات بل هما متساويان والشرف للانسان لا للدودة * الثانى ان يعرف نسبه الحقيقى فيعرف اباه وجده فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذى احسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله التراب المهين الذى يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر واخس الاشياء ما اليه انتسابه اذ يقال يا اذل من التراب ويا انتن من الحماة ويا اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب فنقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب اليه من الاب فليحقر نفسه بذلك ثم ان كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى من التراب فمن اين رفعته واذا لم يكن له رفعة فمن اين جاءت الرفعة لولده فاذا اصله من التراب وفصله من النطفة فلا اصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب فالاصل يوطأ بالاقدام والفصل تغسل منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقى للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند نفسه من بنى هاشم وقد اخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك اذ اخبره عدول لا يشك فى قولهم انه ابن هندى حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك فى صدقهم افترى ان ذلك يبقى شيأ من كبره لا بل يصير عند نفسه احقر الناس واذلهم فهو من استشعار الخزى لخسته فى شغل عن ان يتكبر على غيره فهذا حال البصير اذا تفكر فى اصله وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب او يتعاطى الدم بالحجامة او غيرها لكان يعلم

فالصادق المريد اذا خلا فى ليله بمناجاة ربه انتشرت أنوار ليله على جميع أجزاء نهاره ويصير نهاره فى حماية ليله وذلك لامتلاء قلبه بالانوار فتكون حركاته وتصاريفه بالنهار تصدر من منبع الانوار المجتمعة من الليل ويصير قالبه فى قبة من قباب الحق مسددا حركاته موفرة سكناته * وقد ورد من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار ويجوز أن يكون لمعنيين احدهما ان المشكاة تستنير بالمصباح فاذا صار سراج اليقين فى القلب يزهر بكثرة زيت العمل بالليل فيزداد المصباح اشراقا وتكتسب

(١) حديث كان يأكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد تقدم فى آداب المعيشة (٢) حديث حكيم بن حزام بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا اخر الا قائما الحديث رواه احمد مقتصرا على هذا وفيه ارسال خفى

بهخسة نفسه لمماسة اعضاء أبيه للتراب والدم فكيف اذا عرف انه فى نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة
التى يتنزه عنها هو فى نفسه * السبب الثانى التكبر بالجمال ودواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى
الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه رأى من القبائح مايكدر عليه تعززه بالجمال فانه وكل به الاقذار فى جميع
أجزائه الرجيع فى امعائه والبول فى مثانته والمخاط فى انفه والبزاق فى فيه والوسخ فى اذنيه والدم فى عروقه والصديد
تحت بشرته والصنان تحت ابطه يغسل الغائط بيده كل يوم دفعة اودفعتين و يتردد كل يوم الى الخلاء مرة او مرتين
ليخرج من باطنه مالو رآه بعينه لاستقذره فضلا عن ان يمسه أو يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا فى حال
توسطه وفى اول امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض واخرج من مجرى الاقذار اذ خرج
من الصلب ثم من الذكر مجرى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر قال انس رحمه الله
كان ابو بكر الصديق رضى الله عنه يخطبنا فيقذر الينا انفسنا و يقول خرج احدكم من مجرى البول مرتين
وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ماهذه مشية من فى بطنه خرء اذ رآه يتبختر وكان ذلك قبل خلافته
وهذا اوله ووسطه ولو ترك نفسه فى حياته يوما لم يتعهدها بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وصار انتن
واقذر من الدواب المهملة التى لاتتعهد نفسها قط فاذا نظر انه خلق من اقذار واسكن فى اقذار وسيموت فيصير
جيفة اقذر من سائر الاقذار لم يفتخر بجماله الذى هو كخضراء الدمن وكلون الازهار فى البوادى فبينما هو
كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان يجب ان لا يتكبر به على
القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جمال الجميل اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو فى كل
حين يتصور ان يزول بمرض اوجدرى اوقرحة اوسبب من الاسباب فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه
الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن اكثر تأملها * السبب الثالث التكبر بالقوة
والايدى ويمنعه من ذلك ان يعلم ماسلط عليه من العلل والامراض وأنه لو توجع عرق واحد فى يده لصار اعجز
من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيأ لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت فى انفه اونملة دخلت
فى اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت فى رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته مالا ينجبر فى مدة فمن لا يطيق
شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغى أن يفتخر بقوته ثم ان قوى الانسان فلا يكون
اقوى من حمار او بقرة أو فيل اوجمل واى افتخار فى صفة يسبقك فيها البهائم * السبب الرابع والخامس الغنى
وكثرة المال وفى معناه كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم وكل ذلك تكبر
بمعنى خارج عن ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح انواع الكبر فان المتكبر بماله كانه متكبر
بفرسه وداره ولومات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة فى نفسه بنى
أمره على قلب هو اشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج عن ذاته فهو ظاهر
الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تامل لرأى فى اليهود من يزيد عليه فى الغنى والثروة والتجمل فاف لشرف يسبقك
به اليهودى واف لشرف يأخذه السارق فى لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه أسباب ليست فى ذاته
وماهو فى ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو فى الآخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ماليس اليك
فليس لك وشىء من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان ابقاه بقى لك وان استرجعه زال عنك وما انت الا عبد
مملوك لا تقدر على شىء ومن عرف ذلك لابد وان يزول كبره ومثاله ان يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته
واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان
وان ابويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه فاخذه واخذ جميع مافى يده وهو مع ذلك يخشى
ان يعاقبه و ينكل به لتفريطه فى امواله وتقصيره فى مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فرأى نفسه
محبوسا فى منزل قد احدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو فى كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد

وكماله

مشكاة القالب
نورا وضياء كان
يقول سهل بن
عبد الله اليقين
نار والاقرار فتيلة
والعمل زيت
وقد قال الله تعالى
سيماهم فى
وجوههم من
أثر السجود وقال
تعالى مثل نوره
كمشكاة فيها
مصباح فنور
اليقين من نور
الله فى زجاجة
القلب يزداد ضياء
بزيت العمل
فتبقى زجاجة
القلب كالكوكب
الدرى وتنعكس
أنوار الزجاجة على
مشكاة القالب
وايضا يلين القلب
بنار النور ويسرى
لينه الى القالب
فيلين القالب للين
القلب فيتشابهان
لوجود اللين
الذى عمهما قال
الله تعالى ثم تلين
جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله وصف
الجلود باللين كما

بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا فى الخلاص البتة أفترى من هذا حاله هل يفخر بقدرته وثروته وقوته وكماله أم تذل نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يري نفسه كذلك فلا يملك رقبته وبدنه وأعضاءه وماله وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وأمراض وأسقام هى كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقوته وقدرته اذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج التكبر بالاسباب الخارجة وهو أهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان فى النفس جديران بان يفرح بهما ولكن التكبر بهما أيضا نوع من الجهل خفى كما سنذكره * السبب السادس الكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وأغلب الادواء وأبعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما أصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال كعب الاحبار ان للعلم طغيانا كطغيان المال وكذلك قال عمر رضى الله عنه العالم اذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة مانطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة أمرين احدهما ان يعلم ان حجة الله على أهل العلم آكد وانه يحتمل من الجاهل مالا يحتمل عشره من العالم فان من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته أفحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه فى العلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به اهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال عز وجل مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا اراد به علماء اليهود وقال فى بلعم بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى بلغ فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث قال ابن عباس رضى الله عنهما اوتى بلعم كتابا فاخلد الى شهوات الارض اي سكن حبه اليها فمثله بالكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث سواء آتيته الحكمة اولم اوته لا يدع شهوته ويكفى العالم هذا الخطر فاى عالم لم يتبع شهوته واى عالم لم يامر بالخير الذى لا ياتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر فى الخطر العظيم الذى هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه فى ملكه لكثرة اعدائه فانه اذا اخذ وقهر اشتهى ان يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهى فى الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع من التكبر فانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغى ان يكون العالم عند نفسه اكبر من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول ياليتنى لم تلدنى امى ويأخذ الآخر تبنة من الارض ويقول ياليتنى كنت هذه التبنة ويقول الآخر ليتنى كنت طيرا او كل ويقول الآخر ليتنى لم اك شيئا مذكورا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون انفسهم اسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما أطال فكره فى الخطر الذى هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كانه شر الخلق ومثاله مثال عبد أمره سيده بامور فشرع فيها فترك بعضها وأدخل النقصان فى بعضها وشك فى بعضها أنه هل اداها على ما يرتضيه سيده ام لا فاخبره مخبر ان سيده ارسل اليه رسولا يخرجه من كل ماهو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه فى الحر والشمس زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به المجهود امر برفع حسابه وفتش عن جميع اعماله قليلها وكثيرها ثم امر به الى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم ولا يدرى من اى الفريقين يكون فاذا تفكر فى ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق بل تواضع رجاء ان يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من اوامر ربه بجنايات على جوارحه

وصف القلوب باللين فاذا امتلا القلب بالنور ولان القالب بما يسرى فيه من الانس والسرور يندرج الزمان والمكان فى نور القلب ويندرج فيه الكلم والآيات والسور وتشرق بالارض أرض القالب بنور ربها اذ يصير القلب سماء والقالب ارضا ولذة تلاوة كلام الله فى محل المناجاة تستركون الكائنات والكلام المجيد بكونه ينوب عن سائر الوجود فى مزاحمة صفو الشهود فلا يبقى حينئذ للنفس حديث ولا يسمع للهاجس حسيس وفى مثل هذه الحالة يتصور تلاوة القرآن من فاتحته الى خاتمته من غير وسوسة

(١) حديث يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقتابه الحديث متفق عليه من حديث اسامة بن زيد بلفظ يؤتى بالرجل وتقدم فى العلم

و بذنوب فى باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم مما هو بصدد من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة * الامر الثانى أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده وأنه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد أحب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندى قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندى فلا بد وان يكاف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن انه لا ذنب له مثلا أو تصور ذلك و بهذا زال التكبر عن الانبياء عليهم السلام اذ علموا أن من نازع الله تعالى فى رداء الكبرياء قصمه وقد أمرهم الله بان يصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا أيضا مما يبعثه على التواضع لا محالة فان قلت فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يغنيه ان يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع أكثر فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر فى خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان و يضل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله فى الآخرة والكلب والخنزير أعلى رتبة ممن هو عند الله من أهل النار وهو لا يدرى ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضى الله عنه قبل اسلامه فاستحقره وازداده لكفره وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع المسلمين الا أبا بكر وحده فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة وجميع الفضائل فى الدنيا تراد للعاقبة فاذا من حق العبد ان لا يتكبر على أحد بل ان نظر الى جاهل قال هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فهو أعذر منى وان نظر الى عالم قال هذا قد علم ما لم أعلم فكيف أكون مثله وان نظر الى كبير هو أكبر منه سنا قال هذا قد أطاع الله قبلى فكيف أكون مثله وان نظر الى صغير قال انى عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وان نظر الى مبتدع أو كافر قال ما يدرينى لعله يختم له بالاسلام ويختم لى بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية الى كما لم يكن ابتداؤها الى فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفى الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم ان الكمال فى سعادة الآخرة والقرب من الله لا فيما يظهر فى الدنيا مما لا بقاء له ولعمرى هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد ان يكون مصروف الهمة الى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه فاذا حبس جماعة فى جناية ووعدوا بان تضرب رقابهم لم يتفرغوا لتكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد هم نفسه عن الالتفات الى هم غيره حتى كان كل واحد هو وحده فى مصيبته وخطره فان قلت فكيف أبغض المبتدع فى الله وأبغض الفاسق وقد أمرت يبغضهما ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا أمر مشتبه يلتبس على أكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله فى انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا رأى فاسقا جلس بجنبه أزعجه من عنده وتنزه عنه بكبر باطن فى نفسه وهو ظان انه قد غضب لله كما وقع لعابد بنى اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب وأحدهما يثمر الآخر و يوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذى يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع او الفاسق اوعند امرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة امور احدها التفاتك الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك فى عينك والثانى أن تكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه فان قلت فكيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول تغضب لمولاك وسيدك اذ امرك ان تغضب له لا لنفسك وانت فى غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من

وحديث نفس وذلك هو الفضل العظيم * الوجه الثانى لقوله عليه السلام من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار معناه ان وجوه اموره التى يتوجه اليها تحسن وتتداركه المعونة من الله الكريم فى تصاريفه و يكون مبانا فى مصدره ومورده فيحسن وجه مقاصده وافعاله وينتظم فى سلك السداد مسددا اقواله لان الاقوال تستقيم باستقامة القلب

(الباب السادس والاربعون فى ذكر الاسباب المعينة على قيام الليل وادب النوم)

فمن ذلك ان العبد يستقبل الليل عند غروب

خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة وأعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره فاقول اذا كان للملك غلام، ولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وأمره ان يضربه مهما أساء ادبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام محبا مطيعا لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضب مهما رأى ولده قد أساء الادب وانما يغضب عليه لمولاه ولانه أمره به ولانه يريد التقرب بامتثال أمره اليه ولانه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد أعز لا محالة من الغلام فاذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدرهما في الآخرة عند الله أعظم لما سبق لهما من الحسنى في الازل ولما سبق لك من سوء القضاء في الازل وانت غافل عنه ومع ذلك فتغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز ان يكون عنده أقرب منك في الاخرة فهكذا يكون بعض العلماء الاكياس فينضم اليه الخوف والتواضع وأما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله او اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر ❊السبب السابع❊ التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله ان يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو أن يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم[1] فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل العلم فان قال العابد ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما عرفت ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم فكذلك يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما يشهد لذلك واذا كان هذا الامر غائبا عنه لم يجز له ان يحتقر عالما بل يجب عليه التواضع له فان قلت فان صح هذا فينبغي ان يكون للعالم ان يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من أصحابي فاعلم ان ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الامر مشكوك فيها فيحتمل ان يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذا كان كل واحد من العابد والعالم خائفا على نفسه وقد كلف أمر نفسه لا امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم فاما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا يتكبر على المستور فلعله اقل منه ذنوبا واكثر منه عبادة وأشد منه حبا لله واما المكشوف حاله ان لم يظهر لك من الذنوب الاما تزيد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي ان تتكبر عليه ولا يمكن ان تقول هو اكثر مني ذنبا لان عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على احصائها حتى تعلم الكثرة نعم يمكن ان تعلم ان ذنوبه اشد كما لو رأيت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي ان تتكبر عليه اذ ذنوب القلوب الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتخيل الخطا في ذلك كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب لله واخلاص وخوف وتعظيم ما انت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فينكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغي ان يكون قريبا عندك ان كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف في حقك فانه لا تزر وازرة وزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيأ من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الترمذي من حديث أبي امامة وتقدم في العلم

الشمس بتجديد الوضوء ويقعد مستقبل القبلة منتظرا مجيء الليل وصلاة المغرب مقيما في ذلك على انواع الاذكار ومن أولاها التسبيح والاستغفار قال الله تعالى لنبيه واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ومن ذلك أن يواصل بين العشاءين بالصلاة أو بالتلاوة أو بالذكر وافضل ذلك الصلاة فانه اذا واصل بين العشاءين يغسل عن باطنه آثار الكدورة الحادثة في أوقات النهار من رؤية الخلق ومخالطتهم وسماع كلامهم فان ذلك كله له أثر وخدش في القلوب حتى النظر اليهم يعقب كدرا في القلب

نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشر فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده و بها علا ذكره ان يرى الناس كلهم خيرا منه و انما الناس عنده فرقتان فرقة هي أفضل منه وأرفع وفرقة هي شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان رأى من هو خير منه سره ذلك وتمنى ان يلحق به وان رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك أنا فلا تراه الا خائفا من العاقبة و يقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدرى لعل فيه خلقا كريما بينه و بين الله فيرحمه الله و يتوب عليه و يختم له باحسن الاعمال و برى ظاهر فذلك شر لى فلا يأمن فيما اظهره من الطاعة ان يكون دخلها لآفات فاحبطتها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد أهل زمانه فهذا كلامه و بالجملة فمن جوز أن يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء فى الازل بشقوته فماله سبيل الى أن يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روى ان عابدا أوى الى جبل فقيل له فى النوم ائت فلان الاسكاف فسله ان يدعو لك فاتاه فسأله عن عمله فاخبره انه يصوم النهار و يكتسب فيتصدق ببعضه و يطعم عياله ببعضه فرجع وهو يقول ان هذا الحسن ولكن ليس هذا كالتفرغ لطاعة الله فاتى فى النوم ثانيا فقيل له ائت فلانا الاسكاف فقل له ماهذا الصفار الذى بوجهك فاتاه فسأله فقال له ما رأيت احدا من الناس الا وقع لى أنه سينجو وأهلك انا فقال العابد بهذه والذى يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون اى انهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال تعالى انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين وقد وصف الله تعالى الملائكة عليهم السلام مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدؤب بالاشفاق فقال تعالى مخبرا عنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم من خشيته مشفقون فمتى زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء فى الازل و ينكشف عند خاتمة الاجل غلب الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذن ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار أكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير الا أن النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهى كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت وعدها فمن هذا لا ينبغى ان يكتفى فى المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغى ان تكمل بالعمل وتجرب بافعال المتواضعين فى مواقع هيجان الكبر من النفس و بيانه أن يمتحن النفس بخمس امتحانات هى أدلة على استخراج ما فى الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة * الامتحان الاول ان يناظر فى مسألة مع واحد من اقرانه فان ظهر شئ من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه و يشتغل بعلاجه أما من حيث العلم فبان يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى وأما العمل فبان يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق وأن يطلق اللسان بالحمد والثناء و يقر على نفسه بالعجز و يشكره على الاستفادة و يقول ما أحسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتنى له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغى ان يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية وصار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه فى الخلوة و يثقل عليه فى الملا فليس فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس و يذكر القلب بان منفعته فى كماله فى ذاته وعند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الرياء وان ثقل عليه فى الخلوة والملا جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثانى فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان * الامتحان الثانى ان يجتمع مع الاقران والامثال فى المحافل و يقدمهم على نفسه و يمشى خلفهم و يجلس فى الصدور تحتهم فان ثقل عليه ذلك فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهو ان يجلس

يدركه من يرزق صفاء القلب فيكون أثر النظر الى الخلق للبصيرة كالقذى فى العين للبصر و بالمواصلة بين العشاءين يرجى ذهاب ذلك الاثر ومن ذلك ترك الحديث بعد العشاء الآخرة فان الحديث فى ذلك الوقت يذهب طراوة النور الحادث فى القلب من مواصلة العشاءين و يقيد عن قيام الليل سيما اذا كان عريا عن يقظة القلب ثم تجديد الوضوء بعد العشاء الآخرة ايضا معين على قيام الليل * حكى لى بعض الفقراء عن شيخ له بخراسان انه كان يغتسل فى الليل ثلاث مرات مرة بعد العشاء

فى صف النعال أو يجعل بينه و بين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين الكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع أيضاً بل ينبغى ان يقدم أقرانه و يجلس بينهم بجنبهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذى يخرج خبث الكبر من الباطن * الامتحان الثالث ان يجيب دعوة الفقير و يمر الى السوق فى حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث فى الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ماذكرناه من المعارف التى تزيل داء الكبر * الامتحان الرابع ان يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورفقائه من السوق الى البيت فان أبت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء فان كان يثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وان كان لا يثقل عليه الا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من امراض القلب وعلله المهلكة له ان لم تتدارك وقد أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع أن الاجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال تعالى الا من أتى الله بقلب سليم و روى عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان فى غلمانك و بنيك ما يكفيك قال أجل ولكن أردت ان اجرب نفسى هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها أهى صادقة أم كاذبة وفى الخبر[1] من حمل الفاكهة أو الشىء فقد برئ من الكبر * الامتحان الخامس ان يلبس ثيابا بذلة فان نفور النفس عن ذلك فى الملا رياء وفى الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه له مسح يلبسه بالليل وقد قال صلى الله عليه وسلم[2] من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال عليه السلام[3] انما أنا عبد آكل بالارض وألبس الصوف واعقل البعير وألعق اصابعى وأجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتى فليس منى وروى أن أبا موسى الاشعرى قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملا فهو الرياء وما يكون فى الخلوة فهو الكبر فاعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه

﴿ بيان غاية الرياضة فى خلق التواضع ﴾

اعلم أن هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذى يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذى يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود أن يتواضع فى غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفى الامور ذميم واحب الامور الى الله تعالى أوساطها فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتاخر عنهم فهو متواضع اى وضع شيئا من قدره الذى يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتنحى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وغدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو أن يعطى كل ذى حق حقه فينبغى ان يتواضع بمثل هذا لاقرانه ومن يقرب من درجته فاما تواضعه للسوقى فبالقيام والبشر فى الكلام والرفق فى السؤال واجابة دعوته والسعى فى حاجته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة أمره فاذا سبيله فى اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود فى محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى

(١) حديث من حمل الشىء والفاكهة فقد برئ من الكبر البيهقى فى الشعب من حديث أبى أمامة وضعفه بلفظ من حمل بضاعته (٢) حديث من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بزيادة فيه وفى اسناده القاسم اليعمرى ضعيف جدا (٣) حديث انما انا عبد آكل بالارض وألبس الصوف الحديث تقدم بعضه ولم اجد بقيته

الآخرة ومرة فى اثناء الليل بعد الانتباه من النوم ومرة قبل الصبح فللوضوء والغسل بعد العشاء الآخرة أثر ظاهر فى تيسير قيام الليل ومن ذلك التعود على الذكر أو القيام بالصلاة حتى يغلب النوم فان التعود على ذلك يعين على سرعة الانتباه الا أن يكون واثقا من نفسه وعادته فيتعمل للنوم و يستجلبه ليقوم فى وقته المعهود والا فالنوم عن الغلبة هو الذى يصلح للمريدين والطالبين وبهذا وصف المحبون قيل نومهم نوم الغرقى وأكلهم أكل المرضى وكلامهم ضرورة فمن نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق

أحب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن أن يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذى هو الصراط المستقيم وذلك غامض فى هذا الخلق وفى سائر الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق أهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما أن الميل الى طرف التبذير فى المال أحمد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان واحدهما أفحش وكذلك نهاية التكبر ونهاية التنقص والتذلل مذمومان واحدهما أقبح من الآخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع

﴿ الشطر الثانى من الكتاب ﴾ فى العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته و بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما و بيان علاج العجب على الجملة و بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

﴿ بيان ذم العجب وآفاته ﴾

اعلم أن العجب مذموم فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى و يوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ذكر ذلك فى معرض الانكار وقال عز وجل وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار فى اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وهذا أيضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه وقال صلى الله عليه وسلم (١) ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لابى ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الامة فقال (٢) اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك وقال ابن مسعود الهلاك فى اثنتين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعى والطلب والجد والتشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة فى اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة فى اعتقاد القانط فمن ههنا جمع بينهما وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن أسلم لا تبروها اى لا تعتقدوا أنها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه فكأنه اعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك عمر فيه فقال مازال يعرف فى طلحة نأو منذ أصيبت أصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والنأو هو العجب فى اللغة الا أنه لم ينقل فيه انه أظهره واحتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس أين أنت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب امثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم يأخذوا حذرهم وقال مطرف لان أبيت نائما واصبح نادما أحب الى من ان ابيت قائما واصبح معجبا وقال صلى الله عليه وسلم (٤) لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ماهوا كبر من ذلك العجب العجب فجعل العجب اكبر الذنوب وكان بشر بن منصور من الذين اذا رؤا ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته على العبادة فاطال الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف عن الصلاة قال له لا يعجبنك ما رأيت منى فان ابليس لعنه الله قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل لعائشة رضى الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقد قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى

---

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث ابى ثعلبة اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ابو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث وقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وأكب عليه حتى اصيبت كفه البخاري من رواية قيس بن ابى حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم (٤) حديث لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب البزار وابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث أنس وفيه سلام بن ابى الصهباء قال البخارى منكر الحديث وقال احمد حسن الحديث ورواه ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس

بقيام الليل يوفق لقيام الليل وانما النفس اذا أطعمت ووطنت على النوم استرسلت فيه واذا ازعجت بصدق العزيمة لا تسترسل فى الاستقرار وهذا الانزعاج فى النفس بصدق العزيمة هو التجافى الذى قال الله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع لان الهم بقيام الليل وصدق العزيمة يجعل بين الجنب والمضجع نبوا وتجافيا وقد قيل للنفس نظر ان نظر الى تحت لاستيفاء الاقسام البدنية ونظر الى فوق لاستيفاء الاقسام العلوية الروحانية فارباب العزيمة تجافت جنوبهم عن المضاجع لنظرهم الى فوق الى

والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان العجب مذموم جدا

﴿ بيان آفة العجب ﴾

اعلم ان افات العجب كثيرة فان العجب يدعوا الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الافات الكثيرة التى لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله تعالى فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها ومايتذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه فلا يجتهد فى تداركه وتلافيه بل يظن انه يغفرله واما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمى عن افاتها ومن لم يتفقد افات الاعمال كان اكثر سعيه ضائعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله منة وحقا باعماله التى هى نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثنى على نفسه ويحمدها ويزكيها وان اعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب بالرأى الخطأ الذى خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطئه فان كان رأيه فى امر دنيوى فيحقق فيه وان كان فى امر دينى لاسيما فيما يتعلق باصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القران واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من افات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم افاته ان يفتر فى السعى لظنه انه قد فاز وانه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذى لا شبهة فيه نسال الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته

﴿ بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما ﴾

اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه فى علم وعمل ومال وغيره حالتان احداهما ان يكون خائفا على زواله ومشفقا على تكدره اوسلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هى العجب وهى ان يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله تعالى بانه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فاذا العجب هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة فى الدنيا واستبعد ان يجرى عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده مايجرى على الفساق سمى هذا ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطى غيره شيأ فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات او استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة فى قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اى لا تدل بعملك وفى الخبر (١) ان صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه ولان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكى وانت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله لانه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب

(١) حديث ان صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه الحديث لم اجد له اصلا من حديث ابى سعيد بسند ضعيف جدا

الاقسام العلوية الرحمانية فاعطوا النفوس حقها من النوم ومنعوها حظها فالنفس بما فيها مركوز من الترابية والجمادية ترسب وتستحلس وتستلذ النوم قال الله تعالى هو الذى خلقكم من تراب وللآدمى بكل اصل من اصول خلقته طبيعة لازمة له والرسوب صفة التراب والكسل والتقاعد والتناوم بسبب ذلك طبيعة فى الانسان فارباب الهمة أهل العلم الذين حكم الله تعالى لهم بالعلم فى قوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما حتى قال قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون

والادلال وهو من مقدمات الكبر واسبابه والله تعالى اعلم

﴿ بيان علاج العجب على الجملة ﴾

اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب ومالا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذى به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه فهو محله ومجراه اومن حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجرى فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لامدخل له فى الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث انه هو منه واليه وباختياره حصل وبقدرته تم فينبغى ان يتامل فى قدرته وارادته واعضائه وسائر الاسباب التى بها يتم عمله انها من اين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلى بها فينبغى ان يكون اعجابه بجود الله وكرمه وفضله اذ افاض عليه مالا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فمهما برز الملك لغلمانه ونظر اليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغى ان يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره من غير استحقاق واعجابه بنفسه من اين وماسببه ولا ينبغى ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد فيقول الملك حكم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا لسبب فلولا انه تفطن فى صفة من الصفات المحمودة الباطنة لما اقتضى الايثار بالخلعة ولما آثرنى بها فيقال وتلك الصفة ايضا هى من خلعة الملك وعطيته التى خصصك بها من غيرك من غير وسيلة اوهى عطية غيره فان كانت من عطية الملك ايضا لم يكن لك ان تعجب بها بل كان كما لو اعطاك فرسا فلم تعجب به فاعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما أعطانى غلاما لانى صاحب فرس فاما غيرى فلا فرس له فيقال وهو الذى اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك الفرس والغلام معا أو يعطيك احدهما بعد الآخر فاذا كان الكل منه فينبغى ان يعجبك جوده وفضله لا نفسك وأما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد أن تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور فى حق الملوك ولا يتصور فى حق الجبار القاهر ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بايجاد الموصوف والصفة فانك ان أعجبت بعبادتك وقلت وفقنى للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب فى قلبك فستقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ أنعم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب اعمالك فاذا لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغنى بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده والمحل ايضا من فضله وجوده فان قلت لا يمكننى ان اجهل اعمالى وانى انا عملتها فانى انتظر عليها ثوابا ولولا انها عملى لما انتظرت ثوابا فان كانت الاعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن اين لى الثواب وان كانت الاعمال منى وبقدرتى فكيف لا أعجب بها فاعلم ان جوابك من وجهين أحدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة اما صريح الحق فهو انك وقدرتك وارادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذى انكشف لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من ابصار العين بل خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو اردت ان تنفى شيأ من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات فى اعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه فى الاختراع الا انه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة مالم يخلق فى العضو قوة وفى القلب ارادة ولم يخلق ارادة مالم يخلق علما بالمراد ولم يخلق علما مالم يخلق القلب الذى هو محل العلم فتدريجه فى الخلق شيأ بعد شئ هو الذى خيل لك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل

حكم لهؤلاء الذين قاموا بالليل بالعلم فهم لموضع علمهم ازعجوا النفوس عن مقار طبيعتها ورقوها بالنظر الى اللذات الروحانية الى ذرا حقيقتها فتجافت جنوبهم عن المضاجع وخرجوا من صفة الغافل الهاجع (ومن ذلك) ان يغير العادة فان كان ذا وسادة يترك الوسادة وان كان ذا وطاء يترك الوطاء وقد كان بعضهم يقول لان ارى فى بيتى شيطانا احب الى من ان ارى وسادة فانها تدعونى الى النوم ولتغيير العادة فى الوسادة والغطاء والوطاء تأثير فى ذلك ومن ترك شيا من ذلك والله عالم بنيته وعزيمته

هو من خلق الله سيأتى تقريره فى كتاب الشكر فانه أليق به فارجع اليه ونحن الآن نزيل اشكالك بالجواب الثانى الذى فيه مسامحة ما وهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك ولا يتصور العمل الا بوجودك ووجود عملك وارادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله ومهما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهى بيد الله لا محالة أرأيت لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة فى قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها ألف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار مما فيها ولو أعطاك المفتاح لاخذته من قريب بان تبسط يدك اليه فتأخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت يدك وأخذتها كان اعجابك باعطاء الخازن المفاتيح أو بما اليك من مد اليد واخذها فلا تشك فى انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة فى تحريك اليد باخذ المال قريبة وانما الشأن كله فى تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعى والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله ليس شئ منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه فى ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ سلط دواعى الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط أخدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصى بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وأبعد العاصى وأشقاه بعدله فما اعجب أعجابك بنفسه اذا عرفت ذلك فاذا لا تتصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها فكأنه الذى اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسيأتى فى كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب والمسببات ما تستبين به انه لا فاعل الا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب اذا رزقه الله عقلا وأفقره ممن أفاض عليه المال من غير علم فيقول كيف منعنى قوت يومى وانا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعيم الدنيا وهو الغافل الجاهل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدرى المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم أشبه فى ظاهر الحال اذ يقول الجاهل الفقير يارب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتنى منهما فهلا جمعتهما الى أوهلا رزقتنى احدهما والى هذا أشار على رضى الله عنه حيث قيل له مابال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغنى احسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا عن عقلك وفقرك لامتنع عنه فاذا ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم يتعجب من ذلك والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلى والجواهر على الدميمة القبيحة فتتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص مثل ذلك القبيح ولا تدرى المغرورة ان الجمال محسوب عليها من رزقها وانها لو خيرت بين الجمال وبين القبيح مع الغنى لآثرت الجمال فاذن نعمة الله عليها اكبر وقول الحكيم الفقير العاقل بقلبه يارب لم حرمتنى الدنيا واعطيتها الجهال كقول من اعطاه الملك فرسا فيقول أيها الملك لم لا تعطينى الغلام وانا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فهب انى ما اعطيتك فرسا أصارت نعمتى عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة أخرى فهذه اوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله واوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتدأه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفى العجب والادلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يارب ما تأتى ليلة الا وانسان من آل داود قائم ولا يأتى يوم الا وانسان من آل داود صائم

يثيبه على ذلك بتيسير ما رام (ومن ذلك) خفة المعدة من الطعام ثم تناول ما يأكل من الطعام اذا اقترن بذكر الله ويقظة الباطن أعان على قيام الليل لان بالذكر يذهب داؤه فان وجد للطعام ثقلا على المعدة ينبغى ان يعلم ان ثقله على القلب أكثر فلا ينام حتى يذيب الطعام بالذكر والتلاوة والاستغفار (قال) بعضهم لان أنقص من عشائى لقمة أحب الى من أن اقوم ليلة والاحوط ان يوتر قبل النوم فانه لا يدرى ماذا يحدث وبعد طهوره وسواكه عنده ولا يدخل النوم الا وهو

وفي رواية ماتمرساعة من ليل أونهار الا وعابد من آل داود يعبدك اما يصلي واما يصوم واما يذكرك فاوحى الله تعالى اليه ياداود ومن أين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الا بي ولولا عوني اياك ماقويت وسأكلك الى نفسك قال ابن عباس انما اصاب داود ما اصاب من الذنب بعجبه بعمله اذ أضافه الى آل داود مدلا به حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا اورثه الحزن والندم وقال داود يارب ان بني اسرائيل يسالونك بابراهيم واسحق ويعقوب فقال اني ابتليتهم فصبروا فقال يارب وأنا ان ابتليتني صبرت فادل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى فاني لم أخبرهم باي شيء أبتليهم ولا في اي شهر ولا في اي يوم وانا مخبرك في سنتك هذه وشهرك هذا أبتليك غدا بامرأة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا نغلب اليوم من قلة وكلوا الى انفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * وروى ابن عيينة ان أيوب عليه السلام قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وماورد على أمر الا آثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت يا أيوب أنى لك ذلك اي من أين لك ذلك قال فاخذ رمادا ووضعه على رأسه وقال منك يارب منك يارب فرجع من نسيانه الى اضافة ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ماز كامنكم من احد ابدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهم خير الناس (٢) مامنكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولقد كان اصحابه من بعده يتمنون ان يكونوا ترابا وتبنا وطيرا مع صفاء اعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لذي بصيرة ان يعجب بعمله او يدل به ولا يخاف على نفسه فاذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب اذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لايبالي ان يحرم من غير جناية ويعطي من غير وسيلة لايبالي ان يعود ويسترجع ماوهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لايبقى معه عجب بحال والله تعالى اعلم

﴿ بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه ﴾

اعلم ان العجب بالاسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لايتكبر به كعجبه بالرأي الخطا الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية اقسام * الاول ان يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة الزوال في كل حال وعلاجه ماذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في اقذار باطنه وفي اول امره وفي آخره وفي الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور حتى استقذرتها الطباع * الثاني البطش والقوة كما حكى عن قوم عاد حين قالوا فيما اخبر الله عنهم من اشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بنقر هدهد ضعيف المنقار حتى صارت في عنقه وقد يتكل المؤمن ايضا على قوته كما روى عن سليمان عليه السلام انه قال (٣) لاطوفن الليلة على مائة امرأة ولم يقل ان شاء الله تعالى فحرم ما اراد من الولد وكذلك قال عليه السلام ان ابتليتني صبرت وكان اعجابا منه بالقوة فلما ابتلي بالمرأة لم يصبر ويورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب والقاء النفس في التهلكة والمبادرة الى الضرب

---

(١) حديث قولهم يوم حنين لا نغلب اليوم من قلة البيهقي في دلائل النبوة من رواية الربيع بن أنس مرسلا ان رجلا قال يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ولابن مردويه في تفسيره من حديث انس لما التقوا يوم حنين اعجبتهم كثرتهم فقالوا اليوم نقاتل ففروا فيه الفرج بن فضالة ضعفه الجمهور (٢) حديث مامنكم من احد ينجيه عمله الحديث متفق عليه من حديث ابي هريرة (٣) حديث قال سليمان لأطوفن الليلة بمائة امرأة الحديث البخاري من حديث أبي هريرة

والقتل

على الطهارة (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نام العبد وهو على الطهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فتكون المنامات اضغاث احلام لاتصدق والمريد المتاهل اذا نام في الفراش مع الزوجة ينتقض وضوءه باللمس ولايفوته بذلك فائدة النوم على الطهارة مالم يسترسل في التذاذ النفس باللمس ولايعدم يقظة القلب فاما اذا استرسل في الالتذاذ وغفل فتحجب الروح أيضا لمكان ملاقته ومن الطهارة التي تثمر صدق الرؤيا

والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو أن يعلم أن حمى يوم تضعف قوته وانه اذا أعجب بها ربما سلبها الله تعالى بأدنى آفة يسلطها عليه * الثالث العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالرأى وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه ويخرج الى قلة الاصغاء الى أهل العلم اعراضا عنهم بالاستغناء بالرأى والعقل واستحقارا لهم واهانة وعلاجه أن يشكر الله تعالى على مارزق من العقل ويتفكر انه بأدنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يامن أن يسلب عقله ان أعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم أنه ما اوتى من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان ما جهله مما عرفه الناس أكثر مما عرفه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله وينظر الى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر أن يكون منهم وهو لا يدرى فان القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغى أن يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن أعدائه لا من أصدقائه فان من يداهنه يثنى عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجبا * الرابع العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه ينجو بشرف نسبه ونجاة آبائه وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق له موال وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف آباءه فى أفعالهم وأخلاقهم وظن انه ملحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساواهم فى النسب وشاركهم فى القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عند الله شرا من الكلاب وأخس من الخنازير ولذلك قال تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى أى لا تفاوت فى أنسابكم لاجتماعكم فى اصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم بين ان الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال ان أكرمكم عند الله اتقاكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (١) من أكرم الناس من اكيس الناس لم يقل من ينتمى الى نسبى ولكن قال أكرمهم أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا وانما نزلت هذه الآية حين اذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد ابن اسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال تعالى ان أكرمكم عند الله اتقاكم وقال النبى صلى الله عليه وسلم (٢) ان الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية أى كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب وقال النبى صلى الله عليه وسلم (٣) يا معشر قريش لا تاتى الناس بالاعمال يوم القيامة وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا أى أعرض عنكم فبين انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى (٤) وانذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول صلى الله عليه وسلم اعملا لانفسكما فانى لا أغنى عنكما من الله شيا فمن عرف هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اقتدى بهم فى التقوى والتواضع والا كان طاعنا فى نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم فى التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم (٥) بعد قوله لفاطمة وصفية انى لا أغنى عنكما من الله شيا الا

(١) حديث لما قيل له من اكرم الناس من اكيس الناس قال اكثرهم للموت ذكرا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله وأكرم الناس وهو بهذه الزيادة عبد ابن أبى الدنيا فى ذكر الموت آخر الكتاب (٢) حديث ان الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية الحديث أبو داود والترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة ورواه الترمذى ايضا من حديث ابن عمر وقال غريب (٣) حديث يا معشر قريش لا ياتى الناس بالاعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم الحديث الطبرانى من حديث عمران بن حصين الا انه قال يا معشر بنى هاشم وسنده ضعيف (٤) حديث لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب الحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة ورواه مسلم من حديث عائشة (٥) حديث قوله بعد قوله المتقدم لفاطمة وصفية الا ان لكما رحما سابلها ببلالها مسلم

طهارة الباطن عن خدش الهوى وكدورة محبة الدنيا والتنزه عن انجاس الغل والحقد والحسد وقد ورد من أوى الى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم واذا طهرت النفس عن الرذائل انجلت مرآة القلب وقابل اللوح المحفوظ فى النوم وانتقشت فيه عجائب الغيب وغرائب الأنباء ففى الصديقين من يكون له فى منامه مكالمة ومحادثة فيأمره الله تعالى وينهاه ويفهمه فى المنام ويعرفه ويكون موضع ما يفتح له فى نومه من الامر والنهى كالامر والنهى الظاهر يعنى الله تعالى

ان لكم رحما سابلها ببلالها وقال عليه الصلاة والسلام (١) اترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسيب أيضا جدير بان يرجوها لكن بشرط أن يتقي الله ان يغضب عليه فانه ان يغضب عليه فلا يأذن لاحد في شفاعته لان الذنوب منقسمة الى مايوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة له والى مايعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب مالا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى و بقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه و بقوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له و بقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين واذا انقسمت الذنوب الى مايشفع فيه والى مالا يشفع فيه وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو كان كل ذنب تقبل فيه الشفاعة لما امر قريشا بالطاعة ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها عن المعصية ولكان باذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذاتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذاتها في الآخرة فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اتكالا على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من أب اوأخ اوغيره وذلك جهل لان سعي الطبيب وهمته وحذقه تنفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطبيب اثر على الجملة ولكن في الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي ان تفهم عناية الشفعاء من الانبياء والصلحاء للاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد كانوا يتمنون ان يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن اعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخوف والخشوع قلوبهم فكيف يعجب بنفسه و يتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم * الخامس العجب بنسب السلاطين الظلمة واعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه ان يتفكر في مخازيهم وماجرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وانهم الممقوتون عند الله تعالى ولو نظر الى صورهم في النار وانتانهم واقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه اليهم استقذارا واستحقارا لهم ولو انكشف له ذلهم في القيامة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم في مظالم العباد لتبرأ الى الله منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير احب اليه من الانتساب اليهم فحق اولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم و يستغفروا لآبائهم ان كانوا مسلمين فاما العجب بنسبهم فجهل محض * السادس العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع كما قال الكفار نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال المؤمنون يوم حنين لا نغلب اليوم من قلة وعلاجه ماذكرناه في الكبر وهوان يتفكر في ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه اهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه الى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيئا وهو في احوج اوقاته اليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه الآية فاي خير فيمن يفارقك في اشد احوالك و يهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيامة وعلى الصراط الا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك نفعك وضرك وموتك وحياتك * السابع العجب بالمال كما قال الله تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين اذ قال انا

ان اخل بها بل تكون هذه الاوامر آكد واعظم وقعا لان المخالفات الظاهرة تمحوها التوبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وهذه اوامر خاصة تتعلق بحاله فيما بينه و بين الله تعالى فاذا اخل بها يخشى ان ينقطع عليه طريق الارادة ويكون في ذلك الرجوع عن الله واستيجاب مقام المقت فان ابتلى العبد في بعض الاحايين بكسل وفتور عزيمة يمنع من تجديد الطهارة عند النوم بعد الحدث يمسح اعضاءه بالماء مسحا حتى يخرج بهذا القدر عن زمرة الغافلين حيث تقاعد عن فعل

من حديث ابي هريرة بلفظ غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها (١) حديث ايرجو سليم شفاعتي ولا ترجوها بنو عبد المطلب الطبراني في الاوسط من حديث عبد الله بن جعفر وفيه اصيرم بن حوشب عن اسحاق بن واصل وكلاهما ضعيف جدا

اكثر منك مالا وأعز نفرا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فانقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام أخشيت ان يعدو اليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه ان يتفكر فى افات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله و ينظر الى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة فى القيامة والى ان المال غاد ورائح ولا أصل له والى ان فى اليهود من يزيد عليه فى المال والى قوله عليه الصلاة والسلام (٢) بينما رجل يتبختر فى حلة له قد أعجبته نفسه اذ أمر الله الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة أشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وقال أبو ذر كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) فدخل المسجد فقال لي يا أباذر ارفع رأسك فرفعت رأسي فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسي فاذا رجل عليه ثياب خلقة فقال لي يا اباذر هذا عند الله خير من قراب الارض مثل هذا وجميع ماذكرناه فى كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن خوف من تقصيره فى القيام بحقوق المال فى اخذه من حله ووضعه فى حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره الى الخزى والبوار فكيف يعجب بماله * الثامن العجب بالرأى الخطأ قال الله تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) ان ذلك يغلب على آخر هذه الامة وبذلك هلكت الامم السالفة اذ افترقت فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد من علاج غيره لان صاحب الرأى الخطأ جاهل بخطئه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذى لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدا لان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله و يزيله عنه الا اذا كان معجبا برأيه وجهله فانه لا يصغى الى العارف و يتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته فى اعتقاده وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما لرأيه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب او سنة او دليل عقلى صحيح جامع لشروط الادلة ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد وتشمر فى الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط فى بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره فى العلم ان لا يخوض فى المذاهب ولا يصغى اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله تعالى واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير وان رسوله صادق فيما اخبر به و يتبع سنة السلف و يؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا و يشتغل بالتقوى واجتناب المعاصى واداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الاعمال فان خاض فى المذاهب والبدع والتعصب فى العقائد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على ان يشتغل فى عمره بشىء غير العلم فاما الذى عزم على التجرد للعلم فاول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الامر فيه والوصول الى اليقين والمعرفة فى اكثر المطالب شديد لا يقدر عليه الا الاقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال تم كتاب ذم الكبر والعجب والحمد لله وحده

---

(١) حديث راى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس لجنبه فقير فانقبض منه الحديث رواه احمد فى الزهد (٢) حديث بينما رجل فى حلة قد اعجبته نفسه الحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة وقد تقدم (٣) حديث ابى ذر كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لى يا أبا ذر ارفع رأسك فرفعت رأسى الحديث وفيه هذا عند الله خير من قراب الارض مثل هذا ابن حبان فى صحيحه (٤) حديث انه يغلب على آخر هذه الامة الاعجاب بالرأى هو حديث ابى ثعلبة المتقدم فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك وهو عند ابى داود والترمذى

المتيقظين وهكذا اذا كسل عن القيام عقيب الانتباه يجتهد أن يستاك و يمسح أعضاءه بالماء مسحا حتى يخرج فى تقلباته وانتباهاته عن زمرة الغافلين ففى ذلك فضل كثير لمن كثر نومه وقل قيامه (روى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نوم وعند الانتباه منه و يستقبل القبلة فى نومه وهو على نوعين فاما على جنبه الأيمن كالملحود واما على ظهره مستقبلا للقبلة كالميت المسجى و يقول باسمك اللهم وضعت جنبي و بك ارفعه اللهم ان امسكت

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذى بيده مقاليد الامور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور مخرج اوليائه من الظلمات الى النور ومورد أعدائه ورطات الغرور والصلاة على محمد مخرج الخلائق من الديجور * وعلى آله وأصحابه الذين لم تغرهم الحياة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلاة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور ﴿أما بعد﴾ فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة والغرور والغفلة فلا نعمة لله على عباده أعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية ولا داعى اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالا كياس وأرباب البصائر قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور والمغترون قلوبهم كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور فالا كياس هم الذين اراد الله ان يهديهم فشرح صدورهم للاسلام والهدى والمغترون هم الذين اراد الله ان يضلهم فجعل صدرهم ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء والمغرور هو الذى لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقى فى العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى واضل سبيلا واذا عرف ان الغرور هو أم الشقاوات ومنبع المهلكات فلابد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فاخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة أمره ونحن نشرح اجناس مجارى الغرور وأصناف المغترين من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادى الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على امثلة تغنى عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم اربعة اصناف الصنف الاول من العلماء الصنف الثانى من العباد الصنف الثالث من المتصوفة الصنف الرابع من ارباب الاموال والمغتر من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفا كالذى يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذى غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذى يكون همه فى الصلاة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من مداخل لا تتضح الا بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدأ اولا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده

﴿بيان ذم الغرور وحقيقته وامثلته﴾

اعلم ان قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الامانى الآية كاف فى ذم الغرور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) حبذا نوم الا كياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم (٢) الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكل ماورد فى فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ

﴿كتاب ذم الغرور﴾

(١) حديث حبذا نوم الا كياس وفطرهم الحديث ابن ابى الدنيا فى كتاب اليقين من قول ابى الدرداء بنحوه وفيه انقطاع وفى بعض الروايات ابى الورد موضع ابى الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث الكيس من دان

الجهل

نفسى فاغفر لها وارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم انى اسلمت نفسى اليك ووجهت وجهى اليك وفوضت امرى اليك والجات ظهرى اليك رهبة منك ورغبة اليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك آمنت بكتابك الذى انزلت ونبيك الذى ارسلت اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك الحمد لله الذى حكم فقهر الحمد لله الذى بطن فخبر الحمد لله الذى ملك فقدر الحمد لله الذى هو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير اللهم انى اعوذ بك من غضبك وسوء عقابك

الجهل هو ان يعتقد الشئ و يراه على خلاف ماهو به والغرور هو جهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعى الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذى يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيأ يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا تكون دليلا سمي الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس الى مايوافق الهوى و يميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما فى العاجل اوفى الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطؤن فيه فاكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت اصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من بعض واظهرها واشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لهما امثلة لحقيقة الغرور

﴿المثال الاول﴾ غرور الكفار فمنهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور اما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فهى اذا خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله تعالى فى قوله ماعندكم ينفد وما عند الله باق وفى قوله عزوجل وماعند الله خير وقوله والآخرة خير وابقى وقوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال [2] نشدتك الله ابعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو يخرج من الغرور و ينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده فى ان حضور المكتب خير من حضور الملعب مع انه لا يدرى وجه كونه خيرا واما المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذى نظمه فى قلبه الشيطان فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع فى النفس و يورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء فالقياس الذى نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما ان الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة فى المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منها فالنسيئة خير فان الكافر المغرور يبذل فى تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا اتركه واذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الاطعمة ترك ذلك فى الحال خوفا من الم المرض فى المستقبل فقد ترك النقد ورضي بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار و يتعبون فى الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة فى ثانى الحال خيرا من واحد فى الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الآخرة فان أقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير من جزء من ألف الف جزء من الآخرة فكانه ترك واحدا ليأخذ الف الف بل

نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث شداد بن اوس (١) حديث تصديق بعض الكفار بما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم من غير مطالبة بالبرهان هو مشهور فى السنن من ذلك قصة اسلام الانصار و بيعتهم وهى عند احمد من حديث جابر وفيه حتى بعثنا الله اليه من يثرب فآويناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به و يقرئه القرآن فينقلب الى اهله فيسلمون باسلامه الحديث وهى عند احمد باسناد جيد (٢) حديث قول من قال له نشدتك الله ابعثك رسولا فيقول نعم فيصدق متفق عليه من حديث انس فى قصة ضمام بن ثعلبة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم آلله ارسلك للناس كلهم فقال اللهم نعم وفى آخره فقال الرجل آمنت بما جئت به وللطبرانى من حديث ابن عباس فى قصة ضمام قال نشدتك به اهو ارسلك بما اتتنا كتبك وأتتنا رسلك ان نشهد ان لا اله الا الله وان ندع اللات والعزى قال نعم الحديث

وشر عبادك وشر الشيطان وشركه و يقرأ خمس آيات من البقرة الاربع من الاول والآية الخامسة ان فى خلق السموات والارض وآية الكرسى وآمن الرسول وان ربكم الله وقل ادعوا الله وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله أحد والمعوذتين و ينفث بهن فى يديه و يمسح بهما وجهه وجسده وان اضاف الى ماقرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها فحسن و يقول اللهم أيقظنى فى أحب الساعات اليك واستعملنى باحب الاعمال

لياخذ مالا نهاية له ولا حد وان نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بأنواع المنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة فاذا قد غلط فى قوله النقد خير من النسيئة فهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور اطلق وأريد به خاص فغفل به المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسيئة أراد به خيرا من نسيئة هى مثله وان لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الآخر وهو ان اليقين خير من الشك والآخرة شك وهذا القياس أكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر فى تعبه على يقين وفى ربحه على شك والمتفقه فى اجتهاده على يقين وفى ادراكه رتبة العلم على شك والصياد فى تردده فى المقتنص على يقين وفى الظفر بالصيد على شك وكذا الحزم دأب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم اتجر بقيت جائعا وعظم ضررى وان اتجرت كان تعبى قليلا وربحى كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل بالاضافة الى ما أخافه من المرض والموت فكذلك من شك فى الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم ان يقول ايام الصبر قلائل وهو منتهى العمر بالاضافة الى ما يقال من أمر الآخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتنى الا التنعم أيام حياتى وقد كنت فى العدم من الازل الى الآن لا أتنعم فاحسب انى بقيت فى العدم وان كان ما قيل صدقا فابقى فى النار ابد الآباد وهذا لا يطاق ولهذا قال على كرم الله وجهه لبعض الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه فى الآخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين له انه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور * وأما الاصل الثانى من كلامه وهو ان الآخرة شك فهو ايضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان أحدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك أيضا يزيل المغرور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء واهل الصناعة من عند آخرهم على ان دواءه النبت الفلانى فانه تطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم و يعمل به ولو بقى سوادى اومعتوه يكذبهم فى ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الاحوال انهم أكثر منه عددا واغزر منه فضلا واعلم منه بالطب بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله ولا يغتر فى علمهم بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر الى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بان التقوى هو الدواء النافع فى الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله وأعلاهم رتبة فى البصيرة والمعرفة والعقل وهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على اصنافهم وشذ منهم آحاد من الباطلين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بانهم من أهل النار فجحدوا الاخرة وكذبوا الأنبياء فكما ان قول الصبى وقول السوادى لا يزيل طمانينة القلب الى ما اتفق عليه الاطباء فكذلك قول هذا الغبى الذى استرقته الشهوات لا يشكك فى صحة اقوال الانبياء والاولياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به وأما المدرك الثانى لمعرفة الآخرة فهو الوحى للانبياء والالهام للاولياء ولا تظنن ان معرفة النبى عليه السلام لامر الاخرة ولامور الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد للنبى صلى الله عليه وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وانما يختلف المقلد فقط وهيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هى عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر الله تعالى وليس المراد بكونه من امر الله الامر الذى يقابل النهى لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالامر الشان حتى يكون المراد به انه من خلق الله فقط لان ذلك عام فى جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم

اليك التى تقربنى اليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعدا أسالك فتعطينى وأستغفرك فتغفرلى وأدعوك فتستجيب لى اللهم لا تؤمنى مكرك ولا تولنى غيرك ولا ترفع عنى سترك ولا تنسنى ذكرك ولا تجعلنى من الغافلين (ورد) ان من قال هذه الكلمات بعث الله تعالى اليه ثلاثة املاك يوقظونه للصلاة فان صلى ودعا أمنوا على دعائه وان لم يقم تعبدت الاملاك فى

الخلق ولله الخلق والامر فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير في موضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذى منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه واذا عرف نفسه ور به عرف انه امر ربانى بطبعه وفطرته وانه فى العالم الجسمانى غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه فى ذاته بل بامر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالمعصية وهى التى حطته عن الجنة التى هى اليق به بمقتضى ذاته فانها فى جوار الرب تعالى وانه امر ربانى وحنينه الى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتى الا ان يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسي عند ذلك نفسه ور به ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم أولئك هم الفاسقون أى الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطرى وهذه اشارة الى اسرار يهتز لاستنشاق روائحها العارفون وتشمئز من سماع الفاظها القاصرون فانها تضر بهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر أعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية و يسمى صاحبه وليا وعارفا وهو مبادى مقامات الانبياء واخر مقامات الاولياء اول مقامات الانبياء * ولنرجع الى مغرض المطلوب فالمقصود ان غرور الشيطان بان الاخرة شك يدافع اما بيقين تقليدى واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم و بعقائدهم اذا ضيعوا أوامر الله تعالى وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصى فهم مشاركون للكفار فى هذا الغرور لانهم آثروا الحياة الدنيا على الاخرة نعم امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم ايضا من المغرورين فانهم اعترفوا بان الاخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا وآثروها ومجرد الايمان لا يكفى للفوز قال تعالى وانى لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم (١) الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقال تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فوعد المغفرة فى جميع كتاب الله تعالى منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء ايضا مغرورون اعنى المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذ امثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا * ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم فى انفسهم و بالسنتهم انه لو كان لله من معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن اوفر حظا فيه واسعد حالا كما اخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل فى التفسير ان الكافر منهما بنى قصرا بالف دينار واشترى بستانا بالف دينار وخدما بالف دينار وتزوج امرأة على ألف دينار وفى ذلك كله يعظه المؤمن و يقول اشتريت قصرا يفنى و يخرب ألا اشتريت قصرا فى الجنة لا يفنى واشتريت بستانا يخرب و يفنى الا اشتريت بستانا فى الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفى كل ذلك يرد عليه الكافر و يقول ماهناك شىء وما قيل من ذلك فهو أكاذيب وان كان فليكونن لى فى الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل اذ يقول لاوتين مالا وولدا فقال الله تعالى ردا عليه اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا وروى عن خباب بن الارت انه قال (٢) كان لى على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه فلم يقض لى فقلت انى اخذه فى الاخرة فقال لى اذا صرت الى الاخرة فان لى

الهواء وكتب لهم ثواب عباداتهم و يسبح و يحمد و يكبر كل واحد ثلاثا وثلاثين ويتمم المائة بلا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿الباب السابع والاربعون فى أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل﴾

اذا فرغ المؤذن من أذان المغرب يصلى ركعتين خفيفتين بين الاذان والاقامة وكان العلماء يصلون هاتين الركعتين فى البيت يعجلون بهما قبل الخروج الى

(١) حديث الاحسان أن تعبد الله كانك تراه متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم (٢) حديث خباب ابن الارت قال كان لى على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه الحديث فى نزول قوله تعالى افرأيت الذى كفر

هنالك مالا وولدا اقضيك منه فانزل الله تعالى قوله أفرأيت الذي كفر بآ ياتنا وقال لاوتين مالا وولدا وقال الله تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لى عنده للحسنى وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من اقيسة ابليس نعوذ بالله منه وذلك انهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون مرة الى تاخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الاخرة كما قال تعالى ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول فقال تعالى جوابا لقولهم حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم فيقولون اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذى نظمه فى قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن أيضا فى المستقبل كما قال الشاعر

لقد احسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقى

وانما يقيس المستقبل على الماضى بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا انى كريم عند الله ومحبوب لما احسن الى والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعامه عليه فى الدنيا احسان فقد اغتر بالله اذ ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان ومثاله ان يكون للرجل عبد ان صغيران يبغض احدهما ويحب الاخر فالذى يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التى تضره ويسقيه الادوية التى تنفعه والذى يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب ويأكل كل ما يشتهى فيظن هذا العبد المهمل انه عند سيده محبوب كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات من الله (١) فان الله يحمى عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمى احدكم مريضه من الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورد فى الخبر عن سيد البشر وكان أرباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك علامة المقت والاهمال واذا اقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا اقبلت عليه الدنيا ظن انها كرامة من الله واذا صرفت عنه ظن انها هوان كما اخبر الله تعالى عنه اذ قال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن فاجاب الله عن ذلك كلا اى ليس كما قال انما هو ابتلاء نعوذ بالله من شر البلاء ونسال الله التثبيت فبين ان ذلك غرور قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامى ولا هذا بهوانى ولكن الكريم من اكرمته بطاعتى غنيا كان اوفقيرا والمهان من اهنته بمعصيتى غنيا كان او فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان اما بالبصيرة أو بالتقليد أما البصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله ويدرك ذلك بالالهام فى منازل العارفين والاولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون وفى تفسير قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آمن به تخلص من هذا الغرور فان منشا هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يامن مكره

الجماعة كيلا يظن الناس انهما سنة مرتبة فيقتدي بهم ظنا منهم انهما سنة واذا صلى المغرب يصلى ركعتى السنة بعد المغرب يعجل بهما فانهما يرفعان مع الفريضة يقرأ فيهما بقل يأيها الكافرون وقل هو الله احد ثم يسلم على ملائكة الليل والكرام الكاتبين فيقول مرحبا بملائكة الليل مرحبا بالملكين الكريمين الكاتبين اكتبا فى صحيفتى انى اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان

بآياتنا الاية البخارى ومسلم (١) حديث ان الله يحمى عبده من الدنيا وهو يحبه الحديث الترمذى وحسنه والحاكم وصححه من حديث قتادة بن النعمان

ولا

ولا يغتر بامثال هذه الخيالات الفاسدة و ينظر الى فرعون وهامان وقارون والى ملوك الارض وماجرى لهم كيف احسن الله اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا فقال تعالى هل تحس منهم من أحد الآية وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وقال عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال تعالى انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي ان يحذر ان يكون ذلك مكرامنه وكيدا مع ان السيد لم يحذره مكر نفسه فبان يجب ذلك فى حق الله تعالى مع تحذيره واستدراجه أولى فاذا من امن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا الغرور انه استدل بنعم الدنيا على انه كريم عنده ذلك المنعم واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى مايوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور ﴿المثال الثانى﴾ غرور العصاة من المؤمنين بقولهم ان الله كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم رجاء ظنهم وان الرجا مقام محمود فى الدين وان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم وأين معاصى العباد فى بحار رحمته وانا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بسلاح الآباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفة سيرة آبائهم فى الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آبائهم اذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى فقياس الشيطان للعلوية ان من أحب انسانا احب اولاده وان الله قد احب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة وينسى المغرور ان نوحا عليه السلام أراد ان يستصحب ولده معه فى السفينة فلم يرد فكان من المغرقين فقال رب ان ابنى من أهلى فقال تعالى يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح وأن ابراهيم عليه السلام استغفر لابيه فلم ينفعه وأن نبينا صلى الله عليه وسلم [1] وعلى كل عبد مصطفى استأذن ربه فى ان يزور قبر امه ويستغفر لها فاذن له فى الزيارة ولم يؤذن له فى الاستغفار فجلس يبكى على قبر امه لرقته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله فهذا أيضا اغترار بالله تعالى وهذا لان الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصى فكما أنه لا يبغض الاب المطيع ببغضه للولد العاصى فكذلك لا يحب الولد العاصى بحبه للاب المطيع ولو كان الحب يسري من الاب الى الولد لاوشك ان يسرى البغض أيضا بل الحق ان لا تزر وازرة وزر أخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى ابيه كمن ظن انه يشبع با كل أبيه ويروى بشرب ابيه ويصير عالما بتعلم ابيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشى ابيه فالتقوى فرض عين فلا يجزى فيه والد عن ولده شيأ وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى يوم يفر المرء من اخيه وامه وأبيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فياذن فى الشفاعة له كما سبق فى كتاب الكبر والعجب فان قلت فاين الغلط فى قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو رحمته ومغفرته وقد قال أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى خيرا فما هذا الا كلام صحيح مقبول الظاهر فى القلوب فاعلم أن الشيطان لا يغوى الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال [2] الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمنى على الله تعالى غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله يعنى ان الرجاء بهم أليق وهذا لانه ذكر ان ثواب الآخرة اجر وجزاء على الاعمال قال الله تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى وانما توفون اجوركم يوم القيامة أفترى ان من استؤجر على اصلاح اوان وشرط له اجرة عليها وكان الشارط

محمدا رسول الله وأشهد ان الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق والصراط والميزان حق وأشهد ان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور اللهم أودعك هذه الشهادة ليوم حاجتى اليها اللهم احطط بها وزرى واغفر بها ذنبي وثقل بها ميزانى وأوجب لى بها أمانى وتجاوز عنى ياأرحم الراحمين فان واصل بين العشاءين فى مسجد جماعته يكون جامعا بين الاعتكاف

---

(١) حديث انه صلى الله عليه وسلم استاذن ان يزور قبر امه و يستغفر لها فاذن له فى الزيارة ولم يؤذن له فى الاستغفار الحديث مسلم من حديث ابى هريرة (٢) حديث الكيس من دان نفسه تقدم قريبا

كريما يفى بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاوانى وافسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر
و تزعم أن المستاجر كريم افتراه العقلاء فى انتظاره متمنيا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء
والغرة قيل للحسن قوم يقولون نرجو الله و يضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك أمانيهم يترجحون فيها
من رجا شيا طلبه ومن خاف شيأ هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاى فقال له
رجل انا لنرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيا طلبه ومن خاف شيا هرب منه وكما أن الذى يرجو فى
الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجامع أو جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن
أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصى فهو مغرور فكما انه اذا نكح ووطئ وأنزل بقى مترددا فى الولد
يخاف ويرجو فضل الله فى خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الام الى أن يتم فهو كيس فكذلك اذا آمن
وعمل الصالحات وترك السيئات وبقى مترددا بين الخوف والرجاء يخاف ان لا يقبل منه وان لا يدوم عليه وان يختم له
بالسوء و يرجو من الله تعالى أن يثبته بالقول الثابت و يحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد
و يحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصى فهو كيس ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون
بالله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ولتعلمن نباه بعد حين وعند ذلك يقولون كما أخبر الله
عنهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون اى علمنا انه كما لا يولد الولد الا بوقاع ونكاح ولا ينبت
زرع الا بحراثة و بث بذر فكذلك لا يحصل فى الآخرة ثواب وأجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا
الآن صدقك فى قولك وان ليس للانسان الا ماسعى وان سعيه سوف يرى وكلما التى فيها فوج سالهم خزنتها ألم
ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير أى ألم نسمعكم سنة الله فى عباده وانه توفى كل نفس ما كسبت وان كل نفس بما
كسبت رهينة فما الذى غركم بالله بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا
بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير فان قلت فاين مظنة الرجاء وموضعه المحمود فاعلم انه محمود فى موضعين احدهما فى حق
العاصى المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان وانى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا
ان يقمع القنوط بالرجاء و يتذكر ان الله يغفر الذنوب جميعا وان الله كريم يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة
تكفر الذنوب قال الله تعالى قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا الى ربكم امرهم بالانابة وقال تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى
فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة وهو
فى السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان انك لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك فكذب الشيطان ومر
يعدو وهو يرجو ان يدرك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة واخذ يرجو تاخير الامام للصلاة لاجله الى وسط
الوقت أو لاجل غيره أو لسبب من الاسباب التى لا يعرفها فهو مغرور الثانى أن تفتر نفسه عن فضائل الاعمال و يقتصر
على الفرائض فيرجى نفسه نعيم الله تعالى وما وعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل
و يتذكر قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الى قوله أولئك هم الوارثون الذين يرثون
الفردوس هم فيها خالدون فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثانى يقمع الفتور المانع من النشاط
والتشمر فكل توقع حث على توبة أو على تشمر فى العبادة فهو رجاء وكل رجاء أوجب فتورا فى العبادة وركونا الى
البطالة فهو غرة كما اذا خطر له ان يترك الذنب و يشتغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك ولا يذاء نفسك وتعذيبها ولك
رب كريم غفور رحيم فيفتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو غرة وعند هذا واجب على العبد ان يستعمل الخوف
فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه و يقول انه مع انه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وانه مع انه كريم
خلد الكفار فى النار ابد الآباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والفقر والجوع
على جملة من عباده فى الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته فى عباده وقد خوفنى عقابه فكيف لا اخافه و كيف

ومواصلة العشاءين وان راى انصرافه الى منزله وان المواصلة بين العشاءين فى بيته اسلم لدينه واقرب الى الاخلاص واجمع للهم فليفعل * وسئل رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال هى الصلاة بين العشاءين وقال عليه السلام عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغاة النهار وتهذب آخره ويجعل من الصلاة بين العشاءين ركعتين بسورة

اغتربه

اغتر به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان الناس على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمن وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا وسبب اعراضهم عن الله تعالى واهمالهم السعى للآخرة فذلك غرور فقد أخبر صلى الله عليه وسلم (1) وذكر ان الغرور سيغلب على قلوب آخر هذه الامة وقد كان ماوعدبه صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس فى الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار فى طاعة الله يبالغون فى التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على أنفسهم فى الخلوات واما الآن فترى الخلق امنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصى وانهماكهم فى الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين انهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله راجون لعفوه ومغفرته كأنهم يزعمون انهم عرفوا من فضله وكرمه مالم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينى فعلام اذا كان بكاء اولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور فى كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (2) فيما رواه معقل ابن يسار يأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن فى قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان أمرهم كله يكون طمعا لاخوف معه ان أحسن احدهم قال يتقبل منى وان أساء قال يغفرلى فاخبر انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن ومافيه وبمثله أخبر عن النصارى اذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه انهم ورثوا الكتاب اى هم علماء وياخذون عرض هذا الادنى اى شهواتهم من الدنيا حراما كان اوحلالا وقد قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد والقرآن من اوله الى اخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكانهم يقرؤن شعرا من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بمافيه وهل فى العالم غرور يزيد على هذا فهذه أمثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص الا ان معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم تترجح كفة حسناتهم مع أن ما فى كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون مايتناول من اموال المسلمين والشبهات أضعافه ولعل ماتصدق به هو من اموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن ان أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحرام أوالحلال وماهو الا كمن وضع عشرة دراهم فى كفة ميزان وفى الكفة الاخرى ألفا واراد ان يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله نعم ومنهم من يظن ان طاعاته أكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذى يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله فى اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذى لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة وألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد فهذا أبدا يتامل فى فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ماورد من عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين يظهرون من الكلام مالا يضمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمرى لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذى زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته ومانطق به فى

البروج والطارق ثم ركعتين بعد ركعتين يقرأ فى الاولى عشرآيات من أول سورة البقرة والآيتين والهكم اله واحد الى آخر الايتين وخمس عشرة مرة قل هو الله وفى الثانية آية الكرسى وآمن الرسول وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد ويقرأ فى الركعتين الاخيرتين من سورة الزمر والواقعة ويصلى بعد ذلك ما شاء فان أراد ان يقرأ شيئا من حزبه فى هذا الوقت فى الصلاة أوغيرها وان شاء صلى

(1) حديث ان الغرور يغلب على اخر هذه الامة تقدم فى اخر ذم الكبر والعجب وهو حديث أبى ثعلبة فى اعجاب كل ذى رأى برأيه (2) حديث معقل بن يسار يأتى على الناس زمان يخلق فيه القران فى قلوب الرجال الحديث أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس نحوه بسند فيه جهالة ولم أره من حديث معقل

قراءته كان يعده و يحسبه و يوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فياعجبا لمن يحاسب نفسه و يحتاط خوفا على قيراط يفوته فى الأجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس الاعلى ونعيمه ماهذه الامصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى أمر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فماهذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله أن نكون من اهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب ان يخشى و يتقى ولا يغتر به اتكالا على أباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى والله أعلم

﴿ بيان أصناف المغترين واقسام فرق كل صنف وهم اربعة اصناف ﴾

﴿ الصنف الاول ﴾ أهل العلم والمغترون منهم فرق ﴿ ففرقة ﴾ أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصى والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم عند الله بمكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل فى الخلق شفاعتهم وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله و بصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهى علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يعرفها الا حذاق الاطباء فيسعى فى طلب الطبيب بعد ان هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التى منها تجتلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيف خلطه وعجنه فتعلم ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته وهو يكررها و يعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها أفترى ان ذلك يغنى عنه من مرضه شيئا هيهات هيهات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه الف مريض حتى شفى جميعهم وكرره كل ليلة الف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئا الا ان يزن الذهب و يشترى الدواء و يخلطه كما تعلم و يشربه و يصبر على مرارته و يكون شربه فى وقته و بعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه واذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلا فمهما ظن ان ذلك يكفيه و يشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذى أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصى ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال الله تعالى قد أفلح من زكاها ولم يقل قد افلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله وثوابه والعلم يجلب الثواب و يتلو عليه الاخبار الواردة فى فضل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمأن اليه واهمل العمل وان كان كيسا فيقول للشيطان أتذكرنى فضائل العلم وتنسينى ما ورد فى العالم الفاجر الذى لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب وكقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا فاى خزى اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال ايضا (٢) يلقى العالم فى النار فتندلق اقتابه فيدور بها فى النار كما يدور الحمار فى الرحى وكقوله عليه السلام (٣) شر الناس العلماء السوء وقول ابى الدرداء و يل للذى لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وو يل للذى يعلم ولا يعمل سبع مرات اى ان العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال صلى الله عليه وسلم (٤) اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله مما أوردناه فى كتاب العلم فى باب علامة علماء الآخرة اكثر من ان يحصى الا ان هذا فيما لا يوافق

عشرين ركعة خفيفة بسورة الاخلاص والفاتحة ولو واصل بين العشاءين بركعتين يطيلهما فحسن وفى هاتين الركعتين يطيل القيام تاليا للقرآن حزبه او مكررا آية فيها الدعاء والتلاوة مثل ان يقرأ مكررا ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير او آية اخرى فى معناها فيكون جامعا بين التلاوة والصلاة والدعاء ففى ذلك جمع للهم وظفر بالفضل ثم يصلى قبل العشاء اربعا و بعدها

(١) حديث من ازداد علما ولم يزدد هدى الحديث تقدم فى العلم (٢) حديث يلقى العالم فى النار فتندلق اقتابه الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث شر الناس علماء السوء تقدم فى العلم (٤) حديث اشد الناس عذابا يوم القيامة

هوى العالم الفاجر وما ورد فى فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فمثاله ماذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذى أخبره بفضيلة العلم هو الذى أخبره بذم العلماء السوء وان حالهم عند الله أشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور وأما الذى يدعى علوم المكاشفة كالعلم بالله و بصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل و يضيع أمر الله وحدوده فغروره أشد ومثاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجالسه ولم يتعرف مايحبه و يكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به أو عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعليه وعاطل عن جميع مايحبه من زى وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع مايكرهه الملك عاطلا عن جميع مايحبه متوسلا اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وصورته وشكله وعادته فى سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ماعرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة مايكرهه و يحبه لكان ذلك أقرب الى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره فى التقوى واتباعه للشهوات يدل على أنه لم ينكشف له من معرفة الله الا الاسامى دون المعانى اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور أن يعرف الاسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام خفنى كما تخاف السبع الضارى نعم من يعرف من الاسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ماعرف الاسد فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته انه يهلك العالمين ولا يبالى و يعلم انه مسخر فى قدرة من لو أهلك مثله آلافا مؤلفة وأبد عليهم العذاب ابد الآباد لم يؤثر ذلك فيه اثرا ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وفاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستفتى الحسن عن مسألة فاجاب فقيل له ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت فقيها قط الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد فى الدنيا وقال مرة الفقيه لا يدارى ولا يمارى ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وان ردت عليه حمد الله فاذا الفقيه من فقه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين واذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين ﴿ وفرقة أخرى ﴾ أحكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصى الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وارادة السوء للاقران والنظراء وطلب الشهرة فى البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحرز عنها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وسلم (١) ادنى الرياء شرك والى قوله عليه السلام (٢) لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله عليه الصلاة والسلام (٣) الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والى قوله عليه الصلاة والسلام (٤) حب الشرف والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار التى اوردناها فى جميع ربع المهلكات فى الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم (٥) ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن او كقبور الموتى ظاهرها مزين وباطنها جيفة أو كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم او كرجل قصد الملك ضيافته الى داره فجصص باب داره وترك المزابل فى صدر داره ولا يخفى ان ذلك غرور بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من اصله فاخذ يجز رؤسه واطرافه فلا تزال تقوى اصوله فتنبت لان مغارس

عالم لم ينفعه الله تعالى بعلمه تقدم فيه (١) حديث ادنى الرياء شرك تقدم فى ذم الجاه والرياء (٢) حديث لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم غير مرة (٣) حديث الحسد يأكل الحسنات الحديث تقدم فى العلم وغيره (٤) حديث حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب الحديث تقدم (٥) حديث ان الله لا ينظر الى صوركم الحديث تقدم

ركعتين ثم ينصرف الى منزله أو موضع خلوته فيصلى أربعا أخرى وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى بيته أول ما يدخل قبل أن يجلس أربعا و يقرأ فى هذه الاربع سورة لقمان و يس وحم الدخان وتبارك الملك وان أراد ان يخفف فيقرأ فيها آية الكرسى وآمن الرسول وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر و يصلى بعد الاربع احدى عشرة ركعة يقرأ فيها ثلثمائة آية من

المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب فمن لا يطهر القلب منها لا تتم له الطاعات الظاهرة الامع الآفات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ماعلى ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء و بقي يتناول مايزيد في المادة فلايزال يطلى الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن ﴿ وفرقة اخرى ﴾ علموا ان هذه الاخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع الا أنهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله من أن يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فاماهم فاعظم عند الله من ان يبتليهم ثم اذا ظهر عليهم مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قالوا ماهذا كبر وانما هو طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام انف المخالفين من المبتدعين واني لولبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس لشمت بي أعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلي ذلا على الاسلام ونسي المغرور ان عدوه الذي حذره منه مولاه هو الشيطان وانه يفرح بما يفعله و يسخر به و ينسى ان النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا أرغم الكافرين ونسي ماروى عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بذاذة زيه عند قدومه الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديبق والابريسم المحرم والخيول والمراكب و يزعم انه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه اوفيمن رد عليه شيأ من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد انه لوطعن في غيره من اهل العلم اومنع غيره من رياسة وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله أم لا يغضب مهما طعن في عالم اخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من خبث باطنه وهكذا يرائي باعماله وعلومه واذا خطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله تعالى فيتخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتامل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فانه لايفرق بين ان يحصل شفاؤهم على يده اوعلى يد طبيب اخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان ايضا ويقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر لي والثواب لي فانما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق قولي هذا مايظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على انه لواخبره نبي بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم اكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي به تظهر رياسته من تدريس اووعظ اوغيره وكذلك يدخل على السلطان و يتودد اليه و يثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في مالهم فاما انت فغرضك أن تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه انه لوظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى ان ياخذ من مالهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لامالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين وعالمهم و بك قوام الدين أفلا يحل لك ان تاخذ قدر حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة امور احدها في انه مال لامالك له فانه يعرف انه ياخذ الخراج من المسلمين واهل السواد والذين اخذ منهم احياء وأولادهم وورثتهم احياء وغاية الامر وقوع الخلط في اموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخلطها فلاخلاف في أنه مال حرام ولا يقال هو مال لامالك له و يجب ان يقسم بين العشرة و يرد الى كل واحد عشرة وان كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله انك من مصالح المسلمين و بك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا اموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا

القرآن من والسماء والطارق الى آخر القرآن ثلثمائة آية هكذا ذكر الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله وان اراد قرأ هذا القدر في أقل من هذا العدد من الركعات وان قرأ من سورة الملك الى اخر القران وهو الف اية فهو خير عظيم كثير وان لم يحفظ القران يقرأ في كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد الى عشر مرات الى اكثر ولا يؤخر الوتر الى آخر التهجد الا أن يكون واثقا من نفسه في عادتها

والاقبال على الرياسة والاعراض عن الاخرة بسببه أكثر من الذين زهدوا فى الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين اذ الامام هو الذى يقتدى به فى الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالانبياء عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف والدجال هو الذى يقتدى به فى الاعراض عن الله والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا أنفع للمسلمين من حياته وهو يزعم انه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام للعالم السوء انه كصخرة وقعت فى فم الوادى فلاهى تشرب الماء ولاهى تترك الماء يخلص الى الزرع واصناف غرور اهل العلم فى هذه الاعصار المتاخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير (وفرقة أخرى) احكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر المعاصى وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحقد والكبر وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم فى التبرى منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت فى زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس مادق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها واهملوها وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش رآه فقلعه الا انه لم يفتش على مالم يخرج راسه بعد من تحت الارض وظن ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فاهملها وهو يظن انه قد اقتلعها فاذا هو بها فى غفلته وقد نبتت وقويت وافسدت اصول الزرع من حيث لا يدرى فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدفائن فتراه يسهر ليله ونهاره فى جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفى هو طلب الذكر وانتشار الصيت فى الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الافاق وانطلاق الالسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له فى المهمات وايثاره فى الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤس الى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والاتباع والمستفيدين والسرور بالتخصص بهذه الخاصية من بين سائر الاقران والاشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من اطلاق لسان الطعن فى الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال بالتميز واعتداد بالتخصص ولعل هذا المسكين المغرور حياته فى الباطن بما انتظم له من امر وامارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثناء فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من اعماله فعساه يتشوش عليه قلبه وتختلط اوراده ووظائفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج الى ان يكذب فى تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه عمن عرف حد فضله وورعه وان كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى انه يؤثره لتقدمه فى الفضل والورع وانما ذلك لانه اطوع له واتبع لمراده واكثر ثناء عليه واشد اصغاء اليه واحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون فى العلم وهو يظن ان قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى ان ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب فى ايثاره الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده فى العزلة والاختفاء لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بنى آدم انه بعلمه امتنع منى فبجهله وقع فى حبائلى وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا انه يجمع علم الله لينتفع به وانما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بان ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله يعلم بانه هو المصنف لا من ادعاه ولعله فى تصنيفه لا يخلو من الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن فى غيره ليستبين من طعنه فى غيره انه افضل ممن طعن فيه واعظم منه علما ولقد كان فى غنية عن الطعن فيه ولعله يحكى من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه الى قائله وما يستحسنه فلعله لا يعزيه

بالانتباه للتهجد فيكون تاخير الوتر الى آخر التهجد حينئذ أفضل (وقد كان بعض العلماء) اذا أوتر قبل النوم ثم قام يتهجد يصلى ركعة يشفع بها وتره ثم يتنفل ماشاء ويوتر آخر ذلك واذا كان الوتر من أول الليل يصلى بعد الوتر ركعتين جالسا يقرأ فيهما باذا زلزلت والهاكم وقيل فعل الركعتين قاعدا بمنزلة الركعة قائما يشفع له الوتر حتى اذا أراد التهجد ياتى به ويوتر فى آخر تهجده ونية هاتين الركعتين نية النفل لاغير ذلك وكثيرا ما رأيت الناس يتفاوضون فى كيفية نيتهما وان قرأ فى كل ليلة

اليه ليظن أنه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له او يغيره أدنى تغيير كالذى يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف أنه مسروق ولعله يجتهد فى تزيين الفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه كيلا ينسب الى الركاكة ويرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون اقرب الى نفع الناس وعساه غافلا عما روى ان بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحف فى الحكمة فاوحى الله الى نبي زمانه قل له قد ملأت الارض نفاقا وانى لا اقبل من نفاقك شيأ ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه اكثر تبعا أو غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد فى نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما اثنى مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه الى فئة اخرى كان انفع له فى دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه فى هذه الفئة وسلامته عنها فى تلك الفئة ومع ذلك لا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا تحركت فيه مبادى الحسد لم يقدر على اظهاره فيتعلل بالطعن فى دينه وفى ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسى ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح له وان اثنى عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكرت عيوبه يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه فى ذلك فهذا وامثاله من خفايا القلوب لا يفطن له الا الاكياس ولا يتنزه عنه الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفاء الا ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وأمره اقرب من المغرور المزكى لنفسه الممتن على الله بعمله وعلمه الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا فى العمل بالعلم ولنذكر الان غرور الذين قنعوا من العلوم بما لم يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم عن اصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه (فمنهم فرقة) اقتصروا على علم الفتاوى فى الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح العباد وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشى الى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والاخر من حيث العلم اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك ومحتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتسالنى عن ذلك وذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد يسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة التلاقى فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض وهو لا يحتاج الى شئ من ذلك قط فى عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان فى المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرياسة والمال وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور بنفسه انه مشغول بفرض دينه وليس يدرى ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد بالفقه وجه الله تعالى فانه وان قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه فى جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل واما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن

المسبحات وأمثالها سورة الاعلى فتصير ستا فقد كان العلماء يسرون هذه السور ويترقبون بركتها فاذا استيقظ من النوم فمن احسن الادب عند انتباهه ان يذهب بباطنه الى الله ويصرف فكره الى امر الله قبل ان يجول الفكر فى شئ سوى الله ويشغل اللسان بالذكر فالصادق كالطفل الكلف بالشئ اذا نام ينام على محبة الشئ واذا انتبه يطلب ذلك الشئ الذى كان كلفا به وعلى حسب هذا الكلف والشغل يكون الموت والقيام الى الحشر فلينظر وليعتبر عند انتباهه من النوم ما همه فانه هكذا يكون عند القيام من القبر

انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن فى المحدثين وقال انهم نقلة اخبار وحملة اسفار لا يفقهون وترك أيضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذى يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا على انه لا بد وأن يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التى هى اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ماسمع فى الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون والذى يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال فى طريق الله آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التى هى الصفات المذمومة فهى الحجاب بين العبد وبين الله تعالى واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فمثاله فى الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك فى انه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحج فى شئ ولا بسبيله وقد ذكرنا شرح ذلك فى كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار فى التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع التسبيبات المؤذية وهؤلاء هم سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم لا يحتاجون اليه فى المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التى تجرى بين المتصارعين فى الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم فى علم الفتاوى لكن زادوا اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا بل جميع دقائق الجدل فى الفقه بدعة لم يعرفها السلف وأما ادلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيها وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية فانما ابدعت لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل بها فغرور هؤلاء أشد كثيرا وأقبح من غرور من قبلهم (وفرقة اخرى) اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة فى الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق فى مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا فى ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا انه لا يكون لعبد عمل الا بالايمان ولا يصح ايمان الا بأن يتعلم جدلهم وما سموه أدلة عقائدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هى التى تدعو الى غير السنة والمحقة هى التى تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم * أما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا وانما اتيت من حيث انها لم تتهم رأيها ولم تحكم اولا شروط الادلة ومنهاجها فرأى احدهم الشبهة دليلا والدليل شبهة * واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور وافضل القربات فى دين الله وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ويبحث وان من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن اوليس بكامل الايمان ولا مقرب عند الله فلهذا الظن الفاسد قطعت اعمارها فى تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهملوا انفسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة واحدهم يظن ان اشتغاله بالجدل اولى واقرب عند الله وافضل ولكنه لالتذاذه بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتماء الى الذب عن دين الله تعالى عميت بصيرته فلم يلتفت الى القرن الاول فان النبى صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من اهل البدع والهوى فما جعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات

ان كان همه الله فهمه هو والا فهمه غير الله والعبد اذا انتبه من النوم فباطنه عائد الى طهارة الفطرة فلا يدع الباطن يتغير بغير ذكر الله تعالى حتى لا يذهب عنه نور الفطرة الذى انتبه عليه ويكون فارا الى ربه بباطنه خوفا من ذكر الاغيار ومهما وفى الباطن بهذا المعيار فقد اتقى طريق الانوار وطرق النفحات الالهية فجدير ان تنصب اليه أقسام الليل انصبابا ويصير جناب القرب له موئلا ومآبا ويقول باللسان الحمد لله الذى احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور ويقرأ العشر الاواخر من سورة آل

والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الامن حيث رأوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة مايدل الضال على ضلالته واذا رأوا امصرا على ضلالة هجروه وأعرضوا عنه وابغضوه في الله ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدل في الدعوة الى السنة اذ روى ابو امامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال[1] ماضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل [2] وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال الهذا بعثتم ابهذا أمرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ماامرتم به فاعملوا ومانهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم انهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وا براد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الاقيسة وان يعلم اصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس واهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا لونجا اهل الارض وهلكنا لم تنفعنا نجاتهم ولونجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم فالنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ماينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نامن على انفسنا الخطأ في تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجداله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة نفي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للآخرة اولى هذا لوكنت لم انه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت عنه وكيف ادعو الى السنة بترك السنة فالاولى ان اتفقد نفسي وانظر من صفاتها مايبغضه الله تعالى ومايحبه لاتنزه عما يبغضه وأتمسك بما يحبه (وفرقة أخرى) اشتغلوا بالوعظ والتذكير واعلاهم رتبة من يتكلم في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله الاعن قدر يسير لاينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء اشد الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم ماتبحروا في علم المحبة الا وهم محبون لله وماقدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون وماوقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون ولولا انه مقرب عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى انه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى ويرى انه من الراجين وهو من المغترين المضيعين ويرى انه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله وهو من المتكلمين على العز والجاه والمال والاسباب ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره وهو مرائي بذكره ليعتقد فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء الى الله وهو منه فار ويخوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى وهوله ناس ويقرب الى الله تعالى وهو منه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق اشد حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه الى الله لضاقت عليه الارض بمارحبت ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه من اقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو اثنى احد من المترددين اليه على بعض اقرانه لكان ابغض خلق الله اليه

عمران ثم يقصد الماء الطهور قال الله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وقال عز وجل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الماء القرآن والاودية القلوب فسالت بقدرها واحتملت ما وسعت والماء مطهر والقرآن مطهر والقرآن بالتطهير اجدر فالماء يقوم غيره مقامه والقرآن والعلم لايقوم غيره مقامه ولا يسد مسده فالماء الطهور يطهر الظاهر والعلم والقرآن يطهران الباطن ويذهبان رجز الشيطان فالنوم غفلة وهو من آثار الطبع وجدير ان يكون من رجز الشيطان

(١) حديث ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل تقدم في العلم وفي آفات اللسان (٢) حديث خرج يوما على اصحابه وهم يجادلون ويختصمون فغضب حتى كانه فقئ في وجهه حب الرمان الحديث تقدم

فهؤلاء

فهؤلاء اعظم الناس غرة وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد لان المرغب فى الاخلاق المحمودة والمنفرد عن المذمومة هو العلم بغوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وانما المخوف مايتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم ان ظن بنفسه انه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن ان يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو ان يدعى مثلا حب الله فما الذى تركه من محاب نفسه لاجله ويدعى الخوف فما الذى امتنع منه بالخوف ويدعى الزهد فما الذى تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعى الانس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلىء بالحلاوة اذا احدق به المريدون وتراه يستوحش اذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون انفسهم بهذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون بانفسهم الظنون واذا كشف الغطاء عنهم فى الاخرة يفتضحون بل يطرحون فى النار فتندلق اقتابهم فيدور بها احدهم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لانهم يامرون بالخير ولا ياتونه وينهون عن الشر وياتونه انما وقع الغرور لهؤلاء من حيث انهم يصادفون فى قلوبهم شيأ ضعيفا من اصول هذه المعانى وهو حب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية فى هذه المعانى فظنوا انهم ماقدروا على وصف ذلك ومارزقهم الله علمه وما نفع بكلامهم فيها الا لاتصافهم بها وذهب عليهم ان القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وان كل ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم يفرق آحاد المسلمين فى الاتصاف بصفة الحب والخوف بل فى القدرة على الوصف بل ربما زاد أمنه وقل خوفه وظهر الى الخلق ميله وضعف فى قلبه حب الله تعالى وانما مثاله مثال مريض يصف المرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لايقدر على وصف الصحة والشفاء واسبابه ودرجاته واصنافه فهو لايفارقهم فى صفة المرض والاتصاف به وانما يفارقهم فى الوصف والعلم بالطب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة انه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لاعيب فى كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والاخبار ووعظ الحسن البصرى وأمثاله رحمة الله عليهم ﴿وفرقة اخرى﴾ منهم عدلوا عن المنهاج الواجب فى الوعظ وهم وعاظ اهل هذا الزمان كافة الا من عصمه الله على التدور فى بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فاكثر همهم بالاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق وغرضهم ان تكثر فى مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا عن سواء السبيل فان الاولين وان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصى ورغبة فى الدنيا لاسيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب فانه تشهد هيئته من فوقه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور اكثر مما يصلحه بل لايصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا ولايخفى وجه كونه مغرورا ﴿وفرقة اخرى﴾ منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم فى ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم فى المحاريب وبعضهم فى الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه اذا تميز بهذا القدر عن السوقة والجندية اذ حفظ كلام الزهاد واهل الدين دونهم فقد افلح ونال الغرض وصار مغفورا له وامن عقاب الله من غير ان يحفظ ظاهره وباطنه عن الاثام ولكنه يظن ان حفظه لكلام اهل الدين يكفيه وغروره هؤلاء اظهر من غرور من قبلهم ﴿وفرقة اخرى﴾ استغرقوا اوقاتهم فى علم الحديث اعنى فى سماعه وجمع الروايات الكثير منه وطلب الاسانيد الغريبة

لما فيه من الغفلة عن الله تعالى وذلك ان الله تعالى امر بقبض القبضة من التراب من وجه الارض فكانت القبضة جلدة الارض والجلدة ظاهرها بشرة وباطنها أدمة قال الله تعالى انى خالق بشرا من طين فالبشرة والبشر عبارة عن ظاهره وصورته والادمة عبارة عن باطنه وآدميته والآدمية مجمع الاخلاق الحميدة وكان التراب موطىء اقدام ابليس ومن ذلك اكتسب ظلمة وصارت تلك الظلمة معجونة فى طينة الادمى ومنها الصفات المذمومة والاخلاق الرديئة ومنها الغفلة والسهو فاذا استعمل الماء

العالية فهمة أحدهم أن يدور فى البلاد و يرى الشيوخ ليقول أنا أروى عن فلان ولقد رأيت فلانا ومعى من الاسناد ماليس مع غيرى وغرورهم من وجوه منها أنهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معانى السنة فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل و يظنون أن ذلك يكفيهم ومنها أنهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها أيضا ولا يعملون به ومنها انهم يتركون العلم الذى هو فرض عين وهو معرفة علاج القلب و يشتغلون بتكثير الاسانيد وطلب العالى منها ولا حاجة بهم الى شئ من ذلك ومنها وهو الذى أكب عليه أهل الزمان انهم أيضا لا يقومون بشرط السماع فان السماع بمجرده وان لم تكن له فائدة ولكنه مهم فى نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد الاثبات والعمل بعد التفهم فالاول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر فى مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي فى السماع فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذى يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغى ولا يضبط وربما يشتغل بحديث أو نسخ والشيخ الذى يقرأ عليه لو صحف وغير ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل فى الحديث ان يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه و يرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة او التابعين وصار سماعك عن الراوى كسماع من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان تصغى لتسمع فتحفظ وتروى كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا او اخطأ علمت خطأه ولحفظك طريقان * احدهما ان تحفظ بالقلب وتستديمه بالذكر والتكرار كما تحفظ ماجرى على سمعك فى مجارى الاحوال * والثانى ان تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل اليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفى خزانتك فانه لو امتدت اليه يد غيرك ربما غيره فاذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتامن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ وجوزت ان يكون ما فيه مغيرا أو يفارق حرف منه للنسخة التى سمعتها لم يجزلك ان تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدرى لعلك لم تسمع مافيه بل سمعت شيأ يخالف مافيه ولو فى كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها التقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى ولا تقف ماليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم فى هذا الزمان انا سمعنا ما فى هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذى ذكرناه فهو كذب صريح وأقل شروط السماع ان يجرى الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغيير ولو جاز ان يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذى ينسخ لجاز ان يكتب سماع المجنون والصبي فى المهد ثم اذا بلغ الصبي وأفاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف فى عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز ان يكتب سماع الجنين فى البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي فى المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذى يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وان استجرأ جاهل فقال يكتب سماع الصبي فى المهد فليكتب سماع الجنين فى البطن فان فرق بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فما ينفع هذا وهو انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر اذ صار شيخا على ان يقول سمعت بعد بلوغى أنى فى صباى حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعى صوته ولا ادرى ماهو فلا خلاف فى ان الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز اثبات سماع التركى الذى لا يفهم العربية لانه سمع صوتا غفلا لجاز اثبات سماع صبي فى المهد وذلك غاية الجهل ومن اين يؤخذ هذا وهل للسماع مستند الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فاداها كما سمعها وكيف يؤدى كما سمع من لا يدرى ما سمع

حديث نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها الحديث اصحاب السنن وابن حبان من حديث زيد بن ثابت والترمذى وابن ماجه من حديث ابن مسعود وقال الترمذى حديث حسن صحيح وابن ماجه فقط من حديث جبير بن مطعم وانس

وقرأ القرآن أنى بالمطهرين جميعا ويذهب عنه رجز الشيطان وأثر وطاته و يحكم له بالعلم والخروج من حيز الجهل فاستعمال الطهور امر شرعى له تاثير فى تنوير القلب بازاء النوم الذى هو الحكم الطبيعى الذى له تاثير فى تكدير القلب فيذهب نور هذا بظلمة ذلك ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء مما مست النار وحكم ابو حنيفة رحمه الله بالوضوء من القهقهة فى الصلاة حيث رآها حكما طبيعيا جالبا للاثم والاثم رجز من الشيطان والماء يذهب رجز الشيطان حتى كان بعضهم يتوضا من الغيبة والكذب وعند

فهذا أفحش انواع الغرور قد بلى بهذا اهل الزمان ولواحتاط اهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوه فى الصبا على هذا الوجه مع الغفلة الا ان للمحدثين فى ذلك جاها وقبولا فخاف المساكين ان يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع لذلك فى حلقهم فينقص جاههم وتقل أيضا احاديثهم التى قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك وافتضحوا فاصطلحوا على انه ليس يشترط الا ان يقرع سمعه دمدمة وان كان لا يدرى مايجرى وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علم علماء الاصول بالفقه وما ذكرناه مقطوع به فى قوانين أصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا أيضا مغرورين فى اقتصارهم على النقل وفى افناء اعمارهم فى جمع الروايات والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معانى الاخبار بل الذى يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روى عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع فكان اول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام [1] من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه فقام وقال يكفينى هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور ﴿وفرقة اخرى﴾ اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انهم قد غفر لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فافنى هؤلاء اعمارهم فى دقائق النحو وفى صناعة الشعر وفى غريب اللغة ومثالهم كمن يفنى جميع العمر فى تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط بحيث يمكن ان يقرأ كيفما كان والباقى زيادة على الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره فى معرفة لغة العرب كالمضيع له فى معرفة لغة الترك والهند وانما فارقتها لغة العرب لاجل ورود الشريعة بها فيكفى من اللغة علم الغريبين فى الاحاديث والكتاب ومن النحو مايتعلق بالحديث والكتاب فاما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه واعرض عن معرفة معانى الشريعة والعمل بها فهذا أيضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره فى تصحيح مخارج الحروف فى القرآن واقتصر عليه وهو غرور اذ المقصود من الحروف المعانى وانما الحروف ظروف وادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين ليزول مابه من الصفراء وضيع اوقاته فى تحسين القدح الذى يشرب فيه السكنجبين فهو من الجهال المغرورين فكذلك غرور اهل النحو واللغة والادب والقرا آت والتدقيق فى مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها اكثر مما يحتاج اليه فى تعلم العلوم التى هى فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذى فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى مافوقه وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بطريق الاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى مافوقه ومافوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الاعلى العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغترون الامن اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فتجاوز الى ماوراء ذلك حتى وصل الى لباب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه ورجى عمره فى حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان فى المنزل القريب او فى المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها اربابها فاما علم الطب والحساب والصناعات ومايعلم انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد اصحابها انهم ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم فكان الغرور بها اقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة فى انها محمودة كما يشارك القشر اللب فى كونه محمودا ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى والثانى محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن

(١) حديث من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث ابى هريرة وهو عند مالك من رواية على بن الحسين مرسلا وقد تقدم

الغضب لظهور النفس وتصرف الشيطان فى هذه المواطن ولو ان المتحفظ المراعى المراقب المحاسب كلما انطلقت النفس فى مباح من كلام او مساكنة الى مخالطة الناس او غير ذلك مما هو بعرضة تحليل عقد العزيمة كالخوض فيما لا يعنى قولا وفعلا عقب ذلك بتجديد الوضوء لثبت القلب على طهارته ونزاهته ولكان الوضوء لصفاء البصيرة بمثابة الجفن الذى لا يزال بخفة حركته يجلو البصر وما يعقلها الا العاملون فتفكر فيما نبهتك عليه تجد بركته واثره ولو اغتسل عند هذه التجددات والعوارض

اتخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به ﴿وفرقة اخرى﴾ عظم غرورهم فى فن الفقه فظنوا ان حكم العبد بينه و بين الله يتبع حكمه فى مجلس القضاء فوضعوا الحيل فى دفع الحقوق واساؤا تاويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر واخطؤا فيها وهذا من قبيل الخطا فى الفتوى والغرور فيه والخطا فى الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الا الا كياس منهم فنشير الى امثلة فمن ذلك فتواهم بان المرأة متى ابرأت من الصداق برىء الزوج بينه و بين الله تعالى وذلك خطا بل الزوج قد يسىء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرىء الزوج لتتخلص منه فهو ابراء لاعن طيبة نفس وقد قال تعالى فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد الانسان بقلبه مالا تطيب به نفسه فانه يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه وانما طيبة النفس ان تسمح نفسها بالابراء لاعن ضرورة تقابله حتى اذ ارددت بين ضررين اختارت اهونهما فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضى فى الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض فينظر الى الابراء الظاهر وانها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضى الاكبر فى صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا فى تحصيل الابراء ولذلك لا يحل ان يؤخذ مال انسان الا بطيب نفس منه فلو طلب من الانسان مالا على ملا من الناس فاستحيا من الناس ان لا يعطيه وكان يود ان يكون سؤاله فى خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف ألم مذمة الناس وخاف ألم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار اهون الالمين وهو ألم التسليم فسلمه فلا فرق بين هذا و بين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك اقوى من ألم القلب ببذل المال فيختار اهون الالمين والسؤال فى مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله تعالى ظاهر وانما حاكم الدنيا هو الذى يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما فى القلب و كذلك من يعطى اتقاء لشر لسانه او لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام الاترى ما جاء فى قصة داود عليه السلام حيث قال بعد ان غفر له يارب كيف لى بخصمى فامر بالاستحلال منه وكان ميتا فامر بندائه فى صخرة بيت المقدس فنادى يا اوريا فاجابه لبيك يانبى الله اخرجتنى من الجنة فما ذا تريد فقال انى اسات اليك فى امر فهبه لى قال قد فعلت ذلك يانبى الله فانصرف وقد ركن الى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له مافعلت قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال لبيك يانبى الله فقال انى اذنبت اليك ذنبا قال ألم اهبه لك قال الا تسالنى ماذلك الذنب قال ماهو يانبى الله قال كذا وكذا وذكر شان المرأة فانقطع الجواب فقال يا اوريا الا تجيبنى قال يانبى الله ماهكذا يفعل الانبياء حتى اقف معك بين يدى الله فاستقبل داود البكاء والصراخ من الرأس حتى وعده الله ان يستوهبه منه فى الآخرة فهذا ينبهك ان الهبة من غير طيبة قلب لاتفيد وان طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لاتكون فى الابراء والهبة وغيرهما الا اذا خلا الانسان واختياره حتى تنبعث الدواعى من ذات نفسه لا ان تضطر بواعثه الى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة فى آخر الحول من زوجته واتهابه مالها لاسقاط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فان اراد به ان مطالبة السلطان والساعى سقطت عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وان ظن انه يسلم فى القيامة ويكون كمن لم يملك المال اوكمن باع لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما اعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم(1) ثلاث مهلكات شح مطاع وانما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقدتم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه فان الله مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه على المال ان استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة

والانتباه من النوم لكان اذ يدفى تنوير قلبه ولكان الاجدر ان العبد يغتسل لكل فريضة باذلا مجهوده فى الاستعداد لمناجاة الله ويجدد غسل الباطن بصدق الانابة وقد قال الله تعالى منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة قدم الانابة للدخول فى الصلاة ولكن من رحمة الله تعالى وحكم الحنيفية السهلة السمحة ان رفع الحرج وعوض بالوضوء عن الغسل وجوز اداء مفترضات بوضوء واحد دفعا للحرج عن عامة الامة وللخواص واهل العزيمة مطالبات من بواطنهم تحكم عليهم بالاولى وتلجئهم

(1) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة

والفقهاء المغرورون لايميزون بين الامانى والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل مالاتتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها فى العبادة وسلوك طريق الآخرة فكل ماتناوله العبد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وماعدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء فى امثال هذا الملأنا فيه مجلدات والغرض من ذلك التنبيه على امثلة تعرف الاجناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول ﴿الصنف الثانى﴾ ارباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره فى الصلاة ومنهم من غروره فى تلاوة القرآن ومنهم فى الحج ومنهم فى الغزو ومنهم فى الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور الا الاكياس وقليل ماهم ﴿فنهم فرقة﴾ أهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا فى الفضائل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذى تغلب عليه الوسوسة فى الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته فى فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة فى النجاسة واذا آل الامر الى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان اشبه بسيرة الصحابة اذ توضأ عمر رضى الله عنه بماء فى جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال مخافة من الوقوع فى الحرام ثم من هؤلاء من يخرج الى الاسراف فى صب الماء وذلك منهى عنه[1] وقد يطول الامر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وان لم يخرجها ايضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة اول الوقت وان لم يفته فهو مغرور لاسرافه فى الماء وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذى هو أعز الاشياء فيما له مندوحة عنه الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق سنى ولا يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم أنه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك ﴿وفرقة اخرى﴾ غلب عليها الوسوسة فى نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وان تم تكبيره فيكون فى قلبه بعد تردد فى صحة نيته وقد يوسوسون فى التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك فى اول الصلاة ثم يغفلون فى جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم و يغترون بذلك و يظنون انهم اذا اتعبوا انفسهم فى تصحيح النية فى اول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم ﴿وفرقة اخرى﴾ تغلب عليهم الوسوسة فى اخراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط فى التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف فى جميع صلاته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم الى اسراره وهذا من أقبح أنواع الغرور فانه لم يكلف الخلق فى تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم فى الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان وامر ان يؤديها على وجهها فاخذ يؤدى الرسالة و يتأنق فى مخارج الحروف و يكررها و يعيدها مرة بعد أخرى وهو فى ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما احراه بان تقام عليه السياسة و يرد الى دار المجانين و يحكم عليه بفقد العقل ﴿وفرقة اخرى﴾ اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذا وربما يختمونه فى اليوم والليلة مرة ولسان احدهم يجرى به وقلبه يتردد فى اودية الامانى اذ لا يتفكر فى معانى القرآن لينزجر بزواجره و يتعظ بمواعظه ويقف عند اوامره ونواهيه و يعتبر بمواضع الاعتبار فيه الى غير ذلك مما ذكرناه فى كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن ان المقصود من انزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه ومثاله مثال عبد كتب اليه مولاه ومالكه كتابا واشار عليه فيه بالاوامر والنواهى فلم يصرف عنايته الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما امره به مولاه الا انه يكرر الكتاب بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة وهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته انما تراد لكيلا ينسى بل لحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له

(١) حديث النهى عن الاسراف فى الوضوء الترمذى وضعفه وابن ماجه من حديث ابى بن كعب ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان الحديث وتقدم فى عجائب القلب

الى سلوك طريق الاعلى فاذا قام الى الصلاة وأراد استفتاح التهجد يقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ويقول سبحان الله والحمد لله الكلمات عشر مرات ويقول الله أكبر ذو الملك والملكوت والجبروت والكبرياء العظمة والجلال والقدرة اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ولك الحمد أنت بهاء السموات والارض ولك الحمد أنت قيوم السموات والارض ولك الحمد أنت رب السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد عليه السلام حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك

صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وانما هي لذته في صوته ولو ردد ألحانه بشعر أو كلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه فيعرفه ان لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته ﴿ وفرقة أخرى ﴾ اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أو صاموا الايام الشريفة وهم فيها لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة وخواطرهم عن الرياء وبطونهم عن الحرام عند الافطار وألسنتهم عن الهذيان بانواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور ﴿ وفرقة أخرى ﴾ اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام وأنفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيعصي الله تعالى في كسب الحرام أولا وفي انفاقه بالرياء ثانيا فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذائل الاخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه فهو مغرور ﴿ وفرقة أخرى ﴾ أخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه واذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة واذا باشر منكرا ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس الى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وانما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن انه يؤذن لله ولو جاء غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم أخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد امامة مسجد ويظن أنه على خير وانما غرضه أن يقال انه امام المسجد فلو تقدم غيره وان كان أورع وأعلم منه ثقل عليه ﴿ وفرقة أخرى ﴾ جاوروا بمكة أو المدينة واغتروا بمكة ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة الى قول من يعرفه ان فلانا مجاور بذلك وتراه يتحدى ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة واذا سمع ان ذلك قبيح ترك صريح التحدي وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم انه قد يجاور ويمد عين طمعه الى أوساخ اموال الناس واذا جمع من ذلك شيأ شح به وأمسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وأن يقال أنه من المجاورين ألزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور ومامن عمل من الاعمال وعبادة من العبادات الا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك الا من جملة كتب احياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة وفي الحج من كتاب الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وانما الغرض الآن الاشارة الى مجامع ماسبق في الكتب ﴿ وفرقة أخرى ﴾ زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الامرين وباء باعظم المهلكين فان الجاه أعظم من المال ولو ترك الجاه واخذ المال كان الى السلامة اقرب فهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر ان منتهى لذاتها الرياسة وان الراغب فيها لابد وان يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بذلك على الاغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لايدري وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من ان يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال فخذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الذ ابواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فربما لايخلو من توقير الاغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل الى المريدين

توكلت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت اسالك مسئلة البائس المسكين وادعوك دعاء الفقير الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما ياخير المسؤلين ويا أكرم المعطين ثم يصلي ركعتين تحية الطهارة يقرأ في الاولى بعد الفاتحة ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الآية وفي الثانية ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ويستغفر

له والثنين عليه والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان نعوذ بالله منه وفى العباد من يشدد على نفسه فى أعمال الجوارح حتى ربما يصلى فى اليوم والليلة مثلا الف ركعة ويختم القران وهو فى جميع ذلك لايخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلايدرى ان ذلك مهلك وان علم ذلك فلايظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفور له لعمله الظاهر وانه غير مؤاخذ باحوال القلب وان توهم فيظن ان العبادات الظاهرة تترجح بها كفة حسناته وهيهات وذرة من ذى تقوى وخلق واحد من أخلاق الاكياس افضل من امثال الجبال عملا بالجوارح ثم لايخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فاذا قيل له انت من اوتاد الارض وأولياء الله واحبابه فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن ان تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولايدرى ان ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه ﴿ وفرقة أخرى ﴾ حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى احدهم يفرح بصلاة الضحى و بصلاة الليل وامثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها فى اول الوقت و ينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه (١) ماتقرب المتقربون الى بمثل اداء ماافترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان احدهما يفوت والاخر لا يفوت اوفضلان احدهما يضيق وقته والاخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا نظائر ذلك اكثر من ان تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لاقائم به على ماقام به غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان على ما دونه وتقديم مايفوت على مالايفوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله صلى الله عليه سلم (٢) فقيل له من أبر يارسول الله قال امك ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال اباك قال ثم من قال ادناك فادناك فينبغى ان يبدأ فى الصلة بالاقرب فان استويا فبالاحوج فان استويا فبالاتقى والاورع وكذلك من لايفى ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغى ان يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض اهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت والاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو طاعة فى نفسه وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على أبويه واهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وايذاؤهما محذور والحذر من الايذاء أهم من الحذر من النجاسة وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لاتنحصر ومن ترك الترتيب فى جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور فى غاية الغموض لان المغرور فيه فى طاعة الا انه لايفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هى أهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه فى حق من بقى عليه شغل من الطاعات والمعاصى الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لان مقصود الفقه معرفة ما يحتاج اليه غيره فى حوائجه فمعرفة مايحتاج هو اليه فى قلبه اولى به الا ان حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الاقران والتقدم عليهم يعمى عليه حتى يغتر به مع نفسه و يظن انه مشغول بهم دينه ﴿ الصنف الثالث ﴾ المتصوفة وما اغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق كثيرة ﴿ ففرقة منهم ﴾ وهم متصوفة اهل الزمان الامن عصمه الله اغتروا بالزى والهيئة والمنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية فى زيهم وهيئتهم وفى الفاظهم وفى ادابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفى احوالهم الظاهرة فى السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الراس وادخاله فى الجيب كالمتفكر وفى تنفس الصعداء وفى خفض الصوت فى الحديث الى غير ذلك من الشمائل

(١) حديث ماتقرب المتقربون الى بمثل اداء ماافترضت عليهم البخارى من حديث ابى هريرة بلفظ ماتقرب الى عبدى (٢) حديث من ابر قال امك الحديث الترمذى والحاكم وصححه من حديث بهز بن حكيم عن ابيه عن جده وقد تقدم فى اداب الصحبة

بعد الركعتين مرات ثم يستفتح الصلاة بركعتين خفيفتين ان أراد يقرأ فيهما باية الكرسى وآمن الرسول وان أراد غير ذلك ثم يصلى ركعتين طويلتين هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتهجد هكذا ثم يصلى ركعتين طويلتين أقصر من الاوليين وهكذا يتدرج الى ان يصلى اثنتى عشرة ركعة أو ثمان ركعات أو يزيد على ذلك فان فى ذلك فضلا كثيرا والله أعلم

﴿ الباب الثامن والاربعون فى تقسيم قيام الليل ﴾ قال الله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل فى تفسير قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون كان عملهم قيام الليل وقيل فى تفسير

قوله تعالى استعينوا بالصبر والصلاة استعينوا بصلاة الليل على مجاهدة النفس ومصابرة العدو (وفى الخبر) عليكم بقيام الليل فانه مرضاة لربكم وهو أدب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الاثم وملغاة للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطردة للداء عن الجسد (وقد كان) جمع من الصالحين يقومون الليل كله حتى نقل ذلك عن اربعين من التابعين كانوا يصلون الغداة بوضوء العشاء منهم سعيد بن المسيب وفضيل ابن عياض ووهيب ابن الورد وابو سليمان الدرانى على بن بكار وحبيب العجمى و كهمس بن المنهال وابو حازم ومحمد ابن المنكدر وابو حنيفة رحمه الله وغيرهم عدهم وسماهم بانسابهم الشيخ ابو طالب

والهيئات فلما تكلفوا هـذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم ايضا صوفية ولم يتعبوا انفسهم قط فى المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من اوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم ان يعدوا انفسهم فى الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا انفسهم شيأ منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين و يتنافسون فى الرغيف والفلس والحبة و يتحاسدون على النقير والقطمير و يمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه فى شىء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين ثبتت اسماؤهم فى الديوان و يقطع لكل واحد منهم قطر من اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان يقطع لها مملكة فلبست درعا ووضعت على رأسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال ابياتا وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم فى الميدان وكيف تحريكهم الايدى وتلقفت جميع شمائلهم فى الزى والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى المعسكر ليثبت اسمها فى ديوان الشجعان فلما وصلت الى المعسكر انفذت الى ديوان العرض وامر بان تجرد عن المغفر والدرع و ينظر ما تحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عنائها فى الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هى عجوزة ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفرة فقيل لها اجئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف باهل حضرته والتلبيس عليهم خذوها فالقوها قدام الفيل لسخفها فالقيت الى الفيل فهكذا يكون حال المدعين للتصوف فى القيامه اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضى الاكبر الذى لا ينظر الزى والمرقع بل الى سر القلب * وفرقة اخرى * زادت على هؤلاء فى الغرور اذ شق عليها الاقتداء بهم فى بذاذة الثياب والرضا بالدون فارادت ان تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزين بزيهم فتركوا الحرير والابريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرقيقة والسجادات المصبغة ولبسوا من الثياب ما هو ارفع قيمة من الحرير والابريسم وظن احدهم مع ذلك انه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعا ونسى انهم انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقعات اذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فاما تقطيع الفوط الرقيقة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن اين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء اظهر حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة و يطلبون رغد العيش و يأكلون اموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصى الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير وشر هؤلاء مما يتعدى الى الخلق اذ يهلك من يقتدى بهم ومن لا يقتدى بهم تفسد عقيدته فى اهل التصوف كافة و يظن ان جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان فى الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم (* وفرقة اخرى) * ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة فى عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامى والالفاظ لانه تلقف من الفاظ الطامات كلمات فهو يرددها و يظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والاخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته و يلازمهم اياما معدودة و يتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيرددها كانه يتكلم عن الوحى و يخبر عن سر الاسرار و يستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول فى العباد انهم اجراء متعبون و يقول فى العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون و يدعى لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمق الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه * وفرقة اخرى * وقعت فى الاباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الاحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملى فلم اتعب نفسى و بعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد جربنا وادركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا

قلع الشهوة والغضب من أصلهما بل انما كلفوا قلع مادتهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع و بعضهم يقول الاعمال بالجوارح لاوزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة الى معرفة الله وانما نخوض فى الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة فى الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة انفسهم على درجة الانبياء عليهم السلام اذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها و ينوحون سنين متوالية واصناف غرور أهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على أغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم من غير اقتداء بشيخ متقن فى الدين والعلم صالح للاقتداء به واحصاء اصنافهم يطول ﴿وفرقة أخرى﴾ جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعى المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فنهم من يدعى الوجد والحب لله تعالى و يزعم انه واله بالله ولعله قد تخيل فى الله خيالات هى بدعة أو كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن ايثار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدرى ان كل ذلك يناقض الحب و بعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادى من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فما فهموا أن التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من المقامات المنجيات الا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات فى ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن اعادتها ﴿وفرقة أخرى﴾ ضيقت على نفسها فى أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص واهملوا تفقد القلب والجوارح فى غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من اهمل الحلال فى مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق فى غير ذلك وليس يدرى المسكين ان الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه الا تفقد جميع الطاعات والمعاصى فمن ظن ان بعض هذه الامور يكفيه و ينجيه فهو مغرور ﴿وفرقة أخرى﴾ ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون ان غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة والتبعة ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثر اتباعهم و ينشر بالخدمة اسمهم و بعضهم يأخذون اموال السلاطين ينفق عليهم و بعضهم يأخذها لينفق فى طريق الحج على الصوفية و يزعم ان غرضه البر والانفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك اهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا و باطنا ورضاهم باخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام فى طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة و يزعم ان قصده العمارة ﴿وفرقة اخرى﴾ اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم فى جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام فى آفاتها فيقولون هذا فى النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب و يشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات فى تلفيقها ومن جعل طول عمره فى التفتيش عن العيوب وتحرير علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه ﴿وفرقة اخرى﴾ جاوزوا هذه الرتبة وابتدؤا سلوك الطريق وانفتح لهم ابواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادى المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبتهم غرابتها فتقيدت

المكى فى كتابه قوت القلوب فمن عجز عن ذلك يستحب له قيام ثلثيه أو ثلثه وأقل الاستحباب سدس الليل فاما ان ينام ثلث الليل الاول و يقوم نصفه و ينام سدسه الآخر أو ينام النصف الاول و يقوم ثلثه و ينام السدس (روى) ان داود عليه السلام قال يارب انى أحب ان أتعبد لك فاى وقت أقوم فاوحى الله تعالى اليه ياداود لا تقم أول الليل ولا آخره فانه من قام اوله نام آخره ومن قام آخره نام اوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بى وأخلو بك وارفع الى حوائجك ويكون القيام بين نومتين والا فيغالب النفس من اول الليل و يتنفل فاذا غلبه النوم ينام فاذا انتبه يتوضأ فيكون له قومتان ونومتان ويكون ذلك من أفضل

قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفى كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل اعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم الوصول الى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب ميدانه روضة فيها اظهار وانوار لم يكن قد راى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها ويتعجب حتى فاته الوقت الذى يمكن فيه لقاء الملك ❊ وفرقة اخرى ❊ جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى مايفيض عليهم من الانوار فى الطريق ولا الى مايتسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين فى السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله تعالى فظنوا انهم قد وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله تعالى سبعين حجابا من نور لا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب فى الطريق الا و يظن انه قد وصل واليه الاشارة بقول ابراهيم عليه السلام اذ قال الله تعالى اخبارا عنه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى وليس المعنى به هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها فى الصغر و يعلم انها ليست آلهة وهى كثيرة وليست واحدا والجهال يعلمون ان الكوكب ليس باله فمثل ابراهيم عليه السلام لا يغره الكوكب الذى لا يغر السوادية ولكن المراد به انه نور من الانوار التى هى من حجب الله عز وجل وهى على طريق السالكين ولا يتصور الوصول الى الله الا بالوصول الى هذه الحجب وهى حجب من نور بعضها اكبر من بعض واصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه واعظمها الشمس و بينهما رتبة القمر فلم يزل ابراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض يصل الى نور بعد نور و يتخيل اليه فى اول ما كان يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له ان وراءه امرا فيترقى اليه و يقول قد وصلت فيكشف له ماوراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذى لا وصول الا بعده فقال هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمه غير خال عن الهوى فى حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الآفلين انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض وسالك هذه الطريق قد يغتر فى الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجب بين الله و بين العبد هو نفسه فانه ايضا امر ربانى وهو نور من انوار الله تعالى اعنى سر القلب الذى تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم و يحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو فى اول الامر محجوب بمشكاة هى كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفائق مايدهشه وربما يسبق لسانه فى هذه الادهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح ماوراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلى يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون مايتراءى فى المرآة بالمرآة فيظن انه لون المراى وكما يلتبس مافى الزجاج بالزجاج كما قيل

رق الزجاج ورقت الخمر ❊ فتشابها فتشاكل الامر فكأنما خمر ولا قدح ❊ وكأنما قدح ولا خمر

و بهذه العين نظر النصارى الى المسيح فرأوا اشراق نور الله قد تلالأ فيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا فى مرآة او فى ماء فيظن ان الكوكب فى المراة اوفى الماء فيمد يده اليه ليأخذه وهو مغرور وانواع الغرور فى طريق السلوك الى الله تعالى لا تحصى فى مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة فى ذكره ولعل القدر الذى ذكرناه ايضا كان الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج الى ان يسمعه من غيره والذى لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع مالا يفهم ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من الغرور الذى هو فيه بل ربما يصدق بان الامر اعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف و يصدق ايضا بما يحكى له من المكاشفات التى اخبر عنها أولياء الله ومن عظم غروره ربما اصر مكذبا بما يسمعه الآن كما يذهب بما سمعه من قبل ❊ الصنف الرابع ❊ أرباب الاموال والمغترون منهم فرق (ففرقة منهم) يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر ومايظهر للناس كافة و يكتبون أساميهم بالاجر عليها

مايفعله ولا يصلى وعنده نوم يشغله عن الصلاة والتلاوة حتى يعقل مايقول (وقد ورد) لا تكابدوا الليل (وقيل) لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلى من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال ليصل احدكم من الليل ماتيسر فاذا غلبه النوم فلينم (وقال عليه السلام) لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن تشاده يغلبه ولا تبغض الى نفسك عبادة الله ولا يليق بالطالب ولا ينبغى له ان يطلع الفجر وهو نائم الا ان يكون قد سبق له فى الليل قيام طويل فيعذر فى ذلك على انه اذا استيقظ قبل الفجر بساعة مع قيام قليل سبق فى الليل

ليتخلد ذكرهم و يبقى بعد الموت اثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين * احدهما انهم يبنونها من اموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله فى كسبها وتعرضوا لسخطه فى انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذا قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله تعالى وردها الى ملاكها اما باعيانها واما برد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها الى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى أهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من أن لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء أسمائهم المكتوبة فيها لا لبقاء الخير * والوجه الثانى انهم يظنون بانفسهم الاخلاص وقصد الخير فى الانفاق على الابنية ولو كاف واحد منهم أن ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذى انفق عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه اولم يكتب ولولا انه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك (وفرقة اخرى) ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على المساجد وهى أيضا مغرورة من وجهين * أحدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون فى جواره او بلده فقراء وصرف المال اليهم أهم وأفضل وأولى من الصرف الى بناء المساجد وزينتها وانما يخف عليهم الصرف الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس * والثانى انه يصرف الى (١) زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التى هى منهى عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة ابصارهم والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعد ذلك وسيلة الى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن انه مطيع له وممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك فى بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله فى رقبته اذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى قال مالك بن دينار اتى رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب وقال مثلى لا يدخل بيت الله فكتبه الملكان عند الله صديقا فهكذا ينبغى ان تعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد بدخوله فيه بنفسه جناية على المسجد لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا منة على الله تعالى وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر الى هذا المسجد ما أحسنه فقال امتى امتى بحق اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر الا اهلكه بذنوب اهله ان الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التى تعجبكم شيا وان احب الاشياء الى الله تعالى القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) لما اراد ان يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة اذرع طولا فى السماء لا تزخرفه ولا تنقشه فغرور هذا من حيث انه رأى المنكر معروفا واتكل عليه (وفرقة اخرى) ينفقون الاموال فى الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والافشاء للمعروف ويكرهون التصدق فى السر ويرون اخفاء الفقير لما ياخذه منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على انفاق المال فى الحج فيحجون مرة بعد اخرى وربما تركوا جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود فى اخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم فى الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوى باحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره ماسور الى جنبه لا يواسيه وقال أبو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر

(١) حديث النهى عن زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش البخارى من قول عمر بن الخطاب اكن الناس ولا تحمر ولا تصفر (٢) حديث اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم ابن المبارك فى الزهد وابو بكر بن أبى داود فى كتاب المصاحف موقوفا على أبى الدرداء (٣) حديث الحسن مرسلا لما اراد ان يبنى مسجد المدينة اتاه جبريل فقال ابنه سبعة اذرع طولا فى السماء ولا تزخرفه ولا تنقشه لم اجده

يكون أفضل من قيام طويل ثم النوم الى بعد طلوع الفجر فاذا استيقظ قبل الفجر يكثر الاستغفار والتسبيح ويغتنم تلك الساعة وكلما يصلى بالليل يجلس قليلا بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ويصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجد بذلك ترويحا وقوة على القيام وقد كان بعض الصالحين يقول هى اول نومة فان انتبهت ثم عدت الى نومة اخرى فلا أنام الله عينى (وحكى) لى بعض الفقراء عن شيخ له انه كان يامر الاصحاب بنومة واحدة بالليل وأكلة واحدة لليوم والليلة (وقد جاء) فى الخبر قم من الليل ولو قدر حلب شاة وقيل يكون ذلك قدر أربع ركعات وقدر ركعتين (وقيل) فى تفسير قوله تعالى تؤتى الملك

ابن الحرث وقال قد عزمت على الحج فتامرني بشئ فقال له كم أعددت للنفقه فقال ألفي درهم قال بشر فاى شئ تبتغي بحجك تزهدا أو اشتياقا الى البيت او ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان اصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة أنفس مدیون يقضي دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغني عياله ومربي يتيم يفرحه وان قوى قلبك تعطيها واحدا فافعل فان ادخالك السرور على قلب المسلم واغاثة اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما أمرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال يا أبا نصر سفرى أقوى في قلبي فتبسم بشر رحمه الله تعالى وأقبل عليه وقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس ان تقضي به وطرا فاظهرت الاعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين (وفرقة اخرى) من ارباب الاموال اشتغلوا بها يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج الى قمعه باخراج المال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل في ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان فلانا الغني كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره وانما حال هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه للفقراء (وفرقة اخرى) غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكاة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردىء الذى يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم او من يحتاجون اليه في المستقبل للاستسخار في خدمة أو من لهم فيه على الجملة غرض أو يسلمون ذلك الى من يعينه واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمه لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن انه مطيع لله تعالى وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا وأمثاله من غرور أصحاب الاموال أيضا لا يحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور (وفرقة اخرى) من عوام الخلق وأرباب الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فاذا قصر عن الاداء الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما تدخله رقة كرقة النساء فيبكي ولا عزم وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على ان يصفق بيديه ويقول ياسلام سلم او نعوذ بالله اوسبحان الله ويظن انه قد أتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض الذى يحضر مجالس الاطباء فيسمع ما يجرى أو الجائع الذى يحضر عنده من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغني عنه من مرضه وجوعه شيئا فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغني من الله شيئا فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا يغير افعالك حتى تقبل على الله تعالى اقبالا قويا او ضعيفا وتعرض عن الدنيا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا فان قلت فاذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص منه احد ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب الياس اذ لا يقوى احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات فاقول الانسان اذا فترت همته في شئ اظهر الياس منه واستعظم الامر واستوعر الطريق واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا اراد ان يستنزل الطير المحلق في جو السماء مع بعده منه استنزله واذا أراد ان يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه واذا أراد ان يستخرج الذهب او الفضه من تحت الجبال استخرجه واذا اراد ان يقتنص الوحوش المطلقة في البرارى والصحارى اقتنصها

من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء هو قيام الليل ومن حرم قيام الليل كسلا وفتورا في العزيمة او تهاونا به لقلة الاعتداد بذلك او اغترارا بحاله فليبك عليه فقد قطع عليه طريق كثير من الخير وقد يكون من ارباب الاحوال من يكون له ايواء الى القرب ويجد من دعة القرب ما يفتر عليه داعية الشوق ويرى ان القيام وقوف في مقام الشوق وهذا يغلط فيه ويهلك به خلق من المدعين والذى له ذلك ينبغي ان يعلم ان استمرار هذه الحالة متعذر والانسان متعرض للقصور والتخلف والشبهة ولا حالة اجل من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما استغنى عن قيام الليل وقام حتى تورمت قدماه وقد يقول

واذا أراد أن يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات استسخرها واذا أراد أن يأخذ الحيات والافاعى ويعبث بها أخذها واستخرج الدرياق من أجوافها واذا أراد أن يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت اتخذه واذا أراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الآلات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازى لاقتناص الطيور وهيأ الشبكة لاصطياد السمك الى غير ذلك من دقائق حيل الآدمى كل ذلك لان همه أمر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقل هذا محال ومن الذى يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو أصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما يقال * لو صح منك الهوى أرشدت للحيل * فهذا شىء لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه أيضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق فى استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها فان قلت قد قربت الامر فيه مع انك اكثرت فى ذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور فاعلم انه ينجو منه بثلاثة امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة أمور لا بد منها * أما العقل فاعنى به الفطرة الغريزية والنور الاصلى الذى به يدرك الانسان حقائق الاشياء فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه فى أصل الفطرة فهذا ان لم يفطر عليه الانسان فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة فاساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (1) تبارك الله الذى قسم العقل بين عباده أشتاتا ان الرجلين ليستوى عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان فى العقل كالذرة فى جنب أحد وما قسم الله لخلقه حظا هو أفضل من العقل واليقين وعن أبى الدرداء انه قيل يا رسول الله (2) أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو فى سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ولا يعلم منزلته عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يجزى على قدر عقله وقال انس اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (3) كيف عقله قالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله وخلقه فقال كيف عقله فان الاحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم وقال أبو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (4) اذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فاذا قالوا حسن قال ارجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشىء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون فالذكاء وصحيح غريزة العقل نعمة من الله تعالى وأصل الفطرة فان فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك لها الثانى المعرفة واعنى بالمعرفة ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا فى هذا العالم وأجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه فقط فلا يتصور أن يعرف هذا مالم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليستعن على هذا بما ذكرناه فى كتاب المحبة وفى كتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف النفس والى وصف جلال الله ويحصل به التنبه على الجملة وكال

بعض من يحاج فى ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تشريعا فنقول ما بالنا لا نتبع تشريعه وهذه دقيقة فتعلم ان رؤية الفضيلة فى ترك القيام وادعاء الايواء الى جناب القرب واستواء النوم واليقظة امتلاء وابتلاء حالى وهو تقيد بالحال وتحكيم للحال وتحكم من الحال فى العبد والاقوياء لا يتحكم فيهم الحال ويصرفون الحال فى صور الاعمال فهم متصرفون فى الحال لا الحال متصرف فيهم فليعلم ذلك فانا رأينا من الاصحاب من كان فى ذلك ثم انكشف لنا بتأييد الله تعالى ان ذلك وقوف وقصور (قيل) للحسن يا أبا سعيد انى ابيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهورى فما بالى لا أقوم قال

(1) حديث تبارك الذى قسم العقل بين عباده الحديث الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول من رواية طاوس مرسلا وفى أوله قصة واسناده ضعيف ورواه بنحوه من حديث أبى حميد وهو ضعيف ايضا (2) حديث ابى الدرداء أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل الحديث وفيه انما يجزى على قدر عقله الخطيب فى التاريخ وفى اسماء من روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه ولم اره من حديث ابى الدرداء (3) حديث انس اثنى على رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال كيف عقله الحديث داود بن المحبر فى كتاب العقل وهو ضعيف وتقدم فى العلم (4) حديث ابى الدرداء كان اذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله الحديث الترمذى الحكيم فى النوادر وابن عدى ومن طريقه البيهقى فى الشعب وضعفه

المعرفة وراءه فان هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب الا في علوم المعاملة واما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليها بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليتبين له ان لا نسبة للدنيا الى الآخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ويصير أهم أموره مايوصله الى الله تعالى وينفعه في الآخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان اكل مثلا او اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد للنية ومادامت الدنيا أحب اليه من الآخرة وهوى نفسه احب اليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث وهو العلم أعني العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقرب به من الله ومايبعده عنه والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد اودعناه كتب احياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها فيتقيها ومن ربع العادات اسرار المعايش وماهو مضطر اليه فيأخذه بادب الشرع وماهو مستغني عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فان المانع من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لا بد وان توضع خلفا عن المذمومة بعد محوها فاذا أحاط بجميع ذلك امكنه الحذر من الانواع التي اشرنا اليها من الغرور واصل ذلك كله ان يغلب حب لله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الارادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه فاقول يخاف عليه أن يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ماعرفه من دين الله فان المريد الخاص اذا فرغ من تهذيب نفسه واخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من جميع المكدرات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء الى الله فينظر العبد برحمته الى العبيد فيراهم حيارى في أمرهم سكارى في دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب واشرفوا على العطب فغلبت على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كمثل رجل كان به داء عظيم لا يطاق ألمه وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية التكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء أنينهم فتذكر ان دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم باسهل مايكون وفي ارجى زمان فأخذته الرحمة والرأفة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد الخاص بعد ان اهتدى الى الطريق وشفي من امراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم واعضل داؤهم وقرب هلاكهم واشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء ان يجد مجالا للفتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالا للفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا اخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات والتصنع في الزي والهيئة فاقبل الناس اليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ رأوه شافيا لادوائهم بمحض الشفقة

والرحمة

ذنوبك قيدتك فليحذر العبد في نهاره ذنوبا تقيده في ليله (وقال الثوري) رحمه الله حرمت قيام الليل سبعة أشهر بذنب أذنبته فقيل له ما كان الذنب قال رأيت رجلا بكاء فقلت في نفسي هذا مراء (وقال بعضهم) دخلت على كرز ابن وبرة وهو يبكي فقلت ما بالك أتاك نعي بعض اهلك فقال أشد فقلت وجع يؤلمك قال اشد فقلت وما ذاك قال بابي مغلق وستري مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وماذاك الا بذنب احدثته (وقال بعضهم) الاحتلام عقوبة وهذا صحيح لان المراعي المتحفظ بحسن تحفظه وعلمه بحاله يقدر ويتمكن من سد باب الاحتلام ولا يتطرق الاحتلام الا على جاهل بحاله أو مهمل حكم

والرحمة من غير طمع فصار احب اليهم من آبائهم وامهاتهم واقاربهم فآثروه بابدانهم وأموالهم وصاروا له خولا كالعبيد والخدم فخدموه وقدموه فى المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يالها من لذة أصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع فى أعظم لذاتها فعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت الى قلبه يده فهو يستعمله فى كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وامارة انتشار الطبع وركون النفس الى الشيطان أنه لو أخطأ فرد عليه بين يدى الخلق غضب فاذا انكر على نفسه ما وجده من الغضب بادر الشيطان فخيل اليه ان ذلك غضب لله لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع فى الغرور فربما اخرجه ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع فى الغيبة المحظورة بعد تركه الحلال المتسع ووقع فى الكبر الذى هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد ان كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك اذا سبقه الضحك أو فتر عن بعض الاوراد جزعت النفس ان يطلع عليه فيسقط قبوله فاتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد فى الاعمال والاوراد لاجل ذلك والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك كيلا يفتر رأيهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركه وانما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لاتجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من اقرانه بل ربما يحب ذلك و يستبشر به ولو ظهر من اقرانه من مالت القلوب الى قبوله وزاد اثر كلامه فى القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا ان النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك اذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من اخوانه قد وقعوا فى بئر وتغطى رأس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقى من البئر بسببه فرق قلبه لاخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشق عليه فجاءه من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لا محالة اذ غرضه خلاص اخوانه من البئر فان كان غرض الناصح خلاص اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من أعانه او كفاه ذلك لم يثقل عليه أرأيت لو اهتدوا جميعهم من انفسهم أكان ينبغى أنه يثقل ذلك عليه ان كان غرضه هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك فى نفسه دعاه الشيطان الى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح واهلكه فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء فان قلت فمتى يصح له ان يشتغل بنصح الناس فاقول اذا لم يكن له قصد الا هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه او لو اهتدوا بأنفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن اموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقترن به حمد الله تعالى ونظر اليهم كما ينظر الى السادات والى البهائم اما الى السادات فمن حيث انه لايتكبر عليهم و يرى كلهم خيرا منه لجهله بالخاتمة واما الى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة فى قلوبهم فانه لايبالى كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعى الماشية غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه فما لم ير سائر الناس كالماشية التى لايلتفت الى نظرها ولا يبالى بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالسراج يضىء لغيره و يحترق فى نفسه فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ الا عند نيل هذه الدرجة لخلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب فاقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) حب الدنيا رأس كل خطيئة ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم و بطلت المعايش وهلكت القلوب والابدان جميعا الا انه صلى الله عليه وسلم علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكر كونه مهلكا لاينزع الحب من قلوب الاكثرين لا الاقلين الذين لاتخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر مافى حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من ان يترك نفسه بالشهوات المهلكة التى سلطها الله على عباده

(١) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة البيهقى فى الشعب من حديث الحسن مرسلا وقد تقدم فى كتاب ذم الدنيا

﴿تم الجزء الثالث من تخريج احاديث الاحياء للحافظ العراقى و يليه الجزء الرابع واوله كتاب التوبة﴾

وقته وأدب حاله ومن كمل تحفظه ورعايته وقيامه بأدب حاله قد يكون من ذنبه الموجب للاحتلام ووضع الرأس على الوسادة اذا كان ذا عزيمة فى ترك الوسادة وقد يتمهد للنوم ووضع الرأس على الوسادة بحسن النية من لا يكون ذلك ذنبه وله فيه نية للعون على القيام وقد يكون ذلك ذنبا بالنسبة الى بعض الناس فاذا كان هذا القدر يصلح أن يكون ذنبا جالبا للاحتلام نقس على هذا ذنوب الاحوال فانها تختص بأربابها و يعرفها أصحابها وقد يرتفق بانواع الرفق من الفراش الوطئ والوسادة ولا يعاقب بالاحتلام اذا كان عالما ذا نية يعرف مداخل الامور ومخارجها وكم

من نائم يسبق القائم لوفر علمه وحسن نيته (وفي الخبر) اذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد فإن قعد وذكر الله تعالى انحلت عقدة وان توضأ انحلت عقدة اخري وان صلى ركعتين انحلت العقد كلها فاصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح كسلان خبيث النفس (وفي خبر آخر) ان من نام حتى يصبح بال الشيطان في اذنه والذي يخل بقيام الليل كثرة الاهتمام بامور الدنيا وكثرة اشتغال الدنيا واتعاب الجوارح والامتلاء من الطعام وكثرة الحديث واللغو واللغط واهمال القيلولة والموفق من يغتنم وقته يعرف داءه دواءه ولا يهمل يهمل

ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا لقوله تعالى ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فكذلك لاتزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدفع الخلق الشرب والزنا والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصي بقول الله تعالى ورسوله ان ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد وأشخاص ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فانما يخشى ان يفسد طريق الاتعاظ فاما ان تخرس ألسنة الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلايكون ذلك ابدا فان قلت فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح اونصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الاخطار وحبائل الاغترار فاعلم انه بقي عليه اعظمه وهو ان الشيطان يقول له قد اعجزتني وأفلت بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وماقدرت عليك فما اصبرك وما اعظم عند الله قدرك ومحلك اذ قواك على قهري ومكنك من التفطن لجميع مداخل غروري فيصغى اليه ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب اعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم اذا ظننت انك بعلمك تخلصت مني فبجهلك قد وقعت في حبائلي فان قلت فلو لم يعجب بنفسه اذ علم ان ذلك من الله تعالى لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان الا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن اقل القليل فاذا قدر على مثل هذا الامر العظيم علم انه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب فاقول يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون ان يقارنه الخوف من مكره ومن أمن من مكر الله فهو خاسر جدا بل سبيله ان يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه ان يكون قد سدت عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات الى عز وهو غافل عنه ويكون خائفا ان يسلب حاله في كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الاولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال أفلت مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذا المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب أولياء الله ابدا فنسأل الله تعالى العون والتوفيق وحسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها تم كتاب ذم الغرور وبه تم ربع المهلكات ويتلوه في اول ربع المنجيات كتاب التوبة والحمد لله اولا وآخرا وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿تم طبع الجزء الثالث من احياء علوم الدين ويليه الجزء الرابع بعون الله تعالى وتوفيقه﴾

﴿ فهرست الجزء الثالث وهو الربع الثالث من كتاب احياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالى ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت ﴾


Bibliotheca Alexandrina
0529766